بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وصلَّى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم وشرَّف وكرَّم ومجَّد وعظَّم ووالى عليه وأنعم

كتاب

كَنْزُ البراهينِ الكَسبِيَّة

والأسرارِ الوَهبِيَّة الغَيبِيَّة لسادات مشايخ الطَّريقة العَلَويَّة الحُسينيَّة

الجزء الأوّل

تأليف

الولي الصَّالح العارف بالله تعالى والدّالّ عليه والداعي إليه

الإمام شيخ بن محمَّد الجفري رضي الله عنه

تحقيق

راجي عفو مولاه الودود

بسام محمد بارود

عفى الله عنه بجاه صاحب المقام المحمود ﷺ

كتاب

كَنْز البراهينِ الكَسبِيَّة

والأسرارِ الوَهبِيَّة الغَيبِيَّة
لسادات مشايخ الطَّريقة العَلَويَّة الحُسينيَّة

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الإهداء

إلى الذي لولاه لم تخرج الدنيا من العدمﷺ...

إلى سيد الكائنات... وحبيب رب البريات ... سيدنا وحبيبنا محمد صلوات ربي وسلامه عليه...

ثم ...

إلى سادتي آل بيته رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم... وأخص منهم سادتي آل أبي علوي...

وأخص منهم سادتي آل الجفري

الكرام أبناء الكرام أبناء الكرام

وسلسلتهم إلى جدهم حبيبي وقرة عيني سيدي رسول الله صلوات ربي وسلامه عليه...

ثم إلى ذريتهم إلى يوم الدين رضوان الله تعالى عليهم أجمعين...

مستمداً منهم الدعاء... نفعني الله بهم وبأسرارهم وأمدني بأنوارهم وبركاتهم ... آمين

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تقـديم

الحمد لله رب العالمين حمداً يوافي نعمه، ويكافىء مزيده، يا ربنا لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك ولعظيم سلطانك، سبحانك لا نحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك، فلك الحمد حتى ترضى، ولك الحمد إذا رضيت، ولك الحمد بعد الرضا.

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم على سَيِّدِنا محمد وعلى آلِ سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ في الأَوَّلين، وصَلِّ وسَلِّم على سَيِّدِنا محمد وعلى آلِ سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ في الآخِرين، وصَلِّ وسَلِّم على سَيِّدِنا محمد وعلى آلِ سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ في المرسلين، وصَلِّ وسَلِّم على سَيِّدِنا محمد وعلى آلِ سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ في النَّبيِّن، وصَلِّ وسَلِّم على سَيِّدِنا محمد وعلى آلِ سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ في الملأ الأعلى إلى يوم الدين، وصَلِّ وسَلِّم على سَيِّدِنا محمد وعلى آلِ سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ حتى ترث الأرض ومن عليها وأنت خير الوارثين يا رب العالمين.

وبعد ... فأمرٌ أتى من عالم البرزخ ... حيث الأرواح الصالحة في بحور النور... إلى خادم الصلاة على سيد الوجود صلوات ربي وسلامه عليه، ومحب آل بيته الكرام... في هذا العالم ...عالم الشهود..أن يخرج هذا الكتاب إلى النور ليستفيد ويستمد منه من أراد النور ... وكذا عباد الله الصالحون العاشقون للحبيب ﷺ .... والمحبون لذريته وآل بيته رضي الله تعالى عنهم أينما كانوا وحيثما حلت أرواحهم وأشباحهم – فروع الدوحة النبوية المكرمة التي سرى في عروقها أنوار وروحانيات جدهم صلوات الله وسلامه عليه...

أمر ما كنت لأجرؤ على مخالفته أو أتباطأ عن المسارعة في تحقيقه... أمر سيدي الحبيب الحسيب النسيب عبد الله بن علي الجفري رحمه الله تعالى... الفاني في محبة رسول الله ﷺ، والذي اختلطت محبة صاحب السعادة والسيادة مولانا رسول الله ﷺ في كل ذرة من ذرات كيانه فأجرى ذلك على لسانه من صيغ الصلوات ما لم يجر على لسان غيره من عباد الله....، ولا غرو... فإن بحور الصلاة على الحبيب لا حد لها ولا ساحل ولا نهاية إلى يوم الدين، منذ أن صلى ربنا ﷻ عليه، وثنّى بملائكته والكائنات جميعها، من العرش إلى الفرش منذ بدء الخلق إلى يوم القيامة، فكان من نصيب سيدي الشريف عبد الله - رحمه الله تعالى- ما جرى على لسان حاله وقاله من صيغ صلوات مباركات نورانيات سطرها في كتابه»دليل المحتار" وغيره من الكتب في الصلاة على جده قرة العيون ﷺ ما لا يعلمه إلا الله... وكان من ظنه الحسن رحمه الله ـ أن شرف كاتب هذه السطور بخدمة هذا السفر الجليل، وفيه ما فيه من علوم وأسرار أئمة من رجال الله الصالحين الأبرار والسادة الأخيار سادتي آل الجفري الذين لا أجد في نفسي القدرة على وصفهم وقد شرفني الله أن التقيت بالكثير من أولادهم وتشرفت بصحبتهم في مجلس سيدي الحبيب الولي الصالح الحبيب علي بن شيخ بلفقيه باعلوي رضي الله عنه وأرضاه منذ خمس وثلاثين سنة أو أكثر، في ثمانينيات القرن الماضي، فكانت صحبتهم المباركة من ثمرات هذا المجلس النوراني، واستمرت هذه الصحبة حتى ساعة كتابة هذه السطور، وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يديم معهم الرابطة والتعلق والصحبة والنفع إلى يوم الدين، آمين.

ولا يمكنني تجاوز هذا المقام دون الكلام عن هؤلاء السادة الكرام الذين اجتمعت فيهم أخلاق جدهم سيد الأنام ﷺ، وطبعوا على مكارم أخلاقه ﷺ طبعاً لا فكاك منه، وأرجو أن لا أتجاوز قدري في هذا لأني عرفتهم وخبرتهم في الأحوال جميعها منذ التقيت بهم في ذاك المجلس النوراني المهيب المبارك مجلس سيدي قطب وقته، الحبيب الحسيب النسيب علي بن شيخ بلفقيه رضي الله تعالى عنه وأرضاه ـ الذي كان لسادتي آل الجفري منه نظرة خاصة، وعناية تامة، ومحبة جمة، وكان لهم معه رضي الله عنه ارتباطاً مميزاً ، فكان يبحث عنهم في كل مجلس من مجالسه المباركة، ويناديهم

بأسمائهم ـ وهو الذي كان رهين المحبسين؛ فقد البصر وملازمة الفراش ـ، فكان ﵁ يعرفهم من أصواتهم، ويسأل عن أولادهم صغارا وكباراً، ويكرمهم أيما إكرام حساً ومعنىً، يعلم هذا كل من كان يحضر ذاك المجلس المبارك، فنالوا بذلك الحظوة الكبيرة، والمدد القوي، وهم لا يزالون أهل المدد لمن يخالطهم عن قرب.

اجتمع في سادتي الأشراف آل الجفري خصال قلّما اجتمعت في غيرهم، وقد سمعت من شيخنا الحبيب المتفاني في محبة سيدي رسول الله ﷺ وآل بيته الكرام، وقد كان من أكثر المواظبين على حضور مجلس الحبيب علي بن شيخ بلفقيه ﵁ - أقصد شيخنا العالم الجليل القاضي الفقيه الشيخ محمد الرطل البناني المغربي الفاسي رحمه الله تعالى، سمعت منه قوله:

أجمع العلماء على ثلاث خصال ينبغي أن تجتمع فيمن يدعي نسبته إلى سيد الكائنات ﷺ، وهذه الخصال:

الأولى: التواضع. **والثانية**: الكرم. **والثالثة**: الشفقة على خلق الله.

وإني لو أقسمت بالله ﷻ أن هذه الصفات كلها مجتمعة قد تحققتها، ورأيتها متوفرة في هؤلاء السادة الأشراف، لو أقسمت لبررت، وما حنثت إن شاء الله:

أما **التواضع**: فما رأيت فيهم متكبرا سواء في علم أو منصب أو جاه أو دنيا، من مَلَكَ منهم دنيا أو منصباً أو جاه لا ترى عليه أي صفة من صفات المتكبرين المتجبرين، بل يسخر ما أعطاه الله في سبيل الله ومرضاته، ولا يرى لنفسه مقاماً أو مكانةً أمام خلق الله، بل من لا يعرفه يظنه إنساناً عادياً أو أقل من عادي في الملبس والمعيشة، والتباسط في الكلام، وهو القادر على أن يظهر بمظهر علية القوم، لكنه لا يفعل ولا يمكن أن يفعل لأن هذا ليس من صفات جده ﷺ.

وأما **الكرم**: فقد رأيت فيهم من الكرم ما لا يوجد عند غيرهم، ربما يكون أحدهم في بعض الأحيان لا يملك من الدنيا إلا القليل لكنه يجود بما في يده، حتى اللقمة تكون في فمه لو احتاجها فقير أو مسكين أو محبٌ لأطعمها له طيبة بها نفسه...ولو شققت عن قلبه لرأيت ما فيه من النوايا الصالحة بحيث لو استطاع أن يطعم أهل بلدته

كلهم ولا ينسب إليه شيء لفعل ...يصدق على كل واحد منهم قول الشاعر فيما قال:

بشاشـــة وجه المرء خير من القرى فكيف بمن يأتي بـــه وهو ضاحك

وأما الشفقة على خلق الله: فحدث ولا حرج عن أخلاق هؤلاء السادة، فقلوبهم مفتوحة، وأيديهم ممدودة لكل محتاج إلى مساعدة أو نجدة أو إغاثة في حال أو مال أو غير ذلك... يقدمون مساعدتهم لكل محتاج، وعطيتهم لكل طالب وهم يعتذرون، يصدق عليهم في هذا قول القائل: **إن الكريم ليعطي وهو يعتذر**.

وهكذا أخي الحبيب هو حال آل بيت سيد الكائنات ﷺ ... وما هذا الكتاب الذي بين أيدينا إلا ترجمة لسلف السادة آل الجفري فرع الدوحة النبوية رضي الله تعالى عنهم، وستقرأ من خلاله وترى وسيلة إيضاح لكل ما ذكرنا من هذه الأوصاف الكريمة التي ذكرنا بعضا منها، وأعتقد أنها ما زالت سارية فيهم وفي ذراريهم، باقية ما بقي على وجه الأرض ذرية للحبيب ﷺ ومن أولى بهذا منهم، فهم أهل العلم والفضل والكرم والجود، وهم خير قدوة بعد جدهم ﷺ لكل مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، إلى يوم الدين.

وصية محب: وإذا كنت أقدم هذا الكتاب لكل محب فهو لهم آكد وعليهم أوجب، وثوابهم وأجرهم مضاعف، كما أن عتابهم لمخالفة أخلاق الحبيب الأعظم وجدهم الأكرم ﷺ وعمله مضاعف.... لذلك فإنني أتوجه بالنصح لهم نصيحة محب ملأ حبهم قلبه أن يبقوا متمسكين بما هم عليه من هذه الأخلاق المحمدية الشريفة، يعملون بها ويعلمونها ويربون عليها أولادهم وأحفادهم ما تعاقب الليل والنهار، فلا شك أنهم تحت نظر جدهم ﷺ في كل حين، فلا ينبغي أن يرى ﷺ فيهم ما يسوؤه، وليطالعوا ما في هذا الكتاب ـ **كنز البراهين** - خاصة لأن فيه تراجم سلفهم، ثم أمثاله من كتب تراجم آل البيت الكرام، ككتاب «المشرع الروي في تراجم السادة آل أبي علوي رضي الله عنهم» لسيدي أبي بكر الشلي باعلوي رضي الله عنه، ففي هذين الكتابين وغيرهما من سير سلفهم الصالح وأجدادهم الكرام ما يشحذ الهمم ويفتخر به كل مسلم على أهل الأرض... فالله الله أحبتي وسادتي سيروا على نهج أسلافكم وكونوا كما كان أجدادكم رضي الله عنهم قناديل تنير الدروب لكل مسلم وسالك ومريد، ولا تنسوا خادمكم ومحبكم كاتب السطور من

صالح دعواتكم في الدنيا، وشفاعتكم عند جدكم ﷺ يوم القيامة ليكون من المقبولين عند الله ورسوله، المفلحين الناجحين الناجين بلا حساب ولا عذاب ولا عتاب ولا عقاب وتكون يدنا جميعا بيد حبيبنا ونبينا ومولانا سيد الكائنات محمد ﷺ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين. وصلى الله على سيد المرسلين وحبيب رب العالمين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، آمين.

وكتبه:

محبكم راجي عفو مولاه الودود

بسام محمد بارود

غفر الله له ولوالديه وللمسلمين

ومن قال: آمين

أبوظبي المحروسة

الثلاثاء غرة شهر رجب المكرم 1441 هجرية

الموافق 25 فبراير 2020م

هذا كتاب

كَنْز البراهينِ الكَسبِيَّة

والأسرارِ الوَهبِيَّة الغَيبِيَّة
لسادات مشايخ الطَّريقة العَلَويَّة الحُسينيَّة

جامعه:
قليلُ الزاد، ليوم المعاد، الفقير إلى رحمة الله
والغني به فيما أسرَّهُ وأبداه، كثير الخطأ بالوزري العلوي:

شيخ بن محمَّد الجفري

عَفا الله عنه ما جناه، وكان له في أُخراه ودنياه
بالنبيّ المصطفى ﷺ وآله، أهل الصِّدق والوفا
آمين

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وصلَّى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم وشرَّف وكرَّم ومجَّد وعظَّم ووالى عليه وأنعم

أحمدُ **الظَّاهرَ** بجميل جمالات تجميل جمال الجمال، **الباطنَ** بجلّ جليل جلَّة جلالات الجلال، **الأولَ** الذي لا من شيء ولا في شيء ولا شيء مثله في الأزل، **الآخر** المنَزَّه عن الغاية والابن والفنا، **الباقي الدَّائم** لم يزل، حَمْدَ من شهد أنه واحدٌ فردٌ صمدٌ، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، وأن لا معبود بحقّ في الأرض ولا في السماء وما بينهما سواه برغمِ مَن كفر به وله جحد. أحمده على نِعَمٍ له عليَّ تترى، وأشكره طلباً للمزيد منها دنيا وأُخرى.

وأُصلِّي وأُسلِّم على نقطة مركز كون الكون والتكوين جامع علوم الأوّلين والآخرين المخصوص بالحفظ والتمكين [**سَيِّدنا**] محمَّد مَن علا على البراق، ورقى السَّبعَ الطِّباق، وفاز بمحاسن الأخلاق، واستنارت بنوره جميعُ الآفاق، علويُّها وسفليُّها كما ثبت على الإطلاق، العبد العابد المحض المطيع، والحبيب المحبوب السابق على الجميع، [**سَيِّدنا**] محمّدٍ أحمدِ الحامدين، وأعبَدِ العابدين، وأتقى المتقين، وأزهدِ الزَّاهدين، مَن عُرضت عليه الجبالُ والرمال ذهباً فأباها، وجاهد في الله حقَّ جهاده حتى قَتَل الكَفَرَة وباهى.

وعلى آله أحدِ الثَّقلين[1]، الأغنياء بالله والفقراء إليه أصحاب اليقين، وأصحابه

---

(1) عن سيدنا علي بن أبي طالب ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ : «إني مقبوض وإني قد تركت فيكم الثقلين ـ يعني كتاب الله وأهل بيتي ـ وإنكم لن تضلوا بعدهما، وإنه لن تقوم الساعة حتى يبتغى أصحاب رسول الله ﷺ كما

نجوم الاهتداء لمن اهتدى، لا سيّما العشرة المبشرة وسواهم[1] مَن رضي الله تعالى عنهم ورضوا عنه، برغم من افترى عليهم واعتدى[2]. وعلى من تبعهم بإحسان من سائر المسلمين مِن يومنا هذا وما قبله إلى يوم الدِّين، ما تنفس ظاعن ومقيم من صحيح وسقيم، وحرك ساكناً نسيم، ونادم نديماً نديم، ما بقيت أسرار العناصر بآثارها في المأثورات، وتنافست بها جميع النفوس في الواردات والصَّادرات.

أما بعد....

فيقول الفقير الحقير قليل الزاد ليوم المعاد، مَن لا يأمن مِن مكر الله، ولا ييأس من رحمة الله بالباطن والظاهر، كثيرُ الخطأ بالوزري، **العَلَويُّ: شيخُ بنُ محمَّدٍ الجُفْري**، كان الله له في عاجله وآجله، ووفّقه بجوده وكرمه لأقوم سبيل من سبله، في أقواله وأفعاله بمحمد ﷺ وآله ـ: بأني لما رأيتُ من نفسي كثرةَ التهاون في أعمال الطاعة، وزيادة القصور والتقصير لحضور الجمعة والصلاة مع الجماعة، والنشاط منها مع الهرولة في أعمال الخطل[3] والجُنوح إلى الطماعة[4]، ورفعت عن وجهها قناع الزهد

تبتغي الضالة فلا توجد». رواه البزار وفيه الحارث وهو ضعيف. **مجمع الزوائد للحافظ الهيثمي**: المجلد التاسع 37 كتاب المناقب 14باب في فضل أهل البيت ﷺ ـ الحديث رقم: 14959. وروى الإمام أحمد في مسنده عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ إني قد تركت فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر كتاب الله ﷻ حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي ألا إنهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض. **مسند الإمام أحمد بن حنبل**: المجلد الثالث. مسند أبي سعيد الخدري ﷺ.

(1) أي: سائر أصحاب رسول الله ﷺ ورضي الله تعالى عنهم أجمعين، وعنَّا بهم آمين.

(2) وتطاول وتجرأ حقداً وافتراء وقلة حياء بل عدم حياء وأدب من الذين خذلهم الله وأعمى أبصارهم وطمس على قلوبهم فأساؤوا الأدب على ساداتنا صحابة رسول الله ﷺ أنبل بني البشر وأكرم خلق الله بعد الأنبياء والرسل، فعقيدتنا أهل السنة والجماعة التي نعتقدها ونسأل الله تعالى أن نلقاه عليها وبها **أنَّ صحابة رسول الله ﷺ كلهم عدول ثقات لا سيما ساداتنا الخلفاء الأربعة سيدنا أبو بكر وسيدنا عمر بن الخطاب وسيدنا عثمان بن عفان وسيدنا علي بن أبي طالب ومن بعدهم سيدنا معاوية رضي الله عن الجميع وعنا بهم**، فهم الذين جاهدوا مع الحبيب ﷺ وفتحوا البلاد وأدخلوا الإسلام في الأمصار ويا عجباً من قوم يناصبون سيدنا عمر بن الخطاب العداء وهو الذي كان سبباً في فتح بلادهم ودخول أجدادهم في الإسلام ولولا أن الله هيأه وجعله سبباً لذلك لما عرفوا الإسلام... ثم يأتي أقوام منهم ملأ الحقد قلوبهم وأعمى الله أبصارهم وبصائرهم ليشتموا كبار الصحابة ﷺ وما ذلك إلا من علامات الخذلان والنفاق والعياذ بالله تعالى. فالحمد الله الذي عافانا مما ابتلاهم به.

(3) قال في القاموس: **الخَطَلُ**، محرَّكةً: خِفَّةٌ وسُرْعَةٌ، والكلامُ الفاسِدُ الكثيرُ.

(4) أي: النفس الطماعة فيما سوى الله تعالى. وفي ذلك يقول أحدهم ـ شعراً ـ:

والتوكل والقناعة، وسلكت مسلك من ارتضى بالهوان، ومال إلى الذلِّ والنقص والخسران، حتى تنسرت[1] على أبواب السلاطين وتنمرت[2] على أموال المساكين، وما اعتقدت أنَّ مال الحرام حِلّ لها، وأنَّ مال الغير مالها[3]، وأفضل الأعمال كلها في زعمها مالها، والتفتت إلى ذلك بالتمويهات والمحالات، فيما لا يرضى به الله ورسوله في جميع الحالات، وارتضت بمن قال فيها بحسن ظنٍّ متى تكلم معها بما يضرها حقيقة إذا تأمّلته ولا ينفعها؛ كقول من قال لكثرة حبه في الآل:

إن شفت أحد منهم ميل ... قل قائم بطول الليل

وقول الآخر:

من كان جده محمد ينجح ... وفي كلّ وزن فميزانه أرجح

وقول من يقول:

يا بني الزهراء والنور الذي ... ظن موسى أنه نار قبس

لا يوالي الدهر من عاداكم ... إنه آخر حرف في عبس

وقول من يقول:

يا أهل بيت رسول الله حبكم ... فرض من الله في القرآن أنزله

كفاكم من عظيم الفضل أنكم ... من لم يُصَلّ عليكم لا صلاة له

وقول من يقول:

كل من لم ير فرضاً حُبّكم ... فهو في النار وإن صلَّى وصام

وغير ذلك من مقالات المحبين في أهل البيت الطَّيِّبين الطَّاهرين، فهذا وأزيد منه إن شاء الله تعالى حاصل بفضل الله، لا سيما للمنتسب إلى رسول الله ﷺ؛ غير أنه لا

الدنيا ساعةْ فاجعلها طاعةْ ... والنفس طماعةْ عوّدها القناعةْ

(1) تنسَّر: أي: تخلقت بأخلاق النسر وهو من الجوارح التي تعيش على الجيف واقتناصها.

(2) أي: تخلّقت بأخلاق النمر.

(3) أي: ليس لها فـ: «ما» هنا نافية.

يكون هذا مع ترك ما أمر الله وإتيان ما عنه نهى الله، والتعدي لما لا يحل من الحدود، وتسويد وجوه الآباء بذلك والجدود، وقد يكون ذلك لمعذور قد عذره الله بخطأ أو نسيان، أو أكرهه عليه مَن لا يخاف الله، أو بمرض وسفر فلا عذر بقضاءٍ وقدر، إذ العذر بذلك ذنب على ذنب، قال به من روى ذلك عن النبي ﷺ، لا سيما في الأعمال المفروضات لله سبحانه وتعالى بكل الحالات، فقلت في نفسي التي هي بالسوء أمارة والخلاف في الأوامر خدّاعة مكّارة، رضيت في أعمالك بالدُّون، فحظيت منه بالخون، وقنعت بما فيك المعتقِد قد قال، حتى صحَّ قول المنتقد عليك في قوله حيث قال فيك:

إذا لم تكن نفسُ النسـيب كأصلِه فماذا الذي تغني كرامُ المناصب؟!
وإنْ علويـاً لـم يكن مثـلَ جعفرٍ فمـا هـو إلا حُجَّـة للنواصِـب

وقولي فيك:

إذا لم تكن نفسُ الشـريف شريفةً وإلا فتلـك أكلـة للمقـارض[1]
متـى سـيد أخطـأ طريقـة أهله فمـا ذاك إلا حُجَّـةٌ للروافـض

وقول الآخر فيك وفي أمثالك من الأقارب أبناء البتول وغيرهم، سيما أولاد العلماء وأرباب المناصب، حَيْث يقول:[شعر]-

يفتخـرون بآبـاءٍ لهُـمْ سَـلفُوا نِعْمَ الجـدود ولكن بئس ما خَلَفُوا

وقول الآخر:

من لم يكن برسُـول اللـه مقتدياً فرجله في صراط الحق ما رسخت
ولو يسـير علـى الأفـلاك منتعلاً قُلْ ويح نفسك يا هذا لقد مسخت

وقول الآخر المعرِّض بكَ وبأمثالكَ، المراد بقولي: «لعلَّكِ ترجعي عن ضلالِكْ»، وهو:

ألا في سـبيل المجد قومٌ عهدتهم عجاب من الإعجاب في كلِّ نائبِ

---

(1) أي: الألسنة.

يلومون من صَلَّى ويهجون من قرأْ / يرون اكتسابَ الفضل أروى المكاسب
وما عندهــم إلا الحطــام فضيلةً / بــأي طريــق أخــذه بــالأكاذب
وما شــأنهم إلا كــذا كان والدي / ولا المجد إلا أخذُ بعض المناصب
فضائلهــم محصورةٌ فــي ثيابهم / وحمل السّبح والشال[1] في كل واجب
شــمائلهم يمشــون بالتيــه جملة / وأورادهــم إتقــان هــزَّ المناكب
يغالون في لبس البياض وغسْــله / مع الطِّيب كي يُدعَوْا به بالأطايب
وما سُــوِّدُوا في الناس إلا بفعلهم / وما اعتبروا منهم ســواد المناقب
رمانــي زمانــي بينهم يســتهينني / على غير جُــرمٍ مخطياً غير صائب
وأوقَعَنــي بالجهــل منــه برتبتي / وليس محلي غير هــام الكواكِب

وقول غيره مثله مزادٌ فيه، وهو:

إذا لم يكن صدر المجالس سَــيِّداً / أديباً له من ســؤدد الفضل حَارس
وإلا فقــل من غيــر شــك وريْبَة / ولا خيرَ فيمــن صَدرته المجالس
وكــم قائــل إنــي رأيتــك راجلاً / وأنت تســوس كل من هو سائس
على جهــة التبكــت منــه لعُجْبِهِ / فقلْــتُ لهُ مِــن أجل أنــك فارس
تنــوب بلا ناب لذي النــاب دائماً / ترجلت إذ ذاك منك قد صرت حارس
وكيــلا أُســاويك بحالتــك التي / بها لا بفضل أنــت بالصّدر جالس

وقول عَلَم الإرشاد الحبيب عبد الله بن علوي الحدّاد ﷺ: [شعر] ـ

وقــد تخلف أقــوام وَمَــا قصَدوا / نَيْل المكارم واســتغنوا بكان أبي

أَلا تصغين ـ يا نفسي الأمارة ـ لقول الله وما أتى عن رسول الله ﷺ ؟. ألا تسمعين ما أجاب الله ﷻ لنبيّه نوح ﵇ إذ كان بابنه صائح؛ إذ قال له: ﴿إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ

(1) أي: حمل السبحة والشال الذي هو شعار آل البيت في وقته ﵁.

﴿إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍۖ﴾، [هود: 46]. وتصغين لقول خليل الله إبراهيم ﷺ: ﴿فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّيۖ وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، [إبراهيم: 36]. وتلتجئين إلى قول من ترتجينه بالممات وبالمحيا ﷺ: «يا فاطمة بنت محمدٍ، لا أغني عنك من الله شيئاً»(1)، وفيه ـ أي: الحديث الصحيح ـ: «يا بني عبد المطلب، يا فلان، يا فلان» من قرابته عليه السلام يعمّ ثم يخصّ.

قال المنلا أحمد البصري في كتاب: «منهج الرشاد بشرح قصيدة»: (إذا شئت أن تحيا سعيداً مدى العمر) للحبيب الحداد رضي الله عنه: ومن قال أو ظنَّ أن ترك الطاعات وفعل المعاصي لا يضرّ أحداً لِشَرَفِ نَسَبِهِ أو صلاحِ آبائه، فقد افترى على الله الكذب، وخالف إجماع المسلمين، **ولكنِ لأهل بيت رسول الله ﷺ شرف، ولرسول الله ﷺ بهم مزيد عناية، وقد أكثر على أُمته من الوصية بهم والحثّ على حبّهم ومودَّتهم**، وبذلك أمر الله تعالى في كتابه بقوله: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِي ٱلْقُرْبَىٰۗ﴾، [الشورى: 23]، فعلى كافَّةِ المسلمين أن يعتقدوا حبّهم ومودَّتهم، وأن يوقّروهم ويعظِّموهم من غير غلوٍّ ولا إسراف، ثم إن من كان من السَّادة أهلِ البيت على مثلِ أو قريب من سير سلفهم الصَّالح وطرائقهم المرغبة، فهو إمامٌ يُهتدى بأنواره ويُقتدى بآثاره كآبائه المهديين، فإنَّ منهم الأئمَّةَ المقدَّمين مثل أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب والحسَن والحسَين سبطَيْ رسول الله ﷺ، ومثل جعفر الطيار وسيد الشهداء حمْزة، ومثل حبر الأُمة عبد الله بن العبّاس وأبيه الإمام العَبَّاس عمِّ رسُول الله ﷺ، ومثل الإمام زين العابدين علي بن الحسين، والإمام الباقر، وولد الإمام جعفر الصَّادق، وأمثالهم رضي الله عنهم مِن سلف هذا البيت المطهَّر.

---

(1) روى الشيخان وغيرهما ـ واللفظ للبخاري ـ بسنده عن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ أَنْزَلَ اللَّهُ عز وجل وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ قَالَ يَا مَعْشَرَ قُرَيْش أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ لا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا يَا بَنِي عَبْدِ مَنَاف لا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا يَا عَبَّاسُ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لا أُغْنِي عَنْكَ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا وَيَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُولِ اللَّهِ لا أُغْنِي عَنْكِ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا وَيَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَلِينِي مَا شِئْتِ مِنْ مَالِي لا أُغْنِي عَنْكِ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا. **صحيح البخاري**: الجزء الثالث 68 كتاب التفسير 260 باب: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ * وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ﴾: ألن جانبك ـ الحديث رقم: 4493. **وصحيح مسلم**: الجزء الأول 1 كتاب الإيمان 89 باب في قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ ـ الحديث رقم: (206) ـ 351. **وسنن النسائي**: المجلد السادس ـ كتاب الوصايا. باب إذا أوصى لعشيرته الأقربين.

[مطلب]

حال من خالف سيرة آبائه من أهل البيت النبوي الشريف

وأما مَن كان مِن أهل هذا البيت ليس على مثل طرائق أسلافهم الطَّاهرين وقد دَخل عليهم شيءٌ من التخليط فغلبه الجهل فينبغي أيضاً أن يعظِّموا ويُحْتَرَموا لقرابتهم من رسول الله ﷺ، ولا يدع المتأهِّل للنصيحة نُصحَهم وحثَّهم على الأخذ بما كان عليه سلَفُهم الصَّالح من العلم والعمل الصَّالح والأخلاق الحسنة والسيرة المرضية، ويخبرهم أنهم أولى بذلك وأحقُّ به من سائر الناس، وأنَّ مجرَّد النَّسَب لا ينفع ولا يرفع مع إضاعة التقوى والإقبال على الدنيا وترك الطاعات والتدنس بدنس المخالفات، وقد تفطن لذلك جماعةٌ من الشعراء فضلاً عن الأئمة والعلماء، حتى قال بعضهم: [شعر]

لعمرك مــا الإنســان إلا ابن دينه ... فلا تترك الدين اتِّكالاً على النسبْ

فقد رفع الإســلام ســلمان فارس ... وقد وَضَع الكفر الحسيبَ أبا لهبْ

وقال المتنبي:

إذا لم تكن نفسُ الشــريف كأصله ... فماذا الذي تغنــي رفاع المناصب

وقال الآخر:

ومــا ينفــع الأصــل من هاشــم ... إذا كانــت النفــس مــن باهلــه

[مطلب]
في الكلام على أولاد أهل الصلاح

والكلام في أولاد الصَّالحين مثل الكلام في أهل البيت النبوي؛ **بمعنى**: أنَّ مَن كان على مثل حال سَلفه فهو صالحٌ مثلُهم، يُعَظَّم ويُتبرَّك به، ومَن كان على الجهل والغفلة فينبغي أن يُنصَح ويُرشَد إلى الصَّواب ويُحترم شيئاً من الاحترام لأجل سَلَفِهِ الصَّالحين، وكيف لا! وقد قال تعالى ما قال في شأن الغلامين والجدار: ﴿وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا﴾، [الكهف: 82]. وقد بلغنا أنه الأبُ السَّابع لهما من جهة الأم، فحُفِظا له وحُفظا به في أمر الدنيا فضلاً عن الآخرة، فاعلم وافهم، وضَعْ كلَّ شيء في موضعه، وأدِّ كلَّ ذي حقٍّ حقَّه، واستعن بالله تسعدْ وترشُد، والأمر كلُّه لله.

انتهى ما قاله العلامة المنلا أحمد في كتابه «منهج الرشاد» حسب ما نقله من كتاب «الفصول العلمية» للعالم العارف بالله الحداد رضي الله عنه.

....**ثم قلت لها**: يا نفسي إلى مَ تجهلين ما تعلمينه، وتنكرين ما تعرفينه، ولا تَعِين ما تسمعينه، ولا تتعظين بما تبدينه، ولا تستحين مما تضمرينه والله يعلم منك خلاف ما تظهرينه، هلا تميلين إلى قول من قال، وتعودين مما أنت فيه إلى ما إليه مآل، وذلك قوله:

تعلَّمْ فليس المرء يولدُ عالماً ... وليس أخو علمٍ كمن هو جاهل

فإنَّ كبير القوم لا علم عِنده ... صغيرٌ إذا التفَّت عليه الجحافِل

[وإن صغير القوم إن كان عالماً ... كبيرٌ إذا رُدَّت إليه المحافل[1]]

(1) الأبيات للإمام الشافعي رضي الله عنه. والبيت الأخير ليس في الأصل وتمّم لتكملة المعنى.

وقول من سمت نفسه لتعليه إلى العليا وطلب الآخرة بما أمر وَمَال عن الدنيا، حَيْث قال:

إنَّـــا وإن كنـــا ذوي نســـبٍ   لَسْـــنا علـــى الأحســـاب نتَّـــكلُ
نبنـــي كمـــا كانـــت أوائلنـــا   تبنـــي ونفعـــل مثـــل مـــا فعلـــوا

وقول محيي النفوس أبي بكر بن عبد الله العيدروس رضي الله عنه، حيث قال:

ليس الفتى من يقتدي الســـالفات   إن الفتـــى مـــن قـــال أنـــا

وقول المخصوص من بسوابغ الإمداد سيدنا الحبيب عبد الله بن علوي الحداد رضي الله عنه:

لا ولا تغـــــترَّ بالـــنســـــبِ   لا ولا تقنـــع بــــ «كَان أبـــي»
واقتـــدي في الهـــدى بخيـــر نبي   أحمـــد الهـــادي إلـــى السُّـــنَن

وتتناسين ـ يا نفس ـ وتطمئنين بقول من تفتخرين به بين العباد، وتنتسبين إليه في كلِّ ناد، أتقى من اتقى بوقته، وأزهد الزهَّاد، الخائف من الله مع ما ذكرنا منه يوم التَّناد، الملقب بـ «زين العابدين الولي علي ابن الإمام الحسين ابن الإمام علي رضي الله عنه»، حيث يقول:

غفلت وحادي الموت في أثري يحدُو   فـــإن لم أَرُحْ يوماً فـــلا بدَّ أن أغدُو
أنعِّـــمُ جســـمي باللبـــاس ولينـــه   وليس لجسمي من لباس البِلى بُدُّ
كأنّـــي به قد مـــرّ في بـــرزخ البلى   ومن فوقـــه ردمٌ ومـــن تحته لحدُ
وقد ذهبت منّي المحاسنُ وانْمَحَتْ   ولم يبقَ فوق العَظم لحمٌ ولا جلدُ
أرى العمر قد ولّى ولم أدرك المنى   وليـــس معي زادٌ وفي ســـفري بُعْدُ
وقد كنت جاهرتُ المهيمنَ عاصياً   وأحدثـــتُ أحداثاً وليـــس لها ردُّ
وأرخيتُ خوف الناس ستراً من الحيا   وما خفتُ من سرّي غداً عنده يبدو
بلـــى خفتُه لكـــن وثقـــتُ بحلمه   وأنْ ليـــس يعفو غيرُه فلـــه الحمدُ

فلو لم يكن شيءٌ سوى الموت والبلا | ولم يكُ من ربّي وعيدٌ ولا وعدُ
لكان لنا في الموت شغلٌ وفي البلا | عن اللّهو لكن زال عن رأينا الرّشدُ[1]
عسى غافرُ الزلات يغفر زلّتي | فقد يغفرُ المولى إذا أذنب العبدُ
أنا عبدُ سوءٍ خنتُ مولاي عهدَه | كذلك عبد السوء ليس له عهدُ
فكيف إذا أحرقت بالنار جثتي | ونارك لا يقوى لها الحجر الصّلدُ
أنا الفرد عند الموت والفرد في البَلى | وأُبعَث فرداً فارحم الفردَ يا ﴿فردُ﴾

أما تخافي ـ يا نفسي ـ ما خافه هذا الإمام، وتتركي ما أنت عليه مِن فعْل الحرام وصحبة اللِّئام، فحتى متى لم تخشعي وتندمي على ما فاتك وتهطعي، وقد مضى عليك من عُمْرك سنين، بل أشرفت بلا عمل فيه على السِّتين، ترتضين بالدُّون وبالهون، إنا لله وإنا إليه راجعون، مستحسرين على ما فرَّطت في جنب الله عندما يمسُّك بالعدل من عذاب الله، ومُنذ شهدتُ مِن نفسي وفعلها ما شهدت ووقعت بسببها فيما وقعت، قلت: [شعر] ـ

عارٍ عن الخير متهومٌ به أبداً | هذا ابتلاءٌ أم استدراجٌ لي رُصِدا
يظن الناس بي خيراً وجلّهم | قد جعلوني لهم شيخاً ومعتقَدا
ومن عليهم سيما الفشل لائحة | يأتوا إليَّ ومني يطلبوا مَدَدَا
فصرت في حيرة مما أشاهدهُ | منهم لأنَّ مسيري في عمى وَرَدَا
مذ جئت مكَّة يوماً ما وَقفْت بها | مع الإمام الذي بالفضل قد سعدا
وذاك أول وقت للفروض كما | عن سيِّد الرسْل في تفضيله وردا
وقت الفضيلة ما يوماً ظفرت به | فكل أعمال آتيها تُعدّ سدى
وقد حضرت لبعض أحيانها عَلناً | حضور من دون قلبٍ كله وَجَدا

(1) هذا البيت والذي قبله ليسا في الأصل؛ استكملا لإتمام المعنى.

شبه العدم ذا الحضور قد تحقق لي | والنفس قــد صار هذا دأْبهــا أبَدَا
وسوء فعلي لدى الأصحاب قاطبةً | مشـــاهَدٌ ويــرون أن فيــه هــدى
بل نعتوني بأوصافٍ يضيق بها صَدري | وصدر الــذي قد كان لي حَسَــدا
وزادوا فيَّ اعتقاداً ضحوة وعِشــا | بحسْــن ظنٍّ وما بالظن قــد فقدَا
ولــم يردهم مــا بان من كسَــلي | وســوء فعلي وما قــد جئته عمدا
بمــا أنــا فيه مــن هــوْن ومنقصةٍ | وقل خير ســبيل الشــر قلبي غدا
كثــر التهاون جهراً قــد حظيت به | وعجز صرف عن الطاعات لي عهدا
يا رب فاغفر وسامح ذنب عبدك مَن | ليس إليــك بقلب صَــادق قصدا
أعمالــه كلهــا ليســت بصالحــة | وما لــه عمــل يرجوهُ قــد صعدا
إليــك منــه بخيرٍ في جــلا وخلا | إلا محبتــه الدنيــا بهــا فســدا
في كل وقتٍ عن الخيرات منحرف | وبالمساوىء جميعاً قد طغى وعدا
بجــاهِ طــه شــفيع الخلــق وفِّقْهُ | للخير حتى يســير في سبيل هدى
ولا يكــون دوامــاً فــي حقيقتــه | عــارٍ عــن الخيــر متهوم بــه أبَدَا

وقد توسلتُ فيما نابَني برسول الله ﷺ في تعجيزي وتصديري وتذييلي لقصيدة ولي الله الملهم الملقم حاوي العلم والعمل، والزُّهد والتوكُّلِ والكرامات السيد الشريف الغني عن المدح والتعريف، بمصنفه المسمَّى بـ «**دلائل الخيرات**»[1]، فقلت: [شعراً]

(1) كتاب «**دلائل الخيرات وشموس الأنوار في الصلاة على النبي المختار** ﷺ» للإمام أبي عبد الله محمد بن سليمان الجزولي رضي الله عنه وأرضاه، وعنا به، فقد جمع في هذا الكتاب ما يزيد على ألفي صيغة في الصلاة على نور الأنوار ﷺ بدأه بما جاء في الأحاديث النبوية الصحيحة، ثم بصيغ وردت عن ساداتنا آل البيت النبوي الكريم رضي الله عنهم، ثم ما ورد عن ساداتنا الصحابة رضي الله عنهم أجمعين، ثم ما جاء عن سادات التابعين، وأهل الله العارفين، والأئمة المعتبرين من سلف الأمة رضي الله عنهم أجمعين، فجمع في هذا الكتاب ما لم يجمع في غيره، حتى أن رجلاً بشيراز ألف كتاباً وسماه بهذا الاسم وعلى هذه الطريقة، إلا أن الله تعالى قد رزق القبول والاشتهار لكتاب الإمام الجزولي ما لم يعط لغيره، فولعت به الخاصة والعامة، وخدموه بشروح وحواشي، وما ذلك إلا لحسن نيته وخلوص باطنه في حبه ﷺ. قال الإمام السيد الزبيدي في «إتحاف المتقين في شرح إحياء علوم الدين»:

يـــا رحمـــة الله إنـــي خائف وجل ... خوفـــي إليـــك بلا إيـــاس ألجأني
ما زلت أدعوك في ســـرٍّ وفي عَلَنِ ... يا نعمـــة اللـــه إني مفلـــس عاني
ما ليس لـــي عمَلٌ ألقـــى العَليم به ... متـــى تقـــدم ذو بـــرّ وإحْســـان
عارٍ عن العمل المرضيِّ ليس معي ... ســـوى محبتك العظمـــى وإيمان
فكن أمانـــي من شـــرِّ الحياة ومن ... جميع ما يختشـــيه مَن هُـــوَ جاني
وكن بفضلـــك غوثي يا ملاذي مِن ... شـــرِّ الممات ومنْ إحراق جثماني
وكن غنائـــي الذي ما بعـــده فَلَسٌ ... في حين تنقـــص بالأعمال أوزاني
وكن شفيعي لدى الرحمن في حوبي ... وكن فكاكي من أغـــلال عصياني
تحيـــة الصمـــد المولـــى ورحمته ... وفضله الشامل القاصي مع الداني
مع رضـــاه الـــذي ما بعـــده إربٌ ... ما غنت الـــوُرق في أوراق أغصان
عليك يا عروتي الوثقى ويا سَندي ... الأقوى الذي أعتقده طول أحياني

وقد سمعت غير واحد من الشيوخ يقول: «إذا أردت أن تعرف مقام الرجل في القبول عند الله تعالى فانظر إلى مؤلفاته أو تلامذته». وقال العلامة حاجي خليفة في كتاب: «كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون» «دلائل الخيرات وشوارق الأنوار، في ذكر الصلاة على النبي المختار»: وهذا الكتاب: آية من آيات الله في الصلاة على النبي ـ عليه الصلاة والسلام . يواظب بقراءته في: المشارق، والمغارب، لا سيما في بلاد الروم.
أقول: ومن مساويء زماننا أن جاء قوم فتشوا في الكتب فما وجدوا إلا أمثال هذا الكتاب ليحذِّروا المسلمين منه ومن المواظبة على قراءته بعد أن كان خيار سلفنا الصالح يلهجون بقراءته ليل نهار من شدة محبتهم للنبي المختار عليه الصلاة والسلام، فجاء هؤلاء رسل الشيطان ليبلغوا رسالة إبليس في إيقاع العداوة بين خلف الأمة وسلفها الصالح، ويشككوا في عقيدة السلف، وبدَّعوا كل من يقرأ هذا الكتاب، ونسبوه إلى الشرك، وما ذلك إلا ليحرموا الناس من بركة الصلاة والسلام على النبي ﷺ، فنقول لهؤلاء أن اتقوا الله في سلف الأمة وخلفها، واحذروا من تلك الأباطيل التي تذيعونها على الناس تحت مسميات ظاهرها الحق وباطنها العداء لأهل الله من العلماء والعارفين وصلحاء الأمة. وأقول لك يا أخي المسلم نصيحة محب للخير لك ولكل مسلم: إياك أن تستمع إلى تلك المقالات فتحرم الخيرات والبركات، والأسرار والأنوار، بفضل الصلاة على النبي المختار، وواظب على قراءة هذا الكتاب وأمثاله من كتب أهل الله العارفين، والمحبين الصادقين العاشقين للجناب النبوي الكريم ﷺ ونفعنا بالصلاة عليه في الدنيا والآخرة ووقانا وإياك يا أخي من شرور أنفسنا، ونعوذ به سبحانه أن نضل ونخزى باتباع كل شيطان مريد من الإنس والجان بجاه سيد ولد عدنان عليه منا أفضل الصلاة والسلام، وكل من قال: آمين، لا أرضى بواحدة حتى أضيف لها ألف آمينا.

ومَن به فــي العهُود أرتجي عهْدي الأوفى ومن مدحُه روحي وريحاني

عجزت صدرت ما قال الجزولي أما أجزل من جرمــه جرمي وطغياني

حَسَني حُسَــيني كلانا طالب مدداً منك فجد الجميع وأرغم الشــانِ

ما للحسَن والحســين بل وأُمهما مــع عليٍّ ســواك يــا ابــن عَدْنان

الــكل منهــم ينــادي دائمــاً أبداً إلا بك اللــه في الداريــن أغناني

وأنشــد العلــوي فــي كل ناحية مخبر الكل من قــاصٍ ومن دانِ

مَــن كان يعلــم أنّ اللــه خالقــهُ لا يرميــنَّ أبــا بكــر ببُهْتَــانِ

ولا أبــا حفص الفــاروق صَاحبه ولا الخليفــة عثمــان بــن عَفّانِ

ولا عليّــاً أبا السِّــبطين نعــمَ فتى أوصــى به اللــه في ســرٍّ وإعلانِ

وباقــي الآل والأصحــاب قاطبة إذ هــم من الله قد فــازوا برضوان

هذا اعتقاد شــريف علــوي ومن ينســب إليه من أشــياخ وشــبان

اللــهُ يرضــى عليــه والنبــيُّ معاً وســائر المؤمنين إذ هــم إخوان

ثلاثــة أبيــات ضمنت لهــن ترى بالذيل هــذا الآن الــكل أوصاني

بحــبّ آل النبي والصحــبُ كلّهمُ إذ ذا مــن اللــه قــد جــاء بقرآن

عليهــم مــن ســلام اللــه أطيبه ومني أيضاً ومَــن منهم مِن أعوان

لا ســيّما ســادتي بل قادتــي أبداً العترة الطاهرة من هم ذوو الشــان

هم الذين سكنوا من حضرموت بوا د ابن راشــد مــن أقيــال قحطان

شموس أقمار ينحاش الظلام بهم غيــث غياث لــذي فقــر ولهفان

خصّوا من الله بالفضل الجزيل وما لذكــر الجميــل أفــولٌ ذا ببرهان

والحمــد لله حمــداً لا عــداد له مــع صلاة وتســليمٍ علــى الداني

لسـدرة المنتهى خيـر الأنام ومَن ... بربـه لا يـزالُ دائمـاً غانـي
وختمها العاجز الجفري ينادي أما ... خوفـي إليـك بلا إيـاس ألجاني
ما زلت أدعوك في سـرٍّ وفي علنٍ ... يا نعمـة اللـه إني مفلـس عاني

وقلت فيما أنا فيه من الحال، وأحمد الله في كل حال على كل حال: [شعر]

بليت بشـيء حمله ما هو سـهل ... واسـمٌ ووصفٌ ما أنا لهمـا أهْلُ
وَكُلِّفـتُ مـا لا أسـتطيع بحَمله ... فأعجزني وضـع وأعجزني حمْل
كرهت الحيـاة والممات كلاهما ... فأيّهمـا اختـاره فيه لـي ختل[1]
وقـد عملت فـي العوامـل كلّها ... فـلا فعـل إلا والتنازع له شـغل
فتحت لباب السـير فاسـتدّ قفله ... بعامـل نصـب لا يقوم لـه فعْل
ويا ما كسـرتُ النفس سـرّاً أُذِلُّها ... فعارضنـي ....[2] جهراً ذوو جهل
ورمت لضـم مـا التفرق شـأنه ... فقابلنـي رفـع تطاولـه قتـل
قصدت سكوناً مذ تحركت بالهوى ... فقرت بجزم المال والأهل لا الوصل
وشـديت ظهري نحـو باعي أمدّهُ ... فظهري قد انقضّ وباعي نقص حبل
شممت من الشـمت ما فاحَ عرفه ... فكبراي مع صغراي أنتجهما جهل
قضايـاي منه مـا تخايلت وصلها ... بقانـون للمنطـق قابَلـه فصـل
وكبلـت بالكلـي وفـزت بجزئِهِ ... فسلبي مع الإيجاب سفسَطة تعلو
تناقضـت الأقوال فـي كل حجَّة ... وبرهانها فالخصب من قبله محل

---

(1) في الحديث: «بئس العبد عبد **يختل** الدنيا بالدين» ـ بتحتية ثم خاء معجمة فمثناة فوقية مكسورة أي: يطلب الدنيا بعمل الآخرة بخداع كما يطلب الصائد الصيد، من قولهم ختل الصيد إذا اختفى له، وختل الصائد إذا مشى للصيد قليلاً قليلاً لئلا يحس به شبه فعل من يرى ورعاً وديناً ليتوصل به إلى المطالب الدنيوية بختل الذئب وللصائد فهذا عبد متضع مداهن.

(2) كلمة مطموسة، لم أتبينها.

ولا شــرط بين النــاس إلا بضابطٍ ولا ضابــط إلا تصــوّره عضــل

أرى الكسب كالمقسوم محمول وضعه ومن عجب الموضوع يعضل حمل

ومذ حرت فيمن حار أنشدت معلناً بليت بشــيء حمله ما هُوَ سَــهْل

وقد كنت نظمت أُرجوزة وجيزة عزيزة في أسماء مَشايخي في الطَّريقة العلوية الجدية الحسينية والشعيبية، وتوسّلت فيها بهم إلى الله ﷻ في إزالة ما ذكرته فيكِ يا نفسُ من القساوة؛ إذ غارت شيمتك المشهورة كما غارت بحيرة ساوة، ومع ذا لم تزل بالظاهر محشومَة، وبالباطن ميشومة، لأنك عند العقلاء مِن الناس العارفين المحقِّقين الأكياس كالقمر في عظيم الشتاء، وكالشمس في قوة الصيف، فحَيفٌ عليك يا حَيف، ثم حَيفٌ عليكِ يا حَيف.

وقصدت الآن أذكرهم بما ذكر الرجال من مناقبهم؛ من أقوالهم وأفعالهم وأحوالهم، لعلكِ يا نفس السّوء تستحيَّ من جرأتكِ على الله وتعدِّيك على ما مضى عليه سلفك أولياء الله من إقامتهم في الأوامر والنواهي على الحدود، القائمين بما أمر الله به الركَّع السجود، **وأسَمِّيه إذا تمَّمته وأدعوه متى ختمته، زجراً لكِ عن غيّكِ بنشركِ في فِعلِكِ وطيِّك بـ:**

«كنز البراهين الكسبية والأسرار الوهبية الغيبية، لسادات مشايخ الطريقة العلوية الحسينية والشعيبية»

واللهَ أسألُ، وبنبيِّه أتوسّل، أن يجعَله لدائكِ شفا، ومنقذاً لكِ من مُقامك على شَفَا، وتسلُكي مسلك مَن لا سلك مسلكك لتلحقي مَن تقدَّمَكِ بالخيرات وتركك، وهو هذا بعون الملك الديّان ابتداؤه وتمامه كان يا إخوان، فقلت:

اللــهَ جهــراً أحمــدُ وسِــرًّا بــكل ضــرّاء وكلِّ سَــرّا

كــذا صلاتي وســلامي لــم يزل علــى الجديــر بهمــا مــن الأزل

محَمَّــد مــن خصَّــه اللــه بمــا لا يحتصــى مــلء أرضٍ وســما

وآلــه وصحْبــه والتابعيــن المفلحيــن المنجحيــن الفائزين

لا سـيما من شُـهروا فـي الناس | وخـصَّ بالتلقيـن والإلبـاس
بسـند مقـرر بـلا خفـا | متصـلاً إلـى النبـيِّ المصطفى
العارفيـن سـبل الطريقـة | مَـن بالشـريعة نالـوا الحقيقـة
وبعـد حمـد اللـه والصـلاة | مـع السـلام الزاكـي النفحـات
بقـول مـن بظاهـرٍ وسـرِّ | هـو مُقـر بعظيـم الـوزري
من لقب بـ «الجفر» من بين الورى | مَن سَـيره علـى المـدى إلى ورا
من لا لـه مستحسـنه مـن حاله | كلامـه جـرا بـدون آلـه
نويـت أن أنظـم قصـد الفاتحه | بنيّـة إن شـاء ربـي صالحـه
أسـماء مَـن أنـا بهـم عُرفـتُ | ومَـن أنـا لباسَـهم لبسـتُ
علّـي بهـم أظفـر بالأمـانِ | ومعهـم أسـكن بالجنـان
وأبلـغ لمـا هـو المأمـولُ | بمثـل هـذا حُـقَّ لـي أقـول
ألبسني شيخي على الوجه الحسَن | أعني ابنَ عبد الله مولانا الحسـن

المذكور هنا هو شيخُنا وقدوتُنا، ومن بهذا الطريق عمدتُنا وعُدَّتنا، فقيهُ فقهاء الزمان، وصوفيُّ صوفيَّة الأوان، وسري سراة المعاصرين من الإخوان، وأعلمُ فقهاء الوقت المناظرين من الأقران؛ لا سيما بوادي حضرموت، المنوَّر الفائز بالسادات الأشراف بسر شرف الظهور، سيدنا وسندنا بالباطن والباد:

﴿الحسن بن حبيب بن عبد الله بن علوي الحدَّاد رضي الله عنه﴾

كان رضي الله عنه ـ كما تقدَّم ـ فقيهاً صُوفيَّاً قائماً بأوامر الله تعالى بالأمن والخوف، ناهياً منتهياً عما نهى الله، مواظباً دائماً على طاعة الله، لا يَفتُرُ عنها ساعةً بحسب الاستطاعة، لم يترك فرضاً من الفروض بغير الجماعة، بل هو الإمام فيها وفي غيرها من الطَّاعة، يسعى إلى الجمعة بالتبكير في أول ساعة، يقتدي به في ذلك النادي الخاصُّ والعامّ، وسواه مأمومٌ

به؛ إذ هو في وقته الإمام الملازم للتدريس بالمسا والصباح، مدرِّسٌ كلَّ من أتاه لوجه الله، لا سيما الموسومين بالصَّلاح، مع هيبةٍ وحِلم، ولطافة ووقار، موقّراً مهاباً لدى الكبار والصغار، يُنعَتُ بكلِّ نعت من النعوت، محمودٌ من الذين جاء في حقهم: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾، [الفتح: 29]. ينحو إلى نحوه ـ لإغاثته ـ المظلومُ، وينصرف عنه ـ بصرف تصريف اللهِ ـ الظَّلومُ، حاوي ما حواه غيره من الخير، زائدٌ على ذلك الغير بعدم الضير، عَلَمٌ منصوب منذ فتح الله عليه، مرفوع بالفاعلية بما ضمَّ من العلوم لديه، خافضٌ بالكسر لمن ناواه، جازمٌ بالسكون لمن عاداه، شادّ مادّ في مراضي الله، حتى أتاه اليقين منذ كلَّفه الله، بل هو شابّ ما صَبَا، وجوادٌ ما كبَا، ولم أقف على ما له من أخبار غير ما ذكرته لكثرة بُعد الدَّار من الدَّار؛ لأنه بحضرموت وأنا بمليبار، وقلة أشواقي لتطلع أخبار الأخيار.

* **ولادتُه** رضي الله عنه لعلّها عام [1098 هجرية] ـ ثمانية وتسعين بعد الألف من الهجرة، حسب ما سمع عنه في مرضه الذي مات به مَن عنه ذكره عندما جرى هنالك ذكره، حيث قال إنه سمعَه في مرضه المذكور رضي الله عنه يقول: قد زادني على سنِّ والدي بستة أشهر، فهذا أوان القفول.

* **وقد توفي** رضي الله عنه ـ نفعَنا الله به والمسلمين ـ يوم الخميس لسبع وعشرين في رمضان من شهور سنة [1188 هجرية] ـ ثمانية وثمانين بعد المائة والألف من هجرة سيد الأنبياء والمرسلين ﷺ، فعلى هذا يكون عُمرهُ ـ حسب ما تقدّم ـ تسعين سنة، بوأه الله سبحانه وتعالى بحبوح الجنة؛ لأنَّ والده تغمّده الله برحمته، كما ستراهُ واضحاً في ترجمته؛ وُلد سنة [1044 هجرية] ـ أربعة وأربعين بعد الألف، **ووفاته** سنة [1132 هجرية] ـ اثنين وثلاثين بعد المائة والألف، فيكون عمر والده رضي الله عنه تسعة وثمانين إلا قليلاً من الشُّهور، ويكون عمر شيخنا رضي الله عنه على هذا القياس تسعين سنة إلا كثيراً من الشُّهور، فحصل من مجموع المذكور هذا ما تراه بالمزبور ضابط عام ولادته بفضل الله الكريم تاريخه: لاح نور قد حوى حاوي تريم، وعمره طائع. وضابط موته يحصُل بالله العلي تاريخه حاوي تريم نوره راح جلي. وأيضاً يجمعُه قولك: شيخ كبير وليّ

رحمه الله رحمة الأبرار، وأسكنه جنات تجري من تحتها الأنهار.

وقلت مرثياً له حسب ما أنا أهله، لا حسب مقامه الشريف، حيث قولي كيف ما كان هو ضعيف: [شعر]

يــا لقلــب قــد تــولاه الحــزن ومــلاه وحَشــاه بمحــن
مــن همــوم وغمــوم لــم تــزل فيــه تحرقــه بنــارٍ مــن مهــن
وعيــون بدمــوعٍ قــد جــرت كعيــون ســائلات بالرَّســن
لفــراق الســيّد الســند الــذي نعتــه بالخيــر ســرٌّ وعلــن
خطبــه عــمّ الجــوارح كلّهــا ســيَّما قلبــي بــه الحــزن قطــن
فلــذا قلــت لــه يــا قلــب جُــدْ لــي بضابــط عامــه أن تحســبن
فأجــاب مســرعاً لا ريــب فــي مــا أقــول عنــد أربــاب الفطن
قــد أتــى التاريــخ بــاد إنــه جنّة الفــردوس قد حلَّ الحســن
رحمــة اللــه عليــه دائمــاً مــا بــإذن الله حُــرِّك ما ســكن
وختامــي بابتدائــي قائــلاً يا لقلــب قد تــولاه الحَزَن

ثم قلت:

وهو الذي ألبسَــه ســامي الذّرى والــدُهُ وشــيخه بــلا مِــرا
عبــدُ اللــه المشــهورُ بالحــدّاد مــن خُصّ بالإســعادِ والإرشــادِ

المذكور هنا هو يتيمةُ عقد جوهر السَّادة الحيدرية، وواسطة عصابة درر الأشراف الجعفرية، العالمُ العاملُ المصبوغُ بصوابغ إمداد فتح الجواد، **سيِّدُنا وسَنَدُنا الحبيبُ المحبوب عبدُ الله بن علويّ الحدَّاد**، من قد قال فيه بما لا ينافيه السيد الشريف محمد بن عبد الرَّحمن بافقيه: [شعر]

مــن شــاع فــي البــلاد ثنــاؤهُ وبــدت عجائــب وصفــه للناظر

قرم[1] القروم خليفة القرم الذي ... منه العلوم تفجَّرت كزواخِرِ
قطب البواطن والظواهر والذي ... يلجأ إليه لكل خطب ثائر
ذاك ابن علوي علت شاماته ... فوق الثُّريّا والسُّها والزاهِر
حداد عبد الله قيدوم[2] السّرى ... نحو المهيمن ذي الجلال القادر
غوث الأنام وغيثهم ومغيثهم ... كهف اليتيم مع العديم القاصِر
ملك القلوب له الملوكُ جميعُها ... خَدَمٌ على أبوابه وسَتائر
شمس الهدى بحر الندى ناء المدى ... سم العدى يسطو بأبيض باتر
خضعت جميع الأوليا لمقامه ... فهو الرئيس لدى العليم الغافر
ورث الفتوة والمروة والسخا ... عن كابرٍ عن كابرٍ عن كابرِ
هو نائب عن جده بدر الدُّجا ... سرِّ الوجود حبيب ربٍّ قادر

ومن قال فيه العالم العلامة بصدقٍ دون إفكي، الشيخُ الفاضلُ الفقيه الصُّوفيُّ أحمد الخلي المكي: [شعر]

السيد العلوي مَن سارت له ... في الخافقين مناقبٌ وأيادي
العالم النِّحرير والعَلَم الذي ... لمعالم الدين المعظّم هادي
بحر خضمّ ما له من ساحِلٍ ... متلاطمٌ بعلوم فتح جواد
ذا الكوكب الوقّاد فاطلب عنده ... الإمدادَ يا من رام للإرشادِ
وسراجه الوهاج في منهاجه ... ونهاية المحتاج للإرفاد
مغني الوفود بتحفةٍ من نفحةٍ ... وبملحة من لمحةٍ ومراد

---

(1) **قال في النهاية:** في حديث سيدنا علي ﷺ: «أنا أبو حسن القَرْمُ»: أي المُقَدَّم. في اللسان: المُقْرَم في الرأي. والقَرْم: فَحْل الإبل أي أنا فيهم بمنزلة الفحْل في الإبل.
(2) قَيْدومُ الشيءِ: مُقَدَّمُهُ، وصَدْرُهُ، قاله في اللسان.

هذا هو الغيــث المغيب لمجدب ... هذا هــو الليث الهصــور العادي

هــذا هــو الإكسـير فاطلبــه تنلْ ... منــه الغنــى وصــلاح كل فســاد

هذا هــو الكنز العظيــم فلا تحل ... عــن بابــه المفتــوح للقُصّــاد

فهناك ينجح مطلــب وهناك يمنح ... مــأرب وهنــاك يــروى الصّادي

ومن قال فيه العلامة الفهيم القاضي علي بن عبد الرحيم: [شعر]

سارت به الركب في الآفاق مطلقة ... سير النجوم بأرض العرب والعجم

وطبَّق الأرض بالذكر الجميل ولم ... يفخر بــذاك ولم يطلــب ولم يرم

ومن قال فيه السيد الشريف المعروف جمال الدين محمّد بن سميط المشهور، من قصيدة طويلة: [شعر]

يا عيــن إنْ بُعــد الحبيــب وداره ... ونــأت منازلُــه وشــطَّ مــزاره

فلــك الهنــاء لقد ظفــرت بطائل ... إن لــم تــراه فهــذه آثــارُهُ

قد يكتفي الفطن اللبيب ويســتلي ... الصبّ الكئيب عن الحبيب أخباره

وقال فيه أيضاً صاحب المقام الأسنى من قصيدة أبياتها عدد أسماء الله الحسنى: [شعر]

إن شــئت تعلــم ذرة مِــن وصْفه ... أو عشر عشــر العشر في الإحصاءِ

إنــي أقــومُ بوصْفِــه أو بعْضِــه ... أيكــون نــزف البحــر بــالإدلاءِ

فهــو البحــار الزاخــرات بلا مرا ... وهــو الجبــال المرســية الأرجاءِ

وهــو الريــاح الذاريــات برملها ... وهــو الرمــال المربيــة لثــراء

وهو المزون[1] الســاكنات لوبلِها ... وهــو العيــون المجريــه للمــاءِ

طَوْد الشــريعة ومن له في حفظها ... أقــوى ذريعــه، حامــلُ الأعبــاءِ

---

(1) المُزْن: الغَيْمُ والسَّحَابُ، واحدته: مُزْنَةٌ. وقيل: هي السَّحابَةُ البَيْضَاءُ. قاله في النهاية.

عَلَـمُ الطريقهْ، ونـور عين اعيانها ... وزعيمُهـا القيـدوم فـي النقبـاء
بحـر الحقيقـة خضمهـا تيارها ... شـمس الخليقـة صفـوة النجباء
هـو سـيدٌ ومؤيَّـدٌ ومسَـدَّد ... ومجاهـد ومشاهـد ببقـاءِ
متخشّـع متخضّـع متضـرّع ... متـورِّعٌ فـي جهـره وخفـاءِ
عَلَـمُ اليقيـن وعينُـه وبحقِّـه ... متحقّـقٌ حقـاً بغيـر مـراءِ
هـو نائبٌ هـو راغب هـو راهب ... هـو صابـرٌ هـو شـاكر النَّعماءِ
هو مخلـصٌ هـو زاهدٌ متـوكِّلٌ ... حـبُّ الإلـه مـع الرضـا بقضاءِ
داعٍ إلـى الـربِّ العظيـم بهمَّـةٍ ... ونصيحـةٍ وعزيمـةٍ ووفـاءِ
بـرٌّ رحيـم بالخلائـق رحمَـة ... عنهـم حليـم حامِـل لإذاءِ
سـرباله التقـوى وشـيمته الوفا ... وشعـاره ودثـاره بحيـاءِ
فخرت به الأقطـار حقاً وازدهت ... وتمايلـت مـن وجدهـا .....[1]
دانت لـه غُلْب الرقـاب وأذعنت ... وتطأطـأت وتقاعسَـت بإمـاءِ
وتضاءلـت وتصاغـرت وتذلّلت ... وتقهقـر القدمـا مـن الرؤسـاءِ
وأقـرب الكبـراء مـن أقرانـه ... وعنت[2] له الرؤسـا مـن الزعماءِ
وألقـت إليـه قيادهـا و..... ... وتنكبـت مـن عجزهـا خجلاءِ
قـد قـال إني فـي زمانـي واحدٌ ... قـد خصَّنـي ربـي على نظـراءِ
إن سـيق فيـه منـازع لـي ذبتـه ... ذوبـان ملح طرحتـه فـي الماءِ
قـد قال قـد أُعطيتَ ما لـم يُعْطه ... أحـدٌ مـن الأسـلاف والآبـاءِ
قـد قال إني سـابقٌ فـي أعصري ... أخّـرت للرحمـة والإهـداء

---

(1) كلمة مطموسة لم أتبينها، والله أعلم.
(2) أي: خضعت وأذعنت.

قد قال يومــاً حقيقة فــي قبضتي　　　مَــن فــي تريــم الروضــة الغنّاءِ
قــد قــال حقــاً للثقــاة بأننــي　　　موعــود بالصِّدِّيقــة العظمــاء
قــد قــال دكَّتنــي محبــة خالقي　　　وتملكــت منــي جميــع أجــزاءِ
قــد قــال إنــي نعمــة مكفــورة　　　لــم يعرفوهــا غالــب الأحيــاءِ
قد قال إني ســيف حــرب مجرَّد　　　نحن الملــوك لأرضها وســماءِ
يا شــيخ عبد الله يــا قطب الورى　　　يــا ملجئي فــي شــدتي ورخائي
يا نجــل علوي ويا ســامي الذرى　　　يــا عدّتــي فــي الديــن والدنياءِ
أنت المــراد وأنت غايــة مطلبي　　　يــا كلّ كلّ الــكلِّ فــي الأشــياءِ
أنــت عيــاذي إن عرانــي نائــب　　　أنــت مَــلاذي إن عَــدَتْ أعدائي
أنــت غياثــي إن دُهِيــتُ بشــدّة　　　يــا معقلــي من ســائر الأســواءِ
قــم بي فإنــي واقف بك ســيدي　　　ومراقــب لعطائــك الســحاءِ
فاعطف علــيّ وجُدْ علــيَّ بنظرةٍ　　　أُشــفى بهــا يــا رقيتــي ودوائي
وامنُــنْ علــيَّ بهمَّــة علويــة　　　تنــزاح عنــي جملــةُ الأدواءِ
وادرك بغــوث عاجــل ومؤجــل　　　في الديــن والدنيا وفــي الأخراءِ
هيــا بغــاره ســيدي لنَزيلكــم　　　وفقيركــم جــودوا لــه بقِــراءِ[1]

إلى أن قال:

أبياتهــا تســعون أيضــاً وتســعة　　　تعــداد أســماء ربّنــا الحسْــناءِ

(1) أي: بضيافة.

[مطلب]
في ذكر ما ألف في ذكر مناقب الإمام الحداد رضي الله عنه

أقول: قد تحقَّقتَ أيها الناظر ما وُصِف به هذا السيد الكريم، على لسان من ذُكِروا بما ذَكَروا له من التبجيل والتعظيم، ومَناقبه العظيمة قد أُفردت في أسفار، وهي في حجمها ما بين كبار وصغار، وترجم له كثير من الناس بما لا خفاء في ذلك ولا إلباس، فأول من ترجم له ذو الفضل الجلي السيد الشريف محمّد بن أبي بكر الشّلّي، في كتابه المسمّى بـ «**المشرع الرويّ في مناقب السادات الأشراف بني علوي**» وغيره من السادة الكرام والمشايخ العظام، لا سيما سادات مدينة تريم الغنَّاء، ومشايخ الدمنة مدينة شبام، وغيرهم ممن تركنا ذكرهم هنا للكثرة، من أهل اليمن والشام والإحساء والبصرة، كالشيخ الهُمام العالم العلامة المنلا أحمد القبّاني البصري في ديباجة كتابه «منهج الرشاد» شرح قصيدة سيدنا رضي الله عنه: «إذا شئت أن تحيا سعيداً مدى العمرِ»، وكالشيخ ابن نباتة زمانه في المنظوم والمنثور الفقيه الصوفي الطائفي الحسين بن عبد الشكور، وسواهم من العلماء الأعلام وأرباب الأدب النجباء النُّظّام، فلنذكر ههنا آخرهن تصنيف، وألطفهن سلالة وترصيف، وأصغرهن حجماً، وأقلهنّ نثراً ونظماً، وهي:

[نبذة الشيخ الصَّفي الوفي السني الحسين بن عبد الشكور الطائفي ثم المدني]، فنسوقها هنا برمَّتها ليظهر ما ذكرنا من لطفها وسلالتها، قال ـ غفر الله لنا وله وأكرم بالجنّة نُزُلنا ونُزُله ـ:

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

الحمد لله الذي خصَّ أهل بيت نبيّه [سَيِّدنا] محمدٍ صلى الله عليه وسلم بأكمل الخصائص وطهّرهم

فيما بطن وظهر من النقائص.

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إلهاً قلَّدَهم بفرائد جواهر المناقب، وتوَّجهم بتيجان المهابة والوقار، فهم كالكواكب في المواكب.

ونشهد أنَّ سيّدنا محمّداً عبده ورسوله، الذين هم بضعَة ذاته وجمعة أسمائه وصفاته، صلَّى الله وسلّم عليه وعليهم، ووجَّه من حضرات التقديس نجائب المواهب إليهم، صلاة تنظمنا في سلك ودادهم، وتجعلنا من أهل رشادهم.

وبعد... فهذه لمعة النبراس النبوي، وشعلة المقياس العلوي، اقتبستها من مناقبِ فخر الأمجاد مولانا وسيدِنا عفيفِ الدِّين السيد عبد الله بن علوي الحدّاد، نفع الله به الآباء والأجداد، والأبناء والأحفاد، نظمتها لتُتْلى في ختم محياه، وفي مجالس راتبه الذي هو للقلوب حياة، لتتشنف بدرر غرر أقراطه الأسماع، وتتشرف بالاستمداد منها كرائم الطباع، ورتبت ذلك في خمس وسائل، فيها بغيةُ كلِّ سائل، وخاتمة أختم بها المرام، وأسأل الله حسن البدءِ والختام.

الوسيلة الأولى: في نسبه الشريف وعلوّ مجده المنيف.

الوسيلة الثانية: في بدايته في الطَّريق وأخذِه عن مشايخ التحقيق.

الوسيلة الثالثة: في نصائِحِه وإرشاده واعتنائه بالآخذين عنه وقُصّاده.

الوسيلة الرابعة: في ذكر نُبَذٍ من بواهر حِكَمِه، وسرْد نَزْرٍ من جواهر كَلِمِه، وعدّ ما اشتهر من تآليفه البديعة ومصنفاته الرفيعة.

الوسيلة الخامسة: في شهادة الكُمَّل له من معاصريه لما شاهدته من الكمال فيه.

خاتمة: في ذكر شيء من كراماته رضي الله عنه، وتاريخ ولادته ووفاته، أمدَّنا الله من مدده، وجعلنا من صدقته وعلمه وولده.

[الوسيلة الأولى]
في نسبه الشريف ﷺ، وعلوّ مجده المنيف

فهو العارف بالله والدالّ عليه بكل محبٍّ إليه، مولانا وسيدُنا السيد عبد الله بن علوي بن محمّد بن أحمد بن عبد الله بن محمد الحدّاد بن علوي بن أحمد بن أبي بكر بن أحمد بن محمد بن عبد الله ابن الفقيه أحمد بن عبد الرَّحمن بن علوي عمّ الفقيه المقدّم، ابن محمد صاحب مرباط بن علي خالع قسم بن علوي بن محمد بن علوي بن عبيد الله بن أحمد بن محمد بن علي العريضي بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن زين العابدين بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب كرَّمَ الله وجهه، وابن فاطمة الزهراء الفائقة فخراً في الدنيا والأخرى، بنت محمَّد المصطفى، معْدن الجُودِ والوفا، صلَّى الله عليه وسلَّم وشرّف وكرّم ومجّد وعظّم: [شعر]

نسـبٌ ترعرع مـن ذؤابة هاشـم — متفرعـاً مـن دوحةالمختـار
عقـد تنظـم بالفرائـد سـلكه — متناسقـاً بجـواهر الأبـرار
أعظِـم بـه فلقـد تكامل حسـنه — بأكابـر الأخيـار والأحبـار
مـن كل فـرد للمفاخـر جامـع — متسربـلاً بملابـس الأنـوارِ
تهمـى مكارمـه بـكل كريمـة — مِن سـحب جـود هاطلٍ مـدْرار
يا ربنـا اجمعنـا بهم فـي كل ما — مـلأ بـلا حجـب ولا إسـتارِ
واسلك بنا سـبل الهدى برشادهم — حتـى نفـوز بجامِـع الأسـرار

[الوسيلة الثانية]
في بدايته ﷺ في الطَّريق وأخذه عن مشايخ التحقيق

فأقول: هو سيدٌ أنبته الله نباتاً حسناً، وأفاض على ذاته الشريفة سناءً وسنا، فحفظ ﷺ القرآن في أول نشأته، وفاق الأقران في عزمه وهمَّته، واشتغل بطلب العلوم وفاز بحفظ المنطوق والمفهوم، فجدَّ واجتهد وشمّر في مسالك الرشد، وأخذ عِلْمَي الباطن والظاهر عن كل علاّمةٍ ماهر، وكان ﷺ حريصاً على تلقُّف العلم والأخلاق، ممّن له في ذلك خِلاق، حتى فاق بالاتفاق، وأتحف القلوبَ والأسماع والأحداق بمعارف من مفاخره وراق، حتى صار بعض أساتيذه من تلاميذه، لما ظهر عليه من الكمال والنجابة، وصدق الحال والإصابة، وانفرد بالعلم والعمل، ونال منهما غاية الأمل، وكان له في قيام الليل المقام الأرفع، والتوجه الدائم الأنفع.

كان ﷺ يطوف ليلاً على مساجد تريم ليفوز من مشاهدتها بكل رزق كريم، حتى أنه ربما نام في مجاز بعض المساجد ليفوز بالحقائق من مجازات كلِّ عابد، وكان لا ينام ولا سِنه، لا سيما قبل وفاته بنحوٍ من ثلاثين سنة، وكان يعجبه أهلُ الهمّة والنشاط في ذلك، ويجتهد في إدخال من أمكن إدخاله في مناسك هذه المسالك، ويدعو بالحال والقال إليها، ويعين بالمال والنفس عليها، وكان يقسِّم ليلَه بين تلاوةٍ وصلاة، وغَيبة عن السِّوى وانتباه، ووجْدٍ وشجون، وتحريك وسكون، وربما دار لفرط الهيام وترنم بشيء من النظام[1]؛ لا سيما كلام سلطان العشق الفائض، سيدنا عمر بن الفارض ﷺ، لِمَا فيه من الإشارات الدقيقة، والعبارات الرشيقة، المهيّجة الأشواق لأهل الأذواق، وكان يقلِّل من الطَّعام لشغله بما ثمَّ من مرام، بل كان في غالب أمره يأكل للموافقة، إذ

(1) أي: من الشعر المنظوم لكبار العاشقين والعارفين أهل الله المصطفين الأخيار.

هي من شرط المرافقة، وله من التخلّق بإرث قوله ﷺ :«إني لست كهيئة أحدكم، إني أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني»[1] الحظَّ الوافر، والنصيب المتكاثر، ولم يزل في كل أحواله مصلِّياً فرضاً أو نفلاً، و «إنَّ في الصلاة لشغلاً»[2]: [شعر]

شــغفاً بجيــران المصلَّــى أو قبا	وبنازلــي تلــك المعاهــد والرُّبا
من حبهم ســكن الجوانح فالتهت	عنهــا الجوارح واســتطاق للصبا
فالــكل يصبــو مغرمــاً ومتيمــاً	للوصــل أو ســماع وعــدا ربــا
حتى جرى تحــف الوصال تحفياً	صدف ترادف بالشــهاب وبالصَّبا

فبرز ﵁ في محاريب الدَّعوة إلى الله إماما، ووفَّى بحقوقها توقيراً واحتراما، وقام على منابر الكمال خطيباً، وضمَّخ الكائنات من أنفاسه العطرة طِيبا، وقد قام بقوانين البداية فاستقامت له على أرائك التقريب عرائسُ النهاية، وتمَّ له السلوك، فصارَ مِن الملوك، فتصدَّر للإرشاد، ودلَّ على الله الحاضرَ والباد، واتفقت على محبَّته وطاعته العباد، حتى أهل العناد، مع إيثاره كما كانت عليه الأصول، فترقَّى في المقامات الجليَّة، حتى يتبختر في خلع القطبية، ومكث فيها ستين عاماً، وعَظُم شأنه فيها بدءاً وختاماً، وأُذن له بالتحديث بالنِّعَم، بعد رسوخ القدم، **فكان** ﵁ **يقول: كنا نطلُبُ من الكلّ، والآن الكلُّ يطلبُ منا.**

---

(1) روى الشيخان وغيرهما ـ واللفظ للبخاري ـ عن أبي هريرة ﵁ قَالَ: نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ الْوِصَالِ فِي الصَّوْمِ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنْ الْمُسْلِمِينَ: إِنَّكَ تُوَاصِلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ!. قَالَ ﷺ: «وَأَيُّكُمْ مِثْلِي إِنِّي أَبِيتُ يُطْعِمُنِي رَبِّي وَيَسْقِينِ»، فَلَمَّا أَبَوْا أَنْ يَنْتَهُوا عَنْ الْوِصَالِ وَاصَلَ بِهِمْ يَوْمًا ثُمَّ يَوْمًا، ثُمَّ رَأَوْا الْهِلَالَ فَقَالَ: لَوْ تَأَخَّرَ لَزِدْتُكُمْ!!؛ كَالتَّنْكِيلِ لَهُمْ حِينَ أَبَوْا أَنْ يَنْتَهُوا». **صحيح البخاري**: الجزء الأول 36 كتاب الصوم 47 باب: الوصال، ومن قال: ليس في الليل صيام ـ الحديث رقم: 1862. **وصحيح مسلم**: الجزء الثاني 13 كتاب الصيام 11 باب النهي عن الوصال في الصوم ـ الحديث رقم: 57 ـ (1103). **وسنن الترمذي**: المجلد الثاني. أَبواب الصوم عن رَسُولِ الله ﷺ 61 بابُ ما جاءَ في كَراهيةِ الوِصالِ في الصِّيَام ـ الحديث رقم: 775. **وسنن أبي داود**: الجزء الأول 8 كتاب الصيام 28 ت/ 29 م باب في الصائم يحتجم ـ الحديث رقم: 2374.

(2) روى أبو داود ـ واللفظ له ـ والترمذي وغيرهما عن عبد الله بن مسعود ﵁ قال: «كُنّا نُسَلّمُ عَلَى رسولِ الله ﷺ وَهُوَ في الصّلاَةِ فَيَرُدّ عَلَيْنَا، فَلَمّا رَجَعْنَا مِنْ عِنْدِ النّجَاشِيّ سَلمْنَا عَلَيْهِ فَلَمْ يَرُدّ عَلَيْنَا وقال: إنّ في الصّلاَةِ لَشُغلا».. **سنن أبي داود**: الجزء الأول 2 كتاب الصلاة. تفريع أبواب العمل في الصلاة 170 ت/ 165، 166 م باب ردّ السلامِ في الصلاة ـ الحديث رقم: 923. **وسنن الترمذي**: المجلد الأول. أَبوابُ الصَّلاَةِ 283 بَابُ مَا جَاءَ في قَتْلِ الأَسْوَدَينِ في الصَّلاَةِ ـ الحديث رقم: 388.

ولما بلغه أن السيد عمر بن عبد الرَّحمن العطاس يقول: إن السيد عبد الله الحدّاد ـ من أهل القرن الرابع ـ، قال: لولا الأدب لقلنا من أهل القرن الأول، ولكن نحن من أهل القرن الثاني.

وقال ﵁: أنا صاحبُ وقتي ليس لي فيه منازع، ومن نازعني أذبته ذوبان الملح في الماء.

وقال ﵁: ما لأحد معنا وجود، وهل يجرأ ظهور مع نور الشمس؟.

وقال ﵁: نحن للناس كالشَّمس، مَن فتح بابه أصابه منها بقدر ما فتح.

وقال ﵁: نحنُ ملوك الأرض والسماء.

وقال ﵁: أنا سيف مجرَّد بلا غمْد.

وقال ﵁: أنا النعمة المكفورة.

وقال ﵁: من مات من أهل هذا الزمان وعُرِض على الله تعالى وُبِّخ من أجلي، وخصوصاً أهل العلم.

وقال ﵁: لو أقبل عَلَينا أهل العصر جميعهم؛ صغيرهم وكبيرهم وأنثاهم لانتفعوا بنا أجمعين، في دينهم ودنياهم، وباطنهم وظاهرهم، وعاجلِهم وآجلهم، وإن أناساً بالمغرب أجسامهم هناك وأرواحهم عندنا، وإن أناساً بالعكس من ذلك، وإن الذين اتَّبعونا وانتفعوا بنا أكثر ممن تبع وانتفع بفلان وفلان، وعدَّ كثيراً من العارفين والصديقين ﵃.

ومع هذا نقول: إن أَحَدَ هؤلاء العارفين هَدَى الله به رُبع أهل زمانه.

وأثنى على الفقيه بامخرمة بحضرته، فقال ﵁: إن بين أظهركم مَن لو حضر عنده الفقيه بامخرمة لقبّل قدَمه.

وقال ﵁: إنَّ الشيخ عبد القادر ﵁ جلس على بساط ثم طوي بعد ذلك إلى زمن الشيخ عبد الله بن أبي بكر العيْدروس ﵁، فبُسِطَ ثم طوي بعده إلى زماننا، فبسط لنا فجلسْنا عليه ثم يطوي لفقدنا من الدنيا، ثم لا يجلس عليه أحدٌ الآن، بقي مَن يستحي منه.

وقال رضي الله عنه: لو عرف الناسُ وأنصفوا علموا أني أحق بأموالهم منهم.

وكم له رضي الله عنه من أقوال ترشد إلى عظيم ما نال من الكمال.

وأما حُسن اتِّباعه رضي الله عنه لجدِّه ﷺ في الأقوال والأفعال والأحوال، فقد انفرد به في زمانه، وفاق به سائر أقرانه، فلم يزل على السَّنَن المحمَّدي في سائر مناهجه، راقياً بالوصف الأحمدي في معارجه، وظهرت عليه الأخلاق النبوية، وتجلت فيه الأخلاق المصطفوية، فكان عزيزاً على الله، متحملاً العنت عن عباد الله، حريصاً على إدخالهم في خواص الأُمة الأُمية، رؤوفاً رحيماً بالكلِّ في كلِّ قضية، بل كان في ذلك الزمن الرغد كالروح للجسد: [شعر]

شـيخٌ عـلا بفرائـد وفوائـد ... وعوائـد وزوائـد وموائـد
وحدائـق ودقائـق ورقائـق ... ومعـارف وعـوارف مـن ماجد
بفرائـد مـن علمـه وفنونـه ... ونظامـه ونثـاره المتـوارد
وفوائـد مـن مالـه وكمالـه ... وجمالـه وجلالـه المتزائـد
وعوائـد فاضت بوكـف صلاته ... وهمـت تصـادر ورد والـوارد
وزوائـد تدنـو لأهـل وداده ... مـن راصـد أو قاصد أو راشـد
وموائـد بُسِـطت لـكل مكـوّن ... مـن شـاكرٍ أو حامِـد أو جاحد
وحقائـق تبـدو لـكل محقـق ... بالحـقّ مـن تحقيـق حـق واردِ
ورقائـق رقَّـت وراقـت بهجـةً ... فرقـى بـه الراقـي بغيـر تقاعد
ودقائـق دقـت وفـاز بذوقهـا ... قـوم رقـوا بمراكـعٍ ومسـاجد
ومعـارف عرفـت بنائـح عرفها ... فوفـت لعارفهـا بعلـم الواحد
وعـوارف جليت بدائع حسـنها ... بملابـس مـن مجـده وقلائـد
عمّـت وأمَّت كلَّ صاحـب لوعةٍ ... صـبّ كئيـبٍ وجـده بالواجـد

يــا رب ألحقنــا بهــم متفضــلاً بالمغنــم الصافي العذيــب البارد
بالســيد الحــدّاد قطــب زمانــه وبــكل عبــدٍ راكــعٍ أو ســاجد

والحمد لله ربّ العالمين.

[الوسيلة الثالثة]
في نصائحه ﷺ وإرشاده واعتنائه بالآخذين عنه وقصّاده

فأقول: نصائحُهُ ﷺ كثيرة وافرة، وإرشاداته شهيرة متواترة، **منها:** ما أشار به إلى نفسه نفع الله به، وذلك قوله ﷺ : اتق من يغضبُ الحق لغضبه، ويرضى لرضاه، فإنه عبد يدعو إلى الله بالصدق فاقبل منه هذه النصيحة.

وكان ﷺ **يقول:** اقبلوا نصيحة من أُخِذ عليه العهود.

وكان ﷺ **يقول:** إذا لم يمكنك أن تقوم بالأمر كلّه فتوسط فيه، فقد قيل: إذا كانت الغايات لا تُدرَك، فالقليل لا يُترك، ونحن نحثّكم بكلامنا على الوسط من كل شيء.

وكان ﷺ **يقول:** الواجب على كل مؤمن أن يحترز عن المعاصي؛ صغيرها وكبيرها، كما يحترز من النيران المحرقة، والمياه المغرقة، والسموم القاتلة.

وكان ﷺ **يقول:** تأدّبوا باطناً، فإنه لا ينفع أدب الظَّاهر دون أدب الباطن، ولا تعملوا ما اعتاده الناس، فإنَّ هذه العوائد قد أفضت بهم إلى فساد الدين، فذهب الدين وذهب غيره بذهابه.

وكان ﷺ **يقول:** لا يصلحُ لمتعبّد ولا لمتفقّه مجالسة أرباب المواهب من العارفين، فإنه قد يكون ضعيف الهمّة، ضيّق الصَّدر، قاصِرَ النظر، قد يرى ما يخالف ما عنده فينكره فيهلك، والعارفون قد ارتفع نظرهم، فلا يرون أفعال الخلق، ولهم في كلِّ فعلٍ نية، وقد قَصُر نظرهم على الباطن فقط، وينظرون إلى الخلق نظر الرحمة.

وكان ﷺ **يقول:** العارفون ينبغي أن يُعامَلوا بالصِّدق؛ لأنهم لا يقبلون التلبيس، ويميزون الكلام الصِّدق من الكذب كما تميز أنت بين الحلو والحامض.

وكان ﷺ **يقول:** لا يتم السلوك[1] إلا بالزُّهد، ولا الزُّهد إلا برفض الدنيا والإعراض عن الشهوات والإقبال على الله، وعلامة الزهد أن يغتم عند الوجد، ويفرح عند الفقد[2].

وكان ﷺ **يقول:** من تبسَّط في الدُّنيا وتوسّع في شهواتها، وادَّعى مع ذلك أنه غير راغب ولا محبّ لها بقلبه، فهو مُدّعٍ مغرور، ولا تقوم له حجة بدعواه، وليس له في حالته تلك قدَم يُقتدى به من الأئمة المهتدين والعلماء الصَّالحين؛ لا مِن السلف ولا من الخلف.

وكان ﷺ **يقول: الولي يكون اعتناؤه بقرابته واللائذين به بعد موته أكثر من اعتنائه**

---

(1) يقول سيدي الجيلي ﷺ: السالكون في سلوكهم على أربعة أقسام: منهم سالك يسلك بربه. وسالك يسلك بنفسه. وسالك يسلك بالمجموع. وسالك لا سالك، فيتنوّع السلوك بحسب قصد السالك ورتبته في العلم بالله تعالى. فأما السالك الذي يسلك بربه: فهو الذي يكون الحق سمعه وبصره، وجميع قواه. والقسم الآخر السالك بنفسه، وهو المتقرب إلى ربه ابتداءً بالفرائض ونوافل الخيرات، وإن كانوا قد سمعوا هذا الخبر الإلهي واعتقدوه إيماناً ولكن ما حصل لهم هذا ذوقاً فيكون الحق قوّاهم فهم السالكون بنفوسهم في جميع مراتب السلوك. وأما السالك بالمجموع: فهو السالك بعد أن ذاق كون الحق سمعه وبصره، وعلم سلوكه أولاً بنفسه على الجملة من غير شهود نفسه على التعيين، فلما علم أن الحق سمعه، وعلم أن السامع بالسمع ما هو عين السمع، ورأى ثبوت هذا الضمير، وعاين على من عاد فعلم أن نفسه وعينه هي السميعة بالله والناطقة بالله، والمتحركة بالله، والساكنة بالله، وأنها المخاطبة بالسلوك والانتقال فسلك بالجموع. وأما القسم الرابع: وهو سالك لا سالك: فهو أنه رأى نفسه لا تستقل بالسلوك ما لم يكن الحق صفة لها، ولا تستقل الصفة بالسلوك ما لم تكن نفس المكلف موجودة، وتكون كالمحل لها، فصدق له أنه سالك بالمجموع، فإذا تبين له أنه بالمجموع ظهر السلوك بأن له أن المظهر لا وجود له عيناً وأن الظاهر تقيد بحكم استعداد المظهر ورأى الحق تعالى يقول: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾. فمن وقف على هذا العلم من نفسه علم أنه سالك لا سالك. **انظر**:سيدي عبد الكريم الجيلي في «**الإسفار عن رسالة الأنوار**» ـ **صفحة**: 40.

(2) يقول حجة الإسلام الغزالي ﷺ: الزهد ترك طلب المفقود من الدنيا وتفريق المجموع منها وترك إرادتها واختيارها قالوا: وأصعب الكل ترك الإرادة بالقلب. إذ كم تارك لها بظاهره محب لها بباطنه فهو في مكافحة ومقاساة من نفسه شديدة فالشأن كله في عدم الإرادة القلبية ولهذا لما سئل أحمد عمن معه ألف دينار ألا يكون زاهداً؟ قال: نعم بشرط أن لا يفرح إذا زادت ولا يحزن إذا نقصت وقال بعضهم: الزاهد من لا يغلب الحلال شكره والحرام صبره. قال ابن القيم: وهذا أحسن الحدود فالزهد فراغ القلب من الدنيا لا فراغ اليد منها، وقد جهل قوم فظنوا أن الزهد تجنب الحلال؛ فاعتزلوا الناس، فضيعوا الحقوق وقطعوا الأرحام، وجفوا الأنام، واكفهروا في وجوه الأغنياء، وفي قلوبهم شهوة الغنى أمثال الجبال، ولم يعلموا أنَّ الزهد إنما هو بالقلب، وأنَّ أصله موت الشهوة القلبية، فلما اعتزلوها بالجوارح ظنوا أنهم استكملوا الزهد، فأداهم ذلك إلى الطعن في كثير من الأئمة.

بهم في حياته؛ لأنه في حياته مشغول بالتكليف، وبعد موته طَرَح عنه الأعباء وتجرّد.

وكان ﵁ **يقول**: إنا نحبّ ونعتني بكلٍّ من نراه راغباً في سلوك طريق أهل الله تعالى، فعليك بالإقبال على طاعة ربك وأنزل جميع حوائجك بباب كرمه، وارجع إليه في جميع مهمَّاتك، فإنه منك قريب، وعلى إسعافك بمسألتك قدير.

وقال ﵁: إنا نصنع للناس المدد في طعامنا وشرابنا.

وقال ﵁: نحن ما نخدم إلا الضمائر؛ يعني: القلوب.

وقال ﵁: عليك بصحبة الأخيار والتأدُّب بأدبهم، والاستفادة من أقوالهم وأفعالهم، وزيارة الأحياء والأموات منهم، مع التعظيم البالغ لهم وحسن الظن الصَّادق فيهم، فبذلك يحصل الانتفاع للزائرين ويفيض المدد من جهتهم، وإنما دلّ انتفاع أهل الزمان بالصَّالحين من حيث قلّة التعظيم لهم، وضعف حسن الظنّ فيهم، فحُرِموا بسبب ذلك بركاتهم، ولم يشاهدوا كراماتهم، حتى توهّمُوا أن الزمان خالٍ من الأولياءِ، وهم بحَمْد الله كثيرون ظاهِرون ومخفيون ولا يُعرفون إلا لمن نوّر الله قلبه بأنوار التعظيم وحسن الظن فيهم، وقد قيل المدد في المشهد(1):

(1) **ومن ثم قيل**: صحبة الأخيار تورث الخير وصحبة الأشرار تورث الشر، كالريح إذا مرت على النتن حملت نتناً، وإذا مرت على الطيب حملت طيباً، **وقال الشافعي** ﵁: ليس أحد إلا له محب ومبغض فإذا كان لا بدَّ من ذلك فليكن المرجعُ إلى أهل طاعة اللّه، ومن ثم قيل:

ولا يصحب الإنسان إلا نظيره ... وإن لم يكونوا من قبيل ولا بلد

وصحبة من لا يخاف اللّه لا يؤمن غائلتُها لتغيره بتغير الأعراض قال تعالى:﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾، [الكهف: 28]. والطبع يسرق من الطبع من حيث لا يدري. قال حجة الإسلام الغزالي ﵁: والإخوان ثلاثة: أخ لآخرتك فلا نزاع فيه إلا الدين، وأخ لدنياك فلا نزاع فيه إلا الخلق، وأخ لتسأنس به فلا نزاع فيه إلا السلامة من شره وخبثه وفتنته. **وقال سيدي ابن عطاء الله السكندري** ﵁ **في الحكم**: «**لا تصحب من لا يُنهضك حالُه، ولا يدلُّك على اللّه مقالُه**». قال القصار ﵁: اصحب الصوفية فإن للقبيح عندهم وجوهاً من المعاذير. وقال التُّستَري ﵁: احذر صحبة ثلاثة: الجبابرة الغافلين، والقرّاء المداهنين، والصوفية الجاهلين، أي الذين قنعوا بظاهر النسبة وتحلوا للناس بالزهد والتعبد، وهؤلاء على العوام فتنة وبلاء. قال سيدنا الإمام عليّ كرم اللّه وجهه: قطع ظهري رجلان: عالم متهتك، وجاهل متنسِّك، فالعالم يُغِرُّ الناس بتهتكه، والجاهلُ يفتنهم بتنسُّكِه، فعليك بامتحان من أردت صحبته لا لكشف عورة بل لمعرفة الحق.

وقوله ﷺ: «ولا يأكل طعامك إلا تقي»: لأنَّ المطاعمة توجب الألفة وتؤدي إلى الخلطة، بل هي أوثق عرى المداخلة، ومخالطة غير التقي يُخِلُّ بالدِّين، ويوقع في الشبه والمحظورات، فكأنه ينهى عن مخالطة الفجار

إذ لا تخلو عن فساد إما بمتابعة في فعل، أو مسامحة في إغضاء عن منكر، فإن سَلِمَ من ذلك ـ ولا يكاد ـ فلا تخطئه فتنة الغير به، وليس المراد حرمان غير التقي من الإحسان لأن المصطفى ﷺ أطعم المشركين، وأعطى المؤلَّفَةَ المئين، بل يطعمه ولا يخالطه. والحاصل: أن مقصود الحديث ـ كما أشار إليه الطيبي ـ: النهيُ عن كسب الحرام وتعاطي ما ينفر منه المتقي، فالمعنى: لا تصاحب إلا مطيعاً ولا تخالل إلا تقياً.

[فائدة]: قال سيدي محيي الدين بن عربي ﷺ: اجتمع جمع من المشايخ بدعوة بزقاق بمصر، فقُدِّم الطعام، واحتاجوا آنيةً، وثم إناء زجاج جديد أُعِدّ للبول ولم يستعمل، فغرف فيه، فنطق: منذ أكرمني اللّه بأكل هؤلاء السادة لا أكون وعاء للأذى، ثم انكسر نصفين، فقال ابن عربي: سمعتم ما قال؟ قالوا لا. قال: قال كذا، وقال غير هذا أيضاً. قال وكذا كما قلوبكم أكرمها اللّه بالإيمان فلا ترضوا أن تكون محلاً لنجاسة المعصية وحب الدنيا. وقال ﷺ: «خياركم من ذكركم بالله رؤيته، وزاد في علمكم منطقه، ورغبكم في الآخرة عمله». أخرجه الحكيم عن ابن عمرو ﷺ. قال الإمام المناوي: هذه كلمة نبوية وافق فيها نبينا عيسى عليهما السلام. قال ابن عيينة: قيل لعيسى ﷺ: يا روح اللّه من نجالس؟ قال: من يزيد في علمك منطقه، ويذكركم اللّه تعالى رؤيته، ويرغبكم في الآخرة عمله. أخرجه العسكري. قال الحكيم الترمذي: أما الذي يذكرك باللّه رؤيته فهم الذين عليهم من اللّه سماتٌ ظاهرة، قد علاهم بها نور الجلال وهيبة الكبرياء وأنس الوقار، فإذا نظر الناظر إليه ذكر اللّه لما يرى من آثار الملكوت عليه، فهذه صفة الأولياء، فالقلب معدن هذه الأشياء، ومستقر النور، وشرب الوجه من ماء القلب، فإذا كان على القلب نور سلطان الوعد والوعيد تأدَّى إلى الوجه ذلك النور، فإذا وقع بصرك عليه ذكرك البر والتقوى ووقع عليك منه مهابةُ الصلاح والعلم، وذكَّرك الصدقَ والحقَّ، فوقع عليك مهابةُ الاستقامة، وإذا كان نور سلطان اللّه على وجه تأدى ذكرك عظمة جلاله وجماله، وإذا كان على القلب نوره وهو نور الأنوار نهتْك رؤيتُه عن النقائص، فشأن القلب أن يسقي عروق الوجه وبشرته من ماء الحياة الذي يرطب به، ويتأدى إلى الوجه منه ما فيه لا غير ذلك، فكل نور من هذه الأنوار كان في قلب فشرب وجهه منه فإذاً: سرُّ القلب برضا اللّه عن العبد وبما يشرق به صدره عن وجهه نضرة وسروراً. وأما رؤية العالم فتزيد في منطقه لأنه عن اللّه ينطق، فالناطق صنفان: صنف ينطق بالعلم عن الصحف حفظاً وعن أفواه الرجال تلقفاً، والآخر ينطق عن اللّه تلقياً، فالذي ينطق عن الصحف والأفواه إنما يلج آذانهم عريان بلا كسوة، لأنه لم يخرج من قلب نوراني بل من قلب دَنِسٍ وصَدْرٍ مظلم مغشوش إيمانه يحب الرئاسة والعز والشح على الحطام، ونفسه قد استولت على قلب ينازع اللّه في ردائه، والذي ينطق عن اللّه إنما يلج آذان السامعين بالكسوة التي تخرق كلَّ حجاب وهو نور اللّه خرج من قلب مشحونٍ بالنور، وصدره مشرق به فيخرق قلوب المخلطين من رين الذنوب وظلمة الشهوات وحب الدنيا لخلعه إلى نور التوحيد فأثاره كجمرةٍ وصلتها النفخة والتهبت ناراً فأضاء البيت. وقوله ﷺ: «يزيدكم في العلم منطقه»: فإنه إذا نطق نطق بآلاء اللّه وصنعه، فهذا أصل العلم، والعلم الذي في أيدي العامة فرع هذا، وآلاء اللّه ما أبدى من وحدانيته وفردانيته كالجلال والعظمة والهيبة والكبرياء والبهاء والسلطان والعز والوقار على قلوب الأولياء. وقوله ﷺ: «يرغبكم في الآخرة عمله»: لأنَّ على عمله نوراً، وعلى أركانه خشوعاً، وعلى تصرفه فيها صدقَ العبودية مع بهاءٍ ووقارٍ وطلاوةٍ وحلاوة، فإذا رآه الرائي تقاصر إليه عمله ونفسه، وأما علماء الدنيا فليس لأعمالهم ذلك النور والبهاء لأنهم على الرغبة والرهبة، لأنه رغب في الجنة، والوعد والوعيد نصب عينه، فيستعين بذلك على نفسه حتى يقمعها، وأما أهل اليقين فإذا عرض لهم نارت قلوبهم من الشوق إليه والحب له فعاملوه على بِشْرٍ وطيب نفس، فإذا عرض لهم دينة عرقت جباههم حياء منه، فشتان ما بين عبدين أحدهما بعمل لمولاه ولولا خوفه من وعيده وحرمان وعده ما عمل، وآخر يعمل لمولاه تذللاً وتخشعاً ومحبة له وإلقاء نفسه بين يديه وشغفاً به لا يستويان.

شـيخ نصـوح ذو اعتنـاء كامل	بمحبِّــه ومريــده وقريبــه
يسـعى ببذل النصح سعي مهَذب	سـبقت يـد الرحمن فـي تهذيبه
فتـراه ينصـح بالمقـال وحالـه	متوجهـاً للـكلِّ فـي تدريبـه
يدعـو لحـب الله دعـوةَ صادق	ويقـوم بالتهذيـب فـي تأديبـه
ويبيـن طرق الحب بعد دروسـها	ببيـان مغـرب حالـه وعجيبـه
ويقسـم الأذواق كأسـاً مترعـاً	برحيـب صـدر جل فـي ترحيبه
يعطـي لـكل مـا يليـق بقـدره	ويزجّـه فـي الحبّ نحـو حبيبه
ويعطّـر الأكـوان مـن أنفاسـه	بشـهي عـرف فائـح مِـن طيبه
دامت عليـه هواطل الرحمات من	مـولاه فـي التشـريق أو تغريبـه
وبـه توسّـلنا جميعـاً نرتجـي	طـبّ القلـوب بجاهـه وطبيبه
وعلى النبـيّ من الصـلاة أجلِّها	والآل ثـم حسـيبه ونسـيبه

والحمد لله رب العالمين.

[الوسيلة الرابعة]
في ذكر شيء من بوادر حكمه وسرد نزر من جواهر كلمه، وعدّ ما اشتهر من تآليفه البديعة النظام، ومصنفاته الرفيعة الانتظام

أما تآليفه رضي الله عنه، فقد عَظُمت قدراً وأطلعت في كلِّ أفق بدراً، عرَّفت عن وفور كماله الباهر، وظهور خلافته العامّة الحقيقة في علمي الباطن والظاهر، بل وفي المقامات العلية، وكمال التخلُّق بالأخلاق المحمّدية، فلقد فاز من كلِّ ذلك بالحظِّ الجسيم، وما يلقَّاها إلا الذين صبروا، وما يلقاها إلا ذو حظٍّ عظيم.

فمن تآليفه النافعة ومصنفاته الجامعة:

* النصائح الدِّينية والوصايا الإيمانية.
* والدعوة التامة والتذكرة العامة.
* وسبيل الادِّكار والاعتبار فيما يمرّ بالإنسان وينقضي من الأعمار.
* وإتحاف المسائل والفصول العلمية.والأصول الحكمية.
* والمعاونة والمظاهرة والمؤازرة للراغبين من المؤمنين في سلوك طريق الآخرة.
* ورسالة المريد المخصوص من ربه الحميد المجيد بالتأييد والتسديد.
* ورسالة المذاكرة.
* وكتاب المجموع، وهو جامع المكاتبات والوصايا والكمالات والقصائد المشتملة على الحكم والفوائد.
* وآخرها الديوان المسمّى بـ[الدرّ المنظوم لذوي العقول والفهوم].

وأما الكلمات التَّامات المباركات الزاكيات:

فمنها قوله ﷺ: الزُّهد في الدنيا بشير السعادة، ومظهر العناية، وعنوان الولاية، وهو لأهله نعيم عاجل، ولا يستطيعه إلا مَن شرح الله صدره بإشراق أنوار المعرفة واليقين.

وقال ﷺ: الذي يؤثر الدُّنيا على الآخرة شاكّ مرتاب، والذي يسوِّي بينهما غبيّ أحمق، والذي يؤثر الآخرة على الدُّنيا هو المؤمن الكيّس الحازم.

وقال ﷺ: يستدل على كمال الرجل بتأديته الفرائض على غاية الكمال؛ لأنهما عمود الدين، فمن أدَّاها على الكمال دلّ على كماله وحسن عناية ربه تعالى به، والعكس بالعكس.

وقال ﷺ: من لم يَرْقَ عند الذِّكر فهو قاسي القلب، ومن لم يتأدّب عند سماع العلم فمجلسُه عليه خسران، ومن تاب فتح الله أبواب قلبه حتى يتضح له الحق فيبصره.

وقال ﷺ: لولا النظر في العاقبة لما صحَّ لعالم عِلْمُه، ولا لزاهدٍ زهده، ولا لمتعبّد عبادته، فعليك بالنظر في العواقب يصلح أمرك.

وقال ﷺ: لا يجد العالم لذة العلم حتى يهذّب نفسه وأخلاقه ويستقيم على الكتاب والسُّنّة، ويرمي بالرياسة تحت قدمه، ومن أنكر على العارفين ابتُلي بقسوة القلب.

وقال ﷺ: الحبّ لله تعالى ميل وتعلق وتولّه يجده العبد في قلبه إلى ذلك الجناب الرفيع الأقدس مصحوباً بنهاية التقديس والتنزيه، وغاية التعظيم والهيبة لله لا يخالطه شيء من خواطر التشبيه، ولا يمازجه شيء من أوهام التكييف، تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً. ثم من صدق في محبة الله تعالى دعاه إلى إيثار الله عما سواه، وعلى التشمير لسلوك قربه ورضاه، وعلى الجدّ في طاعته، وبذل الاستطاعة في خدمته، وترك ما يشغل عن ذكره وحسن معاملته.

وقال ﷺ: للطُّعمة من الحلال أثر كبير في تنوير القلب ونشاط الجوارح للعبادة.

وقال ﷺ: ليس ينبغي لأهل الدِّين والآخرة إذا رأوا أهل الدُّنيا المشغوفين بجمعها، المشغولين بشهواتها إلا أن يرحموهم ويدعو لهم بالخلاص والسلامة مما وقعوا فيه

من الإعراض والاشتغال عن آخرتهم، التي هي مصيرهم ومعادهم.

وقال ﷺ: التكبّر على الأغنياء تواضع. كما قال ابن المبارك رحمه الله: هو أن يُظهر للأغنياء الاستغناء عنهم، وعدم الحاجة إليهم؛ لا أنه يرى أنه أحسَن حالاً منهم باطناً وظاهراً؛ لأنه لا يدري مَن هو الخيّر عند الله تعالى: [شعر]

حكم الوصول سبى العقول حصولها ... وحوى النقول فروعها وأصولها
حكم من العلم المصون تناسقت ... وتسابقت أبوابها وفصولها
حكم لها الإحكام في أحكامها ... شرعاً أتاك به إليك رسولها
فاظفر به عملاً وعلماً نافعاً ... واشكر في أعظم ما لديك وصولها
واحذر من الكفران فهي مواهب له ... وصلت إليك لاختبار نقولها
كن بالعفيف على القيام بحقّها ... متوسلاً إذ كان منه بقولها
تظفر بفيض من مكارمه التي ... تحيي القلوب فتستحيل محولها
قل يا طبيب العاجزين قلوبنا ... صَدِئت من البلوى وزاد نحولها
وتقاعست عما يليق من التقى ... وتقاعدت وقد استدام قفولها
وإليك نشكوها وجاهك واسع ... ينفي به في المعضلات مهولها
وعلى النبيّ وآله وصحابه ... أزكى صلاة طاب منه قبولها

والحمد لله ربّ العالمين.

[الوسيلة الخامسة]
في شهادة الكمّل له من معاصريه ﷺ لمشاهدته من الكمال فيه

فأقول: و الله يقول الحق على لسان الخلق:

الغالب أنَّ المعاصرة مناصرة، والمعاصر لا يناصر إلا (من شرح الله صدره للإسلام، فهو على نورٍ من ربه) كهؤلاء الأجلة نفع الله بهم وبأسلافهم:ـ

منهم: العارف بالله السيد عمر بن عبد الرَّحمن العطاس ﷺ.

وكان ﷺ يقول: السيد عبد الله الحدّاد أُمَّةٌ وحده.

ولما جاءه مَوْلانا السيد عبد الله زائراً ومتبرّكاً ومستمعاً هالَهُ أمرُه وعظم لديه قدره، وكشف الله له عن حاله وما هو عليه من كماله، وما حُبِي به من شهود جمال الله وجلاله. قال عند ذلك: **ما ظننت أن الله تعالى يوجِد في زماننا مثل هذا السيد**[1]، وما هو إلا أُمَّة وحده، ولم يكن من أهل هذا الزَّمان، وإنما أحْرَزَهُ رحمة لهم، وأبى أن يتقدّم عليه عند إمامة الصلاة وعند الدعاءِ وعند تناول القهوة، ثم لما طلب منه سيّدنا أن يُلْبِسه أبى أشدّ الإباء إلا أن يُلْبِسَه، فلبس منه وألبَسه.

ومنهم: العارف بالله السيد عبد الله بن عمر خرد باعلوي ﷺ.

كان ﷺ **يقول**: السيد عبد الله الحداد اتّصف بصفة الأكابر، كالشيخ عبد القادر الجيلاني ﷺ، انطوى فيه ما انطوى في الأولين من الأسرار، فالزموه.

وكان يقول: إن شئت أن تظفر بالعِلْم فعليك بمجالسة السيد عبد الله الحدّاد ﷺ،

(1) هذا على أسلوب التعجب، وليس استقصارًا أو انتقاصًا من قدرة الله سبحانه، حاشا لله أن يصدر من هذا الإمام ما قد يتبادر إلى ذهن بعض القاصرين، رزقنا الله الأدب وحسن العمل، آمين

فإنَّ مجلسه لجميع العلوم، لا يتركه إلا من شقي وسمح بالآخرة[1]، نسأل الله العافية في الدنيا والآخرة.

وقال العارف بالله السيد أحمد الهندوان: سيدي عبد الله الحدّاد للناس كالشمس، لا غناء لهم عنها أبداً.

وقال: ما بلغ أحدٌ مقام سيّدي عبد الله الحدّاد حتى يخبر عنه[2]، ومن قال ذلك فقد كذب.

وقال: السيد عبد الله الحداد مجتهدٌ لا مقلّد.

وكان يقول: قولوا لأهل مكة: إن أردتم العِلم فهلموا إلى السيد عبد الله الحدّاد.

وكان يقول: لا تحدّثوني بأحاديث أهل الزمان إلا أن يكون كلام سيدنا عبد الله الحدّاد، فإنه كلامُ ناصح فيحصل له به النفع، وأما كلام غيره فلا.

وكان يقول: إذا أحزنك أمر فاستغث بالسيد عبد الله الحدّاد، فإنه يسمعك أينما كنت.

وقال السيد أحمد بن زين الحبشي رضي الله عنه: الحال من الشيخ عبد القادر الجيلاني وشيخنا عبد الله بن علوي الحدّاد واحد، بل الذي نعتقده وندين به أنَّ شيخنا الإمام عبد الله الحدّاد ورث جميع أحوال الأولياء السابقين واللاحقين، وجميع الصِّدّيقين وكافة المقرّبين لأقطاب الكاملين، رأينا ذلك عياناً وكشفاً وبياناً، ورأينا في غيره من الأولياء تصديقاً واعتقاداً، حقَّق الله لنا ولكم الرجاء فيه في خيرٍ وعافية.

وكان السيد أحمد بن هاشم الحبشي يقول: أشهدُ أنَّ السيد عبد الله الحدّاد روحاني ليس فيه من البشر بقية.

وقال السَّيِّد أحمد بن زين الحبشي: ما كان لنا أن نقدِّم على كلام شيخنا عبد الله بن علوي الحدّاد كلامَ غيره إلا ما كان من كتاب الله وسنَّة رسوله ﷺ، لكون معانيهما قد رسخت في

---

(1) أي: استهان بها والعياذ بالله.

(2) أي: يتجرأ ويخبر عن حاله ورفيع مقامه رضي الله عنه.

قلبه وامتزجت بسرّه، وكلامُه مستمَدٌّ منهما ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾.

وقال: إنَّ شيخنا عبد الله الحدّاد على القدم النبويِّ المحمّدي في جميع عباداته وعاداته، وله الوراثة الكاملة مِن جدّه [سيدنا] محمَّد ﷺ، وكان آخذاً من الاستقامة والاتِّباع لجدّه المصطفى ﷺ بالحظِّ الوافر والنَّصيب الأكبر بحمد الله ومنّته، إذ هذا السيّد العظيم مثل الشمسِ الشَّارقة في ضحوة النهار من غير سحاب ولا غبار، ولا يوجد لمعترض فيه ذرّة مما يقتضي الاعتراض، ولا يُشَمّ منه في عبادة ولا عادة رائحةُ اعوجاج ولا انخفاض، فهو من النعم العظيمة، ومناهجه المستقيمة، وأبواب جنانه النعيمة، وأهلُ زمانه ليسوا شاكرين ولا سالكين ولا طالبين، ولا حول ولا قوّة إلا بالله العلي العظيم.

وقال: لو قال مائة إمام بقول، وقال شيخنا الإمام السيد عبد الله الحدّاد بخلافه وجب على الكلِّ الأخذُ بقوله؛ لأنه القطب والغوث، ويلزم اتباع صاحب الوقت فيما قاله.

ولما اجتمع بالسيد المكاشف أحمد بن ناصر ببندر الشِّحر عند طلوعه للحج، فظهر له حاله قال رضي الله عنه: السيد عبد الله الحدّاد رضي الله عنه عطيَّةٌ من الله في هذا الزمان، له هِمَّةٌ علوية وحالٌ فائق كأبي يزيد البسطامي رضي الله عنه[1]، ما جاءنا في مكاننا إلا هدية من الله لأجل أن تروه، هنيئاً لكم يا أهل حضرموت بمجالستكم له وظهوره عندكم، فهو

(1) سلطان العارفين أبو يزيد الأكبر طيفور بن عيسى البسطامي رضي الله عنه، من بسطام خراسان، ولد رضي الله عنه سنة 188 هجرية، وتوفي سنة 261 هجرية، اشتهر رضي الله عنه بالشَّطح، وأصله كلمات مستغربة تصدر عن الصوفي أو العارف في حال وجده وذهوله بمشاهدة جلال الحق فلا يدري ما يقول، أو أنه ينطق عما يشهد بلسان مشهوده، وفي ذلك يقول الجنيد شيخ الصوفية رضي الله عنه إنَّ حال أبي يزيد كحال مجنون ليلى فإنَّ حبَّه لليلى وقد تملّكه لم يعد معه يرى في الأشياء والمخلوقات، وحتى في نفسه إلا أنها ليلى، فلما سألوه: من أنت ؟ فقال: ليلى. ويروون عن ذي النون أنه لما بلغه أن أحد أصحابه ذهب يسأل عن أبي يزيد ولقاه ذاك، فقال له: أ أنت أبو يزيد؟ فقال أبو يزيد: ومن يكون هذا ؟ وأين أجده؟ قال ذو النون: مسكين أخي أبو يزيد، لقد فقد نفسه في حب الله تعالى، فصار يطلبها مع الطالبين. وقيل لأبي يزيد البسطامي رضي الله عنه ونفعنا به: بم وصلت إلى ما وصلت؟ قال: جمعت أسباب الدنيا فربطتها بحبل القناعة، ووضعتها في منجنيق الصِّدق، ورميت بها في بحر اليأس فاسترحت. **انظر ترجمته في**: طبقات السلمي 67، طبقات ابن الملقن 398، حلية الأولياء 10/ 33.

خليفة الله في أرضه، ووددت أن أرسل إلى أهل الجبال بأودية الشِّحر يأتون ينظرون إليه، فإن النظر إليه مغنم.

وكان السيد الولي شيخان بن الحسين يسميه: «كعبة القلوب».

وكان العارف بالله السيد محمد بن عبد الرَّحمن مدحج باعلوي يقول: كلام سيدنا عبد الله الحدّاد دواء لأهل القلوب المنوَّرة؛ لأنه طري قريبُ عهدٍ بربِّه، وكان لا يتقدم عليه في الصلاة احتراماً له.

وكان الولي العارف بالله السيد علي بن عبد الله العيدروس صاحب «سورة» يقول:

سيّدي عبد الله في هذا الزمان سلطان آل باعلوي.

هذا آخر ما نقل من الشَّهادة عن أهل السعادة، أنَالَنا الله بهم الحسنى وزيادة، وهذا المذكور إنما كان في أوائل أمره ومبادىء حاله، فكيف بعْد ما وصل إلى غايات كماله!!، وإن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء و الله ذو الفضل العظيم.

[شعر]:ـ

الفضل ما شهدت به الكبراء	وتناقلته السادة الفضلاء
الفضل فضل الله جلّ جلاله	ومحلّه عباده العلماء
التابعون مجد المختار في	نهج الكمال فهم به العظماء
ما الفضل إلا في أتباع المصطفى	وبه سنا للتقى وسَناء
كل الكمال به لكل موفق	تعلو به في سيره العلياء
كالسيد الحداد قطب زمانه	بشهادة تزكو بها الشهداء
من فاق أرباب العلا بكماله	وله على هام العلاءِ لواء
نصبت خوافق مجده في الخافقَيْن	وأذعنت لكماله الأُمراء
وسرت سرائر ستره في العالمين	برحمة لاذت بها الرحماء

مــلأ المعالــم حكمــةً وهدايــةً ونصائحــاً هامــت بهــا النصحاء

وتبلجــت طــرق الســلوك بنوره وتأرَّجَــت مــن نــوره الأرجــاء

هــو دوحــةٌ نبويــةٌ علويّــة شــرقية غربيّــة قعســاء

كالشــمس تبدو في مطالع سعدها ولــه علــى آفاقهــا اسْــتعلاء

إذ لــم يزل فــي كل وقتٍ مشــرقاً تجلّــى بــه الأنــوار والأنــواء

ولــه المــكارم والكرامــات التي كرمت وكــرّت نحوهــا الكرماء

كلٌّ لــه مــن جُــوده مِــن مجدهِ من حلمــه مــن علمه اســتعطاء

ونوالــه عــمَّ وفيــض علومــه جــمّ وســحب هباتــه ســحاء

وهــو المقــدم رفعــة وجلالــة ومهابــة تحنــو لهــا القدمــاء

وعلا علــى قــدم النبــيّ مناهجاً ولــه علــى معراجهــا إســراء

مترقيــاً متلقيــاً مــن ربِّــه تحفــاً لهــا برحابــه لألاء

قــرّت بــه عيــن الأكارم واعتلت بكمالــه الآبــاء والأبنــاء

وحوى المحــبّ مــراده ومريده وبطبّــه قــد زالــت الأدواء

ودنــى إلــى الراجي بــكل كريمةٍ فــي المــكارم والحبات ســماء

دامــت شــآبيب الرضــى علــى الجدث الذي سطعت به الأضواء

وعلــى النبــيّ وآلــه وصحابــه أثنــى صــلاة مــا لهــا إحصــاء

والحمد لله رب العالمين.

[الخاتمة]
في ذكر شيء من كراماته وتاريخ ولادته ووفاته
[أَمَدَّنا الله من مدده وجعلنا من صدقته الجارية وعلمه النافع وولده]

فأقول:

لا كرامة أعظم من الاستقامة، لا سيما في زمن الصُّدود عن المقصود، واضمحلال الدِّين وذهاب أهل اليقين، وفوات المتقّين، وقد كان رضي الله عنه أوفرَ الناس حظاً في ذلك وأوفاهم فيما هنالك.

وكان رضي الله عنه **يقول**: العارف تؤثِّر هِمَّتُه وتوجّهه في أيِّ شيء توجَّه إليه، ولكنه لا يتوجَّه إلا عن إذنٍ إلهي، وطاعةُ الأكوان لأولياء الله تعالى أمرٌ معلوم بالتواتر، وأكثر ما يتفق وتقع الانفعالات بالهِمَم والتوجُّهات للسَّالكين المشرفين على مراتب الكشف، الذين لم يخلُصوا إليها بعد، ويكون فيما يظهر لهم من ذلك تقوية لهم، ويقع أيضاً لأهل الفناء[1] وقلّ أن يشعروا بها لفنائهم في الله تعالى، وعدم شعورهم بشيء من الكائنات.

---

(1) **الفناء** كما قيل ـ هو أن يفنى عن الحظوظ فلا يكون له في شيء حظ، بل يفنى عن الأشياء كلِّها شغلاً بمن فني فيه. **وقيل**: «هو الغَيبة عن الأشياء كما كان فناء موسى حين تجلى ربه للجبل»، **وقال الجيلي**: الفناء في اصطلاح القوم: هو عبارة عن عدم شعور الشخص بنفسه ولا بشيء من لوازمها. وقال المولى عبد الحكيم في حاشية عبد الغفور: «معنى الفناء في اصطلاح الصوفية تبديل الصفات البشرية بالصفات الإلهية دون الذات، فكلَّما ارتفعت صفة قامت صفة إلهية مقامها، فيكون الحق سمعَه وبصره كما نطق به الحديث الشريف فالفناء أن لا ترى شيئاً إلا الله ولا تعلم إلا الله، وتكون ناسياً لنفسك ولكل الأشياء سوى الله، فعند ذلك يتراءى لك أنه الربَّ إذ لا ترى ولا تعلم شيئاً إلا هو فتعتقد أنه لا شيء إلا هو «انظر: التهانوي ـ معجم مصطلحات الفنون 1157 ـ 1158» . **والفناء والبقاء**: اسمان، وهما نعتان لعبد موحِّد يتعرض بالارتقاء في توحيده من درجة العموم، إلى درجة الخصوص، ومعنى الفناء والبقاء في أوائله: فناء الجهل ببقاء العلم، وفناء المعصية ببقاء الطاعة، وفناء الغفلة ببقاء الذكر، وفناء رؤيا حركات العبد لبقاء رؤيا عناية الله تعالى في سابق العلم. ذكره الطوسي في اللمع 284. **وقال السهروردي في العوارف**: **الفناء** أن يفنى عن الحظوظ فلا يكون له في شيء حظ، بل يفنى عن الأشياء كلها شغلاً بما فني فيه، **وقد قال عامر بن عبد الله** رضي الله عنه: **لا أبالي امرأة رأيت أم حائطاً!**، ويكون محفوظاً فيما لله عليه، مصروفاً عن جميع المخالفات، والبقاء: يعقبه وهو أن

وأما أهل البقاء[1] القائمين بوظيفة الدَّعوة إلى الله تعالى، فيقلُّ وقوعها لهم لسكونهم إلى الله تعالى وطمأنينتهم إلى ما يجري من أحكامه وأقداره، فقلَّ أن تنبعث هِمَمُهُم وتوجُّهاتُهُم لشيء من ذلك، وقد يؤذن لهم في إظهار شيء من الخوارق لتقوية طالبٍ ضعيف أو ردّ معاند يكذّب بآيات الله، ويدفع خصوصية الله تعالى في أوليائه، ولو توجَّه العارف إلى جبل ليزول أو بحر ليفور، لكان ذلك بقدرة الله تعالى، ولا يصل أحد إلى شيء من هذه الخوارق حتى تصير نفسه في غاية من اللَّطافة بواسطة الرياضة، ويتحقق بكليات الأسرار ويتعرى من الحظوظ النفسانية[2].

[كراماته ﷺ]: وقد ذكر السيد محمد الشلِّي نفع الله به في «مشرعه الرويّ» في ترجمة السيد المذكور، فقال:

وله ﷺ كراماتٌ وخوارقُ وعادات، لكن عند الحاجة، منها: أنه كاشف جماعةً بما خطر في بالهم في حضرته. وخطر لبعضهم لما لقَّن ﷺ جماعةً الذِّكرَ ولم يلقِّنْه أنه

يفنى عما له ويبقى بما لله تعالى. انظر: عوارف السهروردي 328.

(1) ويسمى مقام البقاء: بالجمع والفرق، من حيث أن شهود العبد لربه جمعه، وشهوده لصنعه فرقه مع كمال الاستغراق فيه، وهذا المقام هو المعبر عنه بجمع الجمع، حيث ذكر في كشف الأسرار قول جماعة من الأشياخ عن مقام جمع الجمع: وهو عبارة عن أخذ الحق عبده بعد فنائه فيسكره في شهود ذاته تعالى فيصير فانياً عن نفسه، وعن السوى، لكنه يرد إلى الصحو عند أوقات الفرائض، والقيام بأمور الخلق فيكون هذا الرجوع لله بالله، قال: وهذا الرجوع يسمى: الفرق الثاني، وهو شهود قيام الخلق بالحق، ورؤية الوحدة في الكثرة، والكثرة في الوحدة، من غير احتجاب بأحدهما عن الأخرى، وهذه هي الولاية الكاملة. وقال جماعة آخرون من أهل هذا الشان: أن مقام الفرق الثاني غير مقام جمع الجمع، وإن عين الوحدة فوق المقامات، وهذه الرتبة مطمح شهود القطب الغوث الأكبر كونه منزّه من أن ينحصر في وصف دون الآخر من حال إلى حال. انظر: **رحلة إلى الحق للسيدة فاطمة اليشرطية الشاذلية.**

(2) وشاهده من قول الحبيب المصطفى ﷺ فيما روى البخاري في صحيحه بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ قَالَ مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بشيء أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا وَإِنْ سَأَلَنِي لأُعْطِيَنَّهُ وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لأُعِيذَنَّهُ وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شيء أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَه». انظر: **صحيح البخاري:** الجزء الرابع 84 كتاب الرقاق 38 باب التواضع ـ الحديث رقم: 6137. **ومعنى الحديث:** أنَّ العبد إذا أخلص الطاعة لله رب العالمين صارت أفعاله كلُّها للّه عزَّ وجلَّ، فلا يسمع إلا للّه، ولا يبصر إلا للّه أي ما شرعه اللّه له، ولا يبطش ولا يمشي إلا في طاعة اللّه عزَّ وجلَّ مستعيناً باللّه في ذلك كله. ولهذا جاء في بعض رواية الحديث في غير الصحيح: «فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي».

تمنى أن يلقِّنَه ذكراً من الأذكار، فقال عند ذلك: خطر لك كذا وكذا؟؟، قال: نعم، قال: ليس هذا وقته.

وأتاه بعضهم حالَ قدومه ﷺ مكة، وعادة السيد أن يسأل كلَّ من أتاه عن اسمه ونسبه، ويلين له القول، ولم يسأل هذا البعضَ عن ذلك، فتألم لذلك وقال في نفسه: أما يخاف السلب؟!. فقال السيد ﷺ عند ذلك: السَّلبُ حق، ولكن الله تعالى حفظنا منه.

وحكى لي جمعٌ أنَّ الشريف بركات بن محمد قبل أن يتولى إمارة الحجاز أتاه وهو في الحجر، وسأله الدُّعاء بتيسير مطلوبه، فدعا له بذلك، فلما ذهب عنه سأل عنه السيد، فقيل له: رجل من أشراف مكة. فقال: إنه طلب أن يكون ملك مكّة، وقد استجاب الله له الدعاء... إلى آخر ما ذكره السيد المذكور في ترجمته، نفع الله بهما.

وذكر الأستاذ الميرغني نفع الله به في آخر ترجمته رحمه الله، فقال:

وله من الكرامات والكشوف ما هو عند أهله مألوف، وفي تراجمه ومناقبه معروف، ولم يزل على السَّنن الأقوم والسبيل الأكرم حتى لحق بربِّه الأعظم.

وقال السيد أحمد بن زين الحبشي ﷺ:

قال لي سيدنا عبد الله الحدّاد ﷺ آخر عمره: إن الحمّى في جسدي منذ خمسة عشر سنة، لم تُزايلني أبداً ولم يعلم أحدٌ بذلك حتى أهل بيته، ثم أدخل يدي في كمِّه وألمسَني جسده الشريف والحمَّى فيه.

[وفاته ﷺ]: وكانت وفاته ﷺ ليلة الثلاثاء لسبع خلت من ذي القعدة، [1132 هجرية] ـ عام اثنين وثلاثين ومائة وألف، كذا في «القرطاس».

[وحياته ﷺ]: [89 سنة] ـ تسع وثمانون سنة إلا ثلاثة أشهر؛ لأنَّ ولادته بتريم ليلة الاثنين خامس صفر من عام أربع وأربعين وألف، [1044 هجرية]، انتهى كلامه، والحمد لله ربّ العالمين.

اللّهمَّ بجاهه عليك وبما له لديك اجمعنا بك عليك، واشغلنا بك عن غيرك، وتمِّم

علينا إفاضة خيرك، فإنك غمرت بالنوال، وأغنيت عن السؤال، فلك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك، سبحانك لا نحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسِك، نسألك فعل الخيرات وترك المنكرات وحبَّ المساكين، وإذا أردت بقوم فتنةً فاقبضنا إليك غير مفتونين، وتوفّنا مسلمين، وألحقنا بالصَّالحين في كلِّ حين، وصلِّ اللهمَّ وسلِّم على نبيِّك الأمين وآله الأكرمين وصحبه أجمعين، سبحان ربّك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

انتهى ما قاله الحسين أسكنه الله ﷻ ـ وإيانا في عِلّيِّين.

قلت: وقد مدحه كثيرون، ورثاه وأرَّخه آخرون، فقد ذكر الشيخ الأمجد الممجّد البصري القباني المنلا أحمد، في كتابه المسمى بـ «منهج الرشاد» بأن الذي اجتمع عنده من مدائح الحبيب الحدّاد ثلاثون قصيدة، وهو بتلك البلدة البعيدة، فما بالك بالمجموع عند القريب إذا كان ذلك حاصلاً لدى الغريب.

ومن أجود التأريخ ما قاله العلم المزهر السيد الشريف عبد الله بن جعفر، فقد قال في ضابط عام مولده مؤرِّخاً: «الشمس قد طلعت»، ولضابط عمره تاريخ: «وَلِيّ جَلِيّ»، ولضابط عام وفاته تاريخ: «هو خاتم الأمجاد».

وتركت ذكر المراثي وباقي التواريخ للاختصار؛ إذ المراد هنا ذلك لا الاستكثار.

وقلت أنا في ضابط عام مولده تاريخاً: «عابداً أضاء الحق بوجوده»، ولضابط عمره تاريخاً: «هدا هادي مهدي»، ولضابط عام وفاته تاريخاً: «قد أظلم الوجود به» ـ أي بوفاته ـ رحمه الله رحمة الأبرار وأسكنه وإيانا جنّةً تجري من تحتها الأنهار.

[السيد الشريف العلم المنيف سيدي عمر بن عبد الرحمن العطاس رضي الله عنه]

ثم قلت:

وهــو الذي قد خــصَّ بالإلباسِ　　　ممــن دعــي بعمــرَ العَطَّــاسِ

المذكور هنا هو السيّدُ الشريفُ، والعَلَمُ السّامي المنيفُ، جامعُ غُرَرِ الفضائل،

المنعوتُ بأحسنِ الشَّمَائل، المتّصفُ بالبرّ والإحسان، شجاعُ الدِّين مولانا عمر بن عبد الرَّحمن ﵁، أفرد مناقبه في سفرٍ عظيم، حسنُ ابنُ ابنِ ابنِه عليُّ بن حسن، وسمّى ذلك السّفر العظيم بـ «القرطاس في مناقب الولي عمر بن عبد الرَّحمن العطاس»، وقد أجاد فيه كلَّ الإجادة، ولم يبقَ فيه لغيره محلاً للزيادة، ولم يحضرني الآن ذلك حتى أذكر شيئاً مما هنالك، وقد ذكر السيد الشريف ذو الأخلاق الرضية، والشمائل المرضية، أحمد بن زين الحبشي في كتابه «النفحات السرية والنفثات الآمرية بشرح القصيدة العينية» عند قول سيدنا الناظم في حقه؛ إذ هو أدرى بعلم اليقين وعينه وحقّه: [شعر]

وأبي حسين عمر العطاس مَن قد كان مِن أهل اليقين بموسع

كنَّاه بابنه الحسين الموجود الآن، و «العطاس» لقب سابق لهُم، وقوله: من أهل اليقين هو قوة الإيمان وغلبته على القلب غلبة تحمل على العمل بمقتضاه، وهو ـ أعني: اليقين ـ رأس الأعمال الصَّالحة وأصلها وأساسها، وقد حذق الكلام فيه وحرَّره حجة الإسلام الغزالي في كتاب «العلم من الإحياء» وغيره، وأكثر الإشارة إليه سيّدنا الناظم في كتبه، وفصّل مقاماته في قصيدته التائية، وقد جاء عن النبي ﷺ: «من أُعطي حظَّه من اليقين والصبر لم يبال بما فاته من قيام الليل وصيام النهار»[1].

وقد أثنى على السيد عمر بن عبد الرَّحمن المذكور غَالِبُ صَالِحِي قُطْرِه وعصره، وكان عالماً عاملاً داعياً إلى الله بقوله وفعله وحاله، أخذ عنه الطريقة جماعاتٌ من أكابر وقته، وانتفع بصحبته خلائقُ وتلمذ له طوائف، وتلقنوا منه الذكر، ولبسوا منه الخرقة الصوفية[2].

(1) قوله ﷺ: «من أقل ما أوتيتم اليقين وعزيمة الصبر ومن أعطي حظه منهما لم يبال بما فاته من قيام الليل وصيام النهار، ولأن تصبروا على ما أنتم عليه أحب إلي من أن يوافيني كل امرئ منكم بمثل عمل جميعكم ولكني أخاف أن تفتح عليكم الدنيا بعدي فينكر بعضكم بعضا وينكركم أهل السماء عند ذلك، فمن صبر واحتسب ظفر بكمال ثوابه ثم قرأ قوله تعالى: ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍۗ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجْرَهُم﴾ . قال الحافظ العراقي: أجده هكذا بطوله. **تخريج أحاديث الإحياء للحافظ العراقي**: المجلد الرابع. كتاب الصبر والشكر ـ الحديث رقم: 2.

(2) **والمقصود بالخرقة**: المرقَّعة، وقد كان لبس المرقعات شعار المتصوفة، ولبس المرقعات سُنَّة، ومن هنا قال رسول الله ﷺ: «عليكم بلباس الصوف تجدون حلاوة الإيمان في قلوبكم» رواه الحاكم في المستدرك

فممّن أخذ عنه شيخنا وسيدنا الناظم أخذ عنه الطريقة وألبسه الخرقة، قبع آل باعلوي مراراً في وقت زيارته إلى بلده حريضة، ولقَّنه كلمة ﴿لا إله إلا الله﴾، وصافحهُ كما صافحوه ولقّنوه وألبسوه.

ذكر لي شيخنا عند أخي عند الإلباس والتلقين[1] والمصافحة، وقد أشرت إلى ذلك في التقاطي المسمى بـ «المسلك السوي من المشرع الروي» عند ذكري لمناقب شيخنا الناظم ومصنفاته ومشايخه.

وأخذ السيد عمر المذكور الطَّريقة واللِّباسَ عن الشيخ السيد الإمام الحسين بن

عن أبي أمامة ﷺ، [شرح الجامع الصغير 2/ 107]. ويقول أيضاً واحد من أصحابة ﷺ: كان النبي ﷺ يلبس الصوف، ويركب الحمار. ومن قول أبي موسى الأشعري ﷺ: «كان النبي ﷺ يلبس الصوف ويركب الحمار، ويأتي مدعاة الضعيف». وقال الرسول ﷺ أيضاً لعائشة رضي الله عنها: «لا تضعي الثوب حتى ترقعيه». ورد في تلبس إبليس: «لا تخلعي الثوب حتى ترقعيه». وقال: «عليكم بلباس الصوف لتدركوا حلاوة الإيمان». واعلم يا أخي أن لبس المرقعات كما أنه كان من شعار الفقراء والصوفية ﷺ، لكن عِلَّتَه دارت مع الحكم إباحة وتحريماً، فلما كان سبباً لهدم النفوس كان واجباً، ولما صار سبباً لجلب الفلوس والشهرة، صار حراماً حراماً حراماً، فانتبه لذلك، ولا تغتر بلباس بعض المتشبهين بالصوفية، وقلوبهم خالية من رائحة التصوف، فأساؤوا إلى سادتنا الصوفية وطريقتهم المرضية.

قال الإمام السيوطي: وقد استنبطت للخرقة أصلاً وهو ما أخرجه البيهقي في شعب الإيمان من طريق عطاء الخرساني أن رجلاً أتى ابن عمر رضي الله عنهما ـ فسأله عن إرخاء طرف العمامة فقال له عبد الله: إن رسول الله ﷺ بعث سريَّة وأمَّر عليها عبد الرحمن بن عوف ﷺ وعقد لواء، وعلى عبد الرحمن بن عوف عمامة من كرابيس مصبوغة بسواد فدعاه رسول الله ﷺ فحلَّ عمامته فعمَّمه بيده، وأفضَلَ من عمامته موضعَ أربعة أصابع أو نحوه، فقال: هكذا فاعتمَّ فهو أحسن وأجمل. فهذا واضح في كونه أصلاً للبس الخرقة من وجهين، الأول: أن الصوفية إنما يلبسون طاقية على رأس لا ثوباً عاماً لكل بدنه. الثاني: أنَّ حديث أم عطية في اللباس غطاء وقسمة وكسوة وهذا بالرأس تشريف وهو السبب للبس الخرقة. ووجه ثالث: أن لبس الخرقة نوع من المبايعة كما أشار له السهروردي، وأم خالد كانت صغيرة لا تصلح للمبايعة، بخلاف حديث عبد الرحمن بن عوف ﷺ، انتهى كلام السيوطي. قال المنذري وأخرجه البخاري. وانظر: **عون المعبود شرح سنن أبي داود للمباركفوري**: الجزء 11 ـ صفحة: 47.

(1) وثمرة التلقين الخاصة الذي هو تلقين السلوك بعد الدخول في سلسلة القوم ﷺ ونفعنا بمحبتهم ـ فصورته: أن الشيخ يتوجه إلى الله تعالى ويفرغ على المريد من قوله له: «قل: ﴿لا إله إلا الله﴾ جميع ما قسم له من علوم الشريعة المطهرة فلا يحتاج بعد هذا التلقين إلى مطالعة كتاب من كتب الشريعة حتى يموت، وقد كان الشيخ أبو القاسم الجنيد ﷺ يقول: لما لقنني شيخي السري رحمه الله تعالى ـ أفرغ فيَّ جميع ما كان عنده من علوم الشريعة، وكان يقول: ما نزل من السماء علم وجعل الحق تعالى للخلق إليه سبيلاً إلا وجعل لي فيه حظاً ونصيباً، وكان ﷺ يقول: يحتاج من يتصدَّر لأخذ العهود وتلقين الذكر وإرشاد المريدين أن يكون متبحراً في علم الشريعة لأن له في كل حركة ميزاناً شرعياً. انظر: **لواقح الأنوار القدسية في العهود والمواثيق المحمدية** لسيدي الإمام الشعراني ﷺ ـ صفحة: 41.

الشيخ أبي بكر بن سالم صاحب عينات، وأخذ تلقينَ الذِّكر عن السيّد عمر باركوة السمرقندي، وهو المقبور ببلد الغرفة.

وأخذ المصافحة عن السيد محمَّد الهادي بن عبد الرَّحمن بن شهاب الدين أحمد بن عبد الرَّحمن ابن الشيخ علي بن أبي بكر بسنده إلى جدّه الشيخ علي المذكور أبٌ عن أبٍ وبسند الشيخ علي المذكور في كتابه «البرقة» كسائر الأسانيد.

وممن أخذ عن السيد عمر العطاس السيد الجليل عيسى بن محمد بن أحمد الحبشي، والسيد الجليل أحمد بن هاشم بن أحمد الحبشي، والسيد الجليل حسين بن عمر العطاس، والشيخ الجليل علي بن عبد الله باراس صاحب الخريبة، والفقيه المنوَّر أحمد بن عبد الله ابن الشيخ عمر شراحيل صاحب «الغريب»، والفقيه المنوَّر عمر بن سالم باذيب الشبامي وغيرهم ممن لقيتهم، كسالم بن علي بن محمد باعباد.

وله ﵁ كرامات يحفظها أصحابه، وله سيرة سديدة وأحوال شريفة، وأنوار باهرة ظاهرة على المنتسبين إليه، والمتعلقين به.

كانت وفاته ﵁ قريباً من السبعين والألف من الهجرة، أدركت شيئاً من عُمره، انتهى ما قاله ذو الصفات العلية أحمد بن زين الحبشي في كتابه المشهور بـ «شرح العينية».

[سيدي الشريف الإمام محمد بن عَلَوي السَّقَّاف ﵁]

ثم قلت:

ومــن نزيــل مكّــة محمّــدي ... من شُهِر في الناس بالكفِّ الندي

المذكور هنا هو السيد الكبير، والعلم الشبامي الشهير، الخائض بالبحر العميق من بحور التحقيق، الجامع لمحاسن الأوصاف السيد الشريف **محمد بن عَلَوي السَّقَّاف**.

قال مَنْ بِكُلِّ علمٍ في الأنام فاشي، المدني أحمد بن محمد القَشَّاشي، في آخر «ديباجة الكلمة الوسطى بشرح حكم ابن عطا» ـ وكان من أجلِّ الكتب المدوَّنة في فنّ التوحيد على مشرب أهل الله وطريق سلوكه، والسبيل إلى الله وسيرها وموازينها

الفعلية والنقلية والعقلية عنهم، كما يذكر بإذن الله كتاب «الحكم العطائية» المنسوب لوليِّ الله الأكمل الشيخِ الإمام، الأوَّلِ المقدام تاجِ الدِّين أبي الفضل أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عطاءِ الخزامي الاسكندري المالِكي الشاذلي[1]، المتوفّى بالقاهرة سنة تسع وسبعمائة.

وكنت أرجو من الله أن يتيسَّر لي عليه تحشيةً تشبه الحَلَّ لبعض مفاده، وكالرملي في بعض مهامهه لتذليل قياده، رغبةً إلى الله في عَوْن الطَّالبين، والتماساً لبركة دعوة راغب من الرَّاغبين النَّاصبين، الفارغين لمولاهم منهم في كلِّ نَفَس وحين، وكنت أُقدّم رجلاً وأُؤخر أخرى، والمقام الجليلُ بذلك أحرى، لصعوبة المقام لأنه ذو الآية الكبرى، ولكثرة الشَّواغب، وقِلَّةِ المعينِ الرَّاغب.

وكان والدي سيدي محمد بن عبد النبيّ المدني ـ تغمَّده الله برحمته ورضوانه ـ جعل عليه شرحاً ضخماً، فأردت اختصاره، وقصدت انتشاره إحياءً لذكره الكريم، وإبقاءً لوجهه الرحيم، بنية: ﴿رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا﴾، [الإسراء: 24]. وآية: ﴿أَنِ ٱشۡكُرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيۡكَ إِلَيَّ ٱلۡمَصِيرُ﴾، [لقمان: 14]. كما ورد في الذِّكر الحكيم.

فلما ورد إلى الحرم المحرّم الحرام النبويّ، والجناب السَّامي العَلِيّ الذِّكْرِ والمقام المصطفوي، صفوةُ السادة الأجلاّء، ونخبة القادة الكُمَلاء الأدِلاّء، الجمال الأجلى، والمورد العذب الأحلى، العالم الرباني السَّيِّد السَّنَد محمد بن علوي بن محمد بن أبي بكر السَّقَّاف ـ متّع الله بطول حياته ـ في سنة سبع وأربعين وألف، وقع الاجتماع به بالمدينة المشرفة على ذكر الله، وجرى الذكر إلى مثل ذلك أشار بجعل التحشية على الكتاب الموسوم تكون بإذن الله مبتكرة مخصوصة بالذكر، كما في تلاوة:

(1) سيدي العارف بالله تعالى الإمام الولي الصالح تاج الدين أبي الفضل: أحمد بن محمد بن عبد الكريم، المعروف: بابن عطاء الله السكندري، الشاذلي، المالكي. المتوفى: بالقاهرة سنة 709، تسع وسبعمائة من الهجرة. وحكمه النورانية التي فاقت كل حِكَم نطقها بشر ما عدا الأنبياء وآل بيت الحبيب ﷺ وصحابته الغرر ﷺ ـ التي قال عنها سيدي الولي الإمام البناني الكبير قال عنها لو صحت الصلاة بغير القرآن لصحت بحكم ابن عطاء ، لما فيها من إشراقات وأنوار قل نظيرها، وأولها: «من علامة الاعتماد على العمل نقصان الرجاء عند وجود الزلل... الخ». وهي حكم منثورة على لسان أهل الطريقة، ولما صنفها ﷺ عرضها على شيخه أبي العباس المرسي ﷺ فتأمَّلَها، وقال له: **لقد أتيت يا بني في هذه الكراسة بمقاصد الإحياء وزيادة**، ولذلك تعشقها أرباب الذوق لما رق لهم من معانيها وراق، وبسطوا القول فيها، وشرحوها كثيراً.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تَذۡبَحُواْ بَقَرَةٗۖ﴾، [البقرة: 67]. فرأيت إشارته جليلة، وطاعة أمر من تولاه الله فضيلة، بإشارة ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ﴾، [الأنعام: 90]. وبدا لي سرّ ذلك من كون التحشية في الاختصار تحتاج إلى متابعة غرض الكتاب، وربما منعت من متابعة بعض العطايا والمنح الربانية في البيان من حضرة الفتَّاح الوهَّاب لموجب ما يحكم به النَّسَق السَّابق، وإن كان لكلِّ حق حقيقة في جميع الحقائق، فشرح الله الصَّدر لذلك، وأرجو عند ذلك القبول وتيسير الأمور إنه هو الجوّاد الكريم، المفضل بالنَّوال الجسيم لكلِّ عديم، وأن ينفع به وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم الحيّ القيوم العليم، آمين. انتهى ما أردت نقله من «الدِّيباجة»؛ لأنَّ فيه لمن يفقهه عظيمَ حاجة.

وقد توسَّل العلاَّمة المذكور بالسيد المشار إليه بهذا المزبور[1] إلى النبيّ ﷺ في قصيدة طويلة عظيمة في معانيها، رائقة جليلة؛ مطلعها: [شعر] ـ

إلى طيبة قد طاب للعيس مسراها ... فقد أنجدت من جدّة نحو يُسْراها

حتى قال: ـ

رعـــى الله قبراً ضمَّ أعظمَ مرســلٍ ... وروضته الغنّاء ومــا حول مغناها

فيا صاحب الجاه العريض عُبَيدُكم ... أتاكم بــكلِّ الذنب يســتغفر اللهَ

ســمّي لكم ضيفٌ وجــارٌ وخادمٌ ... محبٌّ، فمن لــي أن أحقق دعواها

ولــي صلة منكــم إليكم بشــافع ... أُباهي بــه في حُبِّكــم كلَّ من باها

هو التابــع المتبــوع أحمد وارث ... هو الواهب الموهوب سرّ خباياها

هو الداعي المســموع خير خليفة ... هو الشافع المقبول كاشف بلواها

هو القــدوة الهادي بنور اســتقامة ... وحامي حماها بل وساقي حُمَيَّاها

عَنَيْتُ به شــيخي الجمالَ محمّداً ... أبا علــوي قطب الولاية مرســاها

(1) أي: المذكور.

رضيــت بــه شــيخاً إمامــاً مربّياً   وباللــه ربًّــا وحــده أحمــد الله
وبالمصطفى الهادي الشفيع محمَّد   نبي رســول خاتم الرســل أعلاها
عليــه صــلاة اللــه ثــم ســلامُه   وأزكــى تحيــات دوامــاً وأنماها
وآلٍ وصَحْــبٍ مــا ترنّــم منشــدٌ   إلى طيبة قد طاب للعيس مســراها

وفي أخرى مثلها مطلعها: [شعر]ـ

قف بالجِمال فذا الجَمَال لنا بدا   يا سَعْدُ واحطط بي وكن لي مسعدا

وهي طويلة، إلى أن قال: [شعر]ـ

يا رحمــة اللــه التي قــد أفرغت   فيضاً على معنــى الوجود فأوْجَدا
إنــي قصدتــك راجياً ووســيلتي   شيخي وأســتاذي الإمام المقتدى
إكســير أهل الصِّدق مغناطيســهم   يعســوبهم[1] من بالجمــال تفرّدا
حامي حمى سوح الشريعة ظاهراً   ســاقي حميا الورد أعــذب موردا
قطــب أهل الكمــال أكمــل داعٍ   مرشــدي منجــدي مــن كل دا
أعنــي أبــا علــوي العلــيَّ مقامُه   الراســخ القــدم التقــيّ محمّــدا
فبحبِّـــه وبمجـــده وبجَـــدّه   جــدّ إلهــي بالصلاح مــع الهُدى
وامنــن علــيّ بتوبــة مقبولــة   وانظــر إلــيّ بنظرة تجلــي الصّدا
ولوالــدي فكــن لهــم ولعترتي   ولمــن أحــبَّ ومــن إليَّ تــودَّدا
ولمنشــدٍ ولســامعٍ ولمؤمــنٍ   والمســلمين وكن معيناً مرشــدا

(1) في الحديث الشريف عن أبي أُمامة ﵁، عن النبيّ ﷺ قال: «إن أحدَكُمْ إذَا أرَاد أن يَخْرُجَ مِنَ المَسْجِدِ تَدَاعَتْ جُنُودِ إبلِيسَ، وَأجْلَبَتْ واجْتَمَعَتْ كما تَجْتَمعُ النَّحْلُ على يَعْسُوبها، فإذَا قامَ أحَدُكُمْ على بابِ المَسْجِدِ فَلْيَقُلِ: اللَّهُمَّ إني أعُوذُ بِكَ مِنْ إبْليسَ وجُنُودِهِ، فإنَّهُ إذَا قَالَهَا لَمْ يَضُرَّهُ». اليعسوب: ذكر النحل، وقيل أميرها. رواه ابن السني في عمل اليوم والليلة . انظر: زيادة الجامع الصغير، والدرر المنتثرة، للإمام السيوطي ـ كتاب «زيادة الجامع الصغير»، للسيوطي: حرف الهمزة ـ الحديث رقم: 1095. وكنْز العمال للمتقي الهندي ـ المجلد السابع. «الآداب» ـ الحديث رقم:20786.

وما ذكرت هذا الكلام في هذا المقام إلا لكون شهادة الإمام مقبولة في حقِّ الإمام، والفضل ما شهد به أهل الفضل، فيستحبّ لمثل هذه الشهادة النقل.

وقد ترجم لمولانا المبرور العلاَّمة الشّلِّي المشهور بكتابه: «**المشرع الرّوي في مناقب السادة بني علوي**»، فقال: ـ

محمدُ بن علوي بن محمد بن أبي بكر بن علوي بن أحمد بن أبي بكر ابن الشيخ عبد الرَّحمن السقاف رضي الله عنه، نزيل الحرمين الشريفين، وإمام المشرِقَين والمغرِبَين، المتفرِّعُ من دَوحةِ السيادة، المترَعْرِعُ في روضة السعادة، المرتقي بهمّته إلى أشرف مقام، علم العلماء الأعلام، عينُ الأعيان، ونادرةُ الزمان، المشار إليه بالبنان، دُرّة العقد الفريد، وغُرَّة أطلعها الشرف في وجهه كما يريد، سطع نور فضله فأشرق، وأغصّ الحساد بزلاله وأشرق.

وُلد رضي الله عنه ببندر الشحر المحروس، ونشأ بسَوحه المأنوس.

وكان مولده سنة اثنتين وألف، [1002 هجرية]. وحفظ القرآن، ولازم قراءته في كثرة الأزمان، وصحب العلماء الأعيان، **فأول** من صحبه الإمام العارف بالله تعالى ناصر بن أحمد ابن الشيخ أبي بكر بن سالم رضي الله عنه، وتربّى في حِجره، ولاحظه في جميع أمره، وأخذ التَّصَوُّف والفقه من الفقيه السيد عمر باعمر، ثم رحل إلى مدينة الأشراف تريم المحفوفة بالألطاف، وأخذ عن شمس الشموس زين العابدين علي بن عبد الله العيْدروس، وعن السيد الجليل عبد الرَّحمن بن عقيل، وعن السيد الكبير أحمد بن حسين العيدروس، والعارف بالله عبد الله بن أحمد العيدروس، والعارف بالله تعالى زين بن حسين بافضل وغيرهم رضي الله عنهم.

وأمره شيخه السيد عبد الرَّحمن بن عقيل بالخلوة في زاوية مسجد الشيخ علي أربعين يوماً، ففعل، وحصل له الفتح الأنفس، والشرف الأقعس، وظهرت له أمور كالصبح إذا تنفَّس. ثم رحل إلى قرية السَّادات المشهورة بـ«عينات»، فأخذ عن إمامها المقدّم على أقرانه، وقدوة أهل زمانه الشيخ الحسين بن أبي بكر بن سالم رضي الله عنه، وعن إخوانه: الحامد والحسن وغيرهم من السادة الكبار.

وأخذ عن الشيخ العارف بالله الأديب الإمام حسن بن أحمد باشعيب الأنصاري.

ورحل إلى الهند وأخذ عن السيدين الجليلين الشيخ عبد القادر بن شيخ عبد الله، والشيخ محمد بن عبد الله العيدروسيَّيْن، وأمره الشيخ عبد القادر بالرحلة إلى الشيخ الولي السيد عبد الله بن علي، فرحل إليه وهو بالقرية الشهيرة بـ «الوسط»، ولازم صحبته وألبسه الخرقة الشريفة، وحكَّمه، وأمره بالحج سنة تسعة عشر والف، فحجَّ حَجَّة الإسلام، وزار جدّه عليه السَّلام، ثم عاد إلى شيخه وقد أحرز من الفضل النصيبَ الأوفر، وتمسّك بما أخجل نشره المسك الأذفر، فأقبل عليه بوجهه الكريم، واختبره بامتحان عظيم، وعركه عرك الأديم حتى تحلّى بأدبٍ تثنى عليه الخناصر، وفضلٍ تبنى عليه العناصر، وكمالٍ ظاهر باهر، وزوَّجه بابنته، وأسكنه في باطن مهجته.

ثم انتقل شيخه سنة تسع وثلاثين وألف، فحجَّ عن شيخه حَجَّة الإسلام، وزار طَيْبَة ـ على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ـ، فورد من منهل أصله العذب المَعين، وفتح عليه من المدد النبوي الفتح المبين.

ثم رجع إلى «رهط» اليمن، وأراد أن يجعلها محلاً للوطن، فلم تطب له الإقامة بها لتغيّر أمورها، وظُلْمِ أميرها على مأمورها، وأنشد لسان حال معمورها: [شعر] ـ

أمــا الخيــام فإنهــا كخيامهــم وأرى نســاء الحــيّ غير نســائها

فانثنى إلى وطنه بـ «بندر الشحر» المعمور، وكان إذ ذاك بالفضل مغمور.

[أخلاقه رضي الله عنه]: وكان رحمه الله تعالى في غاية الخمول المبين، ويخفي حاله حتى لا يكاد يبين، فما مضى عليه زمنٌ قريب إلا حصل له ظهورٌ عجيب، ظهرت منه خوارق البرهان، واشتهر في جميع تلك البلدان، وقصده الناس من كل مكان.

ثم قصد قُطْرَ «الحجاز» ونصب فيه خيامه، وعزم فيه على التوطّن والإقامة، واعتقده أهلُه فوضعوه في المفارق تاجاً، وأطلعوه في أفقهم سراجاً وهّاجاً، وانعقد على ولايته الإجماع، وتفرّد بالكمال فبهر النواظر والأسماع، واصطفيت له الحدائق الزاهية، وشُيِّدت له القصور العالية، فكان ملجأً للوافدين وعَلَماً ظاهراً للقاصدين، ومَن قصده قالَ في ظلٍّ وَرِيف، ومن لجأ إليه ظلَّ من ثمرات فضله في خريف، وهو أحد مشايخي في عِلم الشَّريعة والطَّريقة، ومن أجلِّ مشايخي في علم الحقيقة، وتفيّأتُ في ظلّه الوريف بين خصب وريف.

وأخذ عنه الطَّريقة ولبس منه الخرقة الأنيقة كثيرون لا يحصرهم عدّ، ولا يضبطهم حدّ. وكانت حضرتُه معدنَ المعارف والعلوم، ونزهةً تُزيل همّ كلِّ مهموم.

وأما كرَمُه فعباب لا تكدّره الدِّلا، وسحاب تتقاصر عنه الأنوا.

ومن كراماته الظَّاهرة العظيمة استقامتُه على الطَّريقة المستقيمة، فقد قيل: الاستقامة أوفى كرامة، يواظبُ على الجمعة والجماعة، ولا تمضي عليه ساعة إلا وهو مشتغلٌ بطاعة.

ومنها: أنَّ الدُّنيا لا تُذكر في حضرته الجسيمة، ولا الغِيبة ولا النَّميمة، كما شاهَده العيان وشهد به الأعيان.

ومنها: أنَّ من رآه ذكر الله، ومَن شاهده ذُهِل عن آخرته ودنياه، وعمل بما يرضاهُ ربّه ومولاه.

ومنها: أنه ما دَعَى لأحد من أصحابه إلا استُجيب دعاؤه، وحصل للمدعوِّ له ما تمنَّاه.

ومنها: إني عند أول الملاقاة له خطر بالبال والفكر أن يلقِّنني الذِّكر، فما استتمّ خاطري إلا وقد نظر إليّ وأقبل بوجهه عليّ، ولقَّنني الذِّكر الذي خطر في نفسي الذي أرجو نفعه في حلول رمسي.

وله كراماتٌ خوارقُ للعادات، لكنه لا يُظهرها إلا عند الضَّرورات، أو عند المهمِّ من الحاجات، وهي كثيرة، وعند أصحابه شهيرة، وإنما لم أذكرها لأنه كان لا يحبّ نشرها، ولم يزل ينتقل من حرم إلى حرم، وقد حلَّ في رأس الكمال الذي لا يداس بقدم، إلى أن دُعي بأجاب، وكأنَّه الغمام أترع البلاد فانجاب، فتوفي بمكة المشرّفة بعد صلاة الجمعة لأربع عشرة خلت من ربيع ثاني سنة إحدى وسبعين وألف، [1071 هجرية].

وحضر جنازته سلطان مكة فمَن دونه، **ودُفن** بشروق يوم السبت بمقبرة المعلاة، وعُمل على قبره تابوتٌ عظيمٌ، وهو بقرب مشهد أُم المؤمنين خديجة الكبرى رضي الله عنهما ونوَّر ضريحهما، انتهى ما بـ«المشرع الروي».

[سؤالٌ وجواب]

وقد أحببت أن أُلْحِق بترجمة هذا الإمام الأوَّاب سؤالاً وجواباً لمن هما للدِّين جمالٌ وشهابٌ يحسن إيرادهما، ولا يكره عند مَن له ذَوقٌ وفِطنةٌ وفكره.

والسؤال والجواب في قوله عليه الصلاة والسلام: «من استكمل ورعه حُرِم رؤيتي في المنام»، وذلك لما فيه من الإيهام لدى الخاصّ والعامّ.

قال الشهاب الوفيُّ الصَّفِيُّ السّني أحمد بن محمد القشَّاشي المدني:

بسم الله الرحمن الرحيم
وصلّى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه سادات أهل العلم والتعليم، وعلى سائر النبيّين والمرسلين وآلهم وصحبهم وسلِّم تسليماً

يا حكيم يا عليم

الحمد لله مُفَاتِح عبده بما لا سبيل له إلى ذلك إلا منه، ومراسِلِه بألسنة علومه الذَّاتية له في قلبه فيعجز الإفصاح عن بيان تَنَزُّل ذلك الكنه، ومعامِلِه في حضرته بالأمر والنهي، الذي لا يتحقَّق صدوره في كل حال إلا عنه، حتى صار العبد مع القرب حين الغفلة، يرى القريب بعيداً بإذن الله والحال أنه أقرب إليه منه.

وأشهد أن لا إله إلا الله شهادة لا يتحصّل تأديتها إلا بالله لله وعنه.

وأشهد أن محمَّداً عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون كما أراد الله منهم الكره.

وصلى الله وسلّم بكماله الأتمّ على مهبط نواله ومفاض رحمته في العالمين صلاة هي له منه، وبعد:

فهذه تحشية بحسب ما يسّر الله لعبده وأذن له فيه على مشرب أهل الذوق من أهل الله تعالى عن ملتمس أمين الأسرار الربانية ومخدع كمين النفحات الإنسانية الامتنانية، النسل النبوي السيد الأكمل محمَّد بن علوي مسَّه الله بكماله وإفضاله على ما أخرجه الديلمي رحمه الله في «مسند الفردوس» له عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ، قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنِ استكمل ورعه حُرِم رؤيتي في المنام» الحديث، فمما أظهره الله لعبده في بيان ذلك أنه على جهات ثلاثة من جهة الإعراب، **الأولى**: أن يكون ضمير مَن فاعل «ورعَه» بفتح العين. **الثانية**: أن يكون: «ورعُه» بضم العين فاعل استكمل. **الثالثة**: أن يكون بصيغة البناء للمفعول المجهول: من استُكمل ورعُه.

فالوجه الأول: أن يكون نسبة الاستكمال في هذه الحالة إلى العبد بإذن الله تعالى.

والوجه الثاني: أن يكون نسبة الاستكمال إلى نفس الورع لأنه هو المستدعي للمستكمل إلى الاستكمال، فنسب الاستكمال إلى نفس الورع لأنه هو السبب فيه بإذن الله تعالى.

والوجه الثالث: أن يكون نسبة الاستكمال إلى المجهول، وهذه هي جهات التقسيم في سائر الأحوال والأفعال الدنيوية والأُخروية إما أن تكون منسوبة إلى العبد، وإما أن تكون منسوبة إلى الفعل كالثاني، وإما أن تكون منسوبة إلى المجهول.

وهذه الأوجه ـ وإن كانت منسوبة إلى سبب ـ فذلك السبب أيضاً راجع إلى الله، لكنه بعد ثبوت نسبته إلى الغير؛ لقوله: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾، [الأنفال: 17]، فنفى عنه الرمي بعد نسبته إليه، وقرَّر الفاعل الحقيقي الذي رتّب الرمي وجميع الأسباب كما أراد للمراد، فجميع التكاليف على هذا المقدار جارية، وبه ثابتة ومنفية، وهذا الوجه الثالث يحتمل وجهاً آخر، وهو ليس بخارج عنه، وهو أنه قد يكون الله الذي استكمل للعبد ورعه بلا واسطة سبب، فيرتقي عن الأسباب قاطبة إلى الله جلّ ذكره، فيكون جهة الأكوان ثلاثة والرابعة المنسوبة إلى الله، وقد تكون

بواسطة جعلها الله كما سبق من نفسه أو ورعه أو خارجة عنهما، فهو وجهٌ رابع في الثالث وإن كان راجعاً إليه؛ لكون الحق تولاّه به مِن غير شائبة نسبة ما إليه أو إلى غيره، وإن نسب إلى الحق لأنه منه ومردّه إلى الله في الكل، فكونه على الوجه الأول منسوب الاستكمال إلى العبد وجهه أن العبد مستخلف الله على نفسه، والعالم ولا بدّ فليستخلف إن يمكن مما يحتاجه لإيقاع ما استخلف عليه من جميع ما يحتاجه في نفسه وغيره حتى يتصرف فيما استُخلف عليه التصرف من استخلفه، فيكون في جميع أمره على صورة مستخلفه، ولا فرق بينهما في الأمر إلا بالتوفيق على الإذن فقط.

ومن شواهده قوله ﷺ لسعد بن معاذ ﵁، حين حكَّمه في بني قريظة، فقال سعد بن معاذ ﵁: فإني أحكم فيهم أن تقتل الرجال وتقسم الأموال وتسبى الذراري والنساء، فقال رسول الله ﷺ: «لقد حكمت بحكم الله من فوق سبع أرقعة». **وفي الرواية الأخرى:** «من فوق سبع سموات»، فهكذا هو الأمر عند كلَّ حاكم مأذون له في نفسه أو غيره، وإلا فلا نسبة للآمر إليه في ذلك أبداً لتوالي الحقّ ذلك عنه منه، فلا شكّ أن الله مكَّنه من ذلك الاستكمال كما طلبه منه، وأذن له في التصرف، وآتاهُ ما يحتاج في أمر خلافته عليه وعلى غيره وتصريفه بموجب سرّ الاستخلاف له فيما استخلفه الله عليه، وفوَّض إليه أمره وواجبه في الأمر المستخلَف عليه الفعل والترك، فإنْ فَعَل ما ينبغي أن يُفعَل، وترك ما ينبغي أن يُترك على حدِّ وسعه اللائق به تقصّياً واستطراداً ولو بحكم الغالب؛ استُكمل ورعه، لكون الغالب في حكم الكلّ يبيّنه قوله ﷺ: «سدِّدوا وقاربوا»، وقوله ﷺ أيضاً: «سدِّدوا وقاربوا وأبشروا، واعلموا أنه لن يدخل أحدكم الجنة بعمله ولا أنا إلاّ أن يتغمَّدني الله بمغفرة ورحمة»[1].

(1) عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها وعن أبيها ـ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «سَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا فَإِنَّهُ لا يُدْخِلُ أَحَدًا الْجَنَّةَ عَمَلُهُ، قَالُوا: وَلا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟. قَالَ: وَلا أَنَا إِلا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ بِمَغْفِرَةٍ وَرَحْمَةٍ». **صحيح البخاري**: الجزء الرابع 84 كتاب الرقاق 18 باب: القصد والمداومة على العمل ـ الحديث رقم: 6102. **وصحيح مسلم**: الجزء الرابع. كتاب صفة القيامة والجنة والنار 17 باب لن يدخل أحد الجنة بعمله، بل برحمة الله تعالى ـ الحديث رقم: 78 ـ (2818). **قال المناوي في الفيض**: «سدِّدوا» أي: اقصدوا السداد أي: الصواب، أو: بالغوا في التصويب، من: سدَّد الرجل إذا صار ذا سداد، وسدّ في رميته إذا بالغ في تصويبها وإصابتها «وقاربوا» أي: لا تغلوا، والمقاربة: القصد في الأمور التي لا غلوّ فيها ولا تقصير. «وأبشروا» بالثواب الجزيل. «واعلموا أنه لن يدخِل أحدكم الجنة عملُه» بل فضل اللّه ورحمته. قال القاضي ﵁: أراد بيان أنّ النجاة من العذاب والفوز بالثواب بفضل اللّه ورحمته، والعمل غير مؤثّر فيهما على سبيل الإيجاب

أخرجه الإمام أحمد والبخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها وعن أبيها ـ، قال: «قاربوا» ولم يقل: احصوا واستوفوا وانتهوا في الأمر إلى حدِّه لعدم إمكان ذلك إلا ما شاء الله، فبهذا صار ما قاربَ الشيء أعطي حكمه غالباً.

وبهذه القاعدة الأغلبية قضى أبو حنيفة ﷺ بالحكم للغالب، وقال: للغالب حكم الكل في الطهارة والأعمال، فإذا كان ربع الثوب السَّاتر لعورته نجساً صحَّت صلاته معه؛ لأنَّ الغالب هاهنا الطهارة لا النجاسة، وإذا طاف أربعة أشواطٍ من طواف الصَّدر أجزأه وصح حجّه للغالب، وجبر المغلوب الذي هو الأقل بدم فالأكثر عنده هو الركن والأقل واجب، فيجبره إذا تركه بالدَّم، وصحَّ حجّه وتمّ، ولو كان عنده مكشوفاً مما يجب ستره للصلاة أقلُّ من مقدار الربع ـ في قولٍ الربع ـ، فهو في حكم القليل، فتصحُّ صلاتُه معه، و الله أعلم.

فهذا من تحكيم الغالب الذي هو الأكثر، وإن كان مغلوباً في بعض الصُّوَر، فذلك نادر، والنادر في حكم العدم، والحُكْم للغالب؛ فلأجل ذلك لا حكم له، فإذا استوفى العبد ما في وسعه بحسب توفيق الله له أمراً ونهياً على أيّ الوجهين كان من الوفاءِ والمقاربة بحسب وسعه، وما قدّره الله له؛ استُكمل ورعه ونُسِب ذلك الاستكمال إليه في المتابعة له، وهو محمود الله في ذلك ومشكوره به، فهوَ في ذلك الاستكمال متابع للنبيّ ﷺ، ظاهراً وباطناً لعدم ثبوت أمر ما من أموره إلا بمتابعته **لقوله** ﷺ: «من

والاقتضاء، بل غايته أنه يعد العامل لأن يتفضل عليه ويقرب إليه الرحمة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ وليس المرادُ توهينَ العمل ونفيَه بل توقيف العباد على أن العمل إنما يتم بفضل اللّه وبرحمته لئلا يتَّكلوا على أعمالهم اغتراراً بها، ولا يعارضه ﴿ٱدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ لأنَّ الحديث في الدخول، والآية في حصول المنازل فيها. وقال الكرماني: الباء في بما كنتم ليست سببية بل للملابسة أي: أورثتموها ملابسة لأعمالكم أي: لثواب أعمالكم أو للمقابلة، نحو أعطيته الشاة بدرهم أو المراد جنة خاصة بتلك الخاصية الرفيعة العالية بسبب الأعمال وأما أصل الدخول فبالرحمة لا بالعمل قال: وجواب النووي بأن دخول الجنة بسبب العمل والعمل بالرحمة فيرد بأن المقدمة الأولى خلاف صريح الحديث فلا يلتفت إليها. قوله ﷺ: «ولا أنا» عدل عن مقتضى الظاهر وهو ولا إياي انتقالاً عن الجملة الفعلية إلى الجملة الاسمية فتقديره: ولا أنت ممن ينجيه عمله استبعاداً عن هذه النسبة إليه. قوله ﷺ: «إلا أن يتغمدني اللّه بمغفرته ورحمته»: أي ليسترني، مأخوذٌ من: غمد السيف في غمده ويجعل رحمته محيطة بي إحاطة الغلاف بما يحفظ فيه ذكره القاضي.

أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه، فهو رَدّ»[1]. **وفي الرواية الأخرى**: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا، فهو رَدّ»[2]؛ أي: عدم، إذ ما ثَمَّ شيء لا يكون عليه أمره حتى المردود فبأمره رَدّ، فالكل عليه أمره، فهو لا يقبل أمراً ما إلا من النبيّ ﷺ، ولا يعطيه إلا بالنبيّ ﷺ، ولا يتناوله إلا بيد الرسول الأكرم ﷺ، وإن تناول بيده أو ناول ولا يمشي إلا بقدم الرسول ﷺ، وإن كانت قدمه ولا يبصر إلا بعينه، وإن كانت عينه، ولا يسمع إلا بسمعه كذلك، ولا يعي إلا بقلبه ولبّه، **فصار بجملته في جملته**، فإذا أتى على ذلك بقدر وسعه بحيث لا يبقى له نقص عن طلب الاستكمال دائماً بقدره؛ حُرِم الرؤية المنامية، لأنَّ الاستكمال استفعال، فهو يبالغ في أشد الأمر وغايته إلى حدّه بقدر وسعه منه، لا بقدر الرسول ولا بقدر الورع، كما لا يأكل الأكل إلا بقدر ما قُدِّر له أكلُه، لا بقدر الطَّعام، ويلبس ويشرب ويسمع ويُبصر ويعمل كذلك، **فجملة هذا الشَّخص في حجاب جملة النبيّ ﷺ، فصار بكلّه رؤيةً له**، فرائيه رائيه، وإن كان لا يدريه، ومِن هنا يُعلم أنه ﷺ أصلُ الكلِّ وواسطتُه ومنتهاه إذا استُكمل، وهو الحقُّ المبين للأشياء، وأنَّ الكلَّ مشهودٌ فيه بقدره لا بقدره، على حسب مراتبه كشهود الأشخاص الحسِّيَّة والمعنويَّة في الماء شهودَ كثرةٍ معقولةٍ محسوسةٍ في وحدة محسوسةٍ أيضاً بإعراب ضمير: «كان خلقه القرآن» ﷺ[3]، في كلِّ شأن، آمين.

فالأشخاص كانت في الماء معاني أولاً، وهو الظاهر وهي باطنة فيه، ثم عاد الماء باطناً فيها وهي ظاهرة به عنه، فلم يفارقها الماء أبداً، ولم تفارقه سرمداً، وهكذا المآل إلى ما قبله تحليلاً وتركيباً، فتذكر النُّزول والعود تذكر المبدأ والمعاد، كما رسم

---

(1) أخرج الشيخان ـ واللفظ للبخاري ـ عَنْ أم المؤمنين السيدة عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ فَهُوَ رَدٌّ». **صحيح البخاري**: الجزء الثاني 57 كتاب الصلح 5 باب: إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود ـ الحديث رقم: 2550. **وصحيح مسلم**: الجزء الثالث 30 كتاب الأقضية 8 باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور ـ الحديث رقم: 17 ـ (1718).

(2) قوله ﷺ: «من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد». أخرجه الإمام أحمد في مسنده، ومسلم في صحيحه عن عائشة رضي الله تعالى عنها وعن أبيها. الجامع الصغير ـ الحديث رقم: 8868.

(3) أخرج البخاري في الأدب المفرد، والنسائي، وابن المنذر، والحاكم في المستدرك ـ وصححه ـ، وابن مردويه، والبيهقي في الدلائل، عن يزيد بن بابنوس قال: قلنا لعائشة ـ رضي الله تعالى عنها وعن أبيها ـ: كيف كان خلق رسول الله ﷺ؟ قالت: «كان خلقه القرآن». ثم قالت: تقرأ سورة المؤمنون ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾. فقرأ حتى بلغ العشر فقالت: «هكذا كان خلق رسول الله ﷺ».

الله لك معراجاً في ذاتك ترقى به إليك وإلى كلِّ شيء، وتحلّ به مشكلاتك وتشفي معضلاتك، فصار هذا المستكمل لورعه بإذن الله له في متابعته، ونقل قدمه على قدمه ﷺ، لا يفارقه شهوده وبوجوده في كل حال، وأمر لكونه به كان في كل الأكوان، متقدّماً كان أو متأخراً في سائر الأزمان، فيكون علامة ورعه واستكماله إياه حرمان رؤيته ﷺ في المنام، فالحرمان يؤيّده ويشهد له بِصِحَّة حاله ووجدانه للاستكمال، وعرف هذا الشأن الاستكمالي النبيّ ﷺ بالحرمان، لئلا يقدم عليه إلا أهله؛ لأنه إذا ذكر ذلك الأجنبي هاله ذكره، وإذا ذكره الوليّ له وزن به حاله، وقرَّت به عينه، كما ذكر ذلك الشيخ الإمام أحمد بن حجر في جوابه ـ كما يأتي ـ واستشكله ثم حلَّه، فهو ﷺ مبيّن للناس ما نُزِّل إليهم من ربِّهم، فهو القرآن المبين، الموصل إلى كلِّ ذي قسط قِسْطَه، عطاءً ومنعاً، وصِلَةً وحرماناً؛ لأنه خُلُقه القرآن، فهو معطٍ كل أحد ما له على تفاصيل العطاء والمنع قليلاً وكثيراً، فهذا الحرمان عطاءٌ لتحقيق المقام، وبيانٌ له كقتل الغلام وخرق السفينة دليل مقامه، فيكون علامةَ استكماله للورع ذلك الحرمان، فهو عطاء إلهي باستكمال ورعه، الذي هو رأس دينه، الذي هو معاملته مع مولاه، الذي هو موجب للرؤية الدائمة، وحرمان الرؤية المنامية، والله أعلم.

فهو ﷺ مخاطبٌ لكلِّ أحد على قدر حاله دائماً أبداً في الحضور والغيبة، فِعلاً وتركاً، بالعطاء والحرمان، ومكلَّف بذلك كما مرّ، وقد نهى ﷺ بعض الأصحاب رضوان الله عليهم أن لا يسأل أحدٌ منهم الناس شيئاً، منهم سيدنا أبو بكر الصديق ﷺ، حتى كان يسقط من يده خطام دابته ـ وهو راكب ـ أو سوطه، فينْزل ويأخذه بنفسه، ولا يستأمر أحداً أن يرفعه إليه[1]، فهذا كلُّه من باب طلب الاستكمال المذكور لورعه اللائق به، فحرمانه من السؤال وأمثاله كما في ورعه واستكمال له، وهو دليلٌ عليه،

---

(1) روى مسلم وغيره ـ واللفظ لمسلم ـ عن عَوْف بْنِ مَالِكٍ الأَشْجَعِيّ ﷺ. قَالَ: كُنّا عِنْدَ رَسُولِ اللّهِ ﷺ. تِسْعَةً أَوْ ثَمَانِيَةً أَوْ سَبْعَةً. فَقَالَ: «أَلا تُبَايِعُونَ رَسُولَ اللّهِ ﷺ؟» وَكُنّا حَدِيثَ عَهْدٍ بِبَيْعَة. فَقُلْنَا: قَدْ بَايَعْنَاكَ يَا رَسُولَ اللّهِ ثُمّ قَالَ: «أَلاَ تُبَايِعُونَ رَسُولَ اللّهِ؟» فَقُلْنَا: قَدْ بَايَعْنَاكَ يَا رَسُولَ اللّهِ ثُمّ قَالَ: «أَلاَ تُبَايِعُونَ رَسُولَ اللّهِ؟» قَالَ: فَبَسَطْنَا أَيْدِيَنَا وَقُلْنَا: قَدْ بَايَعْنَاكَ يَا رَسُولَ اللّهِ فَعَلاَمَ نُبَايِعُكَ؟ قَالَ: «عَلَىَ أَنْ تَعْبُدُوا اللّهَ وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً. وَالصّلَوَاتِ الْخَمْسِ. وَتُطِيعُوا (وَأَسَرّ كَلِمَةً خَفِيّةً) وَلاَ تَسْأَلُوا النّاسَ شَيْئاً» فَلَقَدْ رَأَيْتُ بَعْضَ أُولَئِكَ النّفَرِ يَسْقُطُ سَوْطُ أَحَدِهِمْ. فَمَا يَسْأَلُ أَحَداً يُنَاوِلُهُ إِيّاهُ. **صحيح مسلم**: الجزء الثاني 12 كتاب الزكاة 35 باب كراهة المسألة للناس ـ الحديث رقم: 108 ـ (1043).

فكذلك الرؤية، فصار بذاته قائماً حيث أقامه مُقامه، فهو ظاهر فيه بظهوره له.

ومن هذا الشأن لم يسمع لكثير من الصحابة رضوان الله عليهم ذكر رؤيته في المنام للتَّملِّي برؤيته ﷺ؛ ظاهراً وباطناً خَلْقاً وخُلُقاً.

ومن ذلك ما وقع للصَّحابي يوم أُحد؛ إذ أرسل رسول الله ﷺ شخصاً من الصَّحابة ينادي في القتلى باسم شخص من الصَّحابة، فأجابه حين سمع صوته بصوت خافي، وهو يجود بروحه، فقال له: أقرىء رسول الله مني السلام، وقل له جزاك الله عنا ما هو أهله، وقل لأصحاب رسول الله: ما لكم عذر عند الله وعند رسوله أن يخلُص العدوّ إلى رسول الله وباقٍ منكم أحد، ثم فارق الدنيا رضي الله عنه وأرضاه عنه وجزاه الله عنّا وعن المسلمين خيراً في وصيته إلى يوم الدين[1].

فانظر هو في أيّ حال ومَا له شغل ولا نظر بغير رسول الله وبالوصية به وبشأنه وبالحرص عليه ﷺ، وبطلب البراءة لإخوانه رضي الله عنهم، ليتورعوا عمّا لا ينبغي لهم في حق الله وحق الرسول ﷺ باستكمال ورعهم.

وانظر إلى تخصيص رسول الله ﷺ له بالنِّداء دون غيره، وعلمه بالأصحاب واحداً واحداً كلا لحاله في سائر أحوالهم الدنيوية والأُخروية، فهو على ذلك مع أُمته وأتباعه ﷺ إلى يوم الدين، وهم معه ﷺ على ذلك بالدوام في لزوم الحضور وكمال الأدب والاحترام، وهم بحضرته الآن كما كان، كما أخبرك بقوله لك ولمن كان من أهله: «من استُكمل ورعه حُرِم رؤيتي في المنام»، ولم يطلق لبقاء الرؤية في محلها وانتقالها من محل إلى محل آخر، ما ذكر، ومن نكَّره تعمّ المتقدمين والمتأخرين؛ لأنه الجامع

---

(1) ذكر الواقدي في مغازيه قال: قال رسول الله ﷺ: من يأتيني بخبر سعد بن ربيع؟ فإني قد رأيته وأشار بيده إلى ناحيةٍ من الوادي وقد شرع فيه اثنا عشر سناناً. قال: فخرج محمد بن مسلمة ويقال أبي بن كعب فخرج نحو تلك الناحية. قال: وأنا وسط القتلى أتعرفهم، إذ مررت به صريعاً في الوادي، فناديته فلم يجب، ثم قلت: إن رسول الله ﷺ أرسلني إليك فتنفس كما يتنفس الكير، ثم قال: وإن رسول الله لحيٌّ؟ قال: قلت: نعم، وقد أخبرنا أنه شرع لك اثنا عشر سناناً. قال: طعنت اثنتي عشرة طعنة، كلها أجافتني، أبلغ قومك الأنصار السلام وقل لهم: الله، والله وما عاهدتم عليه رسول الله ليلة العقبة والله ما لكم عذرٌ عند الله إن خلص إلى نبيكم ومنكم عينٌ تطرف ولم أرم من عنده حتى مات. قال: فرجعت إلى رسول الله ﷺ فأخبرته. قال: فرأيت رسول الله ﷺ استقبل القبلة رافعاً يديه يقول: اللَّهُمَّ الق سعد بن الربيع وأنت عنه راضٍ. انظر: المغازي للواقدي: الجزء الأول ـ صفحة: 252.

الناطق بالجوامع، فهذا من جملة ندائه عندنا في القتلى أبداً، فأجب ومت تحيا بإذن الله تعالى، جعلنا الله وإياك بكرمه وعفوه في الأحيا، آمين.

وهذا هو من باب الاستكمال منه له، وطلب الاستكمال لهم بالوصيّة عليهِ وحفظه، وكما أمر ﷺ بعضَهُم بعدم السؤال أَمَرَ بعضهم بالسؤال، فأعطي كلاًّ بقدر حالهِ، فهذا النهي منه للبعض هو من صور الحرمان للرؤية في المستكمل لورعه أيضاً؛ لأنه بيان حاله في انتهائه إلى غاية الورع واستكماله إياه.

ومنه حرمانه ﷺ للأنصار ﷺ حين قسَّمَ الغنائم ولم يعطهم منها، فوجدوا في أنفسهم وبلغ عِلْمُ ذلك إلى رسول الله ﷺ، فقال لهم: «يا معشر الأنصار! ما حديث ألا ترضون أن يذهب الناس بالأموال وتذهبون برسول الله حتى تدخلوه بيوتكم؟ لو أخذت الناس شعباً وأخذت الأنصار شعباً أخذت شعب الأنصار»[1].

رواه الإمام أحمد والبخاري ومسلم والنسائي عن أنس رضي الله عنه.

وقال ﷺ: «يا معشر الأنصار! ألم أجدكم ضُلاَّلاً فهداكم الله بي، وكنتم مفرَّقين فآلفكم الله بي، وكنتم عالة فأغناكم الله بي؟ أما ترضون أن يذهب الناس بالشاة والبعير وتذهبون بالنبيّ إلى رحالكم؟. لولا الهجرة لكنت امرءاً من الأنصار، ولو سلك الناسُ وادياً وشعباً لسلكت وادي الأنصار وشعبها، الأنصار شعار والناس دثار.

---

(1) روى البخاري ومسلم ـ واللفظ للبخاري ـ عَنْ أَنَس بْن مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ لَمَّا كَانَ يَوْمَ حُنَيْنٍ أَقْبَلَتْ هَوَازِنُ وَغَطَفَانُ وَغَيْرُهُمْ بِنَعَمِهِمْ وَذَرَارِيِّهِمْ وَمَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَشَرَةُ آلافٍ وَمِنْ الطُّلَقَاءِ فَأَدْبَرُوا عَنْهُ حَتَّى بَقِيَ وَحْدَهُ فَنَادَى ﷺ يَوْمَئِذٍ نِدَاءَيْنِ لَمْ يَخْلِطْ بَيْنَهُمَا الْتَفَتَ عَنْ يَمِينِهِ فَقَالَ يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ!. قَالُوا لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَبْشِرْ نَحْنُ مَعَكَ. ثُمَّ الْتَفَتَ ﷺ عَنْ يَسَارِهِ فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ قَالُوا: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَبْشِرْ نَحْنُ مَعَكَ. وَهُوَ ﷺ عَلَى بَغْلَةٍ بَيْضَاءَ فَنَزَلَ فَقَالَ أَنَا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ. فَانْهَزَمَ الْمُشْرِكُونَ، فَأَصَابَ يَوْمَئِذٍ غَنَائِمَ كَثِيرَةً فَقَسَمَ فِي الْمُهَاجِرِينَ وَالطُّلَقَاءِ وَلَمْ يُعْطِ الأَنْصَارَ شَيْئًا. فَقَالَتْ الأَنْصَارُ: إِذَا كَانَتْ شَدِيدَةٌ فَنَحْنُ نُدْعَى وَيُعْطَى الْغَنِيمَةَ غَيْرُنَا! فَبَلَغَهُ ذَلِكَ فَجَمَعَهُمْ فِي قُبَّةٍ فَقَالَ يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ مَا حَدِيثٌ بَلَغَنِي عَنْكُمْ فَسَكَتُوا. فَقَالَ يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ أَلا تَرْضَوْنَ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالدُّنْيَا وَتَذْهَبُونَ بِرَسُولِ اللَّهِ تَحُوزُونَهُ إِلَى بُيُوتِكُمْ؟؟ قَالُوا بَلَى. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: لَوْ سَلَكَ النَّاسُ وَادِيًا وَسَلَكَتْ الأَنْصَارُ شِعْبًا لأَخَذْتُ شِعْبَ الأَنْصَارِ. **صحيح البخاري:** الجزء الثالث 67 كتاب المغازي53 باب: غزوة الطائف ـ الحديث رقم: 4082. **وصحيح مسلم:** الجزء الثاني 12 كتاب الزكاة 46 باب إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام وتصبر من قوى إيمانه ـ الحديث رقم: 135 ـ (1059). **ومسند الإمام أحمد بن حنبل:** المجلد الثالث. مسند أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه.

إنكم ستلقون بعدي أثرة فاصبروا حتى تلقوني على الحوض»[1].

رواه الإمام أحمد والبخاري ومسلم عن عبد الله بن زيد بن عاصم ﵁.

وقال ﷺ: «يا معشر الأنصار! قد أُثني عليكم خيراً في الطهور، فما طهوركم؟». قالوا: نستنجي بالماءِ، قال: «هو ذاك، فعليكموه»[2].

فانظر إلى مسابقتهم ﵃ إلى الاستنجاء بالماء، وثناء الحقّ عليهم بذلك، وتقرير الرسول ﷺ لهم وثنائه عليهم، **تَفهم** معنى قوله ﷺ: «لولا الهجرة لكنت امرءاً من الأنصار»، وقوله ﷺ: «الأنصار شعار والناس دثار». فالإيمان رَبَا في قلوبهم ﵃ وهم مهيّئين له، فلو ظهر بينهم رسول الله ﷺ لأجابوه ولم يحوجوه إلى عرض نفسه على الغير كأبي بكر الصدّيق ﵁، فهو أول الأنصار ومنهم، فجمع له ﵁ بين المهاجرين والأنصار كرسول الله ﷺ، ولهذا استكفى رسول الله ﷺ عن عطائهم الغرض بما في صدورهم، وكان لهم بذاته الشريفة مكانة، فحُرموا العطاء كما حُرِم المستكمل لورعه الرؤية المنامية، فهذا العطاء الممنوع من الشاة والبعير كالرؤية المنامية، وهكذا هو الأمر جارٍ منه إلى يوم الدين في أمته، فلا تكن في الغافلين لبقاءِ الدين للآخرين كما كان للأولين، وإنما الأحوال والأزمان تخصيص، فهو بذاته للممنوع من رؤيته

---

(1) روى الشيخان ـ واللفظ للبخاري ـ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَيْدِ بْنِ عَاصِمٍ ﵁ قَالَ لَمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ يَوْمَ حُنَيْنٍ قَسَمَ فِي النَّاسِ فِي الْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَلَمْ يُعْطِ الأَنْصَارَ شَيْئًا فَكَأَنَّهُمْ وَجَدُوا إِذْ لَمْ يُصِبْهُمْ مَا أَصَابَ النَّاسَ فَخَطَبَهُمْ فَقَالَ يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ أَلَمْ أَجِدْكُمْ ضُلاَّلاً فَهَدَاكُمْ اللَّهُ بِي وَكُنْتُمْ مُتَفَرِّقِينَ فَأَلَّفَكُمْ اللَّهُ بِي وَعَالَةً فَأَغْنَاكُمْ اللَّهُ بِي، كُلَّمَا قَالَ شَيْئًا قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمَنُّ. قَالَ ﷺ: مَا يَمْنَعُكُمْ أَنْ تُجِيبُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ كُلَّمَا قَالَ شَيْئًا قَالُوا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمَنُّ قَالَ لَوْ شِئْتُمْ قُلْتُمْ جِئْتَنَا كَذَا وَكَذَا أَتَرْضَوْنَ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاةِ وَالْبَعِيرِ وَتَذْهَبُونَ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى رِحَالِكُمْ، **لَوْلا الْهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَأً مِنْ الأَنْصَارِ** وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ وَادِيًا وَشِعْبًا لَسَلَكْتُ وَادِيَ الأَنْصَارِ وَشِعْبَهَا **الأَنْصَارُ شِعَارٌ وَالنَّاسُ دِثَارٌ** إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي أُثْرَةً فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الْحَوْضِ». **صحيح البخاري**: الجزء الثالث 67 كتاب المغازي53 باب: غزوة الطائف– الحديث رقم: 4075. **وصحيح مسلم**: الجزء الثاني 12 كتاب الزكاة 46 باب إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام وتصبر من قوى إيمانه– الحديث رقم: 139 ـ (1061).

(2) روى ابن ماجه في سننه بسنده عن أبي أيوبٍ الأنصاري، وجابر بْن عَبْد اللَّه، وأنس بْن مَالِك ﵃، أَن هَذِهِ الآية نزلت: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ﴾، [التوبة: 108]. قَالَ رَسُول اللَّه ﷺ: «يامعشر الأنصار! أَن اللَّه قَدْ أثنى عليكم فِيْ الطهور. فما طهوركم؟» قَالُوا: نتوضأ للصلاة ونغتسل مِن الجنابة ونستنجي بالَمْاء. قَالَ ﷺ: «فهو ذاك. فعليكموه». **سنن ابن ماجه**: الجزء الأول1كتاب الطهارة وسننها 28بَاب الاستنجاء بالَمْاء– الحديث رقم: 355.

المنامية عطاء مكانها، فإذا حصل ما هو الأفضل والأكمل من مشاهدته في ذاته أو مشاهدته باليقظة أو على كل حال؛ أغنى عن المفضول والكامل من رؤيته حيناً دون حين في عالم الخيال، ليتقوَّى بذلك الرائي على الرؤية كما يتقوى بالدثور والأموال إلى التقرب إلى الله تعالى بما يقربه منه على كل حال، حتى يصل إلى درجة الأنصار، فلا يكترث لذلك الحرمان من الرؤية في المنام الخيالي؛ لكونه ﷺ ما فارقه يقظة ولا مناماً، بل ذلك عنده قرّة عين وشاهد له بكماله، والله أعلم.

فالأمر منه ﷺ بالسؤال للبعض ـ كما مرّ ـ هو بمنْزلة الرؤيا للرائي، فيتقوَّى هذا بالسؤال كما يتقوَّى ذلك بالرؤية، وكما يتقوَّى الآخر بعدم الرؤية يتقوَّى الآخر بعدم السؤال، وهذا كلامٌ مع أهله ولأهله، لا لكلِّ أحد، بل مع المكلَّفِ البالغ العاقل الذي بلغ من ديانته رأسَها، ومن قواعده أساسها. قال ﷺ: «رأس الدين الورع»[1]، فهذا المستكمل ورعه أتى من الدِّين رأسَه، فلما حَصَل في رأسه انقطع ظلمه فيه لمصير ظلِّه إلى من أشخصَه منه الذي هو شمسُه المضيئة ظلاله وظلال كلِّ موجود، ولو شاء الله لجعله ساكناً، فكان هو منه مكانه، فحُرِم الرؤية المنامية به منه لكماله في الاستكمال لا لنقصه، فصار بالكمال في الاستكمال نوراً كلُّه، ولم يبق منه فضلة خيال تستدعي الرؤية المنامية الخيالية؛ لأنه صار في محض اليقين وأتى من علمه إلى عينه إلى حقِّه[2]، فشهده بالذَّات ومنه وفيه وارد: «فإذا أحببته كنت سمعه وبصره ويده ورجله»[3]، فتدبّرهُ لبقاء النسبة فيه لمكان المقامر الآخر وما بعده، وهذا كالخوف إذا استكمله العبد آمن بالله مما يخافه، قال ﷺ: «رأس الحكمة مخافة الله»[4] ـ أو كما

(1) قوله ﷺ: «**رأس الدين الورع**»: أي: قوة الدين واستحكام قواعده التي بها ثباته الورع بالكف عن أسباب التوسع في الأمور الدنيوية صيانة لدينه وحراسة لعرضه ومروءته والمتورع دائم المراقبة للحق حذراً من مزج حق بباطل وبذلك قوام الدين ونظامه يعني أن قضية الدين استعمال التورع فمن أهمله فلا كمال لدينه فإن من تعداه يوشك أن يقع في حيز الباطل. قال يحيى بن معاذ: كيف يكون زاهداً من لا ورع له؟ تورع فيما ليس لك ثم ازهد فيما لك. الحديث رواه ابن عدي بسنده عن سيدنا أنس بن مالك ﷺ. **فيض القدير للإمام المناوي**: الجزء الثالث ـ حرف الراء ـ الحديث رقم: 4363.

(2) أي: إلى عين اليقين ثم إلى حق اليقين.

(3) مرّ لفظ الحديث وتخريجه بتمامه أول هذا الكتاب المستطاب.

(4) قوله ﷺ: «رأس الحكمة مخافة الله تعالى».أخرجه الحكيم، وابن لال عن ابن مسعود ﷺ. ورمز السيوطي لصحته. انظر: الجامع الصغير ـ الحديث رقم:4361.

قال ﷺ ـ فإذا بلغ العبد رأس الحكمة؛ انتهى إلى الأمان، لأنَّ الشيء إذا جاوز الحدّ أورث الضِّدَّ كالحرمان المذكور، من ثم تُرفع عنه الرؤية الهائلة أيضاً إذا استكمل. ومن مناسبته قوله ﷺ: «إني لأُعطي رجالاً وأدع مَن هُو أحبُّ إليَّ منهم، لا أُعطيه شيئاً مخافة أن يكبوا في النار على وجوههم»[1]، وهذا فيه شاهد من ذلك، وهو نفس المنع والحرمان لمن هو أحبّ إليه، وأنه بالإرادة والقصد للفعل منه العطاء والمنع، وكذا الإراءة وعدم الإراءة، فصار عطاء ذلك المعطي ومنع ذلك الممنوع كمال له لطلب تقوية كلٍّ في مقامه وسلامته من الآفة في حاله ودينه ومعاملته مع الله وسياسته له، حتى يصل إلى ما وصل إليه الأحباب من الكمال والأكمل والقوة، كما أنَّ منع أولئك تقوية لهم ودليلُ كمالهم، فكل ذلك بعلمه ﷺ في جميع العالم الأول والآخر لتعلّم العلم منه وشموله للأولين والآخرين.

وهذا الإخبار الشريف ومثله من شواهد إحاطة عِلمه ﷺ بأحوال العباد بالقدر الذي أوصله الله إليه من الإحاطة العلمية مما لم يصل إلى مقدار جملته الأولون والآخرون. ومن شواهد هذا الباب أيضاً عند أهل الذوق بموجب التناسب المستدعي لها من الكتاب والسُّنّة كثير، فالتفت إليها وتذكر منها بعضاً.

فمن الكتاب العزيز قوله: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ﴾، [الكهف: 28]. فهم لم يريدوا من الله إلا هو بذلك الدعاء، [ولا تعد عيناك عنهم]، فأمره أن يصبر ﷺ نفسه معهم، حتى حمد الله على ذلك، وقال ﷺ: «الحمد لله الذي جعل في أُمتي مَن أمرني ربي أن أصبر نفسي معهم»[2]، وما في معناهُ

(1) روى ابو داود ـ واللفظ له ـ والنسائي عنْ عَامِرِ بن سَعْدِ بن أبي وَقّاص عنْ أبيه رضي الله عنه قالَ: أعْطَى النّبيّ ﷺ رجَالاً وَلَمْ يُعْطِ رَجُلاً مِنْهُمْ شَيْئاً، فَقالَ سَعْدٌ يَا رَسُولَ الله أعْطَيْتَ فُلاَناً وَفُلاَناً وَلَمْ تُعْطِ فُلاَناً شَيْئاً وَهُوَ مُؤْمِنٌ؟ فَقَالَ النّبيّ ﷺ: أوْ مُسْلِمٌ حَتّى أعَادَهَا سَعْدٌ ثَلاَثاً، وَالنّبيّ ﷺ يَقُولُ أوْ مُسْلِمٌ، ثُمّ قالَ النّبيّ ﷺ: أنّي أُعْطِي رِجَالاً وَأدَعُ مَنْ هُوَ أحَبّ إلَيّ مِنْهُمْ لاَ أُعْطِيهِ شَيْئاً مَخَافَةَ أنْ يُكبّوا فِي النّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ». **سنن أبي داود**: الجزء الثاني 34 أول كتاب السنة 16ت/ 15، 15 م باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه ـ الحديث رقم: 4683. **وسنن النسائي**: المجلد الثامن. كتاب الإيمان وشرائعه. تأويل قوله عز وجل: ﴿قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا﴾.

(2) روى ابو نعيم في الحلية بسنده عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: مر رسول الله ﷺ بعبد الله بن رواحة وهو يذكر أصحابه. فقال رسول الله ﷺ: «أما إنكم الملأ الذي أمرني ربي أن أصبر نفسي معهم». ثم تلا: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم﴾ إلى قوله: [فرطا]. أما أنه ما جلس عدتكم إلا جلس معهم

من الكتاب العزيز كثير، فاطلبه إن أردته.

ومن السُّنّة قوله ﷺ: «الدنيا حرام على أهل الآخرة، والآخرة حرام على أهل الدنيا، والدنيا والآخرة حرام على أهل الله»[1]، فحرّم كلاً وأعطى كلاً، كحرمان الرؤية من وجه وإعطائها من غيره، وهذا مع كون أهلِ الآخرة وأهل الله ما فارقوا الدنيا والآخرة، وأهل الدنيا ما فارقوهما، فهو محرّم من وجهٍ مُباح من وجه، كما حرم الرائي من وجه ورأى من وجه أكمل منه، وما في معنى ذلك من السُّنّة أيضاً كثير، فكلُّ ما يتقوّى به الضَّعيف عند أهل الذَّوق يُحرَّم في حقِّ أهل القوَّة، وإن تناوله أو واقعه فهو منه لأمر آخر؛ لا للتقوية في نفسه لاستغنائه بما يذل له مكان ذلك، بل تناوله ربما كان لأمر أو لتقوية غيره وإمداده أو أمر آخر؛ لأن معاملة الحق مع عبده وسائر عباده لا تُحصى. قال: ﴿وَمَن نُّعَمِّرۡهُ نُنَكِّسۡهُ فِي ٱلۡخَلۡقِۚ﴾، [يس: 68]. فقد ينزل صاحب القوة المعمر إلى درجة الضعيف تنكيساً لمراد الله بمراد الله من دعوة ـ كما مرّ ـ أو تحبيب أو تعليم

عدتهم من الملائكة إن سبحوا لله سبحوه وإن حمدوا الله حمدوه وإن كبروا الله كبروه ثم يصعدون إلى الرب تعالى وهو أعلم منهم فيقولون يا ربنا عبادك سبحوك فسبحنا وكبروك فكبرنا وحمدوك فحمدنا فيقول ربنا يا ملائكتي أشهدكم أني قد غفرت لهم فيقولون فيهم فلان وفلان الخطاء فيقول «هم القوم لا يشقى بهم جليسهم». انظر: حلية الأولياء لأبي نعيم الأصبهاني: الجزء الخامس ـ صفحة: 118.

(1) قوله ﷺ: «الدنيا حرام على أهل الآخرة، والآخرة حرام على أهل الدنيا، والدنيا والآخرة حرام على أهل الله رواه الديلمي في مسند الفردوس عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما . **الجامع الصغير للإمام السيوطي** ـ الحديث رقم: 4269. **قال في الفيض**: قيل سميت الدنيا دنيا لدنوها ودناءتها. وقوله: «حرام على أهل الآخرة»: أي ممنوعة عنهم. «والآخرة حرام على أهل الدنيا»: لأن المتقنع في معاش الدنيا يمكنه التوسع في عمل الآخرة والمتوسع في متاع الدنيا لا يمكنه التوسع في عمل الآخرة لما بينهما من التضاد فهما ضرتان قال الشافعي ﷺ: من ادعى أنه جمع بين حب الدنيا وحب خالقها في قلبه فقد كذب. وقال الراغب: كما أن من المحال أن يظفر سالك طريق المشرق بما لا يوجد إلا في المغرب وعكسه فكذا من المحال أن يظفر سالك طريق معارف الدنيا بمعارف طريق الآخرة ولا يكاد الجمع بين معرفة طريق الآخرة على التحقيق والتصديق إلا من رشحه الله لتعذيب الناس في أمر معاشهم ومعادهم جميعاً كالأنبياء وبعض الحكماء. وقوله ﷺ: «والدنيا والآخرة حرام على أهل الله»: لأن جنات عامة المؤمنين جنات المكاسب وجنة كمل العارفين جنات المواهب فأهل الموهبة اتقوا الله حق تقاته لا خوفاً من ناره ولا طمعاً في جنته فصارت جنتهم النظر إلى وجهه الأقدس ونارهم الحجاب عن جماله الأنفس فحجابهم عن رؤيته هو العذاب الأليم وعدم الحجاب هو جنات النعيم ومن ثمة قال البسطامي ﷺ: إن في الجنة رجالاً لو حجب الله عنهم طرفة عين لاستغاثوا من الجنة كما يستغيث أهل النار من النار فقد استبان بذلك أن الدنيا والآخرة حرام عليهم معاً وقال النصر أبادي: إذا بدا لك شيء من بوادي الحق فلا تلتفت معها إلى جنة ولا إلى نار فإذا رجعت من تلك الحال فعظم ما عظم الله.

أو ما شاء الله.

ومن آثار القوم في ذلك ـ رضوان الله عليهم ـ مما يناسبه لذائقه ما نُقِل عن الجُنَيْد[1] رحمه الله؛ أنه قال ـ وقد قيل له ـ: قل: [لا إله إلا الله]. فقال: ما نسيته فأذكره.

فالذكر هنا منْزلةُ الرؤية المنامية هناك، فلما كَمُل حضورُه صار ذِكرُهُ في مذكوره، وهذا هو المراد بالذِّكر؛ لا الذِّكر مجرَّداً من دونه، فما يستطيع هنا صاحب هذا المقام النظر إلى الذِّكر؛ لأنَّ نداء الحاضر يدلُّ على الغَيبة ما لم يكن ثَمَّ سببٌ يوجبه ـ كما مرّ ـ فكذا هو الأمر هنا.

وقيل لأبي الحسين النوري[2] ﷺ عند النَّزْع: قل: [لا إله إلا الله]، فقال: أليس إليه أعود؟.

وقال بعض الفقراءِ لأحمد بن نصر[3] ﷺ عند النّزع: قل: [لا إله إلا الله]، فقال له بالفارسية: بي حرمتى مكن؛ أي: لا تترك الحرمة.

وقال أبو عمران رحمه الله: رأيت أبا تراب النخشبي في البادية قائماً ميتاً لا يمسكه شيءٌ ظاهر.

---

(1) هو الأستاذ العارف بالله تعالى سيدي الإمام أبو القاسم الجنيد بن محمد الجنيد، كان ﷺ أول من تكلَّم في علم التوحيد ببغداد ومولده ونشأته ووفاته بها سنة 297هـ ، وأصله من نهاوند، ومذهبه يقيده بالكتاب والسنة، فمن لم يحفظ القرآن ويتفقه في الدين، ويكتب الحديث، لا يقتدى به، فحفظ التصوف من شبه الغلاة، وصانه من العقائد الذميمة فكان مقبولاً من الجميع، وكان الكتبة يحضرون مجالسه للألفاظ، والشعراء لفصاحته، والمتكلمون لمعانيه رحمه الله ورحمنا بمحبته .

(2) الإمام العارف بالله تعالى أبو الحسين النوري ﷺ: اسمه: أحمد بن محمد، بغدادي المنشأ والمولد خراساني الأصل يعرف بابن البغوي، كان ﷺ من أجلِّ مشايخ القوم وعلمائهم لم يكن في وقته أحسن طريقة منه ولا ألطف كلاماً. **مات** ﷺ في مسجد الشونيزى جالساً وبقي أربعة أيام لم يعلم أحد بموته، فلم يمكن مدُّه على المغتسل، فلما حملت جنازته نادى الشبلي ﷺ خلفه: اضربوا على الأرض المنابر فقد رفع العلم من الأرض. توفي ﷺ سنة خمس وتسعين ومائتين من الهجرة. **انظر ترجمته في**: حلية الأولياء ـ لأبي نعيم 10/ 249 ـ وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي 5/ 130 وما بعدها، وطبقات السلمي 164 وما بعدها.

(3) الإمام العارف بالله تعالى سيدي أحمد بن نصر، أبو بكر الزقاق الكبير نسبته ﷺ إلى بيع الزق وعمله، من أقران الجنيد ﷺ، ومن أكابر مشايخ مصر، توفي سنة 290 هجرية. والزَّقَّاق اشتهر بها بين الصوفية اثنان، المترجم هنا، أبو بكر أحمد بن نصر، ويلقب بالزقاق الكبير، تمييزاً له من ثانيهما تلميذه أبي بكر محمد بن عبد الله الدين اشتهر بالزَّقَّاق الصغير وكثيراً ما اختلطت نسبتهما على كثيرين فدعوا الواحد منهما: «الدَّقَّاق». انظر ترجمته في: طبقات ابن الملقن 91، والنجوم الزاهرة 3/ 131.

فهكذا هو ذاك المستكمل قائماً ميتاً في محبوبه لا يمسكه شيء، فيه من دونه ولا يتعلل بغيره بنسبة ما من النسب، كما ترى من أبي تراب النَّخشبي[1] ﷺ، فحاله ميت ليس بميت؛ لأنَّ القيام وصفٌ لحيّ، وليس بحيّ، لمفارقته الحياة بإمارتها، فهذا هو الشأن عند أهل هذا الشأن.

وقال بعضهم: كنت عند حماد الدّينوري عند وفاته، فقلت له: كيف تجد العلّة؟ فقال: سلوا العلة عني، فقيل له: قل: [لا إله إلا الله]، فحوَّل وجهه إلى الجدار وقال: [شعر]

أفنيـــت كـلّـــي بكـلّـــك هــذا جــزاء مَــن يُحبّــك

يريد ﷺ: أنه لا جزاء لمحبِّه إلا فناء جملته بالجملة في محبوبه، فما رأى بعد نفسه، بل ما رأى إلا من تولاه عنها، كما ورد: «من قتلته فأنا ديته»، ولم يقل: فعليّ ديته.

وقيل لأبي محمّد الديلي وقد حضرته الوفاة: قل: [لا إله إلا الله]، فقال: هذا شيءٌ قد عرفناه وبه نفنى. فلم يجد ما يحمله على النُّطق للمقام الذي أوجب له ذلك، وهو شيء لو أقولُهُ لَكَ بدون وجدك له لا تزيده العبارة إلا خفاءً، فصار ذلك منه إعلاماً لأهله وبلاغاً إليهم وتعريفاً لشأنه، كالشَّأن في حرمان الرؤية المذكور باستكماله، كما مرّ.

وقيل لبعضهم حين النَّزع: قل: [الله]، فقال: إلى متى تقولون وأنا محترق بالله؟! .

وقيل للشبلي[2] عند موته: قل: [لا إله إلا الله]، فأعرض وقال: [شعر]

---

(1) أبو تراب النَّخشي، اسمه: عسكر بن حصين ويقال: عسكر بن محمد بن حصين صحب أبا حاتم البصري العطار، وحاتماً الأصم وهو من جُلَّة مشايخ خراسان والمذكورين بالعلم والفتوة والتوكل والزهد والورع قال عنه ابن الجلاء: لقيت ستمائة شيخ ما لقيت فيهم مثل أربعة أولهم أبو تراب النخشبي. توفي ﷺ في البادية، قيل: نهشته السباع سنة 245 هجرية.

(2) **أبو بكر الشبلي** ﷺ: دلف بن جحدر، **وقيل**: ابن جعفر نسبة إلى قرية شِبْلِيَّة، إحدى قرى أسروشنة من بلاد ما وراء النهر، خراساني الأصل، بغدادي المولد والمنشأ، جليل القدر، مالكي المذهب، عظيم الشأن، صحب الجنيد وطبقته ﷺ، وكان يبالغ في تعظيم الشَّرع المكرم، وإذا دخل رمضان جدّ في الطَّاعات، ويقول: هذا شهر عظَّمه ربي فأنا أولى بتعظيمه. وسئل ﷺ عن حديث: «خير كسب المرء عمل يمينه»؟. فقال: «إذا كان الليل فخذ ماء، وتهيأ للصَّلاة، وصلِّ ما شئت ومدَّ يدك، وسَلِ الله تعالى. فذلك كسب يمينك». توفي ﷺ سنة 334 من الهجرة. **انظر ترجمته في**: «طبقات الأولياء للسلَمي 337، وطبقات الأولياء لابن الملقن 204،

قـال سلطـــان حُبّـه أنـا لا أقبـل الرشـا

فسلــوهُ فـديتـه لِـمَ لقتلـي تحرشـا

فهذا وما في معناهُ من وقائع القومِ مقوّم أيضاً لما ذُكر في المعنى كما يراهُ الواجد، وبالله التوفيق.

وكونه على الوجه الثاني، وهو نسبة الاستكمال إلى الورع نفسه، فيكون ورعه فاعِل «استكمل»؛ يعني: كَمُل ورعه إلى القدر الذي ينبغي له، وأتى على غايته منه باستدعائه إلى استقصائه، هذا من باب نسبة الفاعِل إلى الفعل وإقامة الفعل مقام الفاعل أُسوةً بالله، حيث أقام الله العبد وهو فعله مقامه. ومنه قولك: قد قامت الصلاة، والصلاة لا تقوم بنفسها أبداً، وما قام بالصلاة إلا المصلي؛ لا الصلاة، ولكنه قامَ بالصلاة للصلاة، فنَسَب القيام إليها؛ لأنها هي سبب القيام له كما هو سببٌ لها، قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ﴾، [المائدة: 6]. فجعل سبب الغسل القيام للصلاة؛ لا مجرّد القيام، فأقام السبب مقام المقيم له، فحصل منه أيضاً: قد قامت الصلاة، فالكامل مَن يقيم الصَّلاة لا من تقيمه الصَّلاة، والأكمل من يقيمه الحق لا من يقيم الصَّلاة؛ لكون الحقّ وكيله، ولكونه في حال إقامته لها قد يتوجّه عليه السؤال والعتابُ فيها، وفي إقامة الحق له به لا يتوجه عليه سؤال فتذكّر، فتكون الصلاة من الله لله عن عبده. قال: ﴿رَبِّ ٱجۡعَلۡنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِيۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلۡ دُعَآءِ﴾، [إبراهيم: 40]. فبالفهم يقع الفرقان بين الأشياء، ويقع الحكم على وفق العلم، وإلا فلا حكم أبداً. قال تعالى: ﴿فَفَهَّمۡنَـٰهَا سُلَيۡمَـٰنَۚ وَكُلًّا ءَاتَيۡنَا حُكۡمًا وَعِلۡمًاۚ﴾، [الأنبياء: 79].

فبالعلم من كلٍّ وقع الحكم، ولو وهماً. قال تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ لَا يَسۡتَأۡخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ﴾، [الأعراف: 34]. فنسب الله المجيء إلى الأجل، وهو معنى، والمعنى لا يجيء إلا بذي المعنى الجائي به لأنه به جاء، فنسبة المجيء إليه كنسبة الاستكمال للورع، فنسبة الاستكمال إلى نفس الورع سائغ؛ لأنه هو السبب الجاذب

وحلية الأولياء لأبي نعيم الأصبهاني 10/ 366.

المستكمل إلى الكمال، فهو بهذا الاعتبار فاعل الاستكمال في المستكمَل، لأن المعاني هي الفعالة أبداً، فهي جواهر من حيث الذات، وإن كانت أوصافاً وأفعالاً من حيث هي نسب، فتدبّره فإنه المطلَب الذي يُطلَب في كل مطلب، ويقع به الأفعال العجيبة عند كل فعال.

وفي هذا شاهد للعبد أنَّ مجيئه وحركتَه وجميعَ منسوباته المنسوبة إليه كنسبة الاستكمال إلى الورع مثلاً بالنسبة إليه، فهو كهو بالنسبة إلى الله؛ لأنه فعل الله ولا فاعل إلا الله، وبسبب العبد وقع المجيء من الحق المحيط والتصريف والقضاء والتقدير والتخصيص والتقديم والتأخير، كما سبق في علم الله القدير، فمِن حيث نسبتُه إلى الحقِّ وقع به الأثر كما وقع بالوضوء وهو معنى، ومِن حيث نسبته إلى نفسه منه.

وفيه مِن مزيد الإفادة للعبد أيضاً: أنَّ الفعل لما كان خَلْقاً لله من العبد، لا للعبد؛ قضى الله به ما شاء كما قضى بالعبد، فإنَّ العبد في الحقيقة بالنسبة إلى الله كهو بالنسبة إليه ـ كما مرّ ـ فهو كالسراب إذا جئته وفتَّشته لم تجده شيئاً كَوَزغة بالنسبة إليه، ووجدت الله عنده كما وجدت ذي الورع عند الورِع، بل ما جئت ولا فتشت، وإن جئت وفتَّشت فنسبة الاستكمال إلى نفس الورع كنسبة الفعل إليك بالسويَّة عند أهل الله الموحِّدين الله، كما وَجَدوا من أنفسهم وآفاقهم، فتدبّر ذلك راشداً.

وكونه على الوجه الثالث بصيغة البناء للمفعول: فهو في هذه الحالة منسوب إلى من فُعل به ذلك الاستكمال، فليس له فيه ولا لورعه نسبة إلى واحد بحال ـ أي: الاستكمال ـ لكون المستكمل له غيره، وذلك إمّا أن يكون الحق كما مرّ وإمّا أن يكون شاءه الحق، فعلى كِلا الحالين هو في ولاء الحقّ باقٍ على كلاءته لهُ واستخلاصه منه بنسبة شيء منه إليه أو إلى فعله، فهذا هو المخلَص المفعول به الإخلاص، والأول المخلِص الفاعِل بطريق الاستخلاف لقيامه بسرّ الخلافة، باطناً وظاهراً، وكلاهما حميدُ المقام، ومصطفى اللهِ ومختارُه، ولكنه في حالة المفعولية أقومُ قيلاً، وأربح سرّاً، وأنزه نفساً ـ كما مرّ في الصلاة ـ لشغله بالفاعل به عن فعله لنفسه؛ لأنه فقيد نفسه من ربّه، فهو في لباس الصورة، فخطابه من الحضرة القرآنية: ﴿ أَلَّا تَتَّخِذُواْ مِن

دُونِي وَكِيلًا﴾، [الإسراء: 2]. وخطاب الأول: ﴿وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِۖ﴾، ﴿وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰۚ﴾، [النساء: 95]. ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُۚ﴾، [البقرة: 115]. ﴿سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِۚ﴾، [الحج: 25]. فهذا عاكف وذاك باد، وهذا مغرِّبٌ وذاك مشرِّقٌ. ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾، [البقرة: 115]. فهذا الكامل المستكمل المتكمّل بجهتيه صارت رؤيته رؤيةً للنبيّ ﷺ؛ لأنه خليفةٌ من خلفائه، فصار النبي ﷺ هو الظَّاهر فيه عنه منه، وفي جميع التابعين له إلى يوم الدِّين، كظهوره في الأصحاب رضوان الله عليهم، فلذا قال فيهم: «بأيِّهم اقتديتم اهتديتم»[1]، فصار منطوقُهم في حكم المرفوع إليه، وإن وقف عليهم لقربهم منه ولظهورهم فيه بالهدى في نطقهم وفعلهم وسكوتهم؛ لأنه تقرير كسكوته ﷺ تقرير، فكل ذلك منهم لظهوره فيهم، وكذا أيضاً التابعين له بالإحسان إلى يوم الدين كالسابقين.

ولما سُئل الشيخ الأكبر عن السِّراج الأكمل عمر السهروردي رحمه الله، قال فيه: محشوّ سُنّة من قرنه إلى قدميه، وهو من المتأخرين.

وسُئل هو عن الشيخ الأكبر، فقال: مملوءٌ حقيقةً من قدمه إلى قرنه.

وقال سيدي الشيخ أبو الحسن الشاذلي[2] رضي الله عنه: لو حُجب عني رسول الله ﷺ لحظة

(1) قوله ﷺ: «أصحابي كالنجوم، فبأيهم اقتديتم اهتديتم». رواه البيهقي، وأسنده الديلمي عن ابن عباس رضي الله عنه بلفظ: «أصحابي بمنْزلة النجوم في السماء بأيِّهم اقتديتم اهتديتم». انظر: **كشف الخفاء للإمام العجلوني** ـ الحديث رقم: 381.

(2) شيخ الطائفة الشاذلية الإمام العارف بالله تعالى سيدي أبو الحسن الشاذلي، علي بن عبد الله بن عبد الجبار، والشاذلي نسبة إلى شاذلة إحدى قرى تونس التي هاجر إليها بعد أن غادر قريته غمارة في المغرب، ولد رضي الله عنه سنة 593 هجرية، واتخذ الاسكندرية مقراً وفيها تزوج واقتنى الضياع، وكان له الولد والأهل والأحباب، ومات سنة 656 هجرية في طريقه إلى الحج بالصحراء، بين قنا والقصير، ودفن حيث مات، وقد استخلف من بعده أبا العباس المرسي رضي الله عنه ونفعنا ببركته وبركة الصالحين في الدارين، وقد تلقى الشاذلي رضي الله عنه علومه في الطريقة على سيدي عبد السلام بن مشيش والذي كما هو معروف مقامه في المغرب كمقام الشافعي في مصر، وفي ذلك يقول سيدي أبو الحسن: لما دخلت العراق اجتمعت بالشيخ الصالح أبي الفتح الموصلي، فما رأيت بالعراق مثله وكان مطلبي على القطب، فقال لي بعض الأولياء: أنت تطلب القطب وهو ببلادك ؟!!، ارجع إلى بلادك تجده!!. فرجع إلى بلاده إلى أن اجتمع بسيدي عبد السلام بن مشيش وتربى على يديه، وكان يقول له في تربيته له: الزم الطهارة من الشرك، كلما أحدثت تطهر من دنس حب الدنيا، وكلما ملت إلى شهوة أصلحت بالتوبة ماأفسدت بالهوى أو كدت، وعليك بمحبة الله على التوقير والنزاهة، وأدمن الشرب

لما عددت نفسي من المسلمين. فهؤلاء من المتأخرين، فهو فيهم بحسبهم كالأوّلين ﷺ، فانظر ما يقوله هؤلاءِ الأمجاد تفهم سرّ ذلك، فلا غَيبة له في حال من أحواله عنه، فكلّه اقتداء وكلُّه سُنّة ودلالة على ذاته ﷺ، فما فارقه حتى يراه في منامه؛ لأنه قد ترقّى عن حضرة الخيال، وإن رآه فيها إلى حضرة النور النزيه عن المثال، فصار منامه يقظة، فتخلق بخلقه ﷺ، فصار يرى من خَلْفه كما يرى من أمامه، فغرق في الرؤية دائماً أسوةً به ومتابعة له؛ لأن منامه من جملة خلفه، فصار نوراً بكلِّه بقدر حاله ومتابعته.

ومنه دعاؤه ﷺ بقوله: «اللّهمَّ اجعل لي نوراً في قلبي، ونوراً في قبري، ونوراً بين يديَّ، ونوراً من خلْفي»(1)، وهذا هو النور الذي به يرى من خلفه كما يرى من أمامه،

بكأسها مع السكر والصحو، كلما أفقت أو تيقظت شربت، حيث يكون سكرك وصحوك به، وحيث تغيب بجماله عن المحبة والشراب، والشرب والكأس، بما يبدو لك من نور جماله، وقدس جلاله.

(1) قطعة من حديث شريف رواه الترمذي في سننه عن ابن عَبّاس رضي الله عنهما قالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ لَيْلَةً حِينَ فَرَغَ مِنْ صَلاَتِهِ: «اللّهُمّ إنّي أسْأَلُكَ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِكَ تَهْدِي بهَا قَلْبِي، وتَجْمَعُ بهَا أمْرِي، وَتَلُمّ بهَا شَعَثِي، وتُصْلِحُ بهَا غائِبي، وَتَرْفَعُ بهَا شَاهِدِي، وَتُزَكّي بهَا عَمَلِي، وَتُلْهِمُنِي بهَا رُشْدِي، وتَرُد بهَا أُلْفَتي، وَتَعْصِمُنِي بهَا مِنْ كُل سُوء. اللّهُمّ أعْطِني إيمَاناً وَيَقِيناً لَيْسَ بَعْدَهُ كُفْرٌ. ورَحْمَةً أَنَالُ بهَا شَرَفَ كَرَامَتِكَ في الدّنْيَا وَالآخِرَة. اللّهُمّ إنّي أسْأَلُكَ الفَوْزَ في العطاء ويروي في القَضَاءِ وَنُزُلَ الشّهَدَاءِ وَعَيْشَ السّعَدَاءِ والنّصْرَ عَلَى الأعْدَاءِ. اللّهُمّ إنّي أُنْزِلُ بكَ حَاجَتِي وَإنْ قَصُرَ رَأْيِي وَضَعُفَ عَمَلِي افْتَقَرْتُ إلى رَحْمَتِكَ. فأسْأَلُكَ يَاقَاضِيَ الأُمُور، وَيا شَافِيَ الصّدُور، كَمَا تُجِيرُ بَيْنَ البُحُور، أنْ تُجِيرَني مِنْ عَذَاب السّعِير. وَمِنْ دَعْوَةِ الثّبُور. وَمِنْ فِتْنَةِ القُبُور. اللّهُمّ مَا قَصُرَ عَنْهُ رَأْيِي وَلَمْ تَبْلُغْهُ نِيّتِي وَلَمْ تَبْلُغْهُ مَسْأَلَتِي مِنْ خَيْر وعَدْتَهُ أَحَداً مِنْ خَلْقِكَ أَوْ خَيْر أنْتَ مُعْطِيهِ أَحَداً مِنْ عِبَادِكَ فإنّي أرْغَبُ إلَيْكَ فِيهِ وَأسْأَلُكَهُ بِرَحْمَتِكَ رَبّ العَالمِينَ. اللّهُمّ ذَا الْحَبلِ الشّدِيدِ، وَالأمْرِ الرّشِيدِ، أَسْأَلُكَ الأمْنَ يَوْمَ الْوَعِيدِ، وَالْجَنّةَ يَوْمَ الْخُلُودِ مَعَ المُقَرّبينَ الشّهُودِ، الرّكّعِ السّجُودِ، المُوفِينَ بالْعُهُودِ. أنت رَحِيمٌ وَدُودٌ، وَإنّكَ تَفْعَلُ ما تُرِيدُ. اللّهُمّ اجْعَلْنَا هادِينَ مُهْتَدِينَ غَيْرَ ضَالّينَ وَلاَ مُضلّينَ سَلْماً لأوْلِيَائِكَ وَعَدُوّا لأعْدَائِكَ نُحبّ بِحُبّكَ مَنْ أَحَبّكَ ونُعَادِي بعَدَاوَاتِكَ مَنْ خالَفَكَ. اللّهُمّ هَذَا الدّعاءُ وَعَلَيْكَ الاستجابَةُ وَهَذَا الْجُهْدُ وَعَلَيْكَ التّكْلاَنُ. اللّهُمّ اجْعَلْ لِي نُوراً في قَبْرِي، وَنُوراً في قَلْبِي، ونُوراً مِنْ بَيْنِ يَدَيّ، ونُوراً مِنْ خَلْفِي، ونُوراً عَنْ يَمِيني، ونُوراً عنْ شِمَالِي، ونُوراً مِنْ فَوْقِي، وَنُوراً مِنْ تَحْتِي، وَنُوراً في سَمْعِي، وَنُوراً في بَصَرِي، وَنُوراً في شَعْرِي، وَنُوراً في بَشَرِي، وَنُوراً في لَحْمِي، وَنُوراً في دَمِي، ونورا في عِظَامِي. اللّهمّ أَعْظِمْ لِيَ نُوراً وأعْطِنِي نُوراً وَاجْعَلْ لِي نوراً. سُبْحَانَ الّذِي تَعَطّفَ العِزّ وقَال بِهِ، سُبْحَانَ الّذِي لَبِسَ المَجْدَ وَتكَرّمَ بِهِ، سبحَان الّذِي لا يَنْبَغِي التّسْبِيحُ إلاّ لَهُ. سُبْحَانَ ذِي الفَضْلِ وَالنّعَم. سُبْحَانَ ذِي المَجْدِ والكَرَم، سُبْحَانَ ذِي الجَلاَلِ والإكْرَام». قال أبو عيسى: هَذا حديثٌ غَريبٌ لا نَعْرِفُهُ مِثْلَ هَذَا مِنْ حَدِيثِ ابن أبي لَيْلَى إلاّ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ. وقَدْ رَوَى شُعْبَةُ وَسُفْيَانُ الثّوْرِيّ عَن سَلَمَةَ بن كُهَيْلٍ عن كُرَيْب عَن ابن عَبّاس عَن النبيّ ﷺ بَعْضَ هَذَا الْحَدِيثِ ولَمْ يَذْكُرْه بِطُولِهِ. انظر: **سنن الترمذي** : المُجَلّدُ الخَامِس. أبواب الدعوات عَن رَسُولِ اللّهِ ﷺ بابٌ منه الحديث رقم: 3479. ورواه الطبراني في الكبير، باب الظاء . أحاديث عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف . علي بن عبد الله بن عباس عن أبيه.

وهو النور الورعي الذي يُحرم معه المستكمل له الرؤية المنامية، فلهذا قال: «**حُرِم رؤيتي في المنام**»، ولم يصف دلالة على الرؤية الأخرى؛ لأنه بقي يقظة بكلّه، لا نوم غفلة معها وأنه رُؤي نائماً في الصُّورة، فهو بصير بكلِّيَّته، فكما يسمع بكلِّيَّته؛ لأنَّ السمع شيء غير الجارحة، وكذا البصر فيبصر بكلّه من كل جهاته، وبكل أعضائه إذا شاء الله ذلك منه، كما يشهد الحجر لمن استلمه بحق ولا قلب له ـ كما ترى ـ ولا أذن يسمع بها، ولا بصر تراه يراك به، فالإبصار غير البصر، والإسماع والسمع غير الأذن، والإدراك غير الفؤاد، فيكون ذلك كما يمشون أيضاً يوم القيامة على رؤوسهم مكان أقدامهم لمن شاء الله ذلك منه؛ لأنَّ القوة التي بها مشت القدم حيث أراد الله جعلها، فوقع المشي بها في أي عضو، وكذا سائر الإدراكات. ومنه شرود الحجر بثوب سيدنا موسى ﵇ بغير قدم معتاد، فتنبه له وضربه له ومعاتبته إياه ولا سمع له عندك[1]، والقوة السَّامعة عنده والماشية والواقفة والفاهمة لخطاب الرسول ﷺ، فأثبت له الرسول ما رآه به كما رآه بك، فهذه أسرار الله لأهلها وسيراها العامّة وأكرام الخاصة من هنا، فإذا ظهرلم يتجدد لهم لحصول اليقين الآن، فتوسَّع في نور الله لتكون بكلّك نوراً، فصاحب هذا المشهد لا غفلة عنده؛ لأنه كلّه نور، ولأنَّ قلبه لا ينام، فلا يرى إلا ما كان يراه يقظة على ما كان، أو ما يفاتحه الله به من مزيد الكشف في رقائق ذاته ﷺ ومعلوماته، وتمَّم ﷺ الدُّعاء بأن قال: «ونوراً عن يميني ونوراً عن شمالي، ونوراً من فوقي ونوراً من تحتي، ونوراً في سمعي ونوراً في بصري، ونوراً في شعري ونوراً في بشري، ونوراً في عظامي، اللّهمَّ أعظِمْ لي نوراً، وأعطني نوراً واجعل لي نوراً» الحديث...، فلما صار شعره ولحمه ودمه وجميعه نوراً؛ ارتفع عن عالم الخيال،

---

(1) روى الشيخان وغيرهما ـ واللفظ للبخاري ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ كَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ يَغْتَسِلُونَ عُرَاةً يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ وَكَانَ مُوسَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَغْتَسِلُ وَحْدَهُ فَقَالُوا وَاللَّهِ مَا يَمْنَعُ مُوسَى أَنْ يَغْتَسِلَ مَعَنَا إِلا أَنَّهُ آدَرُ فَذَهَبَ مَرَّةً يَغْتَسِلُ فَوَضَعَ ثَوْبَهُ عَلَى حَجَرٍ فَفَرَّ الْحَجَرُ بِثَوْبِهِ فَخَرَجَ مُوسَى فِي إِثْرِهِ يَقُولُ ثَوْبِي يَا حَجَرُ حَتَّى نَظَرَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ إِلَى مُوسَى فَقَالُوا وَاللَّهِ مَا بِمُوسَى مِنْ بَأْسٍ وَأَخَذَ ثَوْبَهُ فَطَفِقَ بِالْحَجَرِ ضَرْبًا فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ وَاللَّهِ إِنَّهُ لَنَدَبٌ بِالْحَجَرِ سِتَّةٌ أَوْ سَبْعَةٌ ضَرْبًا بِالْحَجَرِ». **صحيح البخاري**: الجزء الثاني64 كتاب الأنبياء29 باب حديث الخضر مع موسى عليهما السلام– الحديث رقم: 3223. **وصحيح مسلم**: الجزء الأول3 كتاب الحيض 18باب جواز الاغتسال عريانا في الخلوة ـ الحديث رقم: 75 ـ (339). **وسنن الترمذي**: المُجَلَّد الخَامِس تابع: أبواب تفسير القرآن، عن رسول الله ﷺ سُورَة الأَحْزَاب ـ الحديث رقم: 3274.

وبقي مجرداً يقظة في حال التركيب بسيطاً بكلّه في كلِّ حال، ومن هنا كان ﷺ لا ينام قلبه، وإن نام ظاهراً وباطناً. قال: ﴿إن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً﴾، [الأنفال: 29]. وهو النور لكلٍّ بقدره، ظاهراً وباطناً، وكذا التَّابع له المستكمل لورعه، فورعه نوره في كلّه؛ حسًّا ومعنًى، وكان يقوم ويصلي وقد نفخ من نوم عينه، فهذا صار في كل أحواله نوراً مستغرقاً له لا يجد تمييزاً عنه، فلم يزل يستولي عليه هذا المقام إذا أخذ في بدايته حتى يذره كعاشق ليلى، كأن يطلب الطَّالب منه يده ليقطعها في حبّ ليلى، فيجود له بها في حبها، فلما تحكَّم الحبّ فيه منع يده، وقال: هي يد ليلى لا يدي، وصار يدسُّها عنهم بعد البذل ....

[هنا انقطاع في الأصل مقدار ورقة ـ الصفحة 52-51 ـ ولم نعثر على نسخة أخرى لاستكمالها، والله أعلم]

.... عن كذب العمل، فجُعلت رؤيته له ﷺ غير واقعة ليستدلَّ بذلك على كذبه في ذلك الاستكمال، وإن لم يحصل له من الورع شيء.

فإن قلت: هل يمكن حمل الحديث على المعنى الأول، ويتيسر له وجه؟.

قلت: نعم، لكن بتكلُّف بأن يقال: كنى بحرمانِ ما هو من لوازم النَّوم عن حرمان النوم؛ لأن كمال الورع الذي هو الزُّهد يستدعي تجنب الشبع ونحوه من قبيح الأوصاف والأخلاق، ويلزم من تجنب ذلك عدم النوم حتى يصير كأنه غير موجود، أو يقال: حُرِم رؤيتي في النوم لاستغنائه عنها بما هو أعلى وأفضل، وهو رؤيتي في اليقظة؛ لأنَّ التحقيق أنها ممكنة، بل واقعة، كما ذكره وشاهده غير واحد من أولياء الله بأن ترفع الحُجُب، فيرونه ﷺ يقظةً في قبره الشريف؛ إذ الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أحياء في قبورهم يصلّون، وقد يقع له تشكُّلٌ فيرى ذلك الشَّكل منفصلاً عن القبر الشريف، كما وقع ذلك للعارف بالله سيدي علي وفا[1] رضي الله عنه بتربتهم بالقرافة

(1) العارف بالله سيدي محمد وفا رضي الله عنه كان من أكابر العارفين، وأخبر ولده سيدي علي رضي الله عنه أنه هو خاتم الأولياء صاحب الرتبة العلية، وكان أميناً وله لسان غريب في علوم القوم، ومؤلفاته كثيرة ألفها في صباه، وهو ابن سبع سنين أو عشر فضلا عن كونه كهلا، وله رموز في منظوماته، ومنثوراته مطلسمة إلى وقتنا هذا لم يفك أحد فيما نعلم معناها، ولما دنت وفاته خلع منطقته على الأبزاري صاحب الموشحات، وقال: هي وديعة عندك حتى تخلعها على ولدي علي فعمل أيام كانت المنطقة عنده الموشحات الظريفة إلى أن كبر سيدي علي فخلعها عليه ثم رجع لا يعرف يعمل موشحاً كما أخبرني عن نفسه رضي الله عنه وسمي وفا لأن بحر

عصراً، ويقال: وجه حرمانه إياها أنها إنما تقع غالباً لتأنيس الضعفاء وتبشيرهم بأنهم على حق.

النيل توقف فلم يزد إلى أوان الوفاء فعزم أهل مصر على الرحيل فجاء إلى البحر، وقال اطلع بإذن الله تعالى فطلع ذلك اليوم سبعة عشر ذراعاً وأوفى فسموه وفا. وسئل ولده سيدي علي ﷺ مع علو مقامه، وفرقانه أن يشرح شيئاً من تائية والده فقال ﷺ لا أعرف مراده لأنه لسان أعجمي على أمثالنا انتهى. ومن كلامه ﷺ في كتاب فصول الحقائق أعوذ بالله من شياطين الخلق، والكون، وأبالسة العلم، والجهل، وأغيار المعرفة والنكرة اللهم إني أعوذ بك، ويسبق قدمك من سر حدودك، وبظلمة ذاتك من نور صفاتك وبقوة سلوبك من ضعف إيجادك وبظلمة عدمك مز نور تأثيراتك، وأعذني اللهم بك منك في كل ذلك بكل ذلك كذلك من وجه العلم، ولا كيف كذلك من حيث العقل، ولا بذلك من جهة قصد النفس، ولا كذلك من حيث تصور الوهم أعوذ بك من كل ذلك كذلك من حيث إنه كذلك لا من حيث إنك ولي ذلك اللهم أغنني بديموميتك عن بقاء آلائك بإحاطة، وجودك عن تصور الواحد والأحد وبقيومية قيامك عن استقامة تقويم المدد وغيبني في ظلمة ذاتك التي تحجز فيها الأبصار، والبصائر ويستحيل فيها معارف العقول الإلهية ذات الأسرار، والسرائر، وأستغفرك بلسان الحق لا بلسان الوقاية والنظر بعين التلاشي لا بعين الرعاية، والجذب بسر العدم لا بقوة الهداية، والتلاشي ينفي الرسم لا برسوم الولاية سبحانك من وجه ما أنت لا من وجه ما أنا سبحانك من وجه الوجه المتنزه عن وسم الأسماء والكنى سبحانك في الحيث الذي لا يلتحق به البقاء، ولا الفناء أحاشيك عن العلم، والقول، وأنزهك عن القوة، والحول، وأشاكل لا في المنة، والطول، وأمد لك يد التأييد لا يد الوسيلة، وأسألك بسبح التفضل لا فضل الفضيلة، وأعوذ بك من تحليل التحويل، ومحاولات الحيلة اللهم أرني، وجهك لا من حيث كل شيء هالك، وأسألك بي لا سبيل المهالك، والهالك اللهم إني أسألك بذات عدمك، وبذات وجودك، وبالذات المجردة، وبالذات المتصفة بذات التكوين، والتلوين، وبالذات الفاعلة، وبالذات المنفعلة اللَّهُمَّ اجعلني عيناً لذات الذوات، ومشرقاً لأنوارها المشرقات، ومستودعاً لأسرارها المكتتمة في غيوبها المبهمات اللهم إني أنزهك لا لتنزيه الحسن لك عن أوصاف الجسم، والنفس عن شهوات الطبع والعقل، وأخلاق النفس، والقلب، وأنزهك عن كل ذلك، ونده، ومثله، خلافه، وغيره تنزيهاً معجوزاً عن تصوره، وتوهمه، وكان رضى الله عنه يقول قال لي الحق أيها المخصوص لك عند كل شيء مقدار، ولا مقدار لك عندي فإنه لا يسعني غيرك، وليس مثلك شيء أنت عين حقيقتي، وكل شيء مجازك، وأنا موجود في الحقيقة معدوم في المجاز يا عين مطلعي أنت الحد الجامع المانع لمصنوعاتي إليك يرجع الأمر كله، وإلى مرجعك لأنك منتهى كل شيء، ولا تنتهي إلى شيء طويت لك الأرضين السبع في سبع من الحب، والنوى المتنوعة بالفعل إلى أصناف من نبات شتى فإذا شئت على نشرها فيها جواهر السماء اهتزت وربت، وأنبت من كل زوج بهيج. ﴿إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحۡيَاهَا لَمُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰٓۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾، [فصلت: 39] فإذا تكامل خلقها، وتكون، وتزين كونها سعت على أقدام الإقدام لمسجدك الأقصى بحكم الاستقصا فتخر ساجدة سجود العبودية لأرباب حواسك الكلية، والجزئية تسبحك بألسنة التقديس، وتقدسك بأفواه التنزيه، وتعظمك تعظيم مخلوق لخلاف فأملاكها تسبح، وتحمد، وأفلاكها تقوم، وتسجد، وأنت جالس في مجلس سلطانك مستو على عرش ناطقة إنسانك قد تلا لسان الإحسان بمحضر الأكوان: ﴿وَخَشَعَتِ ٱلۡأَصۡوَاتُ لِلرَّحۡمَٰنِ فَلَا تَسۡمَعُ إِلَّا هَمۡسٗا﴾، [طه: 108]. وأطال في ذلك بما لا تسعه العقول فراجعه، وله كتاب العروس، وكتاب الشعائر وديوان عظيم ومؤلفات أخر، وقد ذكرنا مناقبه في كتاب مستقل ﷺ .

ومن كَمُل ورعه صار من المتمكِّنين الذين لا يحتاجون لتأنيس الضُّعفاء وتبشيرهم بما ذكر، **ونظير هذا أنّ المريد الصَّادق في ابتدائه يكثر له الكرامات لتؤنسه وتثبته، فإذا كَمُل خفت وانعدمت عنه لعدم احتياجه إليها.**

ومن ثم قال الجُنَيْد سَيِّدُ الطَّائفة ﷺ وعنهم: مشى قومٌ على الماء، ومات بالعطش مَن هو أفضل منهم.

وقال ﷺ: ذرَّةُ استقامة خيرٌ من ألف كرامة.

وقال بعض الأساتذة لتلميذٍ له شكى إليه أنه يجد كرامة ثم عدمها: يا بنيّ الصَّبي إذا دخل المكتب أُعطي خشخاشة يلعب بها، فإذا تمرّن عليه رمى بها وتركها، فكذلك رؤيته ﷺ تكون تأنيساً للمريدين في ابتداءِ إرادتهم، فإذا كَمُلوا بكمال ورعهم استغنوا عن ذلك التأنس، فيعبّر بحرمان الرؤية عن هذا الاستغناء.

واعلم أنَّ هذه كلُّها احتمالات، و الله أعلم بمراد نبيّه ﷺ بتقدير صحَّة الحديث؛ لأن أحاديث الدَّيلمي فيها ما فيها كما هو مقرر في محله، انتهى بلفظه.

فقول الشيخ رحمه الله: أن هذه كلها احتمالات، والله أعلم بمراد نبيّه ﷺ؛ صدق الشيخ في ذلك، لأنه ما يدرى هل قصد بعضَها أو كلَّها أو غيرها، و الله أعلم.

ولكن هنا نكتة في الخفاء وهي أنَّ هذه الاحتمالات الصادرة عن كل أحد ومن كل واحد بوجه الحق، على تقدير الصحة لها كلها من علمه ﷺ المشار إليه بـ: «أُوتيت...» إلى آخره، وبهذا يقع مزيد البيان في تقرير معجزته ﷺ بكونه أُوتي علم الأولين والآخرين ممَّن تقدَّمه في الصورة وعاصره ولحقه إلى يوم الدين؛ لقوله السابق: «أُوتيت علم الأوَّلين والآخرين والمعاصرين» فكذلك، فلذا توقَّف كلُّ محدّث إلى آخر الدهر على ورود أمره عليه عند الأوّلين والآخرين، فهو بتقريره يقرّ أولاً وآخراً، فما خرج عنه شيء ولا شذَّ منه شيء مما تقدَّم أو تأخَّر كما مرَّ، فكل هذه العلوم الخفية أولاً وآخراً من علومه ﷺ، وقد بذل ﷺ الوارد عنه مطلقاً، ولم يقيِّده ليأخذ كلُّ عالِم منه نصيبه، كالقرآن العظيم، وينطق بما وجده من سرِّه وعلانيته عنده، وبهذا يتأدى تأدية كل نصيب إلى ذي نصيبه المصيب، فهو الحاضر المخاطب كلاً بما أراد الله به؛ من

كمالٍ ونقص، وعلوٍّ وسفل، وقُرْبٍ وبُعْدٍ، ونورٍ وظلمة، ونسأل الله من فضله النوال منه، فهو الآن كما كان في حال حياته ﷺ، فهو الأول والآخر، والباطن والظاهر، وهذا هو الخلق العظيم، فما ليس عليه أمره فهو ردّ، وما عليه أمره فهو قبول فيه؛ قَبِل مَنْ قَبِل، وردّ مَنْ ردّ، والردّ عدم؛ لأنه باطل ولا وجود له في الحق، وإنْ وُجد في الباطل.

ومن ثمرات الإرسال أيضاً للوارد أن يبثّ كلُّ واجد له ما عنده منه، فيكون البث منه كالعرض على السُّنّة وعلى صاحبها ﷺ، فيقرّ منه ما وافق الوارد، ويرفع الآخر إلى موافقته لمانع، وقد يمنع الوقت الموافقة، وإن كان مقبولاً في نفسه وله شاهد لعمل الشرط في الأعمال والذوات والأسماء، وكل ذلك بالقصد والإرادة من قِبَل الله ثم من قِبَل الرسول ﷺ، فالرسول محيط بالأوّلين والآخرين من عامَّة الأُمة أجمعين.

وشاهده أيضاً: حديث جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنهما؛ أنه ﷺ الأوَّلُ خَلْقاً، وأنَّ جميع الأشياء مخلوقة منه مِن أوَّلها إلى آخرها[1]؛ حسّها ومعناها، إنساً

(1) إشارة إلى حديث سيدنا جابر رضي الله عنه عنه ﷺ أنه قال: «أول ما خلق اللهُ نورُ نبيكِ يا جابر». رواه عبد الرزاق بسنده عن جابر بن عبد الله بلفظ: «قال: قلت: يا رسول الله، بأبي أنت وأمي، أخبرني عن أول شيء خلقه الله قبل الأشياء. قال ﷺ: «يا جابر، إن الله تعالى خلق قبل الأشياء نور نبيك من نوره، فجعل ذلك النور يدور بالقُدرة حيث شاء الله، ولم يكن في ذلك الوقت لوح ولا قلم ولا جنة ولا نار ولا مَلَكٌ ولا سماء ولا أرض ولا شمس ولا قمر ولا جِنِّيٌ ولا إنسي، فلما أراد الله أن يخلق الخلق قسَّم ذلك النور أربعة أجزاء؛ فخلق من الجزء الأول: القلم، ومن الثاني: اللوح، ومن الثالث: العرش، ثم قسم الجزء الرابع أربعة أجزاء؛ فخلق من الجزء الأول: حَمَلَة العرش، ومن الثاني: الكرسي، ومن الثالث: باقي الملائكة، ثم قسم الجزء الرابع أربعة أجزاء؛ فخلق من الأول: السماوات، ومن الثاني: الأرضين، ومن الثالث: الجنة والنار، ثم قسم الرابع أربعة أجزاء؛ فخلق من الأول: نور أبصار المؤمنين، ومن الثاني: نور قلوبهم وهي المعرفة بالله، ومن الثالث: نور إنسهم وهو التوحيد لا إله إلا الله محمد رسول الله». الحديث. كذا في المواهب. وقال فيها أيضاً: واختُلِف هل القلم أول المخلوقات بعد النور المحمدي أم لا؟. فقال الحافظ أبو يعلى الهمداني: الأصح أن العرش قبل القلم، لِما ثبت في الصحيح عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «قدَّر الله مقادير الخلق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، وكان عرشه على الماء»، فهذا صريح في أن التقدير وقع بعد خلق العرش، والتقدير وقع عند أول خلق القلم، فحديث عبادة بن الصامت مرفوعاً: «أول ما خلق الله القلم، فقال له أكتب، فقال رب وما أكتب؟ قال أكتب مقادير كل شيء» رواه أحمد والترمذي وصححه. وروى أحمد والترمذي وصححه أيضا من حديث أبي رزين العقيلي مرفوعاً: «إن الماء خلق قبل العرش». وروى السدي بأسانيد متعددة إن الله لم يخلق شيئا مما خلق قبل الماء، فيجمع بينه وبين ما قبله بأن أولية القلم بالنسبة إلى ما عدا النور النبوي المحمدي والماء والعرش انتهى. وقيل: الأولية في كل شيء بالإضافة إلى جنسه، أي: «أول ما خلق الله من الأنوار نوري» وكذا باقيها. وفي أحكام ابن القطان فيما ذكره ابن مرزوق عن علي بن الحسين عن أبيه عن جده أن النبي ﷺ قال: «كنت نورا بين يدي ربي قبل خلق آدم بأربعة عشر

وجِنًّا، وملكاً وفلكاً، وسماءً وأرضاً، وجنة وناراً، ونوراً ومعرفة، وإقراراً وجحوداً؛ كما هو في علمه ﷺ. قال: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَـٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾، [النساء: 41]. فهو ﷺ الشَّهيد على الكلِّ من المتقدِّمين والمتأخرين بشهادة الله به عليهم؛ لقوله: وجئنا بك شهيداً على هؤلاء الحاضرين، ولا يكون الشهادة إلا بالعلم، فلهذا عَلِم ﷺ عِلْم الأوّلين والآخرين، وإلا فكيف يشهد بما لا يعلم.

ومن المشار إليهم هؤلاء من كان قبل ظهوره في عالم الصُّورة البشرية، ومنهم مَن عاصره، ومنهم مَن أتى بعده، وهو ﷺ شهيدٌ على الكلّ، فلو لم يكن المحيط بهم والحاضر بالحقيقة لديهم، وإن غاب بالصُّورة لما تتأتى الشهادة وهي شهادة في شهادة، **فتأمّل**.

وقال تعالى: ﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ﴾، [الزخرف: 45]. فلو لم يكن الكلّ عنده حاضراً لما أمكنه السؤال أيضاً، فتأمله.

واعلم أنَّ الاختلاف والافتراق في حضرة العلم، وكذا الزيادة والنقص والتقدم والتأخر والاستكمال وعدم الاستكمال كله في حضرة العلم ومراتبه، ومنها حضرة الخيال المتصل والمنفصل؛ لا في حضرة الوجود، فالوجود واحد يوجد الكثرات والعلم يكثر الواحد بالاعتبارات والأفعال والأسماء والصفات لا غير، فالعلم بحسب المعلومات كثير، وبالذات واحد كالحقيقة الإنسانية مثلاً بالذات واحدة، وبالأشخاص والأنواع كثيرة، وكالماء مثلاً بذاته واحد وبمجعولاته ومستخرجاته لا يُحصى كثرةً، ولا يتناهى عدداً، فالأحوال والأنواع الصورية محل القضايا والأوامر والأحكام بعد بروزها إلى عالم الصورة بالقدرة الإلهية؛ لأنها محل تصريف القدرة وتخصيصها

ألف عام». انتهى ما في المواهب. تنبيه: قال الشبراملسي ليس المراد بقوله: «من نوره» ظاهره من أن الله تعالى له نور قائم بذاته لاستحالته عليه . لأنَّ النور لا يقوم إلا بالأجسام، بل المراد خلق من نور مخلوق له قبل نور محمد، وأضافه إليه تعالى لكونه تولى خلقه، ثم قال: ويحتمل أن الإضافة بيانية، أي خلق نور نبيه من نور هو ذاته تعالى لكن لا بمعنى أنها مادة خلق نور نبيه منها، بل بمعنى أنه تعالى تعلقت إرادته بإيجاد نور بلا توسط شيء في وجوده، قال وهذا أولى الأجوبة نظير ما ذكره البيضاوي في قوله: [ثم سواه ونفخ فيه من روحه] حيث قال: أضافه إلى نفسه تشريفاً وإشعاراً بأنه خلقٌ عجيب وأن له مناسبة إلى حضرة الربوبية انتهى ملخصاً.

بالإرادة لا غير، وهذا هو الحدوث والتجدد، وإذا شاء الله بدّل أمثالها تبديلاً. وأما الحقائق الذاتية، فلا تسطو عليها القدرة ولا تخصصها الإرادة، وإن شملها العلم، فهي الكلمات التي لا تبديل لها، فتذكَّر.

قيل لذي النون المصري[1] رحمه الله: بِمَ عرفت ربّك؟. قال: **عرفت ربي بربّي، ولولا ربي لما عرفت ربّي.**

فهذا القول منه حاصلُ التَّنَزُّلات الرَّبانية والإخبارات النبوية والإلهية، وما إفادته فهو إرشاد منه؛ لأن الشيء لا يُعرف إلا به مطلقاً، فالرسول كذلك لا يُعرف إلا به، فلا تعرفه إلا بما منه عندك، كما لا تعرف الحق إلا بما منه عندك، وكما لا تعرف شيئاً حقاً إلا بما منه عندك، ولولا ذلك لم تعرفه ولم يعرفك كذلك، فاعرف ذلك.

وعن عائشة ـ رضي الله عنها وعن أبيها– قالت: قال رسول الله ﷺ: «إن دعامة البيت أساسه، ودعامة الدين المعرفة بالله واليقين والعقل القامع»، فقلت: بأبي وأُمي، ما العقل القامع؟ قال: «الكفّ عن معاصي الله والحرص والصبر على طاعة الله»[2].

فـ «الأساس»: هو الدّعامة التي هي المعرفةُ بالله الموجبةُ لليقين.

و «العقل القامع»: الذي به يحصل الاستكمال للتورع عن معاصي الله، ويحصل الحرص والصبر على طاعة الله حتى يتبدَّل الصبر بالرضا، ويصير خُلُقاً لا تخلُّقاً، وبالاستكمال يحصل الشهود والاستغراق، وتغرق في لجّة بحر الله النفوس والآفاق.

---

(1) العارف بالله تعالى سيدي ذو النون بن إبراهيم المصري أبو الفيض، كان ﷺ أحد رجال الحقيقة، وأحد العلماء الورعين في وقته، كان نحيفاً تعلوه حمرة. سئل عن سبب توبته فقال: خرجت من مصر إلى بعض القرى فنمت في الطريق في بعض الصحارى ففتحت عيني فإذا أنا بقنبرة عمياء سقطت من وكرها على الأرض، فانشقت الأرض، فخرجت منها سكرّجتان واحدة ذهب والأخرى فضة، في إحداها سمسم، وفي الأخرى ماء، فجعلت تأكل من هذا، وتشرب من هذا، فقلت: حسبي قد تبت! ولزمت الباب إلى أن قبلت. توفي ـ رحمه الله ورضي عنه وعنّا به ـ سنة 246 هجرية. **انظر ترجمته في**: طبقات الأولياء لابن الملقن 218، وطبقات الصوفية للسلمي 15، وحلية الأولياء لأبي نعيم الأصبهاني 9/ 331.

(2) عن عائشة رضي الله عنها وعن أبيها، أن النبي ﷺ قال: «إن دعامة البيت أساسهُ، ودعامة الدين المعرفة بالله تعالى، واليقينُ والعقل القامع. فقلت: بأبي أنت وأمي ما العقل القامع؟ قال: الكف عن معاصي الله، والحرص على طاعة الله». انظر: الرسالة القشيرية للإمام القشيري: الجزء الأول ـ صفحة: 342.

وفي المعنى أنشدوا: [شعر]-

نطقت بــلا نطق هــو النطــق أنه | لك النطق لفظــاً أو يبين عن النطق
ترائيت كي أخفى وقد كنت خافياً | وألمعت لي برقــاً فأنطقت بالبرق

وقال الآخر: [شعر]

فمن كان في طول الهوى ذاق سلوة | فإني مــن ليلى لهــا غيــر ذائق
وأكثر شــيء نلتــه مــن وصالها | أمانــي لــم تصدق كلمحــة بارق

انتهى ما أحببت إيراده، ليفهمه من كان فيه مراده: [شعر]

وهــا هما قد لَبِســا مــن دون مَيْن | من ابن أبي بكرٍ بن ســالم الحسَيْن

والمراد بقولي: «**وها هما**»: السيِّدان الشَّريفان المتقدم ذكرهما: شجاع الدين عمر، وجمال الدين محمد الأبرّ، قد لبسا من المذكور هنا لطيف الشمائل، حسًّا ومعنًى، وهو السيد الشريف، العالم المنيف، نصرةُ المظلوم من الظالم الحسين بن أبي بكر بن سالم، ترجم له من دأب في العلم وبرع العلامة محمد الشِّلِّي في كتابه «**المشرع**»، فقال:

الحسين بن أبي بكر بن سالم بن عبد الله بن عبد الرَّحمن بن عبد الله ابن الشيخ عبد الرَّحمن السقاف رضي الله عنه :

الشيخ الكبير العارف بالله الشهير، الذي لا يكاد الزمان يسمح له بنظير، سلطان الوجود المشهور بالكرم والجود، عين الزمان، وشمس الأمان، وقمر العرفان، الغيث المغدق، والبحر المغرق، والنور المشرق، إمام عصره على الإطلاق، ومصلى ميدان السياق، صاحب الأحوال وأحد فُحُول الرجال الفائقين الأبطال.

[ولادته رضي الله عنه]: وُلد رضي الله عنه بمدينة عينات المشهورة في تلك الجهات، وقرأ القرآن العظيم، وصحب أباه السَّيِّدَ الكريم، وكانت الولايةُ لائحةً عليه من صغره، وظهر برهانها عليه في كِبَره، واشتغل بالعلوم الشرعية، واعتنى بعلوم الصُّوفية؛ لا سيما ما في الكتب الغزالية، وسار على السيرة النبويّة، والطَّريقة المحمّدية، وصحب أعيان

عصره، وأخذ عن علماء دهره، وجدَّ في الطَّاعات، واجتهد في أعمال القُرُبات، قد طبعه الله تعالى على كريم السَّجايا، وحبَّب إليه الرأفة بالبرايا، وإكرامهم بالمواهب الجزلة والعطايا، ومنحه الله الأحوال العليّة، والمقامات السَّنية، والعلوم الوهبية، والمكاشفات النورانية، ففاقَ أهل عصره وزمانه، وارتفعت منْزلته فما داناه أحد من أهل وقته وأوانه، ولازم والده في جميع أمره، ولم يفارقه في حَضَرِه ولا سَفره، ولم يخالفه في نهيه ولا في أمره، حتى انتقل والدُه من هذه الدار إلى دار القرار، فاتّفق على تقديمه الخاصّ والعامّ، فقامَ بالمنصب أتمَّ قيام، وسلك مَسْلك أبيه في النظام، ثم اتباع سُنّة سيّد الأنام، عليه أفضل الصلاة والسلام، واقتفى آثار سلفه الكرام، من إطعام الطَّعام، وصِلَة الأرحام، وإكرام الفقراء والمساكين والغرباء والأيتام، وظهر عليه ما أبْهر العقول، واعترف له بالفضل من الرجال الفحول، ونصب نفسَه لنفع العباد، فَسَادَ وَجَاد، وبنى معاقل الدِّين وشاد، وشاع ذكره في كلِّ بلاد، وطار صيته إلى كلّ ناد، فرحل إليه الطالبون والفضلاء، وقصده أكابر العلماء، وعملت إلى الارتحال المطيّ، وعمَّت بركته المحسن والمسيّ، وقصده الناس من كلِّ فجٍّ عميق، واقتبس من أنواره كلُّ فريق، وصحب الجمّ الغفير، وانتفع به خَلْقٌ كثير، ولم يكن له نظير في تلك الدِّيار، في كثرة الهدايا والإنذار، وكثرة المريدين والأتباع، وسِعة الجاه ودوام الانتفاع، فكانت تغدو إليه العربان من أقطار الأرض، وتَرِد إليه بعضها على بعض، وتَرفع حاجاتها إليه، وترد المطالب المنتشرة، فتقف بين يدَيْه فيُمطر عليهم سحائب جوده وإحسانه، ويوردهم بحر إفضاله وامتنانه، ويرجع كل واحد وقد أخذ من الزمان توقيع الأمان، وينشد في كلّ واحد قول حبيب بن أبي داود: [شعر]-

وما ســافرتُ في الآفــاق إلاّ . . . ومِــنْ جَدْواك راحِلَتــي وزادي[1]

طال ما طاب للواردين من مَنْهل كرمه صفاءُ المشارب، وطال ما طاف حول كعبة جوده مَن يريد مِنَ الوافدين وفاءَ المآرب، وكان ذا نظر في عواقب الأُمور، واعتناء لمصالح الجمهور، وكان محبًّا للعلم والعلماء، محسناً إلى الفقراء والضُّعفاء، وكان

(1) زهر الآداب لأبي إسحق القيرواني: الجزء الأول ـ صفحة: 314.

يكره للفقراء التفعّل في طلب المقامات[1]، ويأمرهم بإخلاص العمل والنِّيات، ويقول: لا تتَّخذوا الأعمال وسائل لمقاصد النفوس تُحشروا مع الخاسرين، وكان ﷺ رافضاً للدنيا، مُهيناً لأهلها، مجانباً من يخوض في أمرها، وكان يكره الجبابرة لا ينظر إليهم إلا شزراً، وإذا أتاه أحدهم مشى الهُوَيْنا كأنه جاء جَبْراً، وكان ﷺ كثير الاحترام لشعائر الإسلام، شديد الازدراء لأهل البدع اللِّئام، فكانت السُّنّة بمكانه منصورة، والبدعة لفرط حشمته مقهورة، ولما كتب إمام الزيديّة إلى أهل الديار الحضرمية يستدعيهم إلى الدخول في طاعته، فردَّ له الجواب كل من وصله منه كتاب إلا صاحب الترجمة، فلم يردَّ له جواباً، ولا وجَّه إليه خطاباً، وقال: حقيقٌ لمن لم يُدْع إلى ما يرجى فيه الثواب، أن ينقلب صاحبه بخير جواب.

وكان شديد الإنكار على من شرب التنباك، واعتنى بإزالته من تلك الديار وإطفاء هاتيك النار، فتمَّ له ذلك، ونُودي بمنعها في الأسواق والمسالك.

وصنَّف له شيخنا الشيخ محمد بن علي علان في حرمته مؤلَّفَين وتبعه بعض الحنفية في تحريمه، والذي أفتى به شيخنا الشيخ عبد العزيز الزمزمي، وشيخنا الشيخ عبد الله بن سعيد باقشير عدم الحرمة إلا لمن حصل له به ضرر. وكان ﷺ شديدَ الاعتناء لمن قصد باب كرمه وإحسانه، أو تمسَّك بذيل عفوه وامتنانه، أو توسَّل بمعروفه المعروف، أو تشفَّع بجوده المألوف، ومن التجأ إليه أَمِنَ مِن خطوب الزمان، وامتداد الأيْدي إليه بالعدوان، ولما حصل للسلطان عبد الله بن عمر الكثيري بعض ما حصل لإبراهيم بن أدهم وركب على ذلك الأدهم خاف من الأسْر، وخشي من القبض والعسر، فعمد إلى جنابه المرصد لإعانة من اعتمده وقصد حضرته التي هي لإغاثة الملهوف مُرْصَدَه، فنجّاه من تجرّع تلك الكأس، وظفر بالخلاص بعد اليأس، ولم يقع اختلال في البلاد، وانتظمت أحوال العباد.

[كراماته ﷺ]: وله ﷺ كرامات كثيرة، وأحوال منيرة، ومناقب شهيرة، ولم أقف

(1) وقد قال العارف السهروردي في العوارف: «سئل أبو حفص عن أدب الفقراء في الصحبة؟. فقال: حفظ حرمات المشايخ، وحسن العشرة مع الإخوان، والنصيحة للأصاغر، وترك صحبة من ليس في طبقتهم، وملازمة الإيثار، ومجانبة الادخار، والمعاونة في أمر الدين والدنيا، فمن أدبهم: التغافل عن زلل الإخوان، والنصح فيما يجب فيه النصيحة، وكتم عيب صاحبه، وإطلاعه على عيب يعلم منه». عوارف المعارف 282.

على غير ما ذكَرْت، وإليه أشرت، ولم يزل ممتطياً صهوة العزِّ المكين، راقياً ذروة الجاه الركين، إلى أن أتاه رسول ربّ العالمين، فانتقل إلى دار المتّقين.

[**وفاته** ﷺ]: وكانت وفاته سنة أربع وأربعين وألف، وقُبِر في مقبرة عينات، بالقرب من والده ﷺ، فأصبحت بلده لفَقْده دامرة، بعد أن كانت بوجوده عامرة، وشهد جنازته خلائق لا يحصون، رحمَه الله تعالى ونفعنا به، انتهى.

ثم قلت:

وهــو لبس مــن أبيــه الفخري　　　مــن شــهر بجَهْره والسِّــريّ

[مطلب]
في ذكر
[سيدي الولي الكبير والعارف الغوث صاحب المقامات والأحوال سيدي الإمام أبو بكر بن سالم رضي الله عنه]

المذكور هنا هو قدوة العارفين، وتاج رؤوس المنصفين، حاوي الفضائل الباهرة، وحائز الشمائل الفاخرة، المجمع عليه بأنه ولي الله، أبو بكر بن سالم بن عبد الله، ترجم له بـ «**المشرع الرويّ في مناقب السَّادة بني علوي**»(1)، والفخر الجليّ، والقدر العليّ، العلاَّمة محمّد بن أبي بكر الشِّلِّي رضي الله عنه، فقال:

أبو بكر بن سالم بن عبد الله بن عبد الرَّحمن بن عبد الله بن عبد الرَّحمن السَّقَّاف رضي الله عنهم صاحب عينات، وصاحب الأحوال والمقامات، الفائق على الفحول والأفراد، الجاري في ميدان الحقيقة حيث أراد، الواقع على ولايته الاتفاق، بل أجمع عليها جميع الآفاق، رتبته في الإمامة شهيرة، ورفعته أسمى من شمس الظهيرة، وسار أحسن سير فأسرع، وكرع من الفضل في أغزر مشرع، إمامٌ ضُربت به الأمثال، وشُدَّت إليه الرِّحال، ارتفع عن أن يقاس بنظير، وخضع له كل صغير وكبير.

[ولادته رضي الله عنه]: وُلد رضي الله عنه سنة تسعة عشر وتسعمائة بمدينة تريم، ونشأ بها على النعيم المقيم، وكان هادياً مهديّاً منذ كان في المهد صبياً، ثم اشتغل بالعلوم وطلبِها، وأكبَّ على مطالعة كتبها، واجتهد في تحصيلها، وحفظ فروعَها وأصولها، حتى صار آخذاً من سائر العلوم بأوفر حظّ، جامعاً بين تحقيق وفهم وحفظ، مقدَّماً في العلوم الشرعية، فارساً في علم الأدب والعربية.

(1) انظر: **المشرع الروي لأبي بكر الشلّي**: الجزء الأول ـ صفحة 26-28.

[مشايخه ﷺ]: وصحب ﷺ مشايخ عصره، وأخذ عن أكابر علماء دهره، فمنهم الشيخ الكبير عمر باشيبان، والشيخ الفقيه عبد الله بن محمَّد بن سهل باقشير صاحب القلائد، والشيخ الفقيه عمر بن عبد الله بامخرمة، قرأ عليه «الرسالة»، وكان لا يقرىء إلا من تفرّس فيه النَّجاح.

ومنهم: الإمام العارف بالله أحمد بن علوي باجحدب، ثم قصد صاحب الكمال البديع المثال المنيع المنال الشيخ معروف باجمال، فلازمه وساعده الله بعنايته وأمدّه، إلى أن تخرّج في طريق القوم، وأحسن السِّباحة في بحورهم والعوم.

ثم قصد قرية عينات، ذات الأنوار والبركات، فقطن بها وتديَّرها وازدهت به ولا ازدهاء مصر بالنيل وقد رواها، وافتخرت به حتى لعبت بأغصان البان صباها، وبنى تحت القرية داراً أيَّ دار، قد حفّها الله بالأنوار، والفضل المدرار، لينعزل فيها عن الناس، ويتحصّن فيها من الجِنَّة والناس، وشر الوسواس الخناس، ولزم التهجّد والسُّهود، وبذل في الطاعات المجهود والكواكب شهود، ولم يزل في الاجتهاد والرياضات في ازدياد، حتى توالت الإمدادات الربانية والإسعاد، ونال ما لم ينله غيره من العباد، وظهرت له المكاشفات، وتوالت عليه خوارق العادات، ثم برز للناس كأنه سبيكة نضار[1]، وظهر ظهور الشمس في النَّهار، وعكف عليه العاكفون، ولهج بذكر محاسنه الواصفون، وقصده الناس من أقصى البلاد، وانتفع به الحاضر والباد، واشتهرت مناقبه في الآفاق، وسارت بها الرّكبان والرفاق.

ولما بلغ شيخه الإمام العارف بالله تعالى السيد أحمد بن علوي باجحدب هذا الظهور التام، قال: ما أُعطي إلا بسم الله في الكلام، ومثل حبة الطعام، ولما بلغ ذلك صاحب الترجمة ﷺ سجد لله شكراً، وقال: تكفيني هذه الشهادة فخراً وقدراً، ثم ارتحل من عينات إلى تريم لزيارة شيخه السيد المذكور العظيم، فلما اجتمع بشيخه المذكور قال له: ما سببُ هذا الظهور؟ . فقال: جاءني فلان وفلان وعدد جماعةً من السادة بني علوي، ومعهم الشيخ عبد القادر الجيلاني، وأمروني بذلك، فإن رأيتم أن تمنعوا هذا عني فإنما هو بالكره مني.

---

(1) «**النُّضَارُ**» ـ بالضم ـ و النَّضِيرُ: الذهب. وقيل: النُّضَارُ الخالص من كل شيء.

فسكت الشيخ أحمد ساعة طويلة، ثم كلَّمَه بكلام غريب لم يفهمه الحاضرون، ووعظه بكلمات وأوصاه بوصيات، وأمره بالرجوع إلى عينات، وجلس بها للنفع العام والإرشاد التام، وأقام شعار الفضل والمناسك، وأضحى جنابه ملجأ لكلِّ خائف وطالب وسالك، وانثالت عليه الخلائق من كل فجٍّ، وصار كعبة الآمال كل وقت يحج، وأخذ عنه خلائق لا يحصون، وتخرَّج به كثيرون.

[مريدوه وطلابه ﷺ]: منهم السيد أحمد الحبشي صاحب الشعب المشهور، والسيد عبد الرَّحمن بن محمّد الجفري صاحب تريس، والسيد محمد بن علويّ صاحب المقيرويات، والسيد عبد الرَّحمن البيض صاحب الشّحر، والسيد يوسف القاضي صاحب مريمة، والشيخ حسن باشعيب صاحب الواسطة، والشيخ أحمد بن سهل صاحب هيتن، والفقيه محمد بن سراج الدين صاحب التصانيف، وأخذ عنه وتخرَّج به من أهل تريم وأهل بلده وكثيرون يطول ذكرهم.

[مؤلفاته ﷺ]: وصنَّف ﷺ كتباً في علم الطَّريقة وأخرى في علم الحقيقة، مشحونة بالعلوم القرآنية، والعقائد الإيمانية، والمعارف الربانية، واللطائف العرفانية.

منها كتاب: «معراج الأرواح إلى المنهج الوضاح»، **وكتاب**: «فتح باب المواهب وبغية مطلب الطالب» وهو مجلد كبير، **وكتاب**: «معارج التوحيد»، **وكتاب**: «مفتاح السرائر وكنْز الذخائر» وأتى فيها بعجائب المعاني المرضية، ونشر ما كان مطوياً من الكنوز المخفية، وله كلام حسن في التصوّف والرَّقائق، وكلامٌ جليل في الحكم والدقائق، وله شعر فائق حسن رائق، أكثره في الحقائق، وله قصيدة عارض بها «نظم السلوك»، وهي بديعة النسج بليغة الحوك، وله: «تائية أخرى صغرى»، و «تائية بالفوقانية والتحتانية»[1] وغير ذلك مما هو مثبت في ديوانه الذي أنشأه أول سلوكه، فكان يحلُّ كلام القوم ومصنَّفاتهم، ويشرح كلامَهم واصطلاحاتهم؛ إذ هو قطب رحاها، وشمس ضُحاها.

وقال ﷺ: طلبت من الله تعالى أن يريني حالَ السَّقَّاف، فتجلَّى لي نوراً ملء الدنيا،

---

(1) أي تائية ويائية.

والسقاف مبرقع فيه.

[أخلاقه ﵁]: وكان ﵁ في الكرم بحراً زاخراً، وروضاً باهراً، بل نداهُ يغصّ به البحر شَرَقاً، ويتفصّد جبين السحاب عَرَقاً، وكانت أمواله كلُّها من عقار ومنقول وحيوان باسم المحتاجين والضعفاء والضِّيفان، فكانت الوفود يردون بحر إفضاله وامتنانه، ويستقطرون سحائب إحسانه، وكان له أخلاق قلَّ أن تُرى في غيره مجموعة، ولا يوجد دينار على سكّتها المطبوعة، مع حِلم لا يستقيم معه الأحنف، ولا المأمون عند من روى وصنّف، فكان لا تزعجه أجلاف الأعراب، بل كان يتلطف بهم في الكلام والخطاب، ويرشدهم باللُّطف إلى الصواب، وكان يجتمع بالخضر والياس، وكان يلاطف أصحابه بالإيناس، حتى يظن كل واحد منهم أنه المقدّم عنده على سائر الناس.

[كراماته ﵁]: وكان ﵁ يتنَزّه عن إظهار الكرامات وخوارق العادات، لما هو معلوم ومقرّر ونبّهنا عليه فيما مرّ أن الركون إليها في الحال والمآل ليس من صفات أهل الكمال، وما وقع له منها ليس عن قصدٍ لذلك، وإنما هو بحسب المقتضى لما هنالك.

منها: أنه كاشف جماعةً من أصحابه بما هو في خواطرهم، حتى أنَّ جماعة شيخه الشيخ معروف باجمال كاشفهم بأشياء كانوا ستروها عنه، فرجعوا إليه وتمثلوا بين يديه.

ووقع لبعضهم أنه كان بتريم يريد أن يبني بها داراً للسكنى، فتوقف ليشاور شيخه صاحب الترجمة ﵁، فأتاهُ رسوله بالأمر بالبناء، وكان خروجه من عينات وقت وقوع الخاطر.

ومنها: أنَّ بعضهم كان يستعين بالقهوة على قيام الليل، فنفد ما عنده ولم يقدر على شراء شيءِ لفقره، فأرسل له الشيخ شيئاً من القشر، وقال له: اطبخ منه وإذا حصل لك منه شيء اطرحه عليه، ففعل، فاستمرّ على ذلك أعواماً كثيرة.

ومنها: أنَّ بعضهم سافر من الهند مع تجار مقصودهم «بندر المخا»، فخالف الريح

عليهم لكونه آخر الموسم، وتعبوا ثم اتفقوا على الرجوع إلى الهند، فرأى خادمه المذكور شيخه ـ صاحب الترجمة ـ في المنام، يقول له: قل لأهل السفينة: انذُروا وأبشروا، فاستيقظ وأخبرهم بما رأى، فنذر كلٌّ واحد على حسب قدرته، فجاءتهم ريح طيبة أوصلتهم بندر المخا، فأعطوا خادمه ما نذروا به، فخرج به إلى عينات، وأخبره الشيخ بما وقع لهم قبل أن يتكلم، وقال له: هات النذر، فقال: حتى تخبرني به، فقال: هو كذا وكذا.

ومنها: أنَّ جماعة من السادة سافروا من تريم ليجذّوا نخلهم بالعجز، وقصدوا أولاً زيارة صاحب الترجمة ﵁، فلما عزموا على الخروج، قال: اجلسوا عندنا هذا اليوم، فقالوا: مقصودنا أن نجذّ نخلنا ونخشى إن جلسنا أن يفوت، فقال لهم: قد جُذّ النخل ووصل إلى تريم، فكان كما قال.

ومنها: أنَّ رجلاً بدوياً ضاع له بعير وطلبهُ، فلم يجده، فقال له بعض خُدَّام صاحب الترجمة: إن شيخي يعرف محل بعيرك!. فأتاه البدوي وأخبره بما قال له خادمه، فنادى الخادم وسأله عن ذلك، فقال: سمعتك تقول: إنَّ الدُّنيا كقصعةٍ بين يديّ، وبعير هذا البدوي في الدّنيا، فزجره الشيخ عن هذا، وقال للبدوي: اطلب بعيرك في شِعب كذا لعلك تجده فيه، فذهب فوجد بعيره فيه.

ومنها: أنه ﵁ أرسل لعُمر بن عبد الله بن جعفر الكثيري، وهو في الحبس تعبان يبشره بالخروج من الحبس وبالولاية، وما مضى عليه إلا زمن يسير وأُخرج من الحبس ووُلِّي على حضرموت وأعمالها.

وكرامات صاحب الترجمة ﵁ كثيرة ومناقبه شهيرة، وقد أفردها بالتأليف الشيخ محمد بن سراج الدين سماه: «**بلوغ الظفر والمغانم في مناقب الشيخ أبي بكر بن سالم**».

ولم يزل ﵁ كذلك سالكاً أحسن المسالك إلى أن دعاه مولاه فأجابه ولبّاه، فانتقل إلى رحمة الله تعالى ليلة الأحد لثلاثٍ بقين من ذي الحجة، سنة اثنتين وتسعين وتسعمائة، بعينات المذكورة، وتربته بها مشهورة كالشمس وسط النهار، ويقصده

الزوّار من جميع الأقطار بأنواع الأنذار، ومن استجار بقبره المأنوس أمسى وهو محروس، لا يقدر أن يناله أحد ببوس[1]، وبُني عليه قبة عالية البنا، عظيمة القدر حسًّا ومعنًى.

و «**عِينات**»: ـ بكسر العين المهملة وسكون التحتية فـ «نون»، فـ «تاء» فوقية ـ: قريةٌ من أشهر قرى حضرموت، على نحو نصف مرحلة من تريم، وأول من اختطّها: آلُ كثير، سنة تسعٍ وعشرين وستمائة، وهذه هي **القديمة**.

وأما **الجديدة**: فهي محلِّ دار صاحب الترجمة ﷺ، فإنه لما بنى داره المذكورة بنى الناس حولها حتى صارت قرية معمورة، وبالأنوار مغمورة، وافتخرت به على سائر المحال، وأنشد لسان الحال: [شعر]

تغايــرت الأقطــار فيــك فواحد	لفقــدك يبكــي أو لقريبك يبســم
وكل مــكان أنــت فيــه مبــارك	وفــي كل يــوم فيه عيد وموســم
ولا شــك فــي أن الديــار كأهلها	كمــا قيل تشــقى بالزمــان وتنعم

وقد اعتنى بمدحه جماعة من الفضلاء العلماء، وأثنوا عليه نثراً ونظماً، منهم الشيخ عبد القادر بن أحمد الفاكهي، والعلاَّمة علي بن جار الله بن ظهيرة، والسيّد الجليل عبد الرَّحمن البيض. ومدحه بعض فضلاء المغرب بقصيدة مطلعها: [شعر]

من جنة الخلد أم من سفح عينات	لاحــت لعينــي أنــوار العنايات
للــه مــن نفحات لــم تــزل أبداً	يجلو صداها الشذى من وجه مرآة

وهي طويلة...، وله قصيدة أخرى قال فيها: [شعر]

شجتني سحيراً صادحات الحمائم	وقد لعبت في الروض أيْدي النَّسائم

وهي طويلة أيضاً.

وقال الفقيه الفاضل عمر بن إبراهيم المثاني في أثناء رسالة أرسَلها إليه: [شعر]

(1) أي ببؤس.

يرنحنـــي بالشـــوق ذكـــر المعالم ويبدين وجـــدي ما به مـــن كرائم

وهي طويلة أيضاً، منها قوله: [شعر] ـ

فقلت لهم حسبي اعتياضي عنكم أبا بكر المشـــهور أعني ابن سالم

به رحـــم اللـــه العبـــاد وأخصَبَت بـــه الأرض طرًّا يا لهـــا من مكارم

وقـــد مـــلأ اللـــه القلـــوب محبّة لـــه فالزمنـــه باجتهـــادٍ وزاحـــم

ومدحه محمد بن علي بن جعفر بقصيدة أولها: [شعر]

إن جيـــت عينـــات فحـــيّ ثراهـــا واستنشـــق العرفـــان مـــن رُباهـــا

وذكرت ترجمته بأطول مما هنا في «**الضياء الباهر**».

قلت: و «الضياء الباهر» هو ذيل لـ «النور السافر بأخبار القرن العاشر» لسيدنا العيدروس عبد القادر، ليُعْلم.

[مطلب]
في ترجمة
[عمدة العارفين، وقدوة المقتفين لشريعة سيّد المرسلين ﷺ، علم الرافدين، حاوي المعرفة والعرفان عمر بن محمد بن أحمد باشيبان رضي الله عنه]

ثم قلت:

وهـــو لبس مـــن عظيم الشـــان   عمر هو المدعوّ بـ «با شـــيبان»

المذكور هنا عمدة العارفين، وقدوة المقتفين لشريعة سيّد المرسلين، علم الرافدين، حاوي المعرفة والعرفان عمر بن محمد بن أحمد باشيبان رضي الله عنه.

ترجمَ له في «**المشرع الرويّ في مناقب السادة بني علوي**»(1)، ذو الفخر الجلي محمد بن أبي بكر الشبلي، فقال:

[اسمه ونسبه رضي الله عنه]: عمر بن محمد بن أحمد بن أبي بكر باشيبان بن محمد أسد الله بن حسن بن علي ابن الأستاذ الأعظم الفقيه المقدّم رضي الله عنهم .

السيّد العظيم الألمعي الكريم، ذو القلب السليم، والنَّهْج القويم، إمامٌ باسمه تنشرح الصدور، وبدعائه ترتجى رحمة الأحياء وأهل القبور، الجامع بين الرواية والدِّراية، والبالغ في الديانة إلى أقصى الغاية.

[ولادته رضي الله عنه]: وُلد رضي الله عنه سنة إحدى وثمانين وثمانمائة بمدينة قَسَم، ونشأ بها على مزيد نِعَم، وحفظ كلام الله العزيز بَعْد أن بلغ سنّ التمييز.

---

(1) انظر: **المشرع الروي لأبي بكر الشلي**: الجزء الثاني ـ صفحة: 248.

[رحلته وأخذ العلم وشيوخه ﵁]:

ثم رحل ﵁ إلى مدينة تريم وأخذ بها عن ذوي الفضل العظيم، فأخذ عن الإمام العلاَّمة محمد بن عبد الرَّحمن بافقيه[1]، والعلامة الفقيه عبد الله بن عبد الرَّحمن بلحاج، وحفظ عليه «الإرشاد» و «الوردية» في النحو وعرضها عليه.

وأخذ عن السيّد محمَّد المذكور العلوم الشرعية، وجملةً من الفنون الأدبية، وعلوم العربية.

ورحل إلى الشيخ العارف بالله معروف بن عبد الله باجمال، فأخذ عنه وألبسه خرقة التصوف.

وأخذ التصوف والحقائق عن الشيخ عبد الرَّحمن بن علي، وحكَّمه وألبسه الخرقة الشريفة، وأجازه غير واحد في التّدريس والإقراء في كلِّ علم نفيس، فدرَّس وأفاد وانتفع به كثيرون من العباد، وله نثر كثير ونظم يسير.

[تصانيفه ﵁]: ومن تصانيفه كتاب «ترياق القلوب الواف بذكر حكايات السادة الأشراف».

وحُكي أن السَّيد العلاَّمة علي بن علي بايزيد الدوعني المقبور بالشّحر، صاحب النكت على الإرشاد، والفتاوى المشهورة، رحل إلى حضرموت لزيارة مَن فيها من السَّادة أولي التحقيق ليأخذ عنهم الطَّريق، ولما اجتمع بصاحب الترجمة عرف له قدره وأعطاه ما يستحقُّه، وأثنى كلُّ واحد منهما على صاحبه، بعد أن قضى غاية مآربه، ثم عزم الفقيه علي بايزيد على زيارة قبر النبيّ هود ـ على نبيّنا وعليه أفضل الصلاة والسّلام ـ، فلما ودَّع صاحب الترجمة قال له صاحب الترجمة ﵁: ستجدون عند القبر رجلاً من أهل الكشف يقال له: «محمد بن سليمان باشيبان» يتكلَّم بكلام يزعم أنه منامات، وهو من طريق الكشف، فالزموه والتمسوا بركته. وعنده ولدان من أولاد الأشراف، أحدهما اسمه: عقيل بن عبد الله، والثاني: عبد الودود. وقال له: ستصل إلى بلادك بالسَّلامة، ولا بدّ من العوْد إلى هنا.

(1) في «المشرع»: بلفقيه.

قال الفقيه علي: فوجدنا الأمر كما ذكر، ووجدنا الذين سمّاهم بأسمائهم، ورجعت إلى بلدي وعدت لزيارة حضرموت بعد ثلاثين سنة.

[أخلاقه وعباداته وأحواله ﵁]: وكان صاحب الترجمة ﵁ يغلب عليه حبُّ الخمول، وترك ما لا يعنيه والفضول، له مروءة خلقية، وفتوة صوفية، وأعمالٌ حسنةٌ مرضية، وكان كثير التلاوة والأذكار والقيام بالأسحار، والصيام بالنهار، يتّقي الشبهات وهتك الحُرُمات، ولم يزل على هذه الحالات متّصفاً بأحسن الصِّفات، إلى أن دعاه داعي الممات.

[وفاته ﵁]: وكانت وفاته ﵁ سنة أربع وأربعين وتسعمائة بمدينة قَسَم، وقُبِر في مقبرتها المشهورة التي هي بالزيارات والقراءات معمورة، رحمه الله تعالى رحمة الأبرار، انتهى.

[مطلب]
في ترجمة
[القطب الغوث،جامع الكمالات وحاوي الصّفات المستحسنات، ذو المناقب الشريفة، والخصال المنيفة، العالِم بعلم الباطن والجلي، السيد الشريف وجيه الدين عبد الرَّحمن ابن الشيخ علي بن أبي بكر بن عبد الرَّحمن السقاف رضي الله عنه]

ثم قلت:-

وهو لبس من وجيه الدين   من عُرف بالزُّهْد واليَقِين

المذكور هنا هو جامع الكمالات وحاوي الصّفات المستحسنات، ذو المناقب الشريفة، والخصال المنيفة، العالِم بعلم الباطن والجلي، السيد الشريف وجيه الدين عبد الرَّحمن بن علي، ترجم له مَن في جميع العلوم، وبرع العلاَّمة محمد بن أبي بكر الشِّلّي في كتابه «**المشرع**»[1]، فقال:

[اسمه ونسبه رضي الله عنه]: **عبد الرَّحمن ابن الشيخ علي بن أبي بكر بن عبد الرَّحمن السَّقَّاف** رضي الله عنه، أحد الأولياء المعتَقَدين، وأوحد العلماء المعتَمَدين، وناشرُ ألوية مكارم آبائه الأمجدين، أستاذُ الفقهاء والمتكلِّمين، وإمام الزهّاد الورعين، ذو الوصف الذي يقاوم الوردَ يفوقه عطراً، ويفاوح النّد بل يفضله فخراً وقدراً، ويقصر القلم اليراع عن حدّه[2]، ويقف عن بثّه وسرْده، لعلمه بأنه لم يفِ بالبعض، ولو أن ما في الأرض.

---

(1) انظر: «**المشرع الروي**» **لأبي بكر الشلي**: الجزء الثاني ـ صفحة: 134-137.
(2) أي التعريف به وبقدره رضي الله عنه.

[**ولادته، وطلبه العلم وشيوخه** ﵁]: وُلِد ﵁ بمدينة تريم سنة خمسين وثمانمائة، وحفظ القرآن العظيم على شيخه المعلّم السيد محمد بن علي بن عبد الرَّحمن، وتلا لأهل سِما، وعلا على أقرانه وسَما، وحفظ الكثير من «**الحاوي**» في الفقه، و«**الوردية**» في النحو، وأكثر **ديوان** الشيخ عبد الله بن أسعد اليافعي ﵁، وغيرَها، وعرض محفوظاته على مشايخه، وأكثر الطَّلبَ والاشتغال على أكابر الفحول من الرجال، فأخذ عن والده وعمّه محيي النفوس الشيخ عبد الله العيدروس، والسيّد الأمجد عمّه الشيخ أحمد، والإمام الولي سعد بن علي، والشيخ الشهير الفقيه عبد الله بن عبد الرَّحمن بلحاج.

[**رحلاته** ﵁]: ثم رحل إلى اليمن وقصد بندر عدن، وأخذ عن الإمامين المشهورين العلاَّمة عبد الله بن أحمد بامخرمة، والعلاَّمة محمد بن أحمد، وقرأ عليهما عدّة علوم، وسمع منهما الكثير، حتى كاد أن يستوعب جميع مسموعهما، وأجازه كلٌّ منهما إجازة عامة بجميع مروياته ومؤلَّفاته. وأقام بعدن أربع سنين.

ورحل إلى مدينة **زبيد** إلى الإمامين الجليلين الحافظ يحيى العامري صاحب «بهجة المحافل»، وصفيّ الدِّين أحمد بن عمر المزجد، وأخذ عنهما عدّة فنون، وأجازه كلٌّ مهما.

وأخذ ﵁ عن الشيخ المحدِّث فضل الدوري وغيرهم.

[**زيارته للحافظ العامري ﵁ ورؤيته موضع أصابع النبي ﷺ**]:

وكان معه ابن عمه الشيخ أبو بكر بن عبد الله العيدروس ﵁، والتمسا من الحافظ يحيى العامري أن يريهما موضع أصابع النبيّ ﷺ، فكشف لهما عنه ـ كما مرّ في ترجمة الشيخ أبي بكر ـ ورأوا نوراً تلألأ.

ووقع نظير ذلك لبعض المغاربة، كان يستر إحدى يديه، فسأله بعضهم وقد ألحّ عليه، فقال: امتدحت النبي ﷺ بجملة قصائد، ثم امتدحت بعض أهل الدُّنيا، فرأيت النبي ﷺ في النوم وهو يعاتبني على ذلك، ثم أمر بقطع يدي فقُطعت، فشفع الصدّيق ﵁ فيَّ فشفَّعه، فالتحمت كما كانت، فانتهبت والعلامة ظاهرة في يدي!!، فكشف عن

يده فإذا محل القطع نورٌ ظاهر.

[توجّهه ﷺ للحج وزيارته للحبيب ﷺ]: ثم توجّه صاحب الترجمة ﷺ إلى حج بيت الله الحرام، وحجَّ حجّة الإسلام، وذلك سنة ثمانين وثمانمائة، وأخذ بمكّة عن الحافظ السخاوي، وأجازه بجميع مرويّاته ومؤلَّفاته، وأكثر من الطَّواف والعمرة، وظهر به أثره، فصار كالبدر سناءً، وكالشمس نفحة وضياءً، وعزم على زيارة جدّه عليه أفضل الصلاة والسلام وأصحابه الكرام. وكان معه ابن عمّه العارف بالله الشيخ أبو بكر بن عبد الله العيدروس ﷺ، وكان مريضاً، طلب منه أن يسافر معه إلى حضرموت لكونه مريضاً، فامتنع صاحب الترجمة، وقال: أريد أغتنم الفرصة، فقال الشيخ أبو بكر: ما أصدّك عن الزيارة، ثم طلب الجمالة وقال: من سار بابن عمي لا بدَّ أن يصاب!. فامتنعوا من السفر معه، فتشوَّش صاحب الترجمة من ذلك جداً، ثم دخل للطَّواف فرأى رجلاً على صورة والده، وكان والده إذ ذاك مقيماً بتريم، فقال له وهو متفكّر في حالته: اعتراضك على القدرة أعظم من تركك الزيارة، فسكن ما عنده.

ثم رأى النبي ﷺ في المنام، وهو راكب في السفينة، وقد أمسك ﷺ برأسه وبشّ في وجهه، وقال: تعبت من عدم زيارتنا!، ستزورنا على أحسن حال، ونحن عنك راضون، وقد قبلناك، مع لطف وتحنُّنٍ وشريف، ففرح فرحاً شديداً.

ولما عاد إلى تريم لازم والده الشيخ علياً ملازمة شديدة، حتى قرأ عليه جميع مؤلفاته، وقرأ عليه «الإحياء» وعدة قراءته الإحياء على والده أولاً وآخراً أربعون مرة، وأجازه هو وغيره من مشايخه في الإفتاء والتدريس والتحكيم والإلباس، وبرع في العلوم الشرعية والفنون الأدبية وعلوم الصوفية، وشارك في علوم العربية.

[سفره ﷺ للحجِّ ثانياً]: ثم سافر ثانياً لحج بيت الله الحرام، وزيارة جدّه عليه الصلاة والسلام، سنة ستّ وثمانين وثمانمائة، ودخل بَندر عدن ومدينة زبيد وحصل له في هذه الرحلة الفضل المزيد، وكلما دخل بلداً قابله أهله بالاحترام ووفّوه بما يستحقه من الإكرام، ولما دخل بندر جدّةَ المعمور قام التاجر الصالح محمد بن طاهر بجميع ما يحتاجه من الأمور، وأنزله في بيته، وظفر بأمنيته، ولما قضى مناسك الحجّ من العجّ والثجّ قصَدَ زيارة خير الأنام عليه أفضل الصلاة والسلام، ولما قرب من طيبة

خرج الأولاد إليهم يبشّرونهم على عادتهم، فأعطاهم ما عنده من النقد، وكان عشرين ديناراً. ولما وصل إلى الحضرة، تضاعفت له المسرّة، المرّة بعد المرّة، وحصل له ما يُبهر الألباب، ولم يكن له في حساب، فسبحان المنعم الوهّاب.

[لقاؤه بالعلاّمة السمهودي وأخذه عنه]: وأخذ بطيبة عن العلاَّمة المحقق علي بن محمّد السَّمهودي، وكان بها يومئذ التاجر المعروف بابن الزمن، وهو في خَدَمَة الملك الأشرف قايتباي، فأكرمه إكراماً عظيماً، وأعطاه مالاً جسيماً، ثم عاد إلى بلده تريم، وقابله أهلها بالتبجيل، وجلس للناس يلقي دروساً، ويدير من المعارف على أهل العوارف كؤوساً، فدرَّس في كثيرٍ من العلوم، وغالب دروسه في كتب القوم؛ لا سيما كتب الإمام حُجّة الإسلام محمّد الغزالي رضي الله عنه، وأكثر من قراءة «إحياء علوم الدين»، وكتاب «الأربعين»، حُكي أن الإحياء قرىء عليه أربعين مرة، وقد مرّ آنفاً أنه قرأه على والده أربعين مرة، وهذه كرامة عظيمة ونعمة جسيمة.

[مكانته رضي الله عنه في علم الحديث]: وكان رضي الله عنه إماماً في علم الحديث وضبطه، مرجعاً في شكله ونقطه، ومَن رآه كيف يدرّس ويروي ويستشهد ويملي علم أنه الحبر ابن الحبر، والضياء ابن الفجر، وأبو سعد بن أبي بكر.

[عباداته ومجاهداته رضي الله عنه]: وكان رضي الله عنه كثير المجاهدات، شديد الرياضات، وكان يخرج هو وابن عمّه أبو بكر إلى «شعب النعير» بعد مضيّ نصف الليل الأول، فينفرد كل واحد في جانب يقرأ ثلث القرآن في الصَّلاة، ثم يرجعان إلى البلد قبل الفجر، كما تقدم في ترجمة الشيخ أبي بكر. وكانا فرسي رهان، ورضيعي لبان، وكان بينهما محبّة شديدة، ومودّة أكيدة من زمن الصّغر إلى زمن الكبر، ولم يفترقا في سفرٍ ولا حضر مدة ثمانية وثلاثين سنة، ثم افترقا بالأبدان، وبينهما مراسلات ومكاتبات مشتملة على أحسَن المعاني، وأقوم المباني، ولكل واحدٍ منهما في صاحبه عدّة قصائد ومقطوعات في ديوانيهما مذكورات، وأخذ كل واحد منهما عن الآخر.

[مريدوه وتلاميذه رضي الله عنه]: وأخذ عن صاحب الترجمة رضي الله عنه خلق كثير من العارفين:

منهم: ولده أحمد شهاب الدين، والمحدِّث الأشهر محمَّد بن علي صاحب الغرر،

قال فيها: قرأت عليه كتباً منها «الرياض» للنووي ثلاث مرات، و «الرسالة»، و «شرح أسماء الله الحسنى» لليافعي، ومصنفات والده، وزرت معه وانتفعت بصحبته وذاكرته وباحثته، وأعلمَني بأشياء في المستقبل من الزمان، فكانت كما أخبرني وألبَسني الخرقة، وأذن لي في إلباسها، انتهى.

وممن أخذ عنه شيخُ الزمان، ونادرة الأوان السيّد عمر بن محمَّد باشيبان، صاحب «التِّرياق الشَّاف في مناقب الأشراف»، وصاحب «المقامات والأحوال» العارف بالله تعالى معروف بن عبد الله، ثم باجمال، والشيخ الشهير الفقيه عبد الله بن محمّد باقشير مصنّف «القلائد»، والفقيه فضل بن عبد الله باعبد الله، وأحمد بن عبد الله بافضل وغيرهم ممن يطول ذكرهم.

[اعتناؤه ﵁ بكتب الحقائق وبعض من سيره وأخلاقه]:

وكان ﵁ له اعتناءً بكتب الحقائق، لا سيما كتب الشيخ الأكبر محمَّد بن عربي، وكان ماشياً على السيرة المحمديّة، محافظاً على السُّنن النبوية، والآداب الشرعية، مراعياً لخلاف العلماء في جميع أعماله، وكان يغتسل لكلِّ فرض[1]، ويكثر الصِّيام، ويطيل القيام، ويطعم الطعام، ويحب الفقراء والضُّعفاء والأيتام.

وكان ﵁ يعتقد في الصَّالحين، ويطلب منهم الدُّعاء كلَّ حين، وكان لا يردّ سائلاً وإن لم يجد إلا قليلاً، وكان يؤثر العزلة على الإيناس، ويرجِّح الخمول على الشهرة بين الناس. وكان ﵁ كثير الصَّمت والجوع، قليلَ النوم والهجوع.

[ثناء العلماء عليه ﵁]: ومدحه كثير من النبلاء، وأثنى عليه جماعة من العلماء، وأشهرهم جماعة من العارفين، وأقرَّ له جمع من العلماء العاملين.

قال بعض العارفين من أهل الكشف: إن صاحب الترجمة ألبسه الله تعالى حالَ أُويس القرني ﵁.

---

(1) قوله: «وكان يغتسل لكل فرض...» لا يظنن أحد أن هذا الأمر من قبيل الجهل بالفقه، حاشا لله، فمعلوم أن الاغتسال ليس شرطاً للصلاة إلا إذا كان واجباً بمسبباته المعلومة عند أقل طالب بعلم، أما اغتسال سيدنا ومولانا الإمام ﵁ لكل فرض فإنما كان من قبيل المجاهدة لتحصل له المشاهدة، فمن كان حريصاً على دخول الحضرة فليشمِّر لها ولا حرج بما يعمل من استعداد للدخول، فلا مكان للاعتراض.

وقال الفقيه العارف بالله تعالى عمر بن عبد الله بامخرمة: كان الشيخ عبد الرَّحمن باهرمز جامعاً لأحوال المشايخ الخمسة، أهل التصريف النافذ الشيخ عبد القادر الجيلاني، والشيخ معروف الكرخي، والشيخ إسمعيل الجبرتي، والشيخ إسماعيل الحضرمي، والشيخ عمر بن الفارض ﷺ، فلما توفي عبد الرَّحمن تفرقت على خمسة، فحال الشيخ عبد القادر مع الشيخ عبد الرَّحمن بن علي علوي، وحال الشيخ معروف الكرخي مع الشيخ علي بن عبد الله باعباد، وحال الشيخ إسماعيل الجبرتي مع الشيخ معروف با جمال، وحال الشيخ اسماعيل الحضرمي مع الشيخ إبراهيم بن عبد الله باهرمز، وحال الشيخ عمر بن الفارض مع رجل مشيراً أنه هوَ، انتهى.

[مكاشفاته رضي الله عنه]: وكان رضي الله عنه كثير المكاشفة لأصحابه، **منها** ما قاله المحدِّث محمد بن علي خرد صاحب الغرر: رأيت في المنام ربّ العزّة جلَّ وعلا، وهو يصف شيخنا بأوصاف حسنة، فلما أصبحت غدوت إليه، فقلت في نفسي: إن كان من أهل الكشف أخبرني بما رأيت قبل أن أخبره. [فلما وصلت داره فإذا هو خارج الباب يتلقّاني، وأخبرني بما رأيت قبل أن أخبره][1].

ومنها: أنَّه كان يقول: إذا غلطت عند قبر الأستاذ الأعظم الفقيه المقدّم في آية من القرآن أو ذهلت عنها أسمعه يردُّني إلى الصَّواب، وكذلك أسمع والدي يقول لي مِن قبره: قُم من الشمس.

ومنها: أنه قال: لما التقى محمد بن أحمد سلطان تريم، ومحمد بن عبد الله بن جعفر الكثيري سلطان الشّحر وظفار: سيكون النصر لمحمَّد بن أحمد، فكان كما قال.

وقال: رأيت شيخنا عبد الله بن عبد الرَّحمن بلحاج بافضل يحرسه من أمامه وخلفه، وكان بالشحر موجوداً، وكانت هذه الواقعة ببريح ـ بموحدة فراء فمثناة تحتية فحاء مهملة ـ قرية صغيرة قريبة من مدينة تريم ـ، وقُتل من الفريقين نحو أربعين رجلاً، واشتهرت عند أهل تلك الجهة حتى صاروا يؤرِّخون بها.

(1) ما بين المعقوفتين ساقط من المخطوط، استكمل من «المشرع».

ومنها: أنه إذا أراد أن يلقِّن بعض أصحابه بعد دفنه وجلس عند رأس القبر وقام ولم يلقنه فسئل عن ذلك، فقال: رأيت عمي عبد الله عنده، وقال لي: ما يحتاج إلى تلقين.

ومن كراماته رضي الله عنه: أنه كان جالساً في مسجد بني مروان، وطاح شيء في جانب المسجد، فقال لبعض الحاضرين: قم هات الذي طاح، وإذا هو ورقة مختومة، ففتحها وقرأها وكتب جوابها، وقال له: اطرح هذه في مكان الأُولى، ثم جاء طائر فأخذها، فسئل عن ذلك، فقال: إن صاحبنا باعبّاد كتب لنا ورقة وكتبنا له جوابها!.

وكان رضي الله عنه يكره إظهار الكرامات إلا عن حاجة.

[وفاته رضي الله عنه]: ولم يزل مقبلاً على العلم والعمل والطريقة التي لا عِوَج فيها ولا خلل، حتى وافى محلول الأجل، وانتقل إلى رحمة الله عزّ وجل في محرّم الحرام سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة، ودُفن بجنان «بشار»، وقبره بها معروف يُزار.

[رثاؤه رضي الله عنه]: ورثاه جماعة من تلامذته، منهم ولده شهاب الدين رثاه بقصيدة سمّاها «الدرة الفريدة في جيد الخديجة الخريدة»، مطلعها: [شعر] ـ

إن نلت سلمى فسل ما شئت واغتنم	وإن جئت ليلاً فسـل ليلى بما تَرُم
وإن زرت «بشار» فأبشر أن تنل كرماً	من أهل «زنبل» أهل الجود والكرم
دع التغزل وأشْـهِر حال مشـيخةٍ	ثَوَوا بـ«عيدِيد» وادي الغِيد والخِيَم

انتهى.

[مطلب]
في ترجمة
[الشيخ الإمام العالم الهمام وسلطان أرباب الكلام
سيدي علي بن أبي بكر ابن الشيخ عبد الرحمن السقاف ﵁]

ثم قلت: [شعر]-

وهـــو لبس مـــن أبٍ لـــه ووليّ   يشـــهر بين الناسِ بالشـــيخ عليّ

المذكور هنا هو السيد الجليل ذو الفضل الجزيل والمجد الأثيل، الجدير بالتعظيم والتبجيل، المنصف المصنف الجلي، عظيم الفخر، العالم العلاَّمة **السَّيد الشريف علي بن أبي بكر**، ترجم له سيد السادات، ومنبع الإفادات، الملقّب بالشِّلّي ما بين الإشراق لا سيما الأشراف الكرام، سكان الأحقاف في كتابه المشهور بـ «المشرع»[(1)] في مناقب مَن سادَ من السادة وبرع، فقال:

[اسمه ونسبه الشريف ﵁]: علي بن أبي بكر ابن الشيخ عبد الرَّحمن السقاف ﵁، نور الدين أبو الحسن الشيخ الإمام العالم العامِل الهُمام، عنوان النظام، وسلطان أرباب الكلام، أستاذ الأستاذين، وأوحد علماء الدِّين، وعُمْدة المعلّمين، وهداية المتعلمين، شيخ الإسلام والمسلمين، وإمام المحدِّثين، خادم السُّنّة الشريفة، وحامل ألويتها المنيفة.

---

(1) انظر: «**المشرع الروي**» لأبي بكر الشِّلّي: الجزء الثاني ـ صفحة: 215–218.

[ولادته ﵁]: وُلد ﵁ سنة ثمانية عشر وثمانمائة بمدينة تريم، ونشأ بها وأخلص الأعمال الصالحة، وحفظ القرآن المجيد، وتلاهُ بالتجويد، وأحكم قراءة الشيخين أبي عمرو ونافع، وحفظ «الحاوي الصغير» للقزويني في الفقه، و «الحاوي» في النحو وعدّة متون في كثير من الفنون، واشتغل بتحصيل الفضائل، وتأصيل الفواضل، ومات جدّه عبد الرَّحمن السقاف وهو ابن سنة، ومات والده وهو ابن ثلاث سنين.

وحُكي أن أُمّه لما حملت به ورد على والده أبي بكر حالٌ عظيم، وقال: إن زوجتي حملت بولد صالح جامعٍ بين العلمين، لكنه مستور، وسيظهر عليه الشيب قبْل أوانه. ولما وُلد ﵁ قال جده عبد الرَّحمن: وُلد لابني أبي بكر ولد صوفي. وفي ليلة سابع ولادته قال أخوه الشيخ عبد الله العيدروس: سموهُ علياً. وقال عمّه عمر المحضار: إن لم يكن ابن أخي هذا وليًّا فاحلقوا هذه اللِّحية، وقبض بلحية نفسه الشريفة.

[إلباسه ﵁ الخرقة وكفالة عمه له]: وألبسَه والده الخرقة، وأشار إليه بإشارات في ضمنها بشارات، وكذلك عمّاه أحمد وشيخ.

ولما توفي أبوه كفله عمّه عمر المحضار ﵁، وحفظه عن الأغيار(1)، وغذّاه بالمال الحلال، وربّاه على محاسن الخِلال وصالح الأعمال، وحصل له منه عظيم البشارات، وحسن الإشارات، وصالح الدَّعوات، وأخذ عنه، وصَحِبَه، ولبَس منه الخرقة الشريفة.

[دخوله ﵁ الخلوة وقراءته الإحياء]: وبعد وفاة عمّه المحضار ﵁، لازم أخاه الشيخ عبد الله العيدروس، وأدخله الخلوة وأمره بقراءة أسماء الله الحسنى بغير صيام، فما تمّت له سبعة أيام إلا وقد ظهر له بكلِّ اسم روحاني، وسمع قائلاً يقول: **﴿يا أيتها النفس المطمئنة* ارجعي إلى ربك راضية مرضية﴾**، أنا روح عمك علي بن السقاف. ثم أخرجه من الخلوة وأمره بقراءة إحياء علوم الدين، فقرأه عليه خمساً وعشرين مرة، وعند ختمه يصنع الشيخ عبد الله وليمة للطلبة والفقراء.

[رحلاته في طلب العلم ومشايخه ﵁]: ومن مشايخه في العلوم الشرعية: السيد الجليل محمد بن حسن جمل الليل، قرأ عليه الإحياء، وربما توقف في بعض المواضع،

---

(1) الأغيار: كل ما سوى الله تعالى.

فيقول له شيخه: أراك تدرك معاني القولين والوجهين، وتتوقف في مثل هذا.

وأخذ عن الشيخ الولي سعد بن علي، وعن الشيخ الصنديد محمّد بن علي صاحب عديد.

وأخذ الفقه والحديث والعربية من الشيخ الفقيه أحمد بن محمد بافضل، ثم رحل إلى الشحر والفيل ومكث هناك أربع سنين، يقرأ على الفقهاء وآل باهارون، وآل باعمار، والفقيه محمد بن علي باعديلة، والعلاّمة إبراهيم بن محمد باهرمز، والفقيه عد الله محمَّد بن أحمد باغشير، وعبد الله بن محمد باغشير، والشيخ عبد الله بن عبد الله بن عبد الرَّحمن باوزير.

ورحل إلى **عدن**، فأخذ عن الإمام مسعود بن سعد باشكيل، والفقيه الشهير بيعلم، ثم رحل إلى بيت الله الحرام، فحجّ حجّة الإسلام وعمر عمرة الإسلام، وذلك سنة تسع وأربعين وثمانمائة برباط ربيع الشهير بأجياد، وجدّ في الاجتهاد، وأخذ من كثير من العلماء والأمجاد.

ثم رحل إلى **طيبة**، وزار جدّه ﷺ وأخذ بها عن جَمْع، فقرأ البخاري على الإمام زين الدين أبي بكر العثماني بالحرم النبوي، وأجازه هو وأولاده وزوجته الشريفة فاطمة بنت الشيخ عمر المحضار، وألبس شيخه زين الدين خرقة التصوف.

ثم رحل إلى **زبيد**، فأخذ بها عَن جمع، وأخذ عنه بها كثيرون، وكان يتردَّد إليها وإلى الحرمين، وحدّث في هذه البلدان الثلاثة، وسمع منه جمْع كثير، وأجازه أكثر مشايخه إجازة عامّة في جميع مرويّاتهم، وقد ذكر إجازتهم في كتاب «البرقة».

ومن مشايخه: الشيخ إبراهيم بن محمد باهرمز الشبامي، وذكر في «البرقة» سنده في الخرقة إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه.

[عودته إلى تريم الغناء]: ولما قدم رضي الله عنه تريمَ بفضل عظيم أصبحت وجوه العباد مسفرةً ضاحكةً مستبشرة، وانتشر صيته في تلك البلدان، وسارت إليه الرجال والركبان، ونصب نفسه للتدريس في كلِّ علم نفيس، وكان منفرداً بعلوّ الإسناد، فألحق الأحفاد بالأجداد، وكان أكثر مشايخه أجازوه في التدريس والإفتاء والإلباس والتحكيم.

[تلاميذه ومريدوه ﵁]: وأخذ عنه كثيرون في عدّة فنون، **منهم:** أولاده عمر، ومحمد، وعبد الرَّحمن، وعلوي، وعبد الله. والسيد الجليل عمر بن عبد الرَّحمن صاحب الحمرا، والشيخ أبو بكر بن عبد الله العيدروس، ومحمد بن أحمد بافضل، وقاسم بن محمد بن عبد الله ابن الشيخ عبد اللَّطيف العراقي، وألبس هؤلاءِ الخرقةَ الشَّريفة، وحكَّمهم وأسمعهم الأحاديث، وأجازهم في كلِّ ذلك.

ومن تلامذته: الشيخ محمَّد بن سهل باقشير، ومحمد بن عبد الرحمن باصهي، وغيرهم ممن يطول ذكرهم.

[اعتناؤه ﵁ بكتب الغزالي]: وكان ﵁ كثير الاعتناء بكتب الإمام حجة الإسلام أبي حامد الغزالي ﵁؛ لا سيما كتاب «إحياء علوم الدين»، فإنه قرىء عليه خمساً وعشرين مرة، وتقدّم أنه قرأه خمساً وعشرين مرة. ولَعَمْري إن هذه نعمة عظيمة ومنحة جسيمة.

وكان ﵁ أمكنَ أهل زمانه في هذه العلوم قَدَماً، وأفصحَهم لساناً وقلماً، وأجمعوا على تقدّمه وإمامته، ولم يخالف أحدٌ في وفور ديانته وجلالته.

وكان ﵁ كثير الاعتناء بكتاب «**تحفة المتعبد**»(1) والعمل بما فيه.

[عباداته وأحواله ﵁]: وكان ﵁ كثير الصَّلاة والصيام، طويلَ القراءة والقيام، متقيّداً بالشريعة، متأدّباً بآدابها المنيعة، مواظباً على السُّنن الشَّرعية، والفضائل الدينية، والأذكار النبوية، وكان يقنع من أمور الدُّنيا بالقليل، ويحمل من الأعمال الصَّالحة الحمل الثقيل. وكان ﵁ يقوم أكثر الليل ببكاء وتضرّع وعويل، وكان جميع ما يعمله أو ينقله يتحرّى فيه ويمنحه من الاحتياط ما يكفيه.

[كراماته ﵁]: ومما اشتهر من كراماته: أنه ما سهى قط في صلاته، ولا ذُكرت الدُّنيا في مجالسه وحضراته، ولا صلَّى قاعداً.

[ثناء العارفين والعلماء عليه ﵁]:

وسئل شيخه الوليّ سعيد بن علي في مرض موته: مَن يرث حالك؟.

---

(1) لعله كتاب: «**كفاية المتعبد وتحفة المتزهِّد**» للإمام الحافظ المنذري ﵁.

قال: صاحب تلك الغرفة، وأشار إلى غرفة صاحب الترجمة.

وقال أخوه الشيخ عبد الله العيْدروس: أقرب القلوب إلى الله تعالى قلب أخي عليّ.

وقال أيضاً: ما معي إلا بركة أخي علي.

وقال: إذا أفلتْ شمسي، ظهرت شمس أخي علي.

وقال شيخه عظيم المقدار الشيخ عمر المحضار لابنته فاطمة قبل أن يتزوجها صاحب الترجمة: أنتِ زوجة القطب.

وقال شيخه الإمام الجليل محمد بن حسن جمل اللَّيل ﷺ: صلّيت ركعتين وسألت الله تعالى أن يُريني صاحب السرّ في هذا الزمان، فرأيت في منامي رجلاً آخذاً بيدي وأوقفني على الشيخ علي.

وقال الشيخ علي بن عبد الرَّحمن بابهير: رأيت رجلاً غريباً فسألته عن بلده، فقال: طيبة، فقلت: ولِمَ جئت؟ قال: لزيارة الشيخ علي، فإنه أعطي القطبية أمس.

وقال الإمام الوَرِع إبراهيم بن محمّد باهرمز: إن لم يكن الشيخ علي قطباً، فليس على وجه الأرض قطب.

وقال ولدُه الشيخ عبد الرَّحمن: مكث والدي في القطبية عشر سنين.

[مؤلفاته ﷺ]: وله ﷺ مؤلَّفات عديدة، في أبوابها مفيدة، **منها**: كتاب: «معارج الهداية إلى ذوق جنا ثمرات المعاملة في النهاية»: جمع فيه زبدة السُّلوك مع صغر حجمه.

وكتاب: «البرقة المشيقة في إلباس الخرقة الأنيقة»: جمع فيه الفوائد المشهورة والأحكام المسطورة.

وكتاب: «الدر المدهش البهي في مناقب الشيخ سعد بن علي».

وله **مؤلَّف** في تكبيرة الإحرام والاستفتاح والتعوّذ والبسملة. **ومؤلَّف** في «النكاح»،

ومؤلَّف في قواعد النَّحْو، **ومؤلَّف** في علم الميقات. وله وصية نافعة نحو الكرّاس في الحثّ والتقوى والاعتناء بتحصيل الفضائل والفواضل. وله كلام نفيس في علم الطريقة والحقيقة. وله عقيدة عظيمة.

[من جواهر كلامه رضي الله عنه]:

- ومن كلامه رضي الله عنه: وافقِ الكلَّ واجعل النيّة مع الله.
- عوّد نفسك التغافل فإنَّ مدار مصالح أهل الزمان عليه.
- لا تحقرنّ شيئاً من أفعال الطاعات والحضور في حِلَقها ولو كان الذَّاكرون فيهم نقص.
- من أراد المداومة على الذِّكر فعليه بقراءة القرآن.
- بالتكرير يحصل التأثير.
- تعليم الصبي على يد غير أبيه أوْلى؛ لأن تعليم الأب للابن يورث الغِلظة، فيتولّد منه العقوق.
- الأدب الباطن له تأثير كما أن الأدب الظاهر له تأثير، فإذا أحدَث ابن آدم معصية نفرت منه القلوب، ثم إذا ندم أثَّر ندمه في قلوب الناس، فترجع وتميل إليه، والندم هذا ضروري.

ووصفه جماعة من العلماء بحسن التصنيف والملاحة وحسن التعبير وكمال الفصاحة. وله ديوان من النظم أكثرهُ في علوم الصُّوفية، وفي الحضرات الربانيّة والنبوية، وفيه مدائح كثيرة، وهو مشهور متداول بين الناس، فلا حاجة بالتطويل بذكر بعضه.

[عودٌ إلى كراماته رضي الله عنه]: ومن كراماته ما حكاه الشيخ محمَّد بن عبد الرَّحمن باصهي، قال: وُلِّيت أوقافاً ثَقُل أمرها على ظهري، وقلَّ عندها صبري، وضاقت عليَّ الأرض في الطُّول والعرض، فشكَوْت ذلك على بعض أصحابي، فأرشدني إلى الشيخ علي، فعزمت على المسير إليه، فرأيته في تلك الليلة في النوم يقول لي: تريد الخلاص من

هذه الأوقاف؟!.

فقلت: نعم يا سيدي. فضرب بيده على صدري مرات..!!.

فلما أصبحت تيسّرت لي أسباب الخلاص، وعزلت نفسي بحضرة الوالي، وخَلُصت منها على أحسن حال.

ثم رأيته ليلةً أخرى يوصيني ويقول لي: يا محمد! قد أقبل عليك الفقير، وصدّقك الغني، فكن بالله محتسباً. فكتبت ذلك إليه، فكتب لي في الجواب: وأما قولي: يا محمَّد أقبل عليك الفقير، فما أحسنها وأوْجزها وأجمعها، فافهم حقيقة إقبال الفقير الصَّادق الذي وظيفته الزهد والصبر والرضا والتسليم مع صدق العبودية، وقد ورد أن الصبر شطر الإيمان، والشطر الثاني الشكر. وقولي: فكن بالله محتسباً؛ أي: مكتفياً حالاً وذوقاً الله بس والباقي هوس؛ أي: فانٍ عن نفسه، باقٍ بربّه، والفقر الحقيقي هو السرّ الأكبر، والفخر الأشهر، والإكسير الأحمر، ومضمر المسك والعنبر، والعود الرطب الأخضر، والياقوت الأفخر، والدر والجوهر.

وذكر أن بعض الأكابر كان يدعو في طوافه بالكعبة: اللّهمَّ اجعلني نصْف فقير، قال العلماء العارفون: لقد علت همّته وعَظُمت دعوته، فإن الفقير سرّ عظيم، قطرة منه تمحو ما سوى الله تعالى.

ومن كراماته ﷺ: أنه يكاشف أصحابه بما يُضمرونه في أنفسهم.

قال تلميذه المعلم الصَّالح العارف باحرمل: كنت عنده مشتغلاً بالذِّكر، فاعترضتني خواطر، فالتفت إليّ وقال: ذكر الله أوْلى من هذه الخواطر.

وأضمَرت المرأةُ الصَّالحة بهية بنتُ مبارك بارشيد أُم الحافظ محمّد بن عليّ معلم في نفسها أنه إذا حصل لها مطلوبها تعمل مِلحفة له من غزلها. فحصل لها مطلوبها، ونسيت ما أضمرت به، فأرسل إليها ﷺ وأخبرها بما أضمرت به له، فعملتها.

وقال بعض أصحابه: خرجت من تريم لموادعة بعض الأصحاب، فأودعني مائة أُوقية، وسقطت مني في الطريق!، فجئت إلى شيخي الشيخ علي وأعلمته، فقال: أُخرج في طريقك التي أتيت منها، فخرجت وإذا الدَّراهم تحت السور على قارعة الطريق.

وقال بعض الثقاة: خرج في عين ابنتي أثلول، فأتيت بها إلى الشيخ علي ﷺ، فمسح بيده الشريفة على عينها فذهبَت، وكأنها لم يكن بها شيء.

وقال أيضاً: خرجت عين بنت أخي، فجئت بها إليه، فأخذها بيده وردّها، فرجعت كما كانت. فقلت له: ادع الله لها بأن تتزوج، فدعا لها فتزوّجت بعد أن طالت عزوبتها.

وقال أيضاً: ضاع لي حليّ ذهب، فجئته وطلبت منه الدُّعاء بردّ ما ضاع عليَّ، فدعا لي، فلما أصبحت وجدته تحت نخلة.

[كَرَمُه ﷺ]: وأما كَرَمُه، فكان بحراً لا يكدّره الدّلا، ولا يملّ من كثرة العَطا، وكان كثير العناية والاحتفال والمساعدة بكلِّ حال لأهل الفقر والحاجات ومن نزل به شيء من المهمات، خصوصاً لمن طاف بكعبة جوده وإحسانه، وسعى إلى صفا صنعه وامتنانه.

وأمّا الشَّفاعات، فكان لا يشارُ بها إلا إليه، ولا يحال فيها إلا عليه، وكان شفاعاته مقبولة، وبحبل النَّجاح موصولة، وكان لا تأخذه رأفة في الدِّين، ولا يقوم أحدٌ لغضبه، إذا خاض في صفات ربّ العالمين.

[أخلاقه ﷺ]: وأما أخلاقُه ﷺ، فكان روضة تفوق الرياض، بما فيها من الأزاهر، وبحرٌ لا يغيره شيء ولا يخرج منه إلا الدُّرُّ والجواهر.

وله ﷺ **مآثر**، منها: مسجده المشهور بمدينة تريم وقف عليه وقفاً كبيراً، وهو معمورٌ بإقامة الصلوت الخمس وقراءة الحزب بين العشاءين وبعد الفجر إلى طلوع الشمس.

ومن المشهور أنَّ من واظب على قراءة الحزب المذكور فيه أربعين يوماً حفظ القرآن عن ظهر قلب، وقد جرّبه غير واحد، ثم حصل عليه بعض خراب، وعمر عمارة أكيدة وزيد فيه من الجهة القبلية سنة ثلاثة عشر وتسعمائة.

[وفاته ﷺ]: ولم يزل رضي الله تعالى عنه ساعياً في المصالح، سائراً لسيرة السلف الصالح، مقيماً لكل حضرة قسطاس المعدلة، ومؤدّياً لكل رتبة نظام التكملة، إلى أن بلغ العمر أجله، وأعطى من هذه الدار سؤله وأهله، وكان انتقاله سنة خمس وتسعين وثمانمائة، ودُفن بمقبرة زنبل، رحمه الله عزّ وجل، وقبره بها معروف يُزار. انتهى.

[مطلب]
في ترجمة
[حامل لواء العارفين، ومقيم علوم المحققين، مبدي علوم الحقيقة، ومبيّن معالم الطريقة، سيدي عبد الله بن أبي بكر بن عبد الرَّحمن السقاف ﵁ الشهير بالعيدروس]

ثم قلت:

وهــو أخــذ عــن أخيــه وأبيه وعمّــه المحْضار فافهــم يا نبيه

المذكورون هنا بالبيت هذا ثلاثة من الرجال الذين رزقوا بفضل الله للخلافة بالكسب والوراثة.

الأول منهم: الملحوظ بعين عناية الملك القدّوس، الحاوي لكثير من العلوم من معنويِّها والمحسوس، محيي ليله بالقيام، ونهاره بالجلوس للدُّروس، عفيف الدين ومُحييه عبد الله، الملقب بالعيدروس ﵁.

ترجم له المشهور بين الخاص والعام، محمد بن أبي بكر الشِّلِّي، الإمام ابن الإمام في كتابه «المشرع» النفيس، في مناقب السادة بني علوي المتمذهبين بمذهب ابن إدريس، فقال:

[اسمه ونسبه ﵁]: عبد الله بن أبي بكر بن عبد الرَّحمن السقاف ﵃ الشهير بالعيدروس، أبو محمد حامل لواء العارفين، ومقيم علوم المحقِّقين، مبدي علوم الحقيقة بعد خبوّ أنوارها، ومبيّن معالم الطَّريقة بعد خفاء آثارها، ومظهر عوارف

المعارف بعد خفائها واستتارها، فرع دوحة العظمة والجلالة، وروضة العلم الذي سقاها الفيض الإلهي سلسبيل الفضل وسلساله، الذي تطلع في مرآة الزمان فرأى مثاله ولم يرَ أمثاله، الإمام المقدّم على التحقيق، والهمام المسدّد في مروج مهارق كل روض أنيق، مَن باسمه تنشرح الصدور وتحيا النفوس، وبرسمه تفتخر المحابر وتهتز الطروس، ولسماعه تخشع الأصوات وتخضع الرؤوس.

[**ولادته** ﷺ]: وُلد ﷺ في العشر الأول من ذي الحجّة سنة إحدى عشر وثمانمائة، ولما بُشِّر بولادته جدّه عبد الرَّحمن السَّقاف ﷺ، قال: هو صوفي وقته. وسمّاه: أبا عبد الله ولقَّبه: العيدروس، **وقال**: هو لقب إمام الأولياء، وهو أيضاً اسم كبير الصوفية.

قال بعضهم: العتيروس ـ بالمثناة الفوقية ثم المثناة التحتية ـ من أسماء الأسد.

وقال الجوهري: العترسة الأخذ بالعنف والشدّة وهو من أوصاف الأسد.

قال العلامة محمد بحرق: فلعلَّ التاء الفوقانية أُبدلت في العيدروس دالاً لاتحاد المخرج، ولا شكّ أن الأسد مقدّم السباع والعيدروس مقدّم أولياء عصره.

وكان أبوه كثيراً ما يسأل الله تعالى في خلواته أن يرزقه ذرية صالحة، واجتمع عنده جماعة من المشايخ في سماع، فحصل لهم أنسٌ عظيم، ووجْدٌ جسيم، فطلب منهم أن يسألوا الله تعالى له ولداً صالحاً، فدعوا له، وسُمِع هاتف يقول: قد استُجيب لكم، فحَملت به أُمه في تلك الليلة. وقال: كنت أرى في كل ليلة إما مكاشفة أو رؤيا أو إشارة.

[**نشأته** ﷺ]: ونشأ ﷺ بمدينة تريم في الروض النعيم، وحفظ القرآن العظيم، وحلّ عليه نظر جدّه ومَدَّه بمدده وهو ابن ثمان، وأخبره بأنه سيكون له شأن، وربّاه أبوه تربية الكاملين، ومات عنه وهو ابن عشر سنين، فقام بتربيته بعد أبيه وبتربية أخويه عمّهم عظيم المقدار الشيخ عمر المحضار ﷺ، وزوَّجه بابنته، وأحلَّه محلَّ مهجته وقال: أُزوّجه بابنتي ولو بالأدنى، ولا أُزوجها غيره ولو أتاني بملء الدنيا.

ولازم عمّه في طريقة السلوك، وتدرب به في مراتب المسلوك، وألبسه خرقة التصوّف المنيف، وحكَّمه التحكيم الشريف. وكان ﷺ يقول: أعطاني عمي عمر

ثلاث أيادي يداً من النبي ﷺ من طريق الكشف، ويد من الشيخ عبد الرَّحمن السقاف، ويد من أحد رجال الغيب.

وكان يقول: علّمني عمي الاسم الأعظم.

وأخذ ﵁ عن عمّه علوماً عديدة، وبثَّ فيه خليده وتليده.

[طلبه ﵁ العلم وشيوخه فيه]: وتفقَّه ﵁ على جماعة، منهم: الفقيه سعد بن عبد الله باعبيد، والعلاَّمة عبد الله باهراوة، والعالم الرباني إبراهيم بن محمد باهرمز، والشيخ عبد الله باغشير ـ بضم الغين المعجمة ـ.

وسمع **الحديث** من خلائق لا يحصون بحضرموت واليمن والحجاز، وكان له اعتناء تامٌّ بـ «التنبيه، والخلاصة، والمنهاج»، وقرأ هذه الكتب الثلاثة مراراً عديدة، قراءة بحث وتحقيق، ومراجعةٍ وتدقيق.

وقرأ **التصوف** والحقائق على السيد الجليل محمد بن حسن جمل الليل وأعمامِه أحمد وشيخ ومحمد وحسن.

وأخذ علم **العربية** عن العلاَّمة الأديب أحمد بن محمد بن عبد الله بافضل، وكذا قرأ علم **النَّحو والتَّصريف** على الشيخ محمد بن علي باعمَّار، وغيرهم ممن يعسر حصرهم.

[براعته ﵁ في العلوم الظاهرة والباطنة]: وبرع ﵁ في علوم الشَّريعة الثلاثة: التفسير والحديث والفقه، وفي النحو واللغة والهيئة، وأما علم التصوف والحقائق والعقائد، فقد جمع من جميعها فرائد القلائد، وكان فيها بحراً لا يجارى وبدراً إلا أنّ هُداه يشرق نهاراً، وكان من العلوم بحيث يقضى له في كل فنّ بالجميع.

[مجاهداته ﵁]: وأما مجاهداته فبحرٌ لا ساحل له، ولواء جهاد حمله كاهله، أدخله عمُّه وشيخُه عمر المحضار في المجاهدة وهو صغير، وكان يقول: دخل ابن أخي في المجاهدة وهو ابن سبع سنين، وأقام مدة لا يأكل إلا من ثمر العشرق[1]، ومكث سبع

---

(1) قال في اللسان: «**العِشْرِقُ**»: شجر، وقيل نبت، واحدته عِشْرِقَة. قال أَبو حنيفة ﵁: العِشْرِقُ من الأَغْلاثِ وهو شجر يَنْفَرِشُ على الأَرض عريض الورق وليس له شوك ولَا يكاد يأْكله شيء إِلا أَن يصيب المِعْزى منه شيئاً قليلاً.

سنين يصوم ويفطر على سبع تمرات لا يأكل غيرها، ومضت عليه سنة لم يأكل فيها إلا خمسة أمداد بالمدِّ الشرعي، ومكث أشهراً ما أكل فيها إلا مداً واحداً.

وقال رضي الله عنه: كنت في بدايتي أطالع كتب الصُّوفية وأختبر نفسي بمجاهداتهم المذكورة في مؤلَّفاتهم، وكنت أجوع كثيراً، وكانت والدتي تأمرني بالأكل ولا أستطيع مخالفتها، فوقع في نفسي شيء من ذلك، فتوفيت بعد عشرة أيام!.

ومكث رضي الله عنه ثلاث سنين يرقد على المزابل رياضةً لنفسه، ثم هجر النوم أكثر من عشرين سنة لم يرقد فيها لا ليلاً ولا نهاراً، ولم يزل على ذلك حتى بلغ رتبة المشايخ الأكابر، وصار في رتبة يعقد عليها بالخناصر، واعترف له بالكمال كلُّ متقدم ومعاصر.

وكان رضي الله عنه يحبّ الخمول إذ به يحصل الوصول، وكان الشيخ الأكبر عمُّه عمر رضي الله عنه شيخاً على ذوي القدر الجلي، ونقيباً على بني علوي رضي الله عنهم، فانتقل إلى رحمة رب العالمين وصاحب الترجمة ابن خمس وعشرين، فاجتمع رأي الأشراف على أن يذهبوا إلى الإمام الجليل محمد بن حسن جمل الليل، وكان مقيماً بـ «روغة»، وكانت به روضة، فاعتذر عن نفسه فقالوا: قدم علينا من تركناه لذلك منا، فصلّى صلاة الاستخارة وطلب من الله أن يوفّقه لما يختاره، فشرح الله صدره بتقديم العيدروس، وأنّ به ينجلي كلُّ همّ وبوس، فقام إليه وأمسك بيديه وقال: أنت المقدَّم على الجميع، والمتكلم على كل شريف ووضيع، فاعتذر بصغر سنِّه وضعف قيامه؛ لا سيما مع وجود أعمامه، فقاموا كلّهم إليه، وألحّوا في ذلك عليه، فحينئذ وقع على تقديمه الاتفاق، وانتشر صيته فملأ الآفاق، ثم جلس للإقراء والتدريس، والاشتغال بأنفس نفيس، وصغت له الحواس الخمس، وسارت تصاريفه وسيادته مسير الشمس، وكان إذا تكلم في التفسير فهو حامل رايته، أو في الحديث فهو ذو روايته، أو في الفقه فمدرك غايته، أو في غير ذلك فكلٌّ يستمع لقراءته، وإن خاض في علوم الصوفية أبكى الحاضرين بقراءته، وسالت الدماء من الجفون بإشارته، وجاء في طريق الله تعالى بالأسلوب العجيب والمنهج الغريب، والمسلك القريب، جمع بين العلم والعمل والحال والهمَّة والمقال، اشتملت طريقته على السلوك والجذب، واحتوت على الأدب والعناية والقرب، تشيّدت بالعلمين من سائر أطرافها، واقترنت بالكمال شريعة

وحقيقة من جميع أكنافها، تيامنت عن سكر[1] يؤدي إلى تعدّي الآداب الشرعيات، وتياسرت عن صحو يفضي إلى حجاب الألباب عن ملاحظة حقائق التوحيد وأسرار المشاهدات، وتسامت عن انقباض[2] يوقع في الانكماش والريب، وتحجبت عن روح الرجاء ولذاذة الشوق والطلب، فاستوت بتوفيق الله في نقطة الاعتدال، وظهرت بهداية الله تعالى دون كثير من الطرق بوسط التوسط والكمال، كما قال الشيخ عبد القادر بن شيخ العيدروس ﵁: [شعر]

ألا أنّ خير الطرق يـــا صاح منهج طريق ارتضاها العيدروس لصَحْبه

فــلازم أوامــره بصــدقٍ ونيــة ولا تقتــد يــا صــاحِ إلا بــه

ولله درّ الشيخ الكبير محمّد بن أحمد باغشير، حيث قال فيه من قصيدة: [شعر]

---

(1) **السُّكْرُ في مصطلح القوم** ﵃: غيبة بوارد قوي، وفيه زيادة على الغيبة من وجه، وذلك أن صاحب السكر قد يكون مبسوطاً إذا لم يكن مستوفياً في سكره، والسكر لا يكون إلا لأصحاب المواجد، فإذا كوشف العبد بنعت الجمال حصل السكر وطاب الروح وهام القلب. والعبد في سكره يشاهد الحال، وفي حال صحوه يشاهد العلم. فالسكر استيلاء سلطان الحال، قال محمد بن خفيف ﵁: «السُّكر: غليان القلب عند معارضات ذكر المحبوب». وقال الواسطي ﵁: «مقامات الوجد أربعة: الذهول، ثم الحيرة، ثم السكر، ثم الصحو. كمن سمع بالبحر ثم دنا منه ثم دخل فيه ثم أخذته الأمواج. فعلى هذا من بقي عليه أثر من سريان الحال فيه فعليه أثر من السكر، فالسكر لأرباب القلوب. وقال التهانوي: السُّكْرُ دهش يلحق سر المحب في مشاهدة جمال المحبوب فجأة. والسكر حال شريف». **وأما الصَّحو**: فهو رجوع إلى الإحساس بعد الغيبة، والعبد في حال صحوه يشاهد العلم، وقال العارف الجرجاني: **الصَّحو**: هو رجوع العارف إلى الإحساس بعد غيبته وزوال إحساسه. والصَّحو والسكر معناهما قريب من معنى الغيبة والحضور، غير أن الصحو والسكر أقوى وأتم وأقهر من الغيبة والحضور». الرسالة القشيرية 38، والسهروردي 527، ومعجم مصطلحات الفنون للتهانوي 3/ 162.

(2) **القبض أو البسط**: «القبض» و «البسط»: حالان شريفان لأهل المعرفة. إذا قبضهم الحق تعالى: أحشمهم عن تناول القوام والمباحات والأكل والشرب، والكلام. وإذا بسطهم: ردَّهم إلى هذه الأشياء وتولى حفظهم في ذلك. فالقبض حال رجل عارف ليس فيه فضل شيء غير معرفته، والبسط: حال رجل عارف بسطه الحق، وتولى حفظه حتى يتأدب الخلق به. قال الجنيد ﵁ ونفعنا بمحبته-: القبض والبسط يعني الخوف والرجاء، فالرجاء يبسط إلى الطاعة، والخوف يقبض عن المعصية. وهما حالتان بعد ترقي العبد عن حالة الخوف والرجاء، فالقبض للعارف بمنزلة الخوف للمستأنف، والبسط للعارف بمنزلة الرجاء للمستأنف، ومن الفصل بين القبض والخوف، والبسط والرجاء: أن الخوف إنما يكون فوت محبوب، أو هجوم محذور، وكذلك الرجاء إنما يكون بتأميل محبوب في المستقبل أو بتطلُّع زوال محذور، وكفاية مكروه في المستأنف، وأما القبض فلمعنى حاصل في الوقت، وكذلك البسط، فصاحب الخوف والرجاء تعلق قلبه في حالتيه بآجله، وصاحب القبض والبسط أخذ وقته بوارد غلب عليه في عاجله.

لـــه كل قلـــب بالولايـــة شـــاهد وكل فـــؤاد مـــن محبتـــه ملـــي
فللّـــه مـــا أعلـــى مراتـــب فضله وأجزل ما أعطى وأســـمح ما ولي
فنِعم الفتى لا شـــك في عظم حاله فما شـــئت بالفضل الـــذي ناله قل

وأخذ الناس عنه على اختلاف طبقاتهم، فظهرت بركته عليهم بحسب استعداداتهم، وتخرّج به كثير من أعيان الفضلاء وأكابر الأدباء، ووصل منهم جماعة من العارفين، والأئمّة المجتهدين، منهم الإمام الولي أخوه الشيخ علي، والعارف بالله عمر بن عبد الرَّحمن صاحب الحمرا، والعلاَّمة عبد الله بن أحمد باكثير، والسيّد الكبير أحمد قسم بن علوي الشيبة، والشيخ العارف بالله صاحب الاسم الأعظم محمّد بن علي بن العفيف الهجراني، **ومنهم أولاده**: أبو بكر وحسين وشيخ، وكان الإمام العارف بالله تعالى محمّد بن علي صاحب عيديد وتاج العابدين سعد بن علي، والشيخ عبد الله بن عبد الرَّحمن باوزير، مع الاتفاق على جلالة قدرهم وعلوّ منصبهم، ممَّن لازم صحبته وأخذ عنه طريقته لعلمهم بعلوِّ شأنه وارتفاع مقامه ومكانه.

وكان ﵁ مُلازماً لقراءة «إحياء علوم الدين» ومطالعته، حتى كاد أن يحفظه، وكان يحثّ أصحابه على قراءته وكتابته ومطالعته.

[ومن كلامه ﵁ في الحثِّ على مطالعة إحياء علوم الدين]:

وبعد، فليس لنا طريق ومنهاج سوى الكتاب والسُّنّة، وقد شرح ذلك كلَّه سيدُ المصنّفين وبقية المجتهدين حجّة الإسلام الغزالي في كتابه أُعجوبة الزمان العظيم الشان الملقَّب: «إحياء علوم الدِّين»، الذي هو عبارة عن شرح الكتاب والسُّنّة والطريقة والحقيقة.

ومنه: عليكم بالكتاب والسُّنّة أولاً وآخراً، وظاهراً وباطناً، واعتباراً واعتقاداً، وشرح الكتاب والسُّنّة مستوفى في كتاب «إحياء علوم الدين». لو بعث الله الموتى لما أوصوا الأحياء إلا بما في الإحياء.

وقال: أشهد سرًّا وعلانية أن مَن طالع الإحياء كان من المهتدين.

وقال: غفر الله لمن يكتب كلامي في الغزالي. وقد ألّف في ذلك الشيخ عبد القادر بن شيخ مؤلفاً وجيزاً وصاغ منه إبريزاً سمّاه: «**تعريف الأحياء بفضائل الإحياء**» كما تقدّم.

وقال: مَن حصّل كتاب الإحياء وجعله في أربعين مجلداً ضمنت له على الله الجنّة، فسارع الناس إلى ذلك، ومنهم العلاَّمة عبد الله بن أحمد باكثير، وزاد في تبيينه وتزيينه وجعل لكلِّ جلد كيساً، فلما رآه العيدروس ﵁ قال: قد زدت زيادة حسنة، فيحتاج لك زيادة فما تريد؟. قال: أن أرى الجنة في هذه الدَّار، فأجابه الشيخ وقال: لا يمكنك الجلوس بعدها عندي، فارحل إلى مكة، فرحل إليها وأقام بها إلى أن مات سنة خمس وعشرين وتسعمائة.

وكان ﵁ يقول: لو اجتمع شيوخ الرسالة في جانب الحرم وأنا في جانبه الآخر ما كنت أهتزّ لما عندهم لما ملأني به العيدروس.

[نهيه عن مطالعة الفتوحات والفصوص لابن عربي ﵁ مع اعتقاد ولايته]:

وكان ﵁ ينهى أصحابه عن مطالعة الفتوحات المكية والفصوص **ويأمرهم بحسن الظن في الشيخ محيي الدين بن عربي**، واعتقاد أنه من أكابر الأولياء العارفين، وما ذاك إلا لعلوّها عن فهم العموم، وغموض معانيها عن كثير من الفهوم، بخلاف كتب حجة الإسلام، فإنها تصل إلى فهم معانيها عموم الأفهام، ويشترك في الوصول إلى العلم بها الخاص والعام. ومن ثم لما سُئل ابن عبد السلام عن مسألة في ذلك، وكان بالاسكندرية فقال: لا أجيب عن هذه المسألة في هذه البلدة، وما ذاك إلا للطف الكلام ودقة الجواب عن كثير من الأفهام.

وقد اختلف الناس في ابن عربي ﵁ وطال اختلافهم، وكثرت أقاويلهم وتصانيفهم، فمنهم فمَن بالغ في النكير حتى جعله زنديقاً، ومنهم من بالغ في الثناء حتى جعله صدِّيقاً.

[القول الفصل في الشيخ الأكبر ﵁]: قال الجلال السيوطي ﵁: والقول الفصل عندي في ابن عربي طريقة لا يرضاها فرقتا أهل العصر؛ لا من يعتقده ولا مَن يحطّ عليه، وهي: **اعتقاد ولايته وتحريم النظر في كتبه، انتهى**.

وقد سبقه إلى ذلك صاحب الترجمة ـ كما مرّ ـ قال العلاَّمة محمد بن عمر بحرق: وأنا أيضاً على هذه العقيدة، وأدركتُ جماعة من المشايخ المقْتدى بهم على هذه العقيدة، **انتهى**.

وبما ذكرنا تظهر غزارةُ علم صاحب الترجمة رضي الله عنه، وسعةُ اطِّلاعه على العلوم الشرعية والعقلية، وجمعُه العلوم التي اشتمل عليها «إحياء علوم الدين» من علم الظاهر والباطن وأسرار العبادات والعادات، والتزكية من الأخلاق المهلكات، والاتصاف بالأخلاق المنجيات، ولهذا أثنى عليه بما أثنى عليه، ودعا الناس إلى التزامه والعمل بما فيه.

[تآليفه رضي الله عنه]: وألّف رضي الله عنه مؤلَّفات في بابها مفيدات، **منها**: «الكبريت الأحمر» وهو مع اختصاره في غاية الإفادة. وله شرح على قصيدة الشيخ العارف بالله تعالى سعيد بالحاف، التي أوّلها: [شعر]

نحــن لكم مــن قبــل أن يلد نوح   وأنتم لنا من قبــل أن يخلق اللوح

وله مؤلَّف في مناقب شيخه الإمام الولي سعد بن علي رضي الله عنه.

وله رسائل كثيرة في علوم منيرة، ووصايا شهيرة تحثّ على فعل الخيرات، وتحمل على الكرامات. **وله** نظر حسن وشرح جملة من قصائده، **وله** دوائر أغرب في مبناها، وأعجب في معناها لم يُسبق إلى مثلها، ولا يكاد أن ينسج على منوالها.

[من كلامه رضي الله عنه وثناء الأكابر عليه]: **وكان** رضي الله عنه **يقول**: هل من مبارز في جميع العلوم؟.

وكان رضي الله عنه **يقول**: لو شئت أن أصنف على حرف الألف مائة مجلد لفعلت.

وكان رضي الله عنه **يقول**: آه آه، وردت على القلب علوم لا يمكن شرحها ولا إفشاؤها.

وله كلام فائق في علم الحقائق والرقائق، ذَكَر تلميذه السيد عمر بن عبد الرَّحمن في كتابه: «فتح الرحيم الرحمن» منه كثيراً، ولما وقف الشيخ جمال الدين الزعفراني نزيل الحرمين على كلامه أعجبه جداً، وقال: هذا الشيخ آية من آيات الله.

وكان جدّه الشيخ عبد الرَّحمن السقاف رضي الله عنه يحبه ويثني عليه، ويشير بالسرّ المصون

إليه، وقال فيه وهو جنين في بطن أُمه: ولد صوفي يتقطب على أهل المشرق والمغرب.

وكان والده الشيخ أبو بكر يجلّه ويحترمه ويثني عليه ويعظِّمه، ويقول: ولدي عبد الله من كبار الصوفية، وكان يقول: إن سلم عبد الله نظرت طلعاً كثيراً شبهه بالنخلة لكثرة ثمرها ونفعها.

وقال: إن في ولدي رائحة من روائح المصطفى ﷺ، وسيرث القطبية. وزجره بعضهم في صغره، فقال والده: دعه لو علمت ما فيه لما زجرته.

وكان عُمَر المحضار ؓ يقول: إن ابن أخي عبد الله استأثر أحوال بني علوي كلِّهم.

وقال: إنه حمل أحوال الأولياء الكبار، وهو ابن سبع سنين.

وقال شيخه السيد محمد بن حسن جمل الليل: نال الشيخ عبد الله شيئاً ما ناله أحد من بني علوي.

وكان الإمام محمد بن علي صاحب عيديد يثني عليه ويمدحه، وكان يقول: يكون من الشيخ عبد الله مدد لكل مخلوق.

وأثنى عليه من المشايخ الكبار والأئمة الأطهار مَن لا يمكن حصرهم، منهم: الشيخ الكبير سعد بن علي، والإمام معروف باعباد، والشيخ أحمد الجبرتي، والشيخ عبد الله طاهر، والعارفة بالله تعالى سلطانة بنت علي الزبيدي، ولو ذكرت مقالة العلماء والأولياء فيه لطال الفصل، وخرجتُ من الجدِّ إلى الهزل.

وقد عقد في «فتح الرحيم الرحمن» فصلاً في من أثنى عليه مِن ذوي العرفان، ولفضلاء عصره وأدباء مصره ما هو مشهور، وفي الدواوين مذكور؛ لا سيما الفقيه المقرىء المحدّث اللغوي جمال الدين محمد بن أحمد باغشير ـ بغين وشين معجمتين مصغراً ـ فإن له فيه قصائد طنانة، منها قصيدته اللامية أجاد فيها كلَّ الإجادة، وأفاد من علمها كلَّ الإفادة، ونبّه على بعض ما اتَّصف به عمود نسبه من الكمالات، وأشار إلى ما أكرمهم الله به من الحالات والمقامات، مطلعها: [شعر] ـ

بسكان نجد حــادي العيس غزل
فقد لــذَّ لــي ذكــرى حبيب ومَـنـزل

وجـز يا رعـاك الله عن أيمن الحما
كــذا عــن أثـيــلات النقا فالعقنقل

وعرّج بذات الطلح والجزع واللِّوى
وسلعاً فسل عن جيرة الحي واسـأل

أهـل عـاد ذيـاك المخيم عامراً وهل
عــاد هــاتـيـك الــربـا صـيـب الـولـي

ولــي خلة تلك الأمــاكــن خيّموا
هـم سـؤل قلبي وارتــيــادي ومأملي

بهم ذاق قلبي فــي المحبة سلوة
ولكنهم مـذ باينوا القلب مـا سلي

فـمـا سجعت قـمـريـة فــوق دوحـة
مــن الــورق إلا ذكــرت بـالـتـغـزّل

فمن لــي بـوصـلٍ للخيام وأهلها
ومَــن لي بهاتيك الـربـوع وكيف لي

وأبــــذل نفسي عـنـد كـل محبّبٍ
ويــا ليتني بالنفس ألـقــى مأملي

لأن هــواهــم فــي ســويــداي عالق
كـمـا علقت فــي راحــتــيَّ أناملي

فإن يَصِلوا فالجود والفضل شأنهم
وإن بالمنى ضــنُّـوا صرفت تغزلي

إلــى ســيِّـدٍ حُـلْـو الشمائل طاهرٍ
لـه منصب فـوق المناصب يَعْتلي

جليلٌ جميلٌ سـيّـدٌ وابــن سَـيّـدٍ
مـثـيـلُ فـضـيـل تـــاج كـــلَّ مُفضل

شمائله الإحـسـان والـجـود والوفا
وأخــلاقــه الـقــرآن يــا لــك مــن ولي

لـه الحلْم شــأنٌ والشريعة مشرعٌ
وعَـلَـمُ الـهـدى فـن ومحبوبه العَلي

لـــه كـــلّ قـلـب بـالـولايـة شـاهـد
وكـــــلّ فــــؤادٍ مِــــن مـحـبـتـه ملي

لــه لـطـف صـدِّيـق وهـيـبـة فــاروق
وحشمة عثمان وعِـلْـم الفتى علي

تـردى الحيا والعلم والحلم والتقى
على عاتق عن رقّ أسر الهوى خلي

وجـــرّر أذيـــال الـسـعـادة والـهـدى
عـلـى قـــدم سـامـي الـولايـة مسْبل

وتـــوّج لـمـا أن تـسـربـل هَـدْيـه
بـإكـلـيـلِ عـــزٍّ بـالـجـلال مُـكـلَّـلِ

فـنـارت بـه الأقـطـار شـرقـاً ومغرباً
وزيّــنــت الأمــصــار لـمـا بــه حلي

فلما تـبـدَّى فـي مـنـازلـهـا زهـت
وقـالـت لـه يـا داعـي الـحـق حَيْعل

فكم سُنناً أحيا وكم وكم بدع زوى
وكـم ميت له أحياه بالرُّشد مُـذْ ولي

وكانت صــدورٌ قبله حشوها القلا
فصَيّرها بـالـحـبّ فـي الـلـه تمتلي

وصــار به المعروف والـعـزّ ظاهراً
كـذاك سبيل الـرشـد والـغـيّ منجلي

فـمـا هــو إلا رحـمـة أيّ رحـمَـة
كحبل نـجـاة لـلـسلامة مُـوصِـلـي

عـطـوفٌ رؤوفٌ بالخلائق مُحسنٌ
شـفـوقٌ صــدوقٌ ليس منه بأعقلِ

ولـــيٌّ لـه الـدنـيـا كحلقة خاتم
وأيُّ ولـــيٍّ قـل مــول ومـعـزل

مـصـلٍّ بـمَـيْـدان الحقيقة قـد غدا
بـه فسكلاً مـن كـان ليس بفسكل[1]

بـغُـرَّتـه قــد أودع الـلــه أربـعـاً
نُـشـاهـدهـا كالشمس عند التأمّل

تـسـلٍّ لـمـهـمـوم وأمـــنٌ لـخـائـفٍ
ورشـــدٌ لـــذي غــيٍّ ويُــسْـر لمقلل

له همة تسمو السماكين في العلا
ونـفـس عـلا مـن فـوقـهـا كـل أسفل

عطوف لمن والــى وروح وراحـة
رؤوف بـمـن عـــاداه ظـل مظلّل

(1) **الفُسْكُلُ**، كقُنْفُذٍ وزِبْرِجٍ وزُنْبورٍ وبِرْذَوْنٍ: الفرسُ الذي يَجيءُ في الحَلْبَةِ آخِرَ الخَيْلِ. قاله في اللسان.

مـهـاب ولـكـن فـي مـحـيّـاه طلسم
لــه كــلُّ شـــاك بـالـسـلاح كـأعْـزل

وكـــلّ بليغ فـي الـمـقـال كـأخـرسٍ
وكـــل هــزبــر فـــي الـــرجـــال كنبقل

مـجـيـد حـمـيـد للمحامد معدن
شـديـد رشـيـد أمـثـل أيّ أمثل

حـلـيـم حـكـيـم عـالـم ذو بـراعـةٍ
على العقل يعلو عقله فـوق معقل

صموت إذا ما الصمت كان لحكمة
وفـتـاق أبـكـار الـتـكـلـم فيصل

عـلـيـمٌ بـمـا أخـفـيـت ســرّاً كأنه
لـديـك رقـيـب كالحفيظ الموكل

وهـــذا دلـيـلُ الـصِّـدق بيني وبينه
بصيرتـــه مصقولـــةٌ كالسجنجـــل(1)

لكل شريف من عـلا المجد برقع
ولابـــن أبـــي بـكـرٍ زيـــادة مجول

فـلـلَّـه مـا أعـلـى مـراتـب فضله
وأجـزل مـا أعطى وأسـمـح مـا ولي

وظـاهـرة نـصّ الـشـريـعـة مقتفٍ
لأثـــر رســـولٍ والـكـتـاب الـمـنـزل

ولـكـن بـمـيـدان الـحـقـيـقـة سـرّه
يـجـول وقـلـب منه بـالـنـور قـد ملي

---

(1) قال في المختار: **السَّجَنْجَلُ** المرآة وهو رومي معرب.

وجسـم لـه بيـن الـخـلائـق قـاطِـنٌ
وروحٌ له في حضرة القدس تجتلي
فلو شـاهـدَتْ عيناك نـورَ جبينه
وبــدر الــدُّجـى فـي أفـقـه لـم يُـزيّـل
فـصـورتـه تُنْبيك عـن عـظْـم حاله
وأخـلاقـه تكفيك إن كنت مُبتلي
حكى البدر بل أعـلا وأعلى جماله
بـأسـنـى وأزكـــى فـاق كـل مجمّل
فــلا فـخـرٌ إلا حــطّ رتـبـتـه له
ولا شــرف إلا ومــرقــاهُ مـن علي
فنعم الفتى لا شك في عظم حاله
فما شئت في الفضل الـذي ناله قُلِ
وقـل أنـت يا قطب الـزمـان وشمسه
وجــوهــره قـصـدي وأنـــت توسّلي
وأنــت الــذي إن نـاب خطب ملمّة
قـصـدت إلـيـه كـي أفــوز بمَأْملي
وقـلـت إلـهـي كـن لأمــري ميسّراً
بذي الحسب السامي الصريح المسلسل
سليل الكرام السادة النّجب الذي
لـه طـاعـة الـرحـمـن فـي كـل مفصل
دعــامــة ديــن الـلـه أوْحَــــد عصره
وجـوهـره الـفـرد النفيس المجلّل

فريدُ الـزمـان الأوحـد العَلَم الذي
لـه مفصل يعلو عـلـى كـل مفصل
عديم النظير المرتقي شـرفَ العُلا
وأيُّ شـريـفٍ أيُّ عـدل مـعـدل
إلـيـه انتهت أسـرار مـن كـان قبله
فـصـارت جميعاً فيه ذاتٌ تحفل
إمـام المعالي شيخنا الأكبر الذي
بـه فـي الـورى فـزنـا بـكـل مُـؤَمّـل
أبـو الخير عبد الله قُـطْـب زمانه
فـأحـسِـن بـه مـن سـيّـدٍ متفضِّلِ
تـوسّـل بـه وادعُ الإلـه بفضله
وأطـلـق عـنـان الـمـدح فيه وأرْسـل
وقـل يا شريف الجدّ عجّل بنجدة
إلــيّ سـريـعـاً يـا مـشـرف عـجِّـل
وبـارك إلـهـي فـي الـحـيـاة لـه به
وفي القرب أنزله على المنْزل العلي
وبالعَلَم الحبْر الشريف المشرَّف
الكريم التقي المرتضى الزاهد الولي
أبي بكر الأوَّاب ذي الطول شيخِنا الـ
ـمـقـدَّم مـن نـور الإلـه المكمل
كريمُ السجايا الفاضلُ العالِم الذي
لـه مـورد الـعـشـاق فـي كـلِّ مَنْهل

ومَــن هــو بالنور العليِّ مُسَربلٌ
فــأَكْــرِم بــه بــالــنــور مــن متسربل

حــوى شرفي فضلٍ على طرفي علا
فمن فــوقــه عــالٍ ومــن تحته علي

تــوسّــل بــه ثــم ادع بالسعد والتُّقى
لــسيــدنــا أعــنــي الــعــلــيَّ أخــا علي

وبالسيد القرم[1] الجليل مبرز
زكـــي ســنــاءِ عــابــد مــاجــد ملي

أخيه شجاع الدين ذي الصدق شيخنا
الرضي عمر الليث الهمام الشمردل[2]

سراج الهدى بحر السماحة والندى
مبيد الــعــدا بالمشرفيّ المفصل

صباح الدجا المشهور ذي العلم والحِجا
وفــصــل القضا عند الــرجــا لا تنبل

وقـــل: غـــارةً يــا ابـــن الــكــرم لعلَّه
وقــل يــا إلهي عُــمْــرُ سيِّدنا طُــلِ[3]

وبالسيد القطب الفريد الكبير الـ
ـشهير الــمــرتــقــى الــعــالــم العلي

أبي الغوث حقاً ذي المفاخر شيخنا
المحقق حــقــاً علمه كــلَّ مشكل

(1) **قال في النهاية: القَرْمُ** أي المُقَدَّم، في اللسان:المُقْرَم في الرأي.
(2) قال في القاموس: **الشَّمَرْدَلُ**: الفَتِيُّ السَّريعُ من الإِبِلِ وغَيْرِهِ، الحَسَنُ الخَلْقِ.
(3) أي أطِلْ يا إلهي عمره رضي الله عنه.

وأكْـــرِم بـه شيخاً لقد كـان أُمّــةً
مـن الـنـور والعلم الـلَّـدُنِّـيِّ ممتلي

إمـــامٌ عـظـيـمٌ فـي الحقيقة عالم
شـريـفٌ مـنـيـفٌ ذو فـخـارٍ مكمّل

ولـــيّ ولـلـرحـمـن عـبـدٌ وصـفـوةٌ
عـلـيـه سـلامٌ مـن ولـي أبـو ولـي

جليلٌ فضيلٌ شامخُ الفضل والعُلا
وأيُّ جـلـيـلٍ فـي عـلاه مجلّل

عليك بـه إن ضـقـت يـومـاً فإنه
لـه غـارة فـي مثلها فَـرَجٌ يلي

تـوسّـل بـه واسـأل مـن الـلـه رحمة
ومُـدَّ حـيـاة الـسـيـد المتفضّل

ولُذْ بالشريف المرتضى عَلَم الهدى
إمـام الـمـعـالي الـقـانـت المتبتّل

محمدٍ الحمّاد ذي الفضل والتُّقى
تـوسَّـل بـه نِـعْـم الفتى ذاك واسـأل

إلـهـك بالشيخ السعيد الـذي له
ذُرى المجد ذي الخيرات سيدنا علي

فيا طـاهـر الـجـدَّيْـن يـا عـلـوي قل
بـجـاهـك عـنّـا لـلـنـوازل زلـزل

فـجـاهـك جـاهٌ واسـعٌ مـا دعـا به
أخـو كـربـة إلا وأمـسـى بـه سَلي

ولا تنسَ ذا الأســرار قـدوة عصره
ومــن طــال فضلاً فضله كـل مطوّل

هـو السيد المقدام شيخ شيوخنا
الجليل جمال الدين ذو المنصب العلي

محمد الـراقـي على سـلّـم اسمه
إلى الذات حتى صار في الحمد دوخلي

وأكِــــرْم بـه وأعْــــزز بـه مـن مقدّم
ومِــن تــارك الدنيا على الله مقبل

إمــام الهدى المشهور قطب زمانه
شـريـفُ المقام الفاضل المتفضّل

مكين القُوى شمسُ المعالي الذي حوى
على الفخر من نـور الإلـه المسربل

تشفّع وقـل يـا رب جـمّـل بجاهه
ومُــــدّ بـقـا شـيـخ الـبـريـة واعـقـل

ونــادِ على الناسك المالك الهدى
وقــل يـا ولــيّ الـلـه أنــت معوّلي

وجاهك قصدي في الزمان وعدتي
لـيـوم هـمـومـي ثــم فـيـك توسلي

ولُــذْ بالذكي المرتضى معدن التُقى
محمد الـشـيـخ الفضيل المكمّل

وبالعلويّ الفاضل الكامل الـذي
لــه فــي المعالي معقل أي معقل

عــلــيٌ كــذا بــالــمـرتــقـى علويّهم
منير المحيّا بالعلوم الــذي ملي

وفــي عــلــويّ ذا المفاخر والعلا
إذا مــا دهـــاك الــهــمّ يــومــاً تــوسّــل

وبــالــسـيــد الــصِّــدّيــق غـــرَّة قومه
عبيد الـتـقـى يــا حــبّــذا مــن مجلّل

سما فضله في العزّ والفخر كم سما
وحـــقّ لــه يسمو ويــنــمــو ويعتلي

منيف الذرى السامي العلا قدوة الملا
ولــي الثنا مــا شئت فــي مـدحـه قُــلِ

وأخــلــق بــه مــن فــاضــل أيُّ فاضلٍ
صــبــور شــكــور حــامــد ذي تــوكّــل

فنِعْم الفتى ذاك المعظّم من فتى
إلـــى جـاهــه عــنــد الــشــدائـد هــرول

واســـأل بــه وادع الإلـــه بــه وقــل
لـسـيّـدنـا يـا رب فــي الـعـمـر طـوِّل

وبالحامد المحمود ذي الحمد أحمد
رفــيــع الــمـقــام الــصــابــر المتوكّل

وبالمخبت الأوّاب عيسى استغِث عسى
يـــدافـــع عـــنـــا كـــل أمـــــر مــهــول

ولُــذْ بجمال الدين ذي العلم والحيا
محمد الــحــبــر الــكــريــم المكمّل

ولا تنسَ بحر العلم قـدوة عصره
وشـيـخ زمــان مـنـه قـلـبـه ولـي

عليّ العليم العالِم العامِل الرضي
بــأي عـلـى ذاك عــالٍ مـبـجّـل

عليك بـه عـنـد الـنـوائـب داعـيـاً
بـه ثـم قـل يـا عـمـر سـيـدنـا طل

وبالصادق الصِّدّيق ذي الصدق جعفر
عـلـيـك بـه لا تـنـسـه فـي الـتـوسّـل

إلى اليمن والإيمان والزهد والرضى
لأسـرار سـرّ الأقـدمـيـن الـمـحـوّل

ولُـذْ بالكريم السيّد الصّالح الذي
تمسكه بـالـحـق والـسُّـنَـن الجلي

مـحـمـد الـصـوفـي حـقًّـا فـإنـه
لــه غـــارة تـأتـي بـكـل مـؤمّـل

ولا تنس زيـن الـعـابـديـن وفضله
فــإن لـه فـضـلاً عـلـى كـل أفضل

شريفٌ عفيفٌ طيب الأصـل والحيا
لـه حـلـيـةٌ قـد زانـهـا بالتسربل

به اسـألْ ولُـذْ عند الدعا واسـأل الثنا
لــذاك وقـل يـا ربِّ يـسّـر وجـمّـل

ونــاد هـنـا بـيـت الـنـبـوة واستغث
بـسـبـطَـيْ رســول الـلـه ثـم تمثّل

بذي المجد والفخر العميم الذي غدا
به خافض في المنتمى كل معتل
حسين حسام الدين ذي الجود والنّدا
وذي المجد والسرّ العزيز المكمّل
فما مثله في فضله واعتلائه
وإخلاصه والمقتفى والتوكّل
حوى الشرفين الأكملين وراثة
عن الأنورين الأكرمين ففضّل
فدونك عند الكرْب عروة جاهه
تمسّك به تنجو من الكرب فاسأل
وقل رب يسّر حاجتي وامْحُ زلّتي
ومتّع مَداً في طول عمر مجمّل
ولُذْ بالكريم السيد الأمجد الذي
حوى كل فخر في الفخار مُكمل
أخيه السعيد الأحسن الحسن الرضي
أبي الفضل بدر الدين أيُّ مفضل
له الشرفان الأكملان كلاهما
له الأبوان الأفضلان فبجِّلِ
له كل فضل في الفضائل شامخ
له كل مجدٍ رافع المجد معتلي
إلى جاهه يمّم بقصدك ثم قل
إلهي إلهي حاجتي لي سهِّل

ومـتّـع لـنـا فـي عـمـر سـيـدنـا علي
مـع ســرور وخـيـر دائــم متواصل

وعــرّج إلــى جـاه البتول وجاهها
وأســرارهــا بنت الـرسـول المفضل

سـلالـة خـيـر الـخـلـق بـنـت نبيِّنا
رسـول الهدى ذات الجمال المجلّل

وذات الرضى والعلم والحلم والتُّقى
وذات الحيا واللطف والزهد فاعقل

وذات الـعـفـاف الـجـمّ لله درّهــا
إلــى جاهها عند الملمّات سملل

هــي الطلعة الـغـرّاء سـيـدة النسا
وفـاطـمـة الــزهــراء ذات التفضّل

فمن مثلها وهي التي كان في السما
لها خطبة عند الـمـلائـك والـولـي

فـقـل يــا إلــه الأمــر يـسّـر بجاهها
وطـــوّل بـقـا شـيـخ الـبـريَّـة طـوِّل

ولُـــذْ بعدُ بالكبرى خديجة أُمِّها
وفــي فـضـل أُمّ المؤمنين تـغـزّل

فتلك التي كانت لـدى سيِّد الـورى
لـهـا رتـبـة فــوق الـنـسـا مفضل

تفوق النسا في العقل والصبر والحيا
فكيف وقــد كـانـت لأكــرم مُـرْسـل

ومسلمة مـا فـي النسا كـان قبلها
عـن الأهــل والأمــــوال ذات تبتّل

بها سـل وقـل ربِّ احتفظ بإمامنا
ونادِ ابن عمِّ المصطفى ذي التُّقى علي

على العلا الحبر العليم الـذي سما
وكـــان لـه الـتـقـوى لـقـول ومفعل

خليفة خير الخلق ذي الجود والعلا
وذي الزهد في دار الفنا والتحول

فما مثله في الزهد حقاً قد استووا
لـــدى زهـــرة ديـبـاجـهـا بالمرعبل

شقيق الرسول الهاشمي إذا انتمى
وبـعـل الـبـتـول الـهـاشـمـيـة فانقل

وأي فتى السيف والضيف مكرم
حليف الـهـدى رأس الرياسة حـوّل

ومـا مثله في الحرب أسمحها يداً
وأشـجـعـهـا عـنـد الـلِّـقـا والـتـمـثّـل

هو البطل اللّيث الهمام الـذي إذا
بـــدا مـنـه ولّـــى مـدبـراً كـــلّ مُقبل

وإن صال في الهيجا على الجيش فلَّه
وشـتّـت شـمـلاً ثـم كـلُّ مجحفل[1]

إلـــى جـاهـه يـمّـم إلـــى ســـرّه فقم
إلـــى فضله شُـــدَّ الـرواحـل وارحـل

(1) أي صريع قال في اللسان: وجَحْفَلَهُ: صَرَعَهُ، ورَماهُ، وبَكَّتَهُ بِفِعْلٍ.

وقـل ربّ بـارك في الحياة لشيخنا
وطـــــوِّل بـقـاه بـالـمـسـرّة أوصـــل
وبالعروة الوثقى وذي الحوض واللِّوى
وذي المفخر الأعلى الرفيع المطول
نبي الـهـدى الحق البشير المبشّر
الـسـراج المنير الساطع المتهلّل
صباح الدُّجا النور الكريم المكرم
الـرّؤوف الرحيم المشفق المتفضّل
شريف العلا البرّ الشفيع المشفّع
المقفى النذير المصطفى المبجّل
خليل الجليل الحاكم الشاهد الهدى
سـراج الـديـاجـي لـلـضـلال معطّل
حبيب الإله المصلح الطاهر المقدّس
الـحـاشـر الـهـادي الـدلـيـل المهلّل
وذي الصّدق روح الحق حجّة ربنا
الـحـمـيـد الـعـاقـب الـمـتـزمّـل
وذي التاج والمعراج والموقف الذي
لـه الـحـمْـد فيه للجنان الموصل
هـو المجتبى إنسـان عين الوجود
ذي الوسيلة في يـوم القيامة فاسأل
هــو الـهـاشـمـي الأبـطـحـي الــذي
هدى الخلق للحق الرضيّ خيرة العلي

أبــو القاسم السلطان يـس أحمد
مـحـمـد الــمــهــدي لــلــديــن مسهل

رسول الهدى المرسول طرًّا إلى الورى
وأيُّ رســــول بــالــرَّشــاد تــوسّــل

ألا يــا رســـول الله يــا سيد الــورى
ويــا خـيـرة الرحمن مـن كـل مرسل

ألا يــا حبيب الــلــه أنــت ذخيرتي
وأنـــت رجــائــي غــايــة الـمـتـوسّـل

وأنـــت الـــذي أرجـــو لـكـل ملمّة
وأنــت اعتمادي ثـم جاهك معقلي

فإني مـن الأوزار والـجـرم عاطش
وجــاهــك يــا خـيـر الـبـريـة منهلي

إلــهــي بــه مـتّـع لـنـا فــي إمـامـنـا
وفــي الـقـرب أنْــزِلــه بــأرفـع منزل

وبــارك له في العمر بالسعد والهنا
وفــي كـل خير والـــرَّدى عنه حـوِّل

ألا يــا رســـول الــلــه غـــارة منجد
ونــجــدة ذي جـــاهٍ بــهــا لا تـؤجّـل

ويـــا آل طـــه غـــــارة عــلــويّــة
بها تنقضي الأوطـــار والـهـم ينجلي

سريعاً سريعاً هــيّ هــيّ بكم فما
على غيركم عند الخطوب معوّلي

سـريـعـاً سـريـعـاً هــيّ هــيّ بنجدةٍ
سريعاً سريعاً يا أولـي العزم يا ولي

سريعاً سريعاً ضـاق متسع الفضا
فـهـل غـــارة يـا سـادتـي منكم هل

لتنقذ مَــن ضــاق الخناق بـه ومَـن
تحصّل فـي ليلٍ مـن الـكـرْب أليلِ

ألا يـا رجــال الـلـه يـا بهجة الـدّنـا
ويــا مــن بـهـم عـنـد الإلـــه توسُّلي

دعــوت إلــه الخلق ربـي بجاهكم
ولـي حـاجـة مكنونة جـوف كلكلي

أرجــى قضاها مـن إلـهـي وخالقي
وظـنـي بــه أن لا يـخـيـب مـؤمّـلـي

ولكن بقطب العصر لـي متوسّل
أكـــرره فـي خـتـم أمـــري وأوّل

لأن لــه جـاهــاً رفـيـعـاً وفضله
وسـيـع بـه قـد خـصّـه الـلـه يـا علي

يرى الخلق في الدنيا كهيئة أحرف
ويـعـجـم جـــود أكـفّــه كـل مهمل

فـعـم جـمـيـع الـعـالـمـيـن نـوالـه
كما عـمَّ نـور الشمس فـي كـل منزل

فكيف يــرى بين الخلائق منكراً
عـــلاه وكـــل مـنـه بـالـنـور ينطلي

فيا عصرنا لا زال بــدرك كاملاً
خُصصت به يهناك يا عصر حمدل[1]

ويا سيّدي لا زلت في الخير والهنا
ولا زلــت فــي إسـعـاد عمر مطوّل

أمينٌ ومدحي فيك لا شـكَّ ناقصٌ
حـقـيـرٌ قـلـيـلٌ مجملي ومفصّلي

ولـمّـا رأيــت الـمـدح فيك نقيصة
هنا آن لـي أن يُختم الـقـول آنَ لي

فهل لـي إذاً يـا سـيّـدي منك دعـوة
بها ما على قلبي من الـرَّيْـن ينجلي

فأنت الــذي يُرجى دواؤك للورى
وفضلك يـرجـو كـل طفل ونهشل

وفــي بحرك التيار أدْلُــوا دلائهم
وفـضـلـك بـحـرٌ لا تنقصُه الـدَّلـي

وقــد نـــال كــلٌّ مــا يـــروم وإنَّـــنـي
بجاهك أرجــو الأُنــس بالله ينطلي

وعـفـواً لأحبابي جميعاً ووالــدي
مـعـاً ثـم يـا رحـمـن بـالـسِّـتْـر جلِّل

وجمّل وكن في العون وانفع بمن جوده
بسكان نجد حــادي العيس غـزِّل

وقـد لَــذَّ لـي ذاك الـتـغـزُّل ثـم قل
صـلاتـك والتسليم يـا ربِّ وصِّـل

---

(1) أي قل: الحمد لله.

إلى المصطفى والآل والصَّحْب كلهم
وأزواجـــه والـتـابـعـيـن وذا الـولـي

[من فوائد هذه القصيدة]: وإنما ذكرت هذه القصيدة كلَّها لأنها مشهورة بالبركة، وكان صاحب الترجمة يكررها ويحثُّ عليها، **وجرب للفرج أربعة أبيات، أولها:**

ألا يا رسـول الله غـارة منجد(1)

وكان ﷺ يحكِّم الشرع على عقله ويتبع قوله صواب فعله ينطق بالصواب، وإن سُئل أحسن على البديهة في الجواب، وكان جواداً عظيماً، شيخاً كريماً، حدِّث عن كرمه ولا حرج، ومَن لاذ بأعتابه دخلت عليه السعادة من باب الفرج، فكان يعطي عطاء الملوك، وبتواضع الصعلوك، وكان ينفق إنفاق من لم يخشَ من ذي العرش إقلالاً، ولم يناده كل محبٍّ إلا بهكذا هكذا وإلا فلا لا، ومات وعليه دين ثلاثون ألف دينار، فأدَّاه عنه ولده أبو بكر، كما قال في بعض قصائده:

أمـا ترى أننـي قضيت ديـن أبي وكان ذاك ثلاثيـن ألـف دينـار

وكان ﷺ باذلاً ماله وجاهه لجميع المسلمين؛ لا سيما الفقراء والضعفاء والمساكين، وكان يعامل كلَّ أحدٍ بما يوافق طبيعته، ويُنْزل كل إنسان مَنْزلته؛ يجالس الفقراء بما يناسبهم، ويذاكر الفقهاء بما يوافقهم، يصغي لحديث المتكلم ويُقبل عليه، ويظنّ كل أحد أنه أحبّ الناس إليه، وكان يحبّ إظهار النِّعم الباطنة والظَّاهرة، فكان يلبس الملابس الفاخرة، ويتزوج النساء الحسان، ويسكن الدور المشيّدة البنيان، ويركب الدواب المليحة، ويتجنّب كل قبيحة، وكان لشدّة تواضعه يُعدّ من المساكين والفقراء، وحشمته تعلو على حشمة السلاطين والوزراء، وكانت الملوك تهابه وتخضع لهيبته، وتخشى من عظيم سطوته، وكان مع ذلك يُداريهم ويحسن إليهم ويلين الكلام لديهم،

---

(1) وهذه الأبيات الأربعة:

ألا يـا رسـول اللـه غـارة منجد ونـجـدة ذي جـاهٍ بـهـا لا تـؤجّـل
ويـا آل طـه غـارة عـلـويّـة بها تنقضي الأوطـار والهم ينجلي
سريعاً سريعاً هـيّ هـيّ بكم فما على غيركم عند الخطوب معوّلي
سـريـعـاً سـريـعـاً هـيّ هـيّ بنجدةٍ سريعاً سريعاً يا أولـي العزم يا ولي

بل ربما عظَّم بعضهم قاصداً قضاء حوائج المسلمين، وإصلاح ذات البَيْن، وكان يحذّر أصحابه من قرب الولاة، ويعاتبهم على المرور بساحتهم فضلاً عن معاشرتهم، وكان يقول: خصلتان نفعلهما ونحذّر أتباعنا منهما: السماع ومخالطة الولاة.

وكان ﷺ في أول أمره يكره السَّماع، ولما توالت عليه المنازلات، وتواترت لديه الواردات، حتى صارت تارة تزعجه وتدهشه، وتارة تؤنسه، وتارة توحشه؛ صار يحضر السماع فإذا فرغ منه تاب عنه، ونوى أن لا يعود إليه، ثم عاد إليه ثانياً، وربما ينذر نذراً لله بمال إن عاد إليه، فيعود فيوفي بنذره، ثم أغلق على نفسه باباً وأمر رَجُلَين أن يقعدا على الباب، وأكّد عليهما أن يمنعاه من الخروج، وكان إلى جانب داره ناسٌ يسمعون، فسمع الرجلان صوته عند أهل السماع ووجدا الباب مغلقاً.

قال الشيخ العارف بالله محمد بن حسن جمل الليل ﷺ: دخلت عليه بنيَّة أن أعرض له في ترك السماع، وكان في حال، فلما رآني قام وقبض على فمي، فلم أقدر على الكلام معه، ولم يطاوعني لساني على النطق بما عزمت عليه، وكان الغالب عليه البسط والاستبشار والبشاشة في وجوه الأخيار.

[كراماته ﷺ]: وأما كراماته، فقد ملأت السهل والجبل، وصارت عند الناس كالمثل، وشاعت في البدو والحضر، وسارت مسير الشمس والقمر.

قال الشيخ عزّ الدين بن عبد السلام: ما بلغت كرامات ولي مبلغ القطع والتواتر إلا كرامات القطب الرباني عبد القادر الجيلاني ﷺ.

قال الشيخ زرّوق[1] ﷺ: وقريبٌ من ذلك كرامات الشيخ أبي الحسن الشاذلي ﷺ. وقال العلاَّمة محمد بن أحمد بافضل: ومثلهما الشيخ عبد الله بن أبي بكر

(1) الإمام العارف بالله الفقيه سيدي أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى البرنسي الفاسي، أبو العباس، زرُّوق: فقيه، محدث، من أعلام علماء ساداتنا الصوفية، وواضع قواعد التصوف في وقته، من أهل فاس، تفقَّه في فاس، وقرأ بمصر، والمدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة وأتم التسليمات، ولد سنة 846 هجرية 1442م، وتوفي سنة 899هجرية= 1493م. **انظر ترجمته في:** جذوة الاقتباس 60، والضوء اللامع للسخاوي 1/ 222، وشذرات الذهب 7/ 363 وفيه اسمه اسماعيل بن محمد البرلسي**!** والثلاثة خطأ، وانظر الأعلام للزركلي 1/ 91.

العيدروس، كما أجمع عليه كلَّ من يعتدّ به في هذا الشان.

وأنشد أحمد بن محمد باجابر: [شعر]ـ

كلهم فـــي الورى شـــريفٌ منيفٌ لكن العيـــدروس أعلـــى وأعلم
وبهـــذا الليـــل قـــد قـــال قـــومٌ كلهـــم في الأنـــام أقـــوى وأقوم
فاعتمـــده ولا تمـــل لســـواه إن ترد في الأنام تســـلى وتســـلم

[مطلب]
[في أنواع الكرامات]

وذكر بعض العلماء أن الواقع من الكرامات أنواع؛ **منها**: إحياء الموتى وكلامُهم، وانفلاقُ البحر وجفافه، والمشيُ على الماء، وانقلابُ الأعيان، وانزواءُ الأرض، وإبراءُ العليل، وكلامُ الحيوانات وطاعتُها، وطيُّ الزمان ونشرُه، واستجابةُ الدُّعاء، وإمساكُ اللسان عن الكلام وإطلاقُه، وجذبُ القلوب، والإخبارُ بالمغيبات، ومقامُ التصريف؛ كما حُكي عن بعضهم يتبعه المطر، والقدرةُ على تناول الكثير من الغذاء، والحفظُ عن أكل الحرام، ورؤيةُ البعيد من وراء الحُجُب، والهيبةُ؛ بحيث مات من شاهده، وكفايةُ شرّ مَن يريد بأحد شرًّا، والاطّلاعُ على ذخائر الأرض، وتسهيلُ التصانيف في زمن يسير، والتطورُ بأطوار مختلفة، وهو الذي تسمّيه الصُّوفية بعالم المثال.

[كراماته رضي الله عنه]: قال الشيخ عبد القادر بن شيخ رضي الله عنه: وقد نُقل عن العيدروس ـ نفع الله به ـ كراماتٌ شهيرة من كل هذه الأنواع المذكورة، وقد فرَّعت ما شوهد منه من الكرامات على النوع الذي يناسبه منها، وذكرت ذلك مستوفى في كتابي الذي شرعت فيه: «فتح الله القدوس في مناقب عبد الله العيدروس».انتهى. ولم أقف على كتابه هذا، والظاهر أنه لم يتم.

وقد أفرد السيد عظيم الشأن عمر بن عبد الرحمن ـ رحمه الله ـ ترجمة العيدروس بكتاب سماه: «فتح الرحيم الرحمن في مناقب الشيخ عبد الله بن أبي بكر بن عبد الرَّحمن»، وذكر كثيراً، بل صاغ منها تبراً، وكذا كل مَن ألّف في هذا الشأن ذكر منها ما يكون كالعنوان، ولو ذكرت كلَّ ما ذكروه لطال هذا الباب، وخرجتُ عن الإيجاز إلى الإطناب، ولكن أتبارك بذكر اليسير، وأغترف من ذلك البحر الغزير، وأعترف بالعجز

والتقصير، فممَّا وقع له من إحياء الموتى أنَّ زوجته الشريفة عائشة بنت عمر المحضار مرضت مرضاً شديداً، وحرَّكوها فإذا هي ميتة، فأتى إليها صاحب الترجمة وناداها باسمها ثلاثة أصوات، فأجابته في الثالث، وعُوفيت من ذلك المرض.

وممّا وقع له رضي الله عنه **من كفاية الشرّ** أنَّ امرأة أرادت أن تسرق ثمر نخلته ومعها ولدها، فوضعته ورَقَت النخلة، فلما نزلت وجدت ولدَها ميتاً وصرخت بالبكاء، ثم أخبروها بأنَّ النخلة للعيدروس، فردت ما أخذت وتابت، فقام ولدها.

وحُكي أنَّ أختَ السلطان سُرِق عليها حليٌّ كثير، فغضب أخوها لذلك، وأراد أن يقتل كلَّ من اتُّهم، فلما علم صاحب الترجمة رضي الله عنه منه التَّصميم على ذلك، ضمن له بردِّ الحليِّ جميعه، وخرج الشيخ وقت خلوّ الناس عن المشي ومعه خادمه إلى موضع أخدام الدولة، وأخذ منه الحلي ورجع إلى مسجد الشيخ عمر، وأرسل إلى أخت السلطان وسألها عن حليها، فأخبرته بصفته فأعطاها حليها وأعاد الباقي إلى محلّه.

وممَّا وقع له من **إبراء العليل** أنّ علي بن عمر المشعوث ـ وكان من العبّاد الأتقياء ـ دعا على زوجته، فأصابها مرضٌ عطّلها، فأتى صاحبَ الترجمة وأخبره بذلك، فلامه على ذلك ونهاه عن مثل ذلك. ثم أتى إلى زوجته، فوجدها كأن لم يكن بها بأس، فسألها عن سبب ذلك، فقالت: دخل عليَّ الشيخ عبد الله العيدروس، وقرأ عليّ ما شاء الله تعالى، ثم قال: قومي، فقمت وصرت كما ترى.

وحُكي أنَّ امرأة سقطت على أنفها وصار رضاضاً، وقال أهل الخبرة: لا يمكن علاجه، فتوسّلتْ بصاحب الترجمة رضي الله عنه إلى الله تعالى، فرأته داخلاً عليها ووضع يده على أنفها فجُبِر، وصار أحسن مما كان.

وعن عبد الرَّحمن الخطيب أنه أصابه في يده اليمنى جراحةٌ ثم برئت وبقي منها شيء، ثم أتى صاحب الترجمة فلما صافحه أمسك يده شديداً، فثارت القروح وورم الكف، فاهتمَّ لذلك وجاء إلى الشيخ عبد الله وأخبره، فقال: قُرَّ عيناً بذلك، ومسح بيده عليها، فأحسَّ بالعافية في الحال، وبرئت يده بعد زمَن يسير.

وعن السيد محمَّد بن علي قال: دخل العيدروس على أختي علوية، فأمسك يدها

وعصرها حتى كسرها، ثم وضع يده على موضع الكسر، فجُبِر لوقته.

وكان لبعض الأشراف بنت يحبها، فأصاب عينَها وجع كادت أن تعمى، فأتى بها إلى الشيخ وطلب منه الدعاء لها، فتفل في عينها فعُوفِيَت.

وعن سليمان بن أحمد باحنان قال: مرضت ببلاد الكفار وتعبت، وكان عندي ثوب من ثياب العيدروس، فتلحَّفت به وتوسّلت إلى الله بالشيخ ونمت، فرأيته مقبلاً على بغلة وخلفه صغار، وهم يقولون: يا حنّان! يا منّان! عافِ سليمان، يا حنّان! فأصبحتُ معافى.

ولمّا قَدِم طاهر بن عمر لزيارة صاحب الترجمة ومعه عتيق له لا يؤبه به، فأخذ الشيخ عبد الله أُذُن العتيق، ومشى به وقال: كل من به مرض ومسح أُذن هذا العتيق في هذا الشهر والذي يليه عوفي بإذن الله تعالى. قال طاهر: ولما قَدِمنا النيل الأسفل، فوجدنا بها وباء شديداً، فأخبرنا أهلها بما قال الشيخ عبد الله، فكان كلُّ مَن به مرض ولمس أذن ذلك العتيق عافاه الله تعالى.

ومما وقع له مِن الإخبار بالمغيبات أنَّ الشيخ جمال الدين محمّد بن أحمد باجميش شارح الحاوي عزم على الرحلة من عدن، ولم يبق له حاجة، فأتاه كتاب من الشيخ عبد الله العيدروس يقول فيه: واحذر من مجالسة النحوس وبيع الجواهر بالفلوس، واجعل حلالك عدناً. ثم بعد أيام وُلِّي قضاء بندر عدن، ثم كتب للشيخ عبد الله كتاباً يطلب منه الدعاء بالخروج من عهدة ما وَلِيه، وأرسله مع الشيخ أحمد باغشير وأمره ملازمة الشيخ في ردِّ الجواب، فلما طلب منه الجواب قال له الشيخ: ما تصل عدناً إلاّ وقد قُضِيت حاجته، فما وصل عدناً إلا وقد عُزِل الفقيه عن القضاء.

ولما وقع بين سلطان تريم سلطان بن دويس وبين سلطان الشحر وظفار بدر بن عبد الله الكثيري فتنة، وكان سلطان بن دويس لا يقدر على مقاومة بدر، وغاية قوته أن يمنع بلده دون أعمالها، ويلحق الفقراء والضُّعفاء ضرر شديد، وكان صاحب الترجمة مسافر إلى الشحر، فعارضه بدر بن عبد الله، فطلب الشيخ عبد الله العيدروس من بدر الكفَّ عن الضعفاء والإصلاح، فامتنع. ثم طلب منه شهراً فامتنع، ثم طلب عشراً

فأبى، فقال الشيخ عبد الله: عشر في عشر في عشر، وكرّرها ستّ مرات، وحفظ الله البلاد وأعمالها من بدرٍ وأتباعه، ولم يقدروا على أخذ شيء حتى رجعوا خائبين، ووقع الصلح بينهم.

ومنه أنَّ أبا قديم عمر أتى صاحب الترجمة زائراً، ولما أراد السفر نهاهُ الشيخ عبد الله عن دخول الشحر، وقال له: إن دخلتها لم تنجُ، فدخلها وسكن بعض الحوط، وكان والي الشحر يومئذ أبا دجانة، وكان بينه وبين أبي قديم عداوة، ولم يجبر أبو دجانة على إخراجه من الحوطة إلا أنه أمر منادياً ينادي: إن أبا قديم في أمان الله، ثم في أمان الشيخ عبد الله، وأرسل رجلين إلى أبي قديم يقتلانه إذا خرج من الحوطة، فقتلاه لما خرج منها، وكان صاحب الترجمة في تريم فخرج في ذلك اليوم لصلاة الجمعة ولبس شملة، وقال: أنا محشوم، وأُخبر بما فعل أبو دجانة، ثم قتل الرجلان بعد ثلاث وجهّز أبو دجانة على عدن وسافر بنفسه، فلما قربوا منها هاجت عليهم ريح أغرقت أكثر أصحابه، ورجع خائباً إلى جهة الشحر، فهاجت عليه ريح نبذت المركب على الساحل، فأخذه الظافر عامر بن طاهر وأسروه وأسروا مَن معه، وقُتل مبارك اليافعي الذي جسّره على هذه الأفعال، وأُركب على جمل ليراه الناس، وجلس أبو دجانة في الحبس نحو سنتين، وكانت أُمه بالشحر فأسلمت لهم البلاد، وأطلقوا ولدها، فمكث يسيراً ومات.

ومنه: أنه خرج ليوادع جماعة يريدون الحج، فقال له بعضهم: أخبرني بعيوب نفسي، فامتنع الشيخ عبد الله، وألحَّ عليه فقال له: فيك عيب كذا وعيب كذا، فانزعج الرجل واغتاظ وشتم الشيخ، فقال لهم: و الله لا يحجّ منكم أحد، فكان الأمر كذلك.

ونظر ﵁ إلى رجلين يتكلّمان في المسجد الجامع، فقال: هذان يُقتلان في أرض بعيدة، فجهزا مع جيش وقُتلا، وقال: إن يماني بن محمد بن راصع يخرج من تريم إلى القارة، وكان يومئذ والياً على تريم، فأُخرج منها إلى القارة.

ودخل عليه ﵁ رجل نظر إلى امرأة بشهوة، فقال له: تُبْ إلى الله تعالى ولا تَعُدْ.

ووقع له من هذا كثير مع أصحابه وغيرهم. وكان يكاشفهم بما في ضميرهم.

وقدّم له عبد الله باسلامة طعاماً فقال له: إن هذا الطعام يقول: أنا كنت لخالدة بنت عد الله باسلامة، فسأله أهله فقالوا: عملناه لخالدة، فلما أتى الشيخ قدَّمناه له.

ولمَّا التقى السُّلطان عبد الله الكثيري مع مهرة الشحر في الحامي أُشيع أن عبد الله قُتل، فقال الشيخ عبد الله العيدروس: ليس كذلك بل هو حيّ، ولا بدّ أن يبلغ ظفار ويقتل جعفر، فوقع الأمر كذلك.

ودخل عليه عمر بن سالم باعباد، وهو لابس قميصاً ورداءً جديدَيْن، فقال له: هذان من عزيزة ـ يعني: زوجته ـ وهي التي أجبرته على لبسهما.

ودخل عمر بن عبد الرَّحمن على صاحب الترجمة يريده أن يحكّمه، فلما رآه قال له قبل أن يتكلم: تأتي غير هذه الساعة، فتوقف وظنّ أن الشيخ لم يفهم مقصوده، فقال الشيخ: أمَا تريد التحكيم؟ فقال: نعم، ثم خرج ولبث أياماً ثم ناداه الشيخ وحكَّمه.

ورآه بعض الأخيار يظهر البشاشة لغير أبناء جنسه، فوقع شيء في نفسه، فقال له: كم بعيد قريب وكم قريب بعيد.

وقال عبد الرَّحمن بن علي: قال: كان عند العيدروس سماع بعشرة رفوف، فقلت في نفسي: واحدة من هذه تكفي، فكاشفني فقال: وددناهن مائة!.

ومما وقع له رضي الله عنه **من إيجاد المعدوم** ما حكاه الشيخ محمد بن علي، قال: سافرنا مع العيدروس، فنَزلنا بمحلٍّ ليس فيه ماء، وذهب رضي الله عنه وقضى حاجته البشرية، وأتانا ويده مبلولة، فسألناه عن الماء فلم يخبرنا، ثم أتانا رجل وقال: رأيت الشيخ يتطهّر من ماء.

وما حكاه عبد الرَّحمن الخطيب قال: قال لي الشيخ عبد الله العيدروس: سأُعطيك شيئاً ما حُمل على دابّة، ومدَّ يده فناولني نارجيلاً، وإذا موضع القطع رطب.

وكان رضي الله عنه يقول: أنا ممّن أطعمه رسول الله صلى الله عليه وسلم الحلوى.

وقال رضي الله عنه: أتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه حلوى وبلوى، فأطعَمني الحلوى، وجنّبني البلوى.

ومما وقع له من انزواء الأرض أن الفقيه الصالح عيسى بن محمد باعيسى كان

بعدن، وتمنى لقاء الشيخ عبد الله العيدروس جهاراً، فبينما هو في مسجد إذ دخل عليه رجل يطلب شيئاً منه، فانتهره وذهب إلى مكان آخر، فتبعه وطلبه منه فانتهره، فلما اجتمع بالشيخ أخبره أنه تمنى لقاءه عياناً، ولم يحصل له، فقال له الشيخ: بلى قد حصل ذلك يوم أتاك السائل في مسجد كذا وقت الضحى، وسألك كذا فانتهرته، ثم تبعك فانتهرته أنا ذلك السائل، فقال: لِمَ لَمْ تأتني في صورتك؟ فقال: لو فعلت لمسكتني وأخبرت الناس.

ومما وقع له من التطوّر بأطوار مختلفة ما حكاه بعض السَّادة قال: كنت عند الشيخ عبد الله العيدروس ونام، فلمّا دخل وقت المكتوبة أيقظته وقلت له: دخل الوقت، فقال: قد صليت، فقلت: إني لم أغب عنك، فقال: صليت بالجماعة في مسجدنا، فخرجت وسألت الجماعة: مَن صلَّى بكم؟ فقالوا: الشيخ عبد الله.

وما حكاه تلميذه العارف بالله تعالى حسن بن أحمد بابريك، قال: أتيت مسجد الشيخ عبد الله العيدروس، فوجدته يدرس في كتاب، وذهبت إلى مسجد جرجيس فوجدته يتذاكر مع الشيخ سعد بن علي، فرجعت إلى مسجده، فوجدته مع الجماعة كما عهدتهم، فعلمت أنه يتجزّأ أشخاصاً.

ومما وقع له من استجابة الدعاء: أنَّ بعض الصبيان رماه بقلنسوة فدعا عليه، فسالت عيناه.

ومنه أنَّ عبد الله بن علي الكثيري لما سافر إلى ظفار اختلف ولداه مجد وبدر، واستولى بدر على سيؤون، وحبس أبا بكر بن حارثة وعذّبه بأنواع من العذاب، فطلب أصحابه من الشيخ عبد الله العيدروس أن يدعو لأبي بكر بن حارثة بتهوين العذاب والخلاص من السجن، فدعا له وأرسل له وقال: لا تخف ولا تعطهم شيئاً، فلم يتألم من العذاب. وجاءه ثلاثة بعد ثلاثة أيام وأخرجوه من السجن.

وما حكاه الفقير عمر بن أحمد، قال: ذهب بي أبي وأنا صغير إلى العيدروس وطلب لي الدعاء منه، فمسح بيده الشريفة على صدري ودعا لي وقال: فقيه فقيه، فكان الأمر كما قال.

ولما ابتدأ الشيخ محمد بن أحمد بافضل في طلب العلم طلب منه الدعاء، فقال له: فقيه محقِّق محقَّق ـ بكسر القاف وفتحها اسم فاعل واسم مفعول –.

ودعا ﷺ لخلائق كثيرين؛ لا سيما أهل الدِّين والضعفاء والمساكين، فنالوا ما طلبوا وأُعطوا ما سألوا.

ودعا على جماعة، فكفى الله شرّهم وردّ عليهم مكرهم.

وكراماته ﷺ يطول ذكرها، بل يعسر ضبطها وحصرها، وفيما ذكرناه دليل على ما لم نذكره، وفيه كفاية لمن تأمله وتدبَّره، وما عسى ما نورده بعد ما أطال أولئك العلماءُ من الكثير ثم اعترفوا بالقصور والتقصير في حق هذا السيد الكبير.

[وفاته ﷺ]: ولما دنا انفجار فجر المنيَّة، وقُرْب بزوغ شمس الأُمنية، وحنّت روحه الزكية إلى الحضرة الإلهية، ظهر من أقواله وأفعاله ما يدلّ على انتقاله.

منها أنه تجهّز للسفر وقطع جميع الأسباب، وأوصى جميع الأصحاب والأحباب، وألبس ولده أبا بكر وحكَّمه وأجلسه مجلسه، ونصّبه شيخاً، وكسر سرراً هندية جعلها في عتبة الباب، وتجنّب أرباب الدولة، وفتل فتلات كثيرة أعطاها الناس للتبرك كما فعل جده عبد الرَّحمن السقاف. وقال لبعض أولاده عند الوداع: ما عدنا نلتقي في هذه الدار، وفعل هودجاً لبعض نسائه وقال: هذا، قال: فجعل علماً على موضع خروج روحه.

وعارضه أعرابي بجمل ليبارك عليه، فقال: أرى في نفسي شيئاً من هذا الجمل، فكان هو الذي حُمِل عليه بعد موته، وكلَّما مرَّ على قرية أقام بها ليوصل الخير لأهلها، فوصل الشحر على عشرة أيام، وخرج للقائه جميعُ أهلها، وأقام بها شهراً وأياماً، وكان يعمل ليلة الاثنين والخميس حضرة يحضرها العام والخاص ليتكلم فيها بعجائب وغرائب، وسافر من الشحر لأربع خلون من رمضان، فقيل: ألا تقيم في رمضان بالشحر لأجل الصيام؟ فقال: ستحدث حادثة لم يمكن فيها الكلام، ثم مرض وأقام بعرق يومين، فتضجر أهل القافلة، فركب بغلة وسار وأمر المسمِّعين أن يسمِّعوا بقصيدة فيها ذكر الفراق وكثرة الاشتياق والبعد عن الأوطان، ومفارقة الإخوان، وهو آخر سماع سمعه.

ولما وصل جسر السمرة أقام يومين وتقدّمت القافلة إلى عبول، وتعذّر عليه الركوب، فحُمل على أعناق الرجال ونصبوا خيمته، وخرجت روحه الزكية فيها قبل الزوال يوم الأحد لاثنتي عشرة خلت من رمضان، سنة خمس وستين وثمانمائة، وعمره إذ ذاك أربع وخمسون سنة، وحينئذ علت الأصوات وتصاعدت الزفرات، وحاروا في أمره ثم اتفقوا على حمله إلى تريم، فحمَلوه وقت العصر على جمل انقطع، ثم عارضه الجمل الذي تقدّم ذكره، وساروا به ليلاً ونهاراً ودخلوا تريم بين العشاءين لأربعة خلت، ومع دخولهم انخسف القمر، والناس على غفلة، فظنوا أن القيامة قامت، وجُهِّز في تلك الليلة واستطار خبر موته في تلك الجهة، فحضر الصلاة عليه خلائق لا يُحصي عددهم إلا الله، ودُفن قبل الفجر وصلّى بالناس عليه أخوه الشيخ علي ولقنه بعد دفنه، ثم رفع صوته بقوله:

غبتـم فيا وحشـة الدنيـا لغيبتكم ... فاليـوم لا عِوَض عنكـم ولا بدل

وقبره في مقبرة زنبل ظاهر، والنور عليه لامع باهر، وعُمِل عليه قبّة عظيمة منيرة، أظهر من الشمس وقت الظهيرة.

انتهى نقل ما عليه المعوّل من كتاب «المشرع الروي» في ترجمة الأول، ويتلوه الثاني من المذكورين ببيت الأرجوزة من السادة المشهورين، وهو:

كبير القدر والشأن، الكايد لكل حسود وشأن، صفوة الإخوان، ونخبة الأقران: فخر الدين أبو بكر الملقب بالسكران. ترجم له أيضاً السيد الشّلّي في كتابه «المشرع» الذي يذكر من فيه حليٍّ وعليّ، فقال:

[مطلب]
في ترجمة
[الإمام العارف صاحب الكرامات الخارقة والأنفاس الصَّادقة أبو بكر بن عبد الرحمن السَّقَّاف الملقَّب بالسَّكران رضي الله عنه]

[اسمه ونسبه رضي الله عنه]: هو أبو بكر بن عبد الرَّحمن السقاف رضي الله عنهما: أحد أكابر الأشراف وأعيان الأحقاف، صاحب الكرامات الخارقة والأنفاص الصادقة، أجمع على جلاله قدوة الأئمة الأعلام، وانتفع به الخاص والعام.

[ولادته رضي الله عنه]: وُلد بتريم، ونشأ بها وحفظ القرآن، وصحب أباه ولازمه من صباه، وكان يحبه ويثني عليه ويقول: إنه ظفر بسرٍّ خفي لم يظفر به غيره، وكان يُظهر الغبطة والتبجُّح والسُّرور إذا رآه وألبسه الخرقة الشريفة وحكّمه وأذن له في الإلباس والتحكيم، فكان يُلْبس ويُحَكِّم في حياة والده، وكان يقول: جزى الله تعالى عنا أبا بكر خيراً؛ نفعنا في كبرنا وفي تأديب أولادنا.

وكان إخوانه يعظّمونه، قال أحمد بن السَّقَّاف: رأيت تاج المشيخة على رأس أخي أبي بكر.

وكان عمر المحضار يقول: لو كنا آل عبد الرَّحمن في كفَّة وأخي أبو بكر في كفة؛ لرجح.

وكانت العارفة بالله تعالى سلطانة بنت علي الزَّبيدي تقول: إني أسمع النَّوبة تضربُ بالسماءِ بالمشيخة للشيخ أبي بكر.

وكانت تقول: أعرف منتهى الأولياء إلا الشيخ عبد الرَّحمن السقاف وولده أبو بكر.

وكان الغالب عليه في البداية المعاملات السِّرِّيَّة والمجاهدات القلبية، وحِفظُ السِّرِّ عن الغير، وتفريغُ القلب لله تعالى. وكان يقول: ما معنا شيء إلا أنهم إذا خطوا قدماً في سلوك الطريقة، ومنازلات أنوار الحقيقة؛ خطونا أثرهم، وكان قدمنا بقدمهم، وسيرنا في صوب قوام منهجهم.

قال ولده الشيخ علي في «البرقة المشيقة» قوله: إلا أنهم إذا خطوا... إلخ آخره؛ يعني: الذين تحقَّقوا بكمال الاقتداءِ والمتابعة للمصطفى ﷺ، من الصَّحابة والتَّابعين وأكابر الأولياء العارفين الذين كملوا في الاقتفاء والاتباع، وكظموا على الشريعة بلا نزاع.

وكان رضي الله عنه تَرِد عليه تجلّيات عظيمة، ومنازلات جسيمة يحتجب معها في خلوات، ينعزل فيها عن البريات، وفيها ينشكف له الملكوت ويتجلي له قدس اللاهوت، ويشاهد جمال الحيّ الذي لا يموت، ويحل له في تلك الخلوات مكاشفات ومشاهدت، ويرى بسرِّ قلبه المراتب العلوية، والدَّرجات الملكوتية، والأسرار الغيبية، ويرى الأنبياء والملائكة والأولياء، ويظهر له مقاماتهم وأحوالهم، وكذا البرزخ وأهله وما هم فيه من النعيم وغيره، وكان بقرب خلوته بعض الفقراء والصَّالحين يناديه، ويقول بأعلى صوته: يا أبا بكر! منع أسوامك أتتك الأمور العظيمة، والأحوال الهائلة الجسيمة، التي لا تحملها الجبال، ولا تسعها الرمال.

وكان رضي الله عنه يرى النبي ﷺ كثيراً. **وكان يقول**: أعرف من الفرش إلى العرش، ولو أظهرت ما وهبني ربي لَقالَ أهل تريم: هذا شفيعنا يوم القيامة؛ وإذا ظهر عليه الحال منعَه النوم ليلاً ونهاراً، ويدور بالسماع في الشوارع من العصر إلى المغرب، وهو كالسكران لا يشعر بشيء. ويصيبه في بعضها برد شديد وقت الصيف، وتغلق عليه أبواب الخلوة، وتوقد عنده نار، ويتغطى بالدفاء العظيم، وفي بعضها يشتكي الحرّ أيام الشتاء فيبيت في السطح، ويشتكي شدّة الحر، وكان كثيراً يتمثّل بأشعار المحبة، وكان كثيراً يتمثل بهذين البيتين: [شعر]ـ

إذا كان منا سيّدٌ في عشيرة ... علاها وإن ضاق الخناق حَماها

وما ضربت بالأبرقين خيامها   وأصبح مأوى الطارقين سواها

[كراماته رضي الله عنه]: وظهرت منه كرامات وخوارق العادات لكن عند الحاجات:

منها: أنه كان يطعم الفقراء والمساكين في البرية الخبز الحار.

ومنها: أنَّ رجلين أتيا لزيارة مَن في تريم من السادة، فوصلا يوم الجمعة، ووجدا الشيخ في الجامع واستمرّ فيه إلى الاصفرار، واستمرا عنده وأضرَّ بهما الجوع، فالتفت إليهما فقال: خذا ما في هذا الثوب، فوجدا فيه خبزاً حاراً، فأكلا حتى شبعا، وبقي شيء، فأكله الشيخ رحمه الله تعالى.

ومنها: أنَّ بعضهم أتى لزيارة تريم وقصدوا صاحب الترجمة، واشتهوا البر واللَّحم، فلما دخلوا عليه أتى لهم بالبرّ واللَّحم، ثم قال بعضهم: نشتهي ماء المطر، فقال الشيخ لخادمه: خذ الصُّحفة واملأها من ساقية باحسن، فذهب الخادم فوجد الماء، وأتى لهم بالماءِ فشربوا أعذب ماء.

ومنها: أنَّ رجلاً خطب امرأة، فقال الشيخ: هذا الرجل لا يتزوجها، وإنما يتزوج أُمَّها، وكانت أُمها مُزوَّجة، فطلَّقها زوجُها وتزوجها ذلك الرجل.

وقال لبعض زوجات والده: يتزوَّجك رجلان وما يحصل بينكما وفاق، ثم يأتي رجل غريب يتزوجك وتلدين له بأولاد، فكان كما قال.

ومنها: أنه حصل برق ورعد في جميع الجهات، وظنّ الناس أنَّ جميع الأودية تسيل، فقال الشيخ: ما يسيل إلا وادي الغريب، فكان الأمر كما قال.

ومنها: أن القاضي بايعقوب تكلَّم على الشيخ، فقال الشيخ: سيعمى هذا القاضي بعد شهرين ويُنهب بيته بعد موته، فكان كما قال.

ومنها: أنَّ أحمد بن علي الحباني دخل تريم لطلب ما يستعين به على مصروف العيد، فصادف الشيخ عند دخوله، فقال له: ما مطلوبك؟ قال: ثلاثة دنانير أصرفها على عيالي يوم العيد، فقال له: يحصل الثلاثة، فأعطاه الشيخ علي بن موسى باجرش ثلاثة دنانير، ودار على أصحابه واجتهد في تحصيل زائد، فلم يقدر.

ومنها: أنه مرَّ عليه يماني بن فاضل وهو صبي، فقال: سيصول هذا على أبيه ويُخرجه من بلاده، فكان كما قال.

ومنها: أنه ما استغاث به أحد في شدة إلا حصل له الفرج.

حُكي أنَّ بعض الولاة غصب مالاً على بعض خُدَّام السَّادة بني شويه، فاستغاث بالشيخ أبي بكر ﵁، فلما أصبح أرسل ذلك الوالي لابن شويه وأعطاه ماله واسترضاه حتى رضي، وقال له: جاءني رجل صفته كذا وكذا ـ ذكر صفة الشيخ أبي بكر ـ فهدَّدني وخوَّفني إن لم أردَّ ما أخذته منك.

ووقع لبعض أصحابه أنه ضلَّ في طريق الشّحر ومعه أهله، وحصل لهم عطش شديد، فاستغاث بالشيخ أبي بكر ونام، فرآه راكباً على فرس وهو يقول: من كثّر سواد قوم فهو منهم، أتحسب أنّا نضيعك. ثم انتبه وإذا برجل بدوي معه قربة ماء، فسقاهم وملأ أسقيتهم ودلَّهم على الطريق.

وكراماته ﵁ كثيرة ومناقبة شهيرة، ولا تقع منه الكرامات إلا حال غيبته، وإذا أفاق أنكر ذلك وقال: ما شعرت بذلك، ما فعلته ولا قلته.

[ما جاء في مدحه شعراً]: ومدحه جماعة من الفضلاء، منهم ولده الشيخ علي مدحه بمدائح، منها قوله: [شعر] ـ

غريبُ الوقت في سرّ وحال	أبو بكر الفتى فحل الرجال
إمام القوم مخطوب المعالي	رفيع الشأن محظوظ النوال
له في الحبِّ أحوالٌ عِظامٌ	وفي التوحيد أطواد عوال
وتمكينٌ مكينٌ لا يُسامى	بأقدامٍ رواسخٍ كالجبال
لسان الحال منه قد كفانا	عن الإفصاح أغنى عن مقال
له في كل فضل طودُ مجدٍ	مشيَّد قد علا أوج المعالي
فغيد الوهب تهدي من حماها	إليه مع عظيمات المنال

فمنـــي كل حيـــن مـــا تغنـــت حمامـــاتٌ بألحـــان حوالـــي

علـــى نجـــل الوجيه وفخـــر دين تحيـــات ذكيـــات عوالـــي

ســـقت ســـاحاته وطمَّتـــه فيضـــاً وعمَّـــت للعوالـــي والســـفالي

[وفاته ﵁]: ولم يزل ﵁ على تلك الحالات والأوصاف الحميدات إلى أن آن وقت الممات، فتوفَّاه عالم الخفيّات سنة إحدى وعشرين وثمانمائة ـ رحمه الله تعالى ونفعنا به وبعلومه، آمين ـ.

انتهى النقل المزبور من «كتاب المشرع» المشهور من ترجمة السيد المبرور، الذي هو الثاني بالبيت المذكور.

ويليه ثالث الثلاثة المشهورين بين العالم بالإغاثة، سامي الفخار بالإعلان والإسرار، شجاع الدين عمر الملقب بالمحضار، ترجم له عظيم الذكر جمال الدين محمد بن أبي بكر في كتابه: «المشرع الروي في مناقب السادة بني علوي»، فقال: ـ

[مطلب]
في ترجمة
[إمام أهل وقته في زمانه القطب الغوث سيدي الإمام عمر المحضار رضي الله عنه]

[**اسمه ونسبه** رضي الله عنه]: عمر المحضار ابنُ الشيخ عبد الرَّحمن السقاف رضي الله عنهما ـ الإمام الشهير بـ «المحضار»، الذي لا يُشقّ له غبار، ولا يجري معه سواه في مضمار، ودانت له جميع المشايخ الكبار في جميع الأقطار، إمام أهل وقته في زمانه، الفائق على نظرائه ومشايخه وأقرانه، القائم بنصرة دين الله في سرِّه وإعلانه، الفرع الذي تولّد بين أصلين زكيين، ونتيجة مقدمتين على الفرقدين مقدمتين، ذو الشأن العظيم، والشأو الذي يجلّ عن التعظيم، الهزبر[1] الذي يضرب باسمه الأمثال، والشمس الذي لا تُدبر إذا أقبلت الليال، والبحر الذي ليس له ساحل، والحَبْر الذي إذا اجتمعت الرؤوس كان له صدر المحافل.

[**ولادته** رضي الله عنه]: وُلد رضي الله عنه بمدينة تريم كبدر الكمال، وطلع بولادته نجم السعود والإقبال، وشهدت حركاته بالنجابة والعفاف، ونطقت إشاراته بمحاسن الأوصاف، ونشأ في عبادة الله وفي التحصيل من صباه، وتربى تحت حجر أبيه، حاذياً حذوه في مقاصده ومراميه، فحفظ أولاً القرآن وفاق فيه جميع الصبيان، وحفظ «منهاج الطالبين» وعرضه على والده وغيره من العلماء العاملين، وكان حَسَنَ الحفظ سريعَه، فربما يمرّ على الكتاب فيحفظه جميعه، واعتنى به والده فحمَّله ما لا يقدر أحد عليه إلى أن وصل إلى ما لا تطمح الآمال إليه.

[**رحلته في طلب العلم وشيوخه** رضي الله عنه]: وتفقَّه على الفقيه أبي بكر بن محمَّد بلحاج

---

(1) الهِزَبْر: الأسد.

بافضل، وصحب جماعة من أكابر العارفين، والعلماء المهتدين المرشدين، ثم رحل إلى الشّحر واليمن والحرمين، وصحب بها جماعة كثيرين، وكان كثير الاعتناء بـ «المنهاج، والتنبيه والإحياء وتفسير السُّلَمي»، وكاد أن يحفظه عن ظهر قلب.

[رياضاته ومجاهداته ﷺ]: وكان كثير المجاهدات والرياضات في الأعمال الصَّالحات، وترك الحظوظ والشهوات، والانخلاع عن جميع العادات، وكان يصبر عن الطَّعام الليالي والأيام، ومكث أكثر من ثلاثين سنة لا يأكل الرُّطَب ولا التمر، وربما أخذ الرطبة أو التمرة ويقلِّبها بأصابعه ثم يعطيها من حضر، فسئل عن ذلك فقال: لأنَّ التمر أحبَّ شهوات نفسي إليها، وقد تركته لله تعالى. ومكث خمس سنين لا يأكل مما يعتاده الآدميون، ومكث في بريدة المشقاص شهراً لا يذوق شيئاً إلا الماء، ومكث في مسيره إلى الحج أربعين يوماً ما ذاق فيها لا طعاماً ولا شراباً، ولم ينقص قوته ولا يضعف عن المشي، وكان غالب قُوتِه اللبن. **وحُكي** أنه استأجر بقرة بمكة المشرفة، وكانوا يأتون له بلبنها، فشابوه يوماً بالماء، فماتت البقرة من يومها، ولم يزل على تلك المجاهدات إلى أن أتته المواهب اللَّدُنِّيَّة والأسرار الغيبية، وانفجرت من بحور قلبه ينابيع الحِكَم الرَّبَّانية، وتجلَّى له قُدس اللاهوت، وعالم الملكوت[1]، وأنوار الجبروت[2]، وترادفت عليه الفتوحات، وتزايدت لديه المنوحات، كما قال تعالى وهو أصدق القائلين، ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾، [العنكبوت: 69].

(1) **عالَمُ المَلَكُوت:** جواهر نورانية شريفة عالية يعبَّرُ عنها بالملائكة، منها تفيض الأنوار على الأرواح البشرية، ولأجلها قد تسمى أرباباً، ويكون الله تعالى ربَّ الأرباب لذلك، ويكون لها مراتب في نورانيتها متفاوتة، فبالحريّ أن يكون مثالها من عالَم الشهادة الشمس والقمر والكواكب. قاله حجة الإسلام الغزالي في مشكاة الأنوار 72. وقال الشيخ محيي الدين ابن عربي ﷺ: «عالَمُ العقل على قسمين: محجوب وغير محجوب، فأصحاب الأوصاف محجوبون، وهم عالَمُ الملكوت، أصحاب المقامات. قال الله تعالى: ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٞ مَّعۡلُومٞ﴾ [الصافات:164]. وغير المحجوب: هم أصحاب السلب عرائس الله، المُجَنُّون عنده في خزائن غيوبه، حجبهم غيرة عليهم حتى لا يعرفهم سواه، كما لا يعرفون إلا إياه، وهم في المقام الذي يعبر عنه المحققون بالفناء. انظر: التدبيرات الإلهية في إصلاح المملكة الإنسانية 154. وقال القاشاني: عالَمُ الأمر عالَمُ الملكوت عالَمُ الغيب: هو عالَمُ الأرواح والروحانيات، لأنها وجدت بأمر الحق بلا واسطة مادة ومدة. اصطلاحات الصوفية للقاشاني 106.

(2) الجبروت عند أبي طالب المكي: عالم العظمة، يريد به: عالم الأسماء والصفات الإلهية. وعند الأكثرين: عالم الوسط وهو البرزخ المحيط بالأمريات الجمة .

وأول ما ظهرت عليه الأحوال في سنة ثمان وثمانمائة، وذلك في حياة والده، فكان يلقي دروساً، ويُجْلِي على الأسماع عروساً، بالألفاظ الفائقة، والعبارات اللطيفة الرائقة، والمسائل الدقيقة في علوم الشريعة والحقيقة، **وكان** رضي الله عنه **يقول**: لو شئت أن أملي من تفسير قوله: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا﴾، [البقرة: 106] ما يوقر ألف بعير لفعلت.

وكان والده يقول: وجدنا مع عمر شيئاً ما كنا نظن أنه معه، فلما سمع عمر قال: وهل أحاط بجميع ما حبانا الله تعالى؟.

وكان يقول: أُعطيتُ ثلاث أيادي: يداً من النبي ﷺ، ويداً من والدي عبد الرَّحمن، ويداً من رجلٍ آخر.

وكان يتلو اسمه تعالى: **[اللَّطيف]** ألف مرة في نَفَس واحد، وكذا: **[يا حفيظ]**.

وكان خادمه يقول: كان يتلوه خمسمائة مرة في نفس واحد.

[تلاميذه ومريدوه رضي الله عنه]: وأخذ عنه خلائق لا يحصون، وتخرَّج به كثيرون من أجلّهم شمس الشموس عبد الله العيدروس، وأخوه الشيخ علي، والشيخ أحمد ابنا أبي بكر، والسيد الجليل أحمد بن عمر بن بن علي بن عمر بن أحمد ابن الأستاذ الأعظم، والسيد حسين ابن الفقيه أحمد بن علوي، والسيد محمد بن عبد الله بن علي.

وممن أخذ عنه إخوانُه الصغار، والفقيه محمد بن علي بن بازغيفان، والشيخ أحمد بن محمد باعباد، والشيخ سعيد بن أحمد باغريب الشحري، وعبد الله ابن الفقيه علي باحرمي، والشيخ أبو بكر بن أبي قبيل.

وحُكي عنه أنه كان يقرأ التفسير، فقال له: يا أبا بكر! هل تعرف الله تعالى؟.

فقال له: شيخ أنت تخجل أصحابك. فقال: لا أنا أثبت أصحابي، ثم مشى يميناً وشمالاً وقال: أردناه بسوء فسلم، ولكن لحقه حافر الفرس، فتفطرت قدما أبي بكر جراحاً.

وكان كثير الإقامة بعرف ـ وهي بعين مهملة وراء مفتوحة وفاء ـ، قرية على مرحلة

من بندر الشّحر ـ، وله بها أملاك، وغرس بها نخلاً، وكان يزرع فيها وهي بقرب جادة طريق تريم، فكان الضِّيفان يقصدونه بها ذهاباً وإياباً، فيكرمهم الإكرام التام.

وحُكي أنَّ عسكراً معهم نحو ثمانين فرساً مرّوا بعرف، وهمّوا أن يجاوزوه خشية أن يشقّوا عليه لكثرتهم وكثرة دوابهم، مع قلَّةِ زرعه وقلة خدمه، ثم عظم عليهم خوف غيظه عليهم إن لم ينزلوا به، ثم نزلوا عليه فقال لهم: و الله لو لم تنْزلوا عليَّ لم يَصِل منكم أحد، وو الله لو كان معكم عدد أوراق هذه الأشجار لم يهمّنا، ثم أضافهم جميعهم في أسرع ما يكون، وأخرج زنبيلاً فيه طعام وأمر الخادم أن يعطي كلَّ فرس ثلاثة أمداد شرعية، ففعل وردَّ بقية الطعام في الزنبيل، وهو لا يسع إلا نحو أربعين مدّاً.

ثم مات والده سنة تسعة وعشرين وثمانمائة وهو بعرف، واستمرَّ بها إلى أن قربت وفاة أخيه الشيخ أبي بكر، فرحل إلى تريم وزار أخاهُ أبا بكر، فلما خرج قال: ينتقل أخي هذا اليوم، فكان كما قال.

انتقل سنة إحدى وعشرين وثمانمائة، ثم أقام بتريم على صراط مستقيم وسنن قويم، وزادت شهرته وعَظُمت حرمته، وقصدته الوفود، وعُقِدت له ألوية التصرف في الوجود، واجتمعت فيه محاسن الشِّيم، وجُبِلت طبيعته على الجود والكرم، والوافدون عليه يكرعون من حياض فضائله، ويتفيّئون ظلال رياض فواضله، وكان ينفق على غالب بيوت الأشراف، ويؤثرهم بمحاسن المأكول والأصناف. ولامه بعضهم على كثرة الإنفاق، فأجابه بقوله تعالى: ﴿مَا عِندَكُمۡ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٖۗ﴾، [النحل: 95]، مع أنَّ الغالب عليه التجرّد وقطع العلائق مع عدم معاملة الخلائق.

[حاله ﵁]: وكان ﵁ جلاليَّ الحال، لا سيما إذا ضاق المجال، وفاضت غمرات الأهوال.

وقال لابن أخيه الشيخ عبد الله العيدروس ﵁: إن رجلاً يغضب لغضبه جبار السماوات، وأشار إلى نفسه.

وكان إذا غضب على أحد أصابه الجذام، أو غيره من الأسقام بعد ثلاثة أيام، فقيل له: أما تخشى أن ينالك بهذا شيء؟ فقال: إني لم أدْعُ على أحد، ولكنني إذا غضبت

على أحد وقع في باطني نار لا تنطفي إلا بعد ما يصيبه ذلك المرض أو يتوب.

وكان رضي الله عنه مُجاب الدعوة، دعا لجماعة بأشياء حصلت لهم، وأصاب رجلاً مرض شديد، فأتى إليه ودعا له فعوفي.

وأصاب امرأةً صداعٌ شديد عجزت عن دوائه، فأتت إليه ودعا لها بالعافية، فعُوفيت.

وأتاه رجل فقال: ضاعت عليّ صرة دراهم، فدعا له فإذا فأرٌ حاملها وردّها إلى محلها.

[كراماته رضي الله عنه]: واعلم أن كراماته كالبدر ليلة الكمال، أو كالشمس وقت الزوال، فكأنما عناه من قال: [شعر] ـ

له كرامات مثل الشـــمس ظاهرة   وسرّه ظاهر كالشـــمس والقمر

فقد اتفق عليها من أظّلته الخضراء، وأجمع عليها مَن أقلّته الغبراء، ولسان حاله يقول للمبارز: هذا الميدان والشقراء، فهي لكثرتها كقطر السحاب لا يُدرَك بِعَدٍّ ولا حساب، ولكني أذكر منها نبذة يسيرة على سبيل الإجمال ليكون كالعنوان على باقيها بالاستدلال.

منها: أنَّ أملاكه كلَّها لا يدع أحداً يحرسها، ومَن أخذ منها شيئاً عُوقب في الحال، حتى أنَّ زرعه إذا أكلت منه دابة ماتت في الحال.

وحُكي أن أعرابياً أكل من نخلة فطُرد ثم عاد فمات لوقته.

وتضرّر أهل عرف من ذلك لكون زرع الشيخ قرب القرية، وشكوا إليه فقال: مَن أكلت دابّته من زرعنا أخذنا ضعفه من زرعه، فحفظوا دوابهم.

وشكى بعضهم إليه عجزه عن حفظه نخله لكونه بقارعة الطريق، وجعل له رَيْعه فامتنع إلا أن يشتري منه الرَّيْع، فاشتراه منه، فهابه الناس وامتنعوا عنه. ثم قطع بعض الأرقاء سعفاً منه فأصابته شوكة وورم جسده، ومات بعد ثلاثة أيام وسلِم ذلك النخل حتى من الغراب.

وشكا إليه بعض عمّاله كثرة أكل الظِّبا لزرعه، وأن بعض جيرانه ينتصر عليه ويسخر

به لذلك، فأمره أن ينادي الظبا إذا دخلن زرعه بأن يذهبن إلى زرع ذلك الذي يسخر به، ففعل فخرجت كلُّها من زرعه إلى زرع ذلك الشخص إلا ظبياً واحداً، فجاء إليه ولزمه وذبحه.

وقال بعض خدّامه: كانت لي ابنة عمّ فخطبها جماعة، فلم تقبل، فأخبرتُ شيخي الشيخ عمر بذلك، فقال: ما يتزوجها إلا أنت، وتلد لك غلاماً، فاستبعدت ذلك لعدم قدرتي على زواجها ثم خطبتني وتزوجتها وولدت لي غلاماً، كما قال.

وأتاه رجل فقال: سُرِق حُلِيّ زوجتي،. فأمره أن ينادي: مَنْ عنده حليِّي فليردّه وإلا مات بعد ثلاثة أيام. وقال له: إن مضت الثلاثة ولم يردّها فيموت وتجد حلي امرأتك في ثوب الميت، ففعل فمات الرجل بعد الثلاثة ووجد الحليَّ في ثوبه، كما قال.

وشكا إليه عمر بن عليّ باغريب من أمير الشّحر عبد الله بن أحمد الهبي، فقال: سيخرج ابن الهبي من الشّحر بقميصه، فأتى أمير من أمراء صاحب اليمن بعزل الهبي ونهب أمواله، فنُهب وأُخرج من الشّحر إلى عدن في قميص واحد.

وسَرَق جماعةٌ من البدو جملاً وعليه طعام للشيخ عمر، فأرسل إلى شيخهم وأمره بردّ الجمل وحمله، فرَدَّ الجمل وأبى أن يردّ الطعام، وقال: اتبعوا من نهب الطعام، فقال الشيخ: ما نذبح المهزولة بل نذبح السمين، وقال: يُقتل وقت العشاء، فكان كما قال.

وأعطى بعض خدمه حبًّا في جرة، فجعلوا ينفقون منه كل يوم ما يكفيهم، واستمرُّوا على ذلك شهراً ثم استعظمت زوجته ذلك، فكالته فإذا هو كقدر ما أعطاهم الشيخ، ثم فرغ بعد أيام فشكوا للشيخ، فقال: لو لم تكيلوه، لكفاكم سنة.

وحُكي أنه قال لبعض أصحابه: ما تشتهي؟. فقال: أشتهي رطباً، وكان ذلك في زمن الشتاء والرطب غير موجود، ثم دخل المقبرة وزار، وإذا رجل عند الشيخ فتكلم مع الشيخ ساعة، ثم قال له: هذا غداء صاحبك، فقال الشيخ لصاحبه: خذه، فإذا هو رطب؟؟، فلم يقدر يسأل الشيخ عن الرجل وعن الرطب.

وحُكي أنَّ بعض مريديه خلا بامرأة أجنبيه، فلما همَّ بالوقوع عليها أتاه رسول

الشيخ يطلبه سريعاً، فلما أقبل حثا في وجهه التراب، وقال له: كدت أن تهلك، فأخذ عليه العهد أن لا يعود لمثلها أبداً.

وكراماته لكثرتها يطول ذكرها، ولا يمكن حصرها، وقد ذكر في «الجوهر الشفاف» ما فيه مقنع لمن اتصف بالإنصاف، ورمى عن كتفيه ثوب الاعتساف.

[خوفه ﵁ من خالقه ﷻ]: وكان ﵁ كثير الخوف لله تعالى، وكان يقول: وددتُّ أني شاة تذبح، فيؤكل لحمها أو كلباً فيموت ويصير تراباً.

وكان يقول: إني أخاف إذا خرج مني نَفَس أن يحال بيني وبين الآخر، ولا آكل لقمة إلا وأظنّ أني لا أسيغها.

وبنى ثلاثة مساجد وحوط مواضع كثيرة، وكلها محترمة مجلَّلة معظَّمة، من أساء فيها الأدب عاجله العطب.

[ما جاء في مدحه والثناء عليه ﵁]: ولفضلاء أهل زمانه ومَن بعده في مدحه قصائد عظيمة تشتمل على المعاني الجسيمة، مَدَحه بعضهم بقصيدة منها قوله: [شعر]ـ

ولُـذْ بأبي الخطاب في كلِّ شـدّة … أيا عمـر احضر مفرجـاً كل كربة
فقد جـرّب العربان تريـاق غَوْثه … إذا باسـمه يُدعى أجاب بسـرعة
وذلـك مشـهور لدى كل مسـلم … توسّـل به واسـأل به دفـع محنة
وقل يا أبا الخطاب يا ضيغم الورى … ويا منقـذ اللّهفان يـا غوث فرجة

وقال آخر:

مـن خـاف ضـرّاً أو تلـف … نـادى سـحيراً إن هتـف
باسـم الشـجاع المرتضـى … المجتبـى صاحـب عـرف
تـأتيـه نفحـة سـرّه … تنجيـه مـن كل التّلـف

[شعره ﵁]: وله ﵁ نظم، من ذلك قوله: [شعر]ـ

زاد شـوقي إلـى سـاحة تريـم … لمشـايخ وخـصَّ أهـل التـرب

نسـل الاشـراف يا فقـدي لهم	نِعْـم الأجـواد أسـياد العـرب
طهّـر اللـه منهـم مـا خـرب	لا ولا أرهـم ربـي تعـب
الرجاجيـل منهـم والنسـا	أهـل تلـك اللطافـة والحسـب
مـا وددت أنـي أفارقهُـم	ولكـن ربـي عليـه قـد غلـب
مـن شـناهم فيـا ليتـه جُـذِم	أو يخالطـه فـي أيديـه النكـب
أو يصيبـه غـرام مـن صحيـح	وسـط رجليه جدلة من خشـب
أو يصادفـه سـقطة مـن بعيـر	فـوق حاركه مـن عالـي القتب
أو تقـع لـه طعنـة مـن عـدوٍّ	فـي خواصره من عرض السـبب
ثـم نختـم بذكـر المصطفـى	مـا فـي اللّيـل نجم قـد غرب

ومنه قوله:

سـلموا لي على نسـل الشـرف	المشـايخ أسـياد العبـاد
آل باعلـوي أعنـي كلَّهـم	مـا دبـا طيـر مـن نشـر الجراد
ليـت مـن كان يُمسـي عندهـم	متكئـاً فـوق فرشـه والوسـاد
ثـم نختـم بذكـر المصطفـى	وآل بيـت النبـوّة والرشـاد

[وفاته ﷺ]: ولم يزل ﷺ في ارتقاء وازدياد وإرشاد وإمداد إلى أن دعاه داعي المعاد، وانتقل إلى رحمة ربّ العباد، وكان انتقاله يوم الاثنين ثاني ذي القعدة الحرام سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة، وهو ساجد في صلاة الظهر، وذلك أنه لما سمع المؤذن لصلاة الظهر أجابه ثم توضأ وأذّن وأقام لنفسه وأحرم بالفرض، فلما سجد خرجت روحه الشريفة وهو ساجد، فلما طال سجوده حرّكوه، فإذا هو قد قُبض، وبقي على هيئة السجود لم يتغيّر حتى رفعوه للغسل. وشيَّعه خلائق لا يُحصون، والفقراء والمساكين حول جنازته يبكون. ودُفن بمقبرة زنبل من جنان بشار، وقبره معروف يُزار رحمه الله رحمة الأبرار، وجَمَعنا به في دار القرار، ونفعنا به آمين. انتهى ما قصدنا نقله من العبارة من كتاب «المشرع الروي» في مناقب سريع الغارة.

[مطلب]
في ترجمة
[شريف الأشراف سيدنا عبد الرحمن بن محمد مولى الدويلة بن علي بن علوي ابن الأستاذ الأعظم الفقيه المقدم رضي الله عنهم]

ثم قلت:

وعمّه ثم أبوه كَهُما قد لبسا بالصدق من أبيهما
من يُعرف بالسيّد السّقاف عند الذي قد حلَّ بالأحقاف

[اسمه ونسبه رضي الله عنه]:

المذكور هنا هو شريف الأشراف، وأعرف العراف، أحد فصوص جوهرة السقاف، وأجود طب ترياقها الواف، سيدنا ومولانا علم الأحقاف، وجيه الدين عبد الرَّحمن الملقب بالسقاف رضي الله عنه، أفردت مناقبه وبالتصنيف الكثير، وترجم له من الناس جمّ غفير، فممَّن ترجمه مَن شاع وذاع ذكره في كتابه: «**المشرع الروي**» المشهور أيّ شهرة، فقال[1]: ـ

عبد الرَّحمن بن محمد مولى الدّويلة بن علي بن علوي ابن الأستاذ الأعظم الفقيه المقدّم رضي الله عنهم، المشهور بالسقاف.

سيّد السادات الأشراف، وصفوة الصفوة من بني عبد مناف، الواحد الذي وقع عليه الاتفاق، وسارت بفضائله الركبان في الآفاق، بل أجمعت الأُمة عليه[2]، وأنه

(1) انظر: المشرع الروي في مناقب السادة آل با علوي للحبيب محمد بن أبي بكر الشلي با علوي: الجزء الثاني ـ صفحة 141.
(2) في المشرع: بل اجتمعت الأئمة عليه.

وصل إلى ما لا يطمع غيره في الوصول إليه، وجرَّت به الديار الحضرمية على غيرها ذيل الإعجاب، وانقشع بعلومه عنها غيم الجهالة وانجاب، ويد عصره الذي تلقي رايات المجد عن آبائه الأكرمين باليمين، وفريد دهره الذي إذا أقسم الزمان ليأتين بمثله يمين، البحر الذي ليس ببحر ما عنده من جواهر المعارف والعلوم، الحرم الذي ليس لمختطف الحوادث على جاره هجوم.

[ولادته ونشأته وشيوخه في طلب العلم رضي الله عنه]:

وُلد رضي الله عنه سنة تسع وثلاثين وسبعمائة بمدينة تريم، وحفظ القرآن العظيم على الشيخ الأديب المعلم أحمد بن محمد الخطيب، وأتقن علم التجويد والقراءات، فأحكم مقاصده وحقَّق عوائده، ثم اشتغل بالعلوم على الأئمة، وجدَّ في ذلك بعلوِّ همَّة، فتفقه على كثيرين واعتنى بكتب الأوّلين؛ لا سيما كتب الإمامين العظيمين، ذي المقام العالي محمد الغزالي، وإمام المذهب بالاتفاق، البحر أبي إسحاق، وأكثر من قراءة الوجيز والمهذب، حتى كاد أن يحفظهما عن ظهر قلب، فقرأ هذه الكتب المذكورة في تريم على العلامة محمد بن علوي ابن الأستاذ الأعظم، ثم رحل إلى الغيل فقرأ على الإمام الفقيه محمد بن سعد باسليك[1]: الإحياء والرسالة والعوارف وغيرها، وإلى الإمام شيخ الإسلام محمد بن أبي بكر باعبّاد ولازمه حتى تخرّج به ومعظم انتفاعه به، ثم رحل إلى عدن فأخذ بها عن القاضي محمد بن سعيد كين النَّحو والصرف وغيرهما من فنون العربيّة، وبرع في الأصول وأتقن علم المعقول، وكذا علم المعاني والبيان، وفي التفسير ثابت الأركان، وفي الحديث غير مجهول المكان، واجتهد في هذه العلوم، فاقتنص شواردها، وقيّد أوابدها، وصحب في الطريق جماعة من أئمّة التحقيق، منهم المشهور بالعلم الشيخ علي بن سالم، والإمام علي بن سعيد باصليب الملقب بالرحيلة، والإمام أبو بكر بن عيسى بايزيد الساكن بوادي عمد، والشيخ الإمام عمر بن سعيد باجابر، والعارف بالله تعالى مزاحم بن أحمد باجابر صاحب بروم، والإمام الولي عبد الله بن طاهر الدوعني وغيرهم ممن يطول ذكرهم، وكلما وصل رتبة تجاوزها وتعدَّاها إلى أن وصل رتبة لا تتناهى، وبلغ مرتبة فوق النجوم الزواهر، وفاق جميع مشايخ عصره الأكابر.

---

(1) هكذا في الكنز، وفي المشرع: «باشكيل».

[عباداته ومجاهداته ﵁]:

وأما مجاهدته، فكان أعبد أهل زمانه، وفارس ميدانه، والفائق على جميع أقرانه، وكان يتعبَّد في شعب النعير ثلث الليل الأخير، وكان يقرأ كل ليلة ختمتين، وكل يوم ختمتين، ثم صار يقرأ أربع ختمات بالنهار، وأربعاً بالليل، ومكث نحو ثلاثين سنة ما نام فيها لا ليلاً ولا نهاراً، ويقول: كيف ينام من إذا رقد على شقِّه الأيمن رأى الجنة، أو على شقِّه الأيسر رأى النار!. وكان يزور قبر النبيّ هود ـ على نبيِّنا وعليه أفضل الصلاة والسلام ـ، ويمكث عنده شهراً ولا يأكل فيه إلا نحو كفّ دقيق، وكان يزور القبور كل يوم، ويصلّي في جميع مساجد تريم كل ليلة، وكان إذا صلّى يظن أنه أسطوانة لطول قيامه، ولم ينقص شيء من مجاهدته ليلة الزفاف فضلاً عن غيرها، وكان يقول: إنّا لا نعتدّ بشيء من أعمال الظاهر.

وكان ﵁ عزم على الحجّ ونوى أنه بعد الحج يسيح في الأرض ولا يعود إلى حضرموت، فلما وصل إلى الجوف أتاه النبي ﷺ في جمْع من الصحابة والأولياء، ومعهم والده، وأمروه بالرجوع إلى بلده، وقالوا له: مقامك بها أنفع، فرجع ولم يحجّ ظاهراً، وقد شُوهد في مشاعر الحج سنين عديدة، وسأله بعض خواصّه: هل حججت؟ فقال: أما في الظاهر، فلا.

[إجازاته وتدريسه العلوم]: **وأجازه** جماعة من مشايخه في نفع الناس والتحكيم والإلباس، فدَرَّس في الحديث والفقه فروعاً وأصولاً، وقرَّر من العلوم والمعارف ما لم تستطع الفحول إليه وصولاً، وسارت بصيته السفن والرواحل، وقُطِعت إلى حضرته المراحل، وكانت الطلبة ترحل من المشرق والمغرب إليه، والفتاوى تُحمل من البرّ والبحر إلى بين يديه، وانتفع به جمع من الخلائق في علم الحقائق،سطع على قلوبهم شوارق نوره، وطلع على سرهم سواطع بُدُوره، منهم أولاده وأبناء أخيه علي، وعبود، وحسن الورع، والعارف بالله أبو بكر بن علوي الشيبة، وأخوه الشهير محمد بن علوي، والعارف بالله تعالى محمّد بن حسن الشهير بجمل الليل، والإمام الكبير محمد صاحب عيديد بن علي، والعارف بالله تعالى أحمد بن عمر

صاحب المصف، والنور المتأجّج الإمام سعد بن علي بامدعج[1]، والشيخ محمد بن عبد الرَّحمن الخطيب، وولده الشيخ عبد الرَّحمن مصنف الجوهر، والشيخ علي بن محمد الخطيب، والشيخ شعيب بن عبد الله الخطيب، والشيخ أحمد بن أبي بكر باحرمي، والشيخ عبد الله ابن الفقيه إبراهيم باحرمي، والشيخ عبد الله بن أحمد العمودي، والشيخ علي بن أحمد بن علي بن سلم[2]، والشيخ عبد الله بن محمد باشراحيل المعلم، والفقيه محمد بن معافى، والولي التقي عبد الله بن نافع بامنذر، والولي عيسى عمر بهلول، والإمام أحمد بن علي الحياني، والفقيه سعد بن عبد الله باعنتر، والشيخ محمد بن سعيد المغربي، والصالح محمد بن أحمد العمري، وغيرهم ممن يعسر عدّهم وذكرهم، وإنما ذكرت أشهرهم.

وأكثر إقرائه في البسيط، والوسيط، والمهذب، والمحرر، فكان يبدي لهم من معانيها كل درّ وجوهر، وربما قرأ في الوجيز، فيظهر من كنوزه ما فيه لكل فقيه تعجيز، وكان يدرّس لكل رجل ما لا يليق إلا به، ويقرأ كل أمرٍ من الأمور في نصابه، وكم راضَ نفوس جماعة في سلوك الطريقة، وخاض بهم في بحار عميقة، حتى أوصلهم إلى عين الحقيقة، وأخبر غير واحد ممن حكّمهم الشيخ وألبسهم الخرقة الشريفة، ممن كان حريصاً على الدنيا أنه لما أخذ عن الشيخ أذهب الله تعالى عن قلبه حب الدنيا في الحال، وأزال الله تعالى عنه صفات مذمومة، وتبدّلت بصفات محمودة، وكان يقول لهم: اجتهدوا في الأعمال القلبية، فإنَّ الأُوقية من أعمال الباطن تعدل بهاراً من عمل الظاهر.

وذكر في بعض الأيام في درسه فضل الفقه، فعزم ولده عمران يفني عمره في الفقه، ويترك غيره من العلوم، فلما انقضى المجلس ناداه وقال له: يا عمر! اجتهد في أعمال القلوب، إن الفقهاء معهم قبس ومع الصوفية جذوة، وأوقية من عمل الباطن تعدل بهاراً من عمل الظاهر. وذكر يوماً الإمام العارف بالله تعالى أبا منصور الحلاج رضي الله عنه وأطنب في مدحه[3]، وكان ولده عمر حاضراً، فتمنى في نفسه أن يبلّغه الله حال

---

(1) في المشرع: «مدحج».

(2) في المشرع: «مسلم».

(3) الإمام العارف المحقِّق الحسين بن منصور الحلاج، وكنيته أبو مغيث: من بيضاء فارس، ونشأ بواسط،

الحلاج، فالتفت إليه أبوه وقال: الحلاج ما يعجبه لعب الخط، وكان عمر يلعب به كثيراً، فتركه من حينه.

[زهده وورعه وجملة من أخلاقه رضي الله عنه]: وأمّا **الورع** المتين وسلوك طريق سلف الصالحين، فذلك أشهر من أن يُشهر وأظهر من أن يُذكر، وكان إذا أعطى أحداً من تمر الزكاة مسح يده ولا يلعقها تورّعاً.

وأما **الزهد**، فهو إمام ملّته، ومصلّى قبلته، لم يلتفت إلى الدنيا بقلبه والسعي في إهانتها وتفرقتها في محله من مذهبه.

وأما **الكرم**، فهو فارسه الذي لا يُشَقّ له غباره ولا يلحق آثاره، فكان يعطي الألوف من النقد والأنواع والصنوف. وغرس نخيلاً كثيرة في تريم والمسفلة، وكان يقرأ يس عند كل نخلة، ولما غرس نخله الكثير المشهور بناحيتي حضر غرسه وقرأ: عند غرس كل ودي [يس]، ولما تمَّ غرسه قرأ عند كل نخلة ختمة ثم جعل ذلك صدقة الموجودين من أولاده، وكانوا يومئذ ثمانية بنين وست بنات [للذكر مثل حظ الأنثيين]، على أن يهلِّل كل ابنٍ سبعين ألف تهليلة في كل شهر، وتُهلِّل كل بنت خمسة وثلاثين ألف تهليلة، ويهدون ثواب ذلك إليه.

وبنى عشر مساجد، وبنى أولاده ثلاثة مساجد، وكان ينفق عليهم، ووقف على كل مسجدٍ منها ما يقوم به، وكان يقول: هذه النخيل ليست على بال، بل لو قيل لي إن جميع نخيلك ما أثمرت لحجلت[1] فرحاً.

وحكي أنه زرع زرعاً فحسن جداً، فأطلق عليه الدواب فرعته جميعه. وكانت له

والعراق. صحب الجنيد، والنوري، وعَمْراً المكي، وغيرهم رضي الله عنهم. واختلف المشايخ في أمره؛ فردَّه أكثرهم ونفوه، وأبوا أن يكون له قدمٌ في التصوف. وقَبِلَهُ بعضهم: من جملتهم أبو العباس بن عطاء، وأبو عبد الله محمد بن خفيف، وأبو القاسم إبراهيم بن محمد النصراباذي، وأثنوا عليه، وصحَّحُوا له حاله، وحكوا عنه كلامه، وجعلوه أحد المحققين، حتى قال محمد بن خفيف: «الحسين بن منصور: عالمٌ ربَّانيّ». قُتِل بباب الطَّاق من بغداد، يوم الثلاثاء لستٍ بقين من ذي القعدة، سنة تسع وثلاثمائة. انظر ترجمته في: **طبقات الصوفية للسُّلَمي** 307–311، **وتاريخ بغداد** 1/ 112–141 رقم 4232، **والمنتظم لابن الجوزي** 6/ 160–164 رقم 265، **وسير أعلام النبلاء** 14/ 313–354 رقم 205، **وطبقات الأولياء لابن الملقِّن** 187–188 رقم 35.

(1) أي لرقصت.

حضرات مذكورة ومجالس مشهورة يحضرها الأولياء ورجال الغيب.

وحُكي: أنه رأى رجلاً يقول له: لِمَ لا تتكلم على الناس؟ قال: فقلت له: [شعر]

أنعـــي إليك قلوباً طـــال ما هطلت سحائب الوحي فيها أبحر الحكم

فقال له تلميذه الإمام أبو بكر بن علوي الشيبة: وما صفة هذا الرجل؟ فوصفه له، فقال له: هذه صفة الغزالي يجيزك بالتكلّم على الناس.

[بلوغه ﷺ رتبة القطبية]: وشاهد جماعة من أهل الكشف جماعة من الأولياء ورجال الغيب، قال العارف بالله تعالى محمد بن علي الزبيدي: شاهدت الشيخ عبد القادر الجيلاني ﷺ حال قراءة المائتين على شيخنا عبد الرَّحمن، وشاهدت الإمام الغزالي ﷺ حال قراءة الإحياء عليه، وشهد جماعة لصاحب الترجمة أنه بلغ رتبة القطبية، ثم وقع على ذلك الإجماع وأن سائر الأولياء تحت لوائه بلا نزاع، قال ولده الشيخ حسن: سمعت والدي سنة أربعة عشر وثمانمائة وهو يقول: لبست ثوب القطبية منذ عشرين سنة.

وقال أخوه العارف بالله تعالى عبد الله: وقعت بيني وبين أخي عبد الرَّحمن خصومة في نخل السّوم، فقلت في نفسي: بِمَ ذا يفتخر عليّ؛ يصوم وأصوم، ويصلّي وأُصلي، وأبونا واحد، وضيفي أكثر من ضيفه، فرأيت في منامي شخصاً يقول لي: قلت كذا وكذا؟ قلت: نعم، قال: فسِرْ معي، فأتى به إلى أخي عبد الرَّحمن، فوجدنا جسده نوراً وعلى أغصانه مكتوب بالنور سورة الإخلاص، ولا إله إلا الله محمَّد رسول الله، ثم قال لي: إذا وصلت إلى هذا المقام فتكلم، فأذعنت له يومئذ. وتكلّم في «الجوهر» على هذه الرؤيا على حسب ما فتح الله عليه.

وكان ﷺ في ابتداء أمره يكره السماع، ثم كان يحضره ثم أحبه، وكان يعمله في مسجده، وكان يرد عليه حال السماع واردات، وإذا ورد عليه حال تعظم صورته ويدخل الحاضرين هيبة عظيمة منه، وربما دار وتواجد فيه، ولما مات أخوه علي حَزِن عليه وترك السماع مدّة، ثم عاد إليه وقال: أردنا تركه ما تركونا. وكان كثيراً ما يتمثّل بهذه الأبيات ويتواجد عند سماعها: [شعر]ـ

أراني في هواهم لا أُبالي ... وما ملّيت في سهر الليالي
عذابكم الأليم أراه عذباً ... وفيكم ذقت طعم المرّ حالي
فإن جيَّشتمو للصدِّ جيشاً ... بنيت حصون صبرٍ كالجبال
وإن جرتم رأيت الجور عدلاً ... وإن كَثُر الجفا كَثُر احتمالي
وإنْ خيل الجفا جيّشتموها ... إلى أخذٍ لروحي ولمالي
فما ألقاكم إلا بدرعٍ ... من التسليم فوق قميص بالي
وإن ترضون بي عبداً فاني ... فإني قد رضيت بكم موالي
رضيت بما رضيتم لو قطعتم ... يدي اليمنى مددت لكم شمالي

وسمّاه العلماء المحقّقون والأولياء العارفون السقاف لسترة حاله على أهل زمانه؛ لأنه لم يَدَع حالاً ولا مقاماً ولا انتسب إلى علم ولا عمل، ويكره الشهرة أشدَّ الكراهة، ولأنه سَقَفَ على أولياء زمانه بحاله؛ أي علا عليهم وارتفع كالسقف على البيت؛ لأنه الغوث، وكل من يكون الغوث يكون هكذا. وكان يقول: اطّلعنا على الحلاج وظننا أن بزجاجته كسراً، فوجدناها ترشح، وليس كسر. واطّلعنا على أبي الغيث بن جميل، فوجدنا حاله فوق مقاله. واطلعنا على سعيد بن عمر بالحاف، فوجدنا مقاله موافقاً لحاله. واطّلعنا على أحمد بن الجعد، فوجدنا مقاله فوق حاله.

قال محمد بن حسن بن أبي بكر: رأيت في المنام كأنّ قائلاً يقول: الجواهر محمد بن علي، وولده علوي، وولده علي، وولده محمّد. فقلت: وعبد الرَّحمن السقاف؟ فقال: جوهرة الجواهر.

وكان يقول: و الله ما لقلبي التفات إلى غير الله تعالى، من أهلٍ وولد ومال وجنّة ونار.

وكان يقول: و الله ما بنيت داراً ولا مسجداً ولا غرست نخلاً إلا وقد نوديت بفعل ذلك.

وكان يقول: و الله لقد عزل في زماننا عشرون طياراً، وإن رجليَّ هاتين قد وقعتا في

جنَّة الفردوس وما أعدّ ذلك إلا استدراجاً.

وكان يقول: اجتهدنا فلم يفتح علينا بالفتح العظيم حتى رجعنا إلى معرفة النفس.

[ومن كلامه ﵁]: مَن لا له ورد فهو قرد، ومن لا له أذكار فليس بذَكَر، ومن لم يطالع الإحياء ما فيه حياء، ومن لم يقرأ المهذب ما عرف قواعد المذهب، ومن لا له أدب فهو دبّ.

ومنه: دواء القلب ترك العوائق والتوفيق إلى نيل كل خير قرين رفيق.

ومنه: فقهاء الزمان وصوفيته وقعوا في الطحس ـ أي: الزلق ـ.

الناس كلهم فقراء إلى العلم، والعلم فقير إلى العمل، والعمل محتاج إلى العقل، والعقل فقير إلى التوفيق، وكل علم بلا عمل باطل، وكل علم وعمل بلا نيّة هباء، وكل علم وعمل ونيّة بلا سنَّة مردود، وكل علم وعمل ونيّة وسنَّة بلا ورع خسران.

ومنه: كن ابن زمانك، فإن رأيت أهله ذئاباً فلا تكن ضأنة يأكلوك، وإن رأيتهم ضأناً فلا تكن ذئباً تأكلهم.

وكان ﵁ طيب الرائحة، فكان إذا دخل بيته عبقت رائحته الطيّبة فيُعرف أنه دخله، أو مرَّ بطريق فيعرف أنه سلكه. وأشار إلى ذلك عبد الرَّحمن الخطيب بقوله: [شعر]

إذا حلّوا بأرض عطَّروها ... وفاح بها العنبر والعبير

ويسرق سوحها بالنور طرّاً ... ويصيح كل مغير خضير

ويضحى للورى قصداً وذخراً ... وكل من منافعها يمير

ويستشفى بها من كلّ سقم ... ويمحى عنهم الذنب الخطير

والبيت الأول مستعار.

ولما ضَعُف آخر عمره عن تلك المجاهدات، اتخذ قارئاً يقرأ القرآن عنده وهو يسمعه، وربما قرأه معه مدرسه. وكان مع ذلك لا يدخل وقت الصلاة إلا وهو في المسجد متطهّراً منتظراً للجماعة، وإذا قام للصلاة قام لها كأنه شاب، وربما اقتصر على الفرض.

وحُكي أن تلميذه عبد الرحيم بن علي الخطيب وقع في نفسه شيء في ذلك، فكاشفه الشيخ وقال له: إن اسماعيل بن محمد الحضرمي صلّى الفرض وقام ليصلي النفل، فنُودي: صلِّ الفرض ونَمْ عرض.

وكانت أعماله ﷺ قلبية، وأكثر طاعاته مخفية، وكان لا يفتر قلبه ولسانه عن ذكر الله بالليل والنهار، وكان يسمع لقلبه رجيف بالذكر والاستغفار، وكان جمع من المشايخ الكبار يسمعون جميع أعضائه وشَعْره وبشره تذكر الله. واعترض بعض فقرائه عليه بخاطره في مخالطته للعوام، فسمع قلبه في حال خوضه في الحديث معهم يذكر الله، فتاب عمّا خطر بباله.

[بعض من كراماته ﷺ]: وأما ما أجرى الله تعالى على يديه من الكرامات وخوارق العادات، من الإخبار بالمغيبات، والأمور المستقبلات، وإبراء العليل، وتكثير القليل، وقلب الأعيان، وإغاثة اللهفان، فهي لكثرتها تكاد تفوت الإحصاء والعدّ، ولا يوجد نظيرها لأحد، وهي لشهرتها مستغنية عن حكايتها، وقد أورد تلميذه الشيخ عبد الرَّحمن بن محمد الخطيب في «الجوهر الشفاف» نحو مائة حكاية من كراماته العجيبة، وأحواله الغريبة، وها أنا أذكر بعضها على سبيل الاختصار لينتفع بالوقوف عليه أُولو الأبصار.

فمِن كراماته: أنه رُؤي في أماكن متعددة في آنٍ واحد، وأنه كثيراً ما يُرى قميصه فارغاً ليس فيه أحد، ثم يعود إليه بعد ساعة وأنه لم يخطر ببال أحد شيء إلا كاشفه.

قال بعض فقرائه: خطر ببالي أن لي مدّة عند الشيخ ولم يفتح عليَّ، فقال له: إن الشيخ يرعى الفقير من حيث لا يدري.

وقال تلميذه الشيخ عبد الرحيم بن علي الخطيب: ما خطر لي في قلبي شيء إلّا وفعله شيخنا عبد الرَّحمن على أحسن ما ينبغي، ودعا لجماعة بمطالب نالوها، وبأفعال أعمال صالحة فعلوها؛ دعا لامرأة عاقر بولد فولدته، ودعا لرجل بزواج لم يقدر عليه فتزوج، ودعا لامرأة أرملة فتزوَّجت، ودعا لفقير بالغنى فاستغنى، ودعا لجماعة مسرفين على أنفسهم بالتوبة، فتابوا وحَسُنت حالهم. ودعا لجماعة جهّال بالعلم، ففتح الله به عليهم.

وكثيراً ما يوجد عنده الرطب أيام الشتاء، **وقال بعضهم**: سافرت معه من قرية الغر، فلما وصل كحلان نزل لصلاة الضحى، وذهبت لقضاءِ الحاجة، فلما رجعت وجدت عنده رطباً، وكان في غير أوانه، فسألته عنه فقال: كُلْ ولا تسأل، فعملت من نوى ذلك مسبحة، ثم رمى بتلك المسبحة بعض الصغار في النار، فاحترق الخيط ولم يحترق النوى.

وقال تلميذه العارف بالله تعالى محمد بن حسن الشهير بجمل الليل: كنت في مسجد شيخنا عبد الرَّحمن، وكان هو في سطحه، فأصابني جوع فطلبني وإذا عنده طعام نفيس، وتعجّبت منه فسألته: عمّن جاء به؟ قال: جاءت به امرأة ولم أرَ أحداً دخل المسجد، وفتشت المسجد فلم أرَ أحداً. وكان معه عبدٌ يُسمَّى حسن العبيد، فوقع بينه وبين رجل حافظ للقرآن، فشكا على الشيخ من الرجال، فقال الشيخ: تريدنا نأخذ القرآن عنه؟ فقال: نعم، فنسي الرجل القرآن، فدعا العبد وعمل له عصيدة واسترضاه، فذهب العبد إلى الشيخ وقال: ردُّوا على فلان القرآن، فعاد له حفظه.

ومن كراماته: أمسك الشمس عن الغروب. وقال الشيخ عبد الرحيم بن علي الخطيب: رجعنا مع الشيخ من زيارة قبر هود وقت الاصفرار، وقال: ما نصلي المغرب إلا بفرط بالربيع، وتعجبنا لقوله لبُعد المسافة، ثم أمرنا بالذِّكر ومشينا وأمسكت الشمس حتى وصلنا الفرط فغربت، فقال بعضنا لبعض: فعل الشيخ مثل ما فعل الشيخ إسماعيل الحضرمي.

ومما أخبر به من المغيّبات والمستقبلات أنه قال لزوجته التي بقرية العز، وكانت حاملاً: ستلدين غلاماً ويموت في يوم كذا، وأعطاهم ثوباً وقال: كفّنوه بهذا، وسافر، فكان الأمر كما قال.

وكان مرّة بشبام، فقال لمن عنده: مات ولدي فلان بتريم في هذه الساعة، فكان كذلك.

ورأى برقاً قليلاً فخاض الحاضرون فيه، فقال لهم: سال وادي سرّ الآن، فكان كما قال.

وأمر ولده أبا بكر ببيع تمر، فباعه وأخفى بعض ثمنه، فقال له والده: أُخبرت بأنه

كذا وكذا، فقال: لم يسبقني أحدٌ إليك، فقال له: اتقوا فراسة المؤمن، فإنه ينظر بنور الله.

قال أبو بكر: فحسست بالذي أخفيته من الثمن صار حية تمشي على بطني، فرميت به ونويت أن لا أتوكل له!.

ووقع مثل ذلك لعمر المحضار إلا أن عمر أصيب بوجع في رجله، فلما أتى والده دعا له فعوفي.

وقالت له بعض زوجاته: إن أبي قد طال به المرض، فادع له بالعافية أو بتعجيل الوفاة، فقال لها: سيموت أبوك في يوم كذا، فكان كما قال.

وقال له بعض تلاميذه: أودُّ أن ألقى الخضر وأعقد معه الأُخوّة، فقال: سوف تنال ذلك، قال: فلقيني الخضر في صورة بدوي كانت بينه وبيني معرفة، وعقد معي الأخوة ثم غاب وشممت الرائحة الطيبة، فعجبت من ذلك، فأخبرت الشيخ بذلك فقال: ذلك الخضر، ثم لقيت البدوي فسألته، فقال: ما رأيتك من يوم كذا إلى اليوم.

وقال بعض المسافرين إلى بلده: سيسيل وادي بلدك يوم كذا، وسافر فوجد بعض أصحابه يسقي أرضاً له بالسواني، فقال له: سيسيل الوادي في يوم كذا، فترك السقي ثم سال ذلك الوادي وسقى تلك الأراضي.

ومما وقع له من تكثير القليل ما أخبر به تلميذه عبد الرحيم بن علي الخطيب وغيره أن الشيخ كان يضع عنده دراهمه ويوكلهم على الإنفاق على أهله وأولاده ومَن يعولهم مِن الطعام والدراهم، ويأمر لجماعة من الفقراء أو الضيفان، وكان ذلك في الظاهر ما يكفيهم إلا مدّة يسيرة، فقالوا: فترى ذلك ينمو نموًّا ظاهراً.

وقال شعيب بن عبد الله الخطيب: وكلني الشيخ على الصرف على الجعلاء من طعام ودراهم، ثم جئته فقلت له: ما بقي من ذلك إلا يسير جدًّا، فأطرق ساعة وقال: اذهب واصرف لهم أجرتهم، فذهب وصرفت لهم جميعهم وبقي من ذلك بقية. وأعطى عبد الرحيم وشعيباً المذكورين طاقة، وقال: فصّلوها ثلاثة أثواب لأولادكم، فقال شعيب ـ وكان خياطاً ـ: لا يمكن أن تزيد عن ثوبين، فقال: فصّلها على اسم الله، قال: ففصّلتها فجاءت ثلاثة أثواب.

ومما وقع له في إغاثة اللهفان وقلب الأعيان؛ أنه أعطى خادمه عبد الرحيم بن علي الخطيب شيئاً من التراب، وقال: قسِّمه على هؤلاء ـ يعني: نساءه ـ فإذا هو دراهم، ووقع ذلك مراراً مع جماعة كثيرين.

وكان ﷺ سامراً مع أصحابه فنفد دهن السراج، فتفل فيه فامتلأ دهناً.

وطلبت منه بعض نسائه دنانير لكسوتها، فقال: في الحُقّ الفلاني خمسة عشر دينار، فقالت: قد رأيته وليس فيه شيء، فقال: اذهبي تجدي فيه، فوجدت فيه خمسة عشر.

وكان مسافراً ومعه جماعة، فعطشوا في محل ليس فيه ماء، فتعبوا فقال لهم: ارفعوا هذا الحجر فإن تحته ماء، فرفعوه فوجدوا ماء فراتاً.

وسافر مِن عند بعض زوجاته إلى تريم وقت الزوال، فقالت له: اصبر حتى يبرد الوقت ونصلح لك ما تتزوَّد به، فأبى وسافر في ذلك الوقت، فوجد في أرض صوح رجلاً أعمى قد تعب من شدّة العطش، فقال الشيخ: إن في هذا الشعب ماء، وأمر بعض خدّامه أن يأتي بالماء ويغيث ذلك الأعمى، فذهب إلى الشعب فوجد الماء وأتاه به وشربوا كلهم، ثم ساروا قليلاً فوجدوا رجلاً فسألهم عن الماء، فقال ذلك الأعمى: الماء قريب، وقال الشيخ: إن هذا الأعمى يتكلم بما لا يعلم.

وكان له نخل بالشوم تأكل الكلاب تمره لصغره، فكان خادمه الموكَل به يحرسه منها كل الليل، فتعب لذلك، فأتاه الشيخ في المنام وقال له: عف[1] بسعفه حول النخل ونم، ففعل فلما أصبح رأى أثر الكلاب حوله، ولا قدرت تتجاوزه.

وقال بعض آل شويه: كنت في برية وضللت عن الطريق وعطشت عطشاً شديداً، فاستغثت بالشيخ عبد الرَّحمن، ثم جاءني رجل بماء وشربت حتى رُويت، وسار بي حتى أوصلني الجادة.

وحصل على مركب خلل وانخرق وأشرفوا على الغرق، فاستغاث كلٌّ بمن يعتقده من المشايخ، واستغاث بعضهم بالشيخ عبد الرَّحمن ونام، فرأى الشيخ واضعاً رجله في الخرق.

---

(1) أي ارسم دائرة حول النخل.

وسمع بعضهم بهذه الحكاية ولم يكن يعتقد في الشيخ ثم ضلَّ في الطريق، وسار ثلاثة أيام لا يدري في أيِّ محلٍّ هو حتى نفذ ما معه من زادٍ وماءٍ، وهو في خلال ذلك يستغيث بجماعة من الأولياء، ثم تذكَّر الحكاية التي سمعها واستغاث بالسقاف، وعزم على أنه إن سَلِم يتحكم له ويخدمه فنذر له بمال، فما أتمَّ ذلك الخاطر إلا وأتاه بماء ورطب، فأكل وشرب وقال له: سِرْ إلى هذه الجهة، وغاب عنه ثم سار قليلاً وإذا البلد قريب منه.

وغصب بعض آل كثير دابّة فقير الشيخ، فصاح الفقير بأعلى صوته مستغيثاً بالشيخ، فلما أراد الكُثيريّ أن يذهب بالدابة ومدّ يده إليها يبست ولم يقدر يحركها، فقال له: ادع الله شيخك الذي أستغيث به ولك عليَّ عهد الله أن أردَّ عنك كل مَن أراد بك سوءاً، فدعى الله بذلك، فرجعت يده على حالتها الأولى، فلما جاء الفقير إلى الشيخ قال له: علام ترفع صوتك ونحن نسمع الصوت الخفي؟!.

ولا مطمع في استيفاء مناقب الشيخ ﵁ وكراماته، وذكر صفاته وحالاته، وفي هذا القدر كفاية لمن تدبّره، وفيما ذكرناه دليل على ما لم نذكره، وكله مشتمل على فنون الاعتبار لمن أراد الاستبصار.

وبالجملة، فمناقبه شهيرة وكراماته كثيرة، وفضائله أجلى من الشمس وقت الظهيرة، مخلَّدٌ ذكرها في صدر الدفاتر والكتب، منشورٌ طيب عرفها على مرور الأمصار والحقب. ولما أتاه الأجل المقدور، وتلا لسان الحال: إن أجل الله إذا جاء لا يؤخر؛ انتقل إلى رحمة الله ﷿ يوم الخميس لسبع بقين من شعبان سنة تسعة عشر وثمانمائة، ودُفن ضحى يوم الجمعة، وازدحم الناس على جنازته، وصلَّى عليه خلائق لا يحصون، وكان له مشهد لم تر مثله العيون، وقبره بمقبرة زنبل من جنان بشار، وقبره فيها أظهر من رابعة النهار.

وخلّف ﵁ من البنين ثلاثة عشر، ومناقبهم أكثر من أن تُحصر، وأشهر من أن تُذكر، وقد ذكرت منهم في هذا الباب مَن وُجد فيه شرط الكتاب، وقد ظهرت منهم كلهم كرامات ظاهرة نفعنا الله تعالى بهم في الدنيا والآخرة، آمين.

انتهى ما أردت زبره ونقله من كتاب «المشرع» في مناقب من تكاثر فضله.

[مطلب]
في ترجمة
[سيِّد السادّة، وقدوة القادة، حاوي الفضل والفضيلة، سيدنا ومولانا محمَّد الملقب بمولى الدويلة ﵁]

ثم قلت:

وهــو لَبِــس مــن أبيــه قدوتــي ... محمَّــد المعــروف بالدّويلــةِ

المذكور هنا هو سيِّد السادّة، وقدوة القادة، حاوي الفضل والفضيلة، سيدنا ومولانا محمَّد الملقب بمولى الدويلة، ترجم له صاحب «**المشرع الروي في مناقب السادة بني علوي**»(1)، فقال:

محمد بن علي بن علوي ابن الأستاذ الأعظم الفقيه المقدّم ﵁

الشهير بمولى الدويلة، هو الإمام الذي باسمه تنشرح الصدور، العارف الذي بوجوده روض الفضائل معمور، خصَّه الله بأوفر حظّ من العلا والإحسان باتفاق أهل العلم والعرفان.

وُلد ﵁ بتريم ونشأ بها، وحفظ نصف القرآن، وكان إذا غلط القاريء في النصف الآخر ردَّه إلى الصواب!. مات أبوه وهو صغير، فكفله عمّه الشيخ عبد الله، ونشأ

(1) المشرع الروي في مناقب السادة آل با علوي للحبيب محمد بن أبي بكر الشلي با علوي ـ الجزء الأول ـ صفحة: 199.

في حجره ورعاه وعاش في كنفه ونعماه، وشمله بنظره وعنايته، وسلكه على منهاج طريقته إلى أن رسَّخ قدمه في درجات النهاية، وطال باعه في أحكام الولاية، وارتحل إلى الحرمين الشريفين، وأدَّى ما وجب عليه من النسكين، وزار جدّه سيّد الكونين ﷺ، وأخذ بهما عن جماعة من العارفين والفقهاء الكاملين، واجتمع في رجوعه بالشيخ العارف بالله علي بن عبد الله الطواشي رضي الله عنه، فاعترف كلٌّ لصاحبه بمقامه الشريف، وتمتَّع بمقيل ظله الوريف، وتضوَّع من عبير عرفه اللطيف، ولم ينقل عنه أنه اشتغل بتحصيل العلم ولا بعلم الكتابة والرسم، ولكن كان كلما عَلِم شيئاً من الشريعة عَمِل به، ولا ينزع رداء العمل عن منكبه، ولهذا نال ما يعزّ وجوده عند من خص العلم بالعناية، وخصّ جناح المسير إلى الرواية، وقد قال ﷺ: «مَن عمل بما يعلم أورثه الله علم ما لا يعلم»[1].

وكان الشيخ الكبير العلم الشهير العارف بالله تعالى فضل بن عبد الله يعظِّمه ويثني عليه، ويتمثل بين يديه، وكان له رياضات وأحوال ومقامات، وأكثر أعماله قلبيات.

وكان رضي الله عنه يخفي أعماله عن أصحابه حتى أهله، وربما اعترض عليه بعض من اتّصف بالعلم وليس من أهله، حتى أن بعضهم قام يصلي والشيخ عنده نائم، فقال في نفسه: أنا ساجد وقائم وهذا مضطجع نائم ويدّعون أنه قدوة للعالم!!؟، فلما سجد عجز عن رفع رأسه، فتاب عمّا وقع له في نفسه، فأمر صاحب الترجمة رضي الله عنه بعضَ من عنده أن يرفع رأسه من السجود، ولما فرغ اعتذر إليه، وعاهده على أن لا يعود.

وكان الغالب عليه الإقامة بالبادية، وترد عليه أحوال آثار بركتها عليه بادية، وإذا ورد عليه حال تكلّم على مسائل في الشريعة والحقيقة، وخاض من العلوم في بحار عميقة، وسأله ولده عن ذلك فقال: ما نقول إلا وقد أفنينا الدنيا والآخرة أول ما تبدو لنا الدنيا نسحقها، ثم تظهر الآخرة فنسحقها، ثم ننبذهما جميعاً حتى لا يبقى غير الله، فحينئذ يقع الوجود. وأنشد: [شعر]

---

(1) قوله ﷺ: «**من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم**». أخرجه أبو نعيم في الحلية من حديث أنس رضي الله عنه، وضعَّفه. انظر: **تخريج أحاديث الإحياء للحافظ العراقي**: المجلد السادس ـ كتاب العلم ـ الباب السادس: الحديث رقم 2.

ولمــا حضرنا للســرور بمجلس أضــاءت لنا من عالم الغيب أنوارُ
وطافت علينــا للعــوارف خمرة يطوف بها في حضرة القدس خمارُ
فلمــا شــربنا بأفــواهِ كشــفنا أضاءت لنا منها شــموسٌ وأقمارُ
تخاطــب أرباب القلــوب بلطفها وتبــدو لنا وقت المســرّة أســرارُ
رفعنا حجاب الأنس بالأنس عنوةً وجــاءت إلينــا بالبشــائر أخبارُ
وغبنــا بهــا عنّــا ونلنــا مرادنــا ولــم يبــقَ منّا بعــد ذلــك آثارُ
وخاطبنا في ســكرنا عند صَحْونا كريمٌ قديــمٌ فائضُ الجــودِ جبّارُ
وكاشــفنا حتــى رأينــاه جهــرةً بأبصــار فهــم لا تُواريــه أســتارُ

وكان ﵁ إذا أطرقه الحال يضطرب جسده ويلين، حتى أن بعضهم وضع أصبعه في جسده فانخسف محل أصبعه.

وورد عليه ﵁ حال مكث به سبعة أيام حتى تقيأ وما اسودّ.

قال ولده العارف بالله الشيخ عبد الرَّحمن السقّاف: لو لم يتقيّأ لقتله ذلك الحال.

وتواجد ﵁ يوماً بحضرة عند الشيخ الإمام عبد الله باعلوي ﵁ حتى غشّي عليه، ثم أُقيمت الصلاة فصلّى معهم، فلما فرغوا قال العارف بالله علي بن مسلم لعمّه عبد الله: صلَّى ابن أخيك بلا وضوءٍ لأنه زال عقله، فأخبره عمّه بقول الفقيه علي بن مسلم، فقال: وعزّة الحق إني توضّأت وشربت من الكوثر!!، ونفض لحيته فتقاطر منها الماء!!. ثم قال: يا فقيه! نزل علينا شيء لو نزل على الجبال لدُكَّت، ثم أنشأ يقول: [شعر]ـ

الحــب حبِّــي والحبيــب حبيبي والسَّــبْق ســبقي قبل كل مُجيبِ
نُوديــت فأجبْتُ المنادي مســرعاً وغطست في بحرِ الهوى وغدي بي
لــي تســعة وثلاثــة مــع تســعة والعقــد لي وحدي وعــاد نصيبي
ما تعلمــوا أني المقــدّم في الملا ليلــة سُــرِّي باليثربي سُــرِي بي

ثم اختار المحل المسمَّى: «يبحر» ـ بمثناة تحتية فموحدة فحاء مهمة فراء ـ وهو قريب من القبر المعروف بقبر هود ـ على نبيِّنا وعليه أفضل الصلاة والسلام ـ، عنده عين جارية، وبنى به داراً وأسطوانة، وبنى كثيرون من جماعته بيوتاً، وجعله موطنه حتى صارت قرية عامرة بعد أن كانت دامرة. ورُوي أنه سمع هاتفاً يقول له: ابْنِ داراً عند العين، فإنها من أنهار الجنّة، فتقدَّس بسكناه ذلك الوادي، وأسَّس بالتقوى ذلك النادي، ثم حدثت بعده قرية بقربها فقيل: للأولى: «يبحر الدويلة»، ومعنى «الدويلة» في كلام أهل حضرموت: العتيقة.

وكان لصاحب الترجمة حالات عجيبة وأمور غريبة، فأحياناً يلبس ثياب الملوك، وأحياناً يتزيّا بزيِّ الصعلوك، ومرة يلبس الثياب النفيسة الحسنة، وأخرى يلبس الشمال الخشنة، وربما مال إلى صحبة الأعيان الأكابر، ثم يفر عنهم ويصحب الفقراء الأصاغر، وفي بعض الأحيان يجتهد في الأعمال البدنية من القيام والصيام، فقد حُكي عنه مكث نحو عشرين سنة يصلّي الصبح بوضوء العشاء!، وأنه صام أربعين يوماً متتابعة في أيام الصيف.

[كراماته ﵁]: وكانت له كرامات خارقة وأنفاس صادقة:

منها: أن بعض مَن عنده اشتهى اللحم لطول بعده عنه، فنظر صاحب الترجمة إلى قعود سمين وقال لأصحابه: اذبحوا لنا هذا القعود، فبينما هم يسلخونه وإذا بصاحبه قد أقبل، وقال للسيد: قد وهبته لكم مني منذ أيام، فقال: الحمد لله ما أخذنا إلا حقنا.

وكان ﵁ يقول: ما أشتري شيئاً إلاّ وقد قال: اشترني فإني لك حلال.

ومنها: أن بعض الناس رآه يكلم نسوة من محارمه، فأنكر عليه في نفسه لكونه لم يعلم أنهن من محارمه، فلما قام يقضي الحاجة وجد آلة نفسه ممسوحة!، فجاء إلى السيد واعتذر وتاب، فقال له: نحن ما نخاطبهن إلا ونحن مثلك.

ومنها: أن سلطان اليمن أرسل عسكراً إلى أحمد بن يماني سلطان حضرموت ليأخذ منه بندر الشحر، وكان صاحب الترجمة ﵁ وأحمد بن يماني بالبندر، فنزل العسكر بقرب البندر، وكان لا يقدر على مقابلتهم، فطلب منهم أن يصبروا إلى أن

يصلي الجمعة ويخرج عن البلد ويتركنا لهم، فأبوا وقالوا: لا بد أن يخرج من هذه الساعة، فقال صاحب الترجمة: أُخرج عليهم، فإن الله ينصرك، فخرج لمحاربتهم، فلما التقى الجمعان أخذ السيد كفًّا من الحصى وتفل فيه ثم رمى به في وجوه القوم، فولّوا مدبرين.

ومنها: أنه أمسك بعتبة داره وقال: أخرجوا جميع ما في الدار عن الدار، فانهدمت جميعها. ودعا لجماعة لمطالبهم فنالوها، ولجماعة من العصاة بالتوبة؛ تابوا.

وذكر في «الجوهر» منها كثيراً، وترجمه في «البرق»، و «العقد النبوي»، والسيد عبد القادر في كثير من كتبه. وكان ﵁ يقول: نذكر الله تعالى باللسان والقلب ثم تفنى الحروف، ثم يفنى اللسان فيبقى القلب شمعة من نور متصلة بالله ﷻ.

وكان ﵁ يقول: أعرف عن نفسي ثلاث خصال، **الأولى**: أني لا أكره الموت، فإن مَن كره الموت كره لقاء الله. **الثانية**: أني لا أخاف الفقر، لأني أعرف أن ما عند الله أقرب مما في يدي. **الثالثة**: لا أكره الضيف وإن لم يكن عندي شيء.

قال الشيخ عبد القادر العيدروس ﵁: فانظر كيف جمع التصوّف كله في هذه الكلمات مع كونه أُمّيًّا، فإن الشيخ ما نقل عنه أنه اشتغل بتحصيل العلم، ولا قرأ شيئاً من الكتب إلى آخر ما أطال به في شرح هذه الكلمات.

وحُكي أنه أراد أن يؤمّ القوم في مسجد بني علوي المشهور، فمنعوه وقالوا له: أنت بدويّ لا تصلح للإمامة، فلما صلّوا جلس يتكلم على سورة من القرآن بكلام عظيم، فعلموا أن هذا من العلم الوهبي، ومدحه الشيخ عبد الرَّحمن الخطيب بقصيدة أولها:

يحق لكم يا ابن الكرام التفاخر
كما أول الفضل لكم والأواخر

فكم شاع في الآفاق من فيض فضلكم
وأسراركم ما للورى الكل غافر

بكم تدفع الأسوا عن الخلق والبلا
وفي جاهكم تنشأ السحاب المواطر

ولم يزل ﵁ طائعاً لمولاه إلى أن وافته الوفاة، فانتقل إلى رحمه الله تعالى يوم الاثنين لعشر خلون من شعبان، سنة خمس وستين وسبعمائة، ودُفن في مقبرة زنبل، وقبره فيها معروف، وباستجابة الدعاء موقوف، رحمه الله ونفعنا به.

ورُوي أنه عند موته تمثَّل بهذين البيتين: [شعر]

إن بيتاً أنت ساكنه ليس محتاجاً إلى السُّرُجِ
وجهك الميمون حُجَّتنا يوم يأتي الناسُ بالحججِ

انتهى ما قصدناه من النقل من كتاب «المشرع الروي في مناقب جزيل الفضل العلوي».

[مطلب]
في ترجمة
[الإمام العارف بالله تعالى علي بن علوي
ابن الأستاذ الأعظم الفقيه المقدم ﵁]

ثم قلت: [شعر]

وهــو لبــس مــن أبٍ لــه علي ... وعمّــه العفيــف أي باعلــوي

المذكوران هنا في البيت اثنان، وكلاهما أخوان صنوان؛

الأول منهما: ذو السرّ المعنوي، **السيد الشريف علي بن علوي**، ترجم له العالم الشلّي في كتابه «المشرع» الحاوي لتراجم ذوي الفضل(1)، فقال:

علي بن علوي ابن الأستاذ الأعظم الفقيه المقدّم ﵁، أحد أركان هذا الشأن، وأئمة السادات الأركان، سلالة السادة الأخيار، ونخبة الأشراف الأبرار، ومعدن الفضائل والأسرار، المحبّ المحبوب المجذوب.

وُلد ﵁ بمدينة تريم، وحفظ القرآن العظيم، وصحب أباه وتأدّب به، ولحق جدّه في حال صغره، ففاضت عليه نفحات سرّه، حجَّ بيت الله الحرام وزار جدّه عليه الصلاة والسلام، ووقع له في تلك السَّفرة أحوال عظيمة، ونفحات جسيمة، وبشره ببشارات جليلة، وأعطي مواهب جزيلة، وكان له كرامات خارقة، وفراسات صادقة، وصحبه جمّ غفير، ولبس منه الخرقة جمْع كثير، وكان مُجاب الدعاء لجماعات

(1) انظر: المشرع الروي: الجزء الثاني ـ صفحة 231.

بدعوات بمطالب سنيات فنالوها، وكان ينعزل عن الناس عند قبر النبيّ هود على نبيِّنا وعليه أفضل الصلاة والسلام، في رجب وشعبان ورمضان، وكان شديد الاجتهاد في الطاعات، كثير الصلوات، وقد تقدّم في ترجمة والده أن جماعة من العارفين قالوا: ثلاثة لا تزال خيل حمايتهم مسرجة ملجمة، ونظمهم بعضُهم فقال: [شعر]

إذا خفــت أمــراً وتوقعت شــدَّةً   فنــوِّه بعلــويّ الفتى وابنــه علي

كذا عُمر المحضــار تحظى بغارة   بها تَنْــجُ من كلِّ الشــدائد يا ولي

ولم يزل على أحسن الأحوال إلى أوان الانتقال إلى رحمة الكبير المتعالي، وكانت وفاته ليلة الأربعاء تاسع عشر رجب سنة ثمان وتسعين وستمائة، ودُفن بمقبرة زنبل رحمه الله ﷻ.

انتهى ما بـ «المشرع الروي» من مناقب سيدنا نور الدين علي بن علوي.

ويتلوه الثاني: وهو السالك على منهج الصراط السويّ سيدنا ومولانا عفيف الدين المشهور بعبد الله باعلوي، ترجم له الشّلّي في كتابه وأطنب فأحسن وأجاد في إطنابه[1]، فقال: ـ

(1) انظر: المشرع الروي للشلي: الجزء الثاني ـ صفحة: 184 وما بعدها.

[ترجمة]

[الإمام العارف بالله تعالى عبد الله بن علوي ابن الأستاذ الأعظم الفقيه المقدم رضي الله عنه]

عبد الله بن علوي ابن الأستاذ الأعظم الفقيه المقدَّم رضي الله عنه، إمام الأئمة في زمانه، وقدوة العارفين، فلا يُنكِر أحدٌ مكانة شيخ الإسلام على الإطلاق، الموفود إليه من جميع الآفاق، مجدّد المائة السابعة، ومقرب العوائد والفوائد الشاسعة، صاحب المقام الأشرف العالي، الراقي أعلى مقام المجد الغالي، الجامع للفضائل والفواضل الغوالي، والكمالات والهمم العوالي، والعلوم والمعارف فلا يقاس إلا بالغزالي، لا يُعلم بعد الأستاذ الأعظم من يساويه، ولا اكتحلت عين الزمان بثانيه، فاق بكمال علمه وعمله المتأخرين وأكثرَ الأوائل، حتى صار هو المشار إليه في جميع الأمصار والقبائل.

وُلد رضي الله عنه سنة ثمان وثلاثين وستمائة، **وقيل**: سنة أربعين، ورضع أخلاف المجد والسيادة، وتربى في حجر المجْد والسعادة، وأهلٌ للفضائل وهو في المهد، ونودي في الكون أنه الفرْد، وخطب عروس المجد فأجابته، سافرة الوجه بادية النَّهد، فأمهرها تطليق النوم، ومواصلة السهر واكتساب المكارم وما يطيب معه السّمر، وأخذ عن جدّه الأستاذ الأعظم في زمن صباه وشمله بنظره ودعا له وربّاه، واعتنى به أبوه فربّاه على مكارم الأخلاق، حتى بلغ الرتبة العليا وفاق، وطلب العلوم فرادى وجماعة، وجانب العادات فلم يسترح في هذه الدار ساعة، وطلب أولاً الفقه الذي هو مرجع الأنام في الحلال والحرام، حتى اطّلع على غوامض أحكامه، وانقاد له جامحه بزمامه، واعترف له أهل زمانه بعلوّ محلّه ومكانه، فتفقَّه على العلّامة الشهير بلفقيه أحمد بن

عبد الرَّحمن بن علوي بن محمد صاحب مرباط، والشيخ الكبير عبد الله بن إبراهيم باقشير، وأخذ التفسير والحديث والفقه والتصوّف عن الأستاذ جدّه وأبيه، واجتهد في علم العربية حتى تبحر فيه، ولبس الخرقة من مشايخه المذكورين، وتلقن الذِّكر عنهم. ثم ارتحل عنهم إلى اليمن، فدخل مدينة «أحور» وأخذ بها عن الشيخ عمر بن ميمون، وهو من تلامذة الشيخ أحمد بن الجعد.

ثم قصد ﵁ بيت الله الحرام، فحجَّ حجّة الإسلام سنة سبعين وستمائة، ثم توجَّه لزيارة جدِّه [سيدنا] محمّد عليه أفضل الصلاة والسلام، وأقام بطيبة نحو عام، ثم عاد إلى مكة المشرّفة وجاور بها ثمان سنين، ودخلها وهي من أجدب أرض الله من عدم الأمطار وغلوّ الأسعار، فأفاض على أهلها والمجاورين فيض فضله المعين، واستسقى به أهل مكة، فحصل لهم مطر عمَّ كل الأندية، وسالت جميع الأودية، وأزال الله تعالى ببركته القحط والجدب، وأبدلهم بذلك الرخا والخصب.

وكان ﵁ مشهوراً بذلك من الصِّغر، فكان لا يلازم فيه إلا ويحصل المطر، وتصدَّى لسماع الأحاديث النبوية، واقتبس من أنوارها البهية، وتجرَّد لطلب العلوم الشرعية والفنون الأدبية، فكرع من مناهلها الرَّوية الواسعة أرجاؤها، الشاسعة أنحاؤها، وخاض بحار الحقائق، فاستخرج جواهرها ودرّها، وطاف على رياض علوم الدقائق فاقتطف زهرها وثمرها، ولم يزل يدأب في تحصيل العلوم حتى حصل منها ما تبتُّ عنده الأعناق بتًّا، واجتمع فيه ما تفرَّق في علماء شتّى، ومشايخه يزيدون على الألف، وانتفع بهم انتفاعاً يفوق على الوصف، وأجازوهُ في الإفتاء والتدريس في كل علم نفيس. ثم انثنى من مكة عاطفاً عنانه وثانيه، وزار جدّه محمداً ﷺ مرّة ثانية، وأقام بطيبة مدَّة مديدة، وأياماً عديدة. ثم قصد البيت العتيق، مستنشقاً مِسْكه الفتيق، وحصل له ما أمَّله بعد غفران الخطايا، وأنشد لحضرته تمام الحج أن نقف المطايا، ولازمه أهل مكَّة في الاستسقاء ثانياً، ففرَّج الله ببركته كَرْبهم، ونالوا بدعائه سؤلهم ومطلبهم، وانتشر ذكره في الأقطار، وسارت بوصفه الأخبار، وأنشدت في مدائحه الأشعار، وأخذ عنه أهل الحرمين المقيمين والقادمين؛ لا سيما علم التصوّف والأصلين، حتى قيل له إمام الحرمين، وكانت له قريحة من أجلِّ القرائح، يأتي من المعاني كل غادٍ ورائح، وليس له في المناظرة نظير، ولا يدانى إذا درس في المعجم الكبير.

وكان مع ذلك ملازماً للعمل والعبادة، سالكاً الطريق الموصلة إلى نيل السعادة، ملازماً للصيام، ولا تزال مقلته ساهرة لا تذوق المنام، وكانت عادته في مكة المشرّفة أنه يخرج إلى المسجد وقت الأسحار بسكينة ووقار، ويجلس بعد صلاة الصبح إلى أن يضحى النهار، ويقرأ في هذه الجلسة نصف القرآن، ثم يصلي الضحى ثمان، ويجلس بعد العصر في المسجد إلى أن يصلي العشاء، وفي رمضان يصلي بعد التراويح ركعتين يقرأ فيهما القرآن كله. ثم انتقل أخوه علي بن علوي بتريم، وهو بمكّة مقيم، فكتب له أعيان حضرموت بذلك ويعزُّونه بأخيه وطلبوا منه الخروج إلى تريم لاحتياجها إليه، فرحل إلى مدينة زبيد، وكانت إذ ذاك مجمع العلماء العظام والفضلاء الفخام، وأخذ بها عن جماعة من علمائها، وسمع منه كثيرون من فضلائها، فحدَّثهم ببعض مرويّاته، وأفادهم بعض مستنبطاته. ثم دخل مدينة تعز، فأخذ عن علمائها وأخذوا عنه، ولبس جماعة خرقة التصوّف منه. ثم قصد مدينة أحور لزيارة شيخه الإمام عمر بن ميمون، فوجده قد مات وقد غسّلوه وكفّنوه، وكان الشيخ عمر لما احتضر طلب أصحابه منه أن يقدم عليهم واحداً منهم يكون خليفة من بعده، فقال لهم: إذا متّ غسلوني وكفنوني وسيقدم عليكم عند ذلك شيخ صفته كذا وكذا، فهو الشيخ بعدي فقدِّموه في الصلاة عليَّ، فلما قَدِم عليهم صاحب الترجمة ﵁ على الصّفة المذكورة أخبروه بوصية الشيخ، فتقدَّم وصلَّى بهم ولازموه بالإقامة عندهم ليكون شيخاً عليهم، فاعتذر عن ذلك ثم رأى وَلَد الشيخ عمر أهلاً للمشيخة، فحكَّمه وألبسه الخرقة الشريفة، وأقامه شيخاً عليهم وقال له: اشدُدْ خواصرك، فإني أُمرت بتقديمك.

ثم ارتحل عنهم وقَدِم عين بامعبد، فاستقبله شيخها الشيخ الكبير محمد بن عبد الله بامعبد، واستبشر بقدومه وخرَّ على قدميه يقبّلها، فوقع في نفس بعض أصحابه شيء من ذلك، فكاشفهم شيخهم والتفت إليهم وعرَّفهم بعلوِّ مقام صاحب الترجمة، وقال: ما تخيَّلت قدمه إلا قدم جدّه محمد ﷺ.

ثم قَدِم مدينة تريم، فحصل لأهلها بقدومه الفضل الجسيم والسرور العميم، وانتعشت به البلاد، واغتبط به العباد، وقابل الناس بوجهٍ يتهلّل سروراً، وكلام يملأ الأرض ضياءً ونوراً، ثم جلس للتدريس في مذهب إمام الأئمة محمد بن إدريس ﵁،

ودرّس في سلوك الطريقة، وتكلّم في علوم الحقيقة، وخاض في بحارها العميقة، ووفد إليه الناس من كل جانب، ووسعت أخلاقه الأقارب والأجانب، ونصب المشايخ ورفع قدرهم فأكْرِم به من رافع وناصب، وتمثّل بين يديه جمّ غفير، وتخرج به جمع كثير ممن يطول ذكرهم، ويتعذّر حصرهم، ولو ذهبت إلى أن أعدّ مَن أخذ عنه من الأعيان في جميع البلدان طريق السلوك والعرفان لاستدعى ذلك تطويلاً، واحتمل تأليفاً مستقلاً، ولكني أشير إلى أشهر مشاهيرهم:

منهم: أولاده الثلاثة علي ومحمد وأحمد، وابن أخيه محمّد مولى الدويلة، وأبو بكر وعلويّ ابنا عمّه أحمد، والعلّامة محمد بن علوي المذكور، والشيخ عبد الله ابن شيخه الفقيه أحمد بن عبد الرَّحمن، والجامع بين العلم والحلم الشيخ علي بن مسلم، ومنبع المعارف الربانية الشيخ فضل بن محمد بافضل، والشيخ عبد الله ابن الفقيه فضل، والعارف بالله تعالى محمد بن أبي بكر باعباد، والإمام الشهير الشيخ محمد بن علي باشعيب الأنصاري، والشيخ محمد بن علي الخطيب، والشيخ أحمد بن علي الخطيب، والشيخ عبد الرَّحمن بن محمّد الخطيب، والشيخ الكبير عمر باوزير المقبور بالفيل الأسفل، والشيخ مفلح بن عبد الله بن فهد، والشيخ الجليل ابن شيخه عمر بن ميمون صاحب أحور، والشيخ المقبور بميفعة وهو غير تلميذ الأستاذ الأعظم؛ فهؤلاء الذين حضرني ذكرهم، واشتهر صيتهم وأمرهم، فكلهم صدر عن ذلك البحر، واغترف من ذلك النهر، وألبسهم خرقة الصوفية، وأمدَّهم بإمداداته العلوية، وكان يأتي إليه الرجل الكثيف، فيوصله إلى مطلوبه بنظره الشريف.

وأما فصاحته، فكانت الفصاحة لديه خاضعة، والبلاغة لأمره طائعة، وكان مالك زمامها وحائزها، وظفر من أقداحها بمعلاها وفائزها.

[أخلاقه رضي الله عنه]: وأما الحلم، ففاق المأمون والأحنف، بل لا يُدانيه فيه أحد عند من روى وصنَّف. وأما محاسن الأخلاق، فقلَّ أن توجد في غيره مجموعة، أو في بعض الجبلات مطبوعة. وأما **التواضع**، فلا يوجد له فيه نظير، ولا داناه فيه صغير ولا كبير، ومِن تواضعه أنه يكره أن يقال له شيخ، ويرى أنه ليس أهلاً لذلك، وهو أول من سُمِّي به في الديار الحضرمية، فإذا أُطلق انصرف إليه، وكان له عبيد وخدم، ولا يرتفع

عليهم في مأكل ومشرب، كما هي عادة أكثر العرب، وربما أكل معهم في إناء واحد اقتداءً بجدِّه محمَّد ﷺ، وكان يلبس ما وجده من الملبوس، وربما لبس شملة حضر بها الدروس، وربما مشى حافياً راجلاً ليحصل له كمال الاقتداء، فقد قال ﷺ: «تمعددوا واخشوشنوا وامشوا حفاة»[1]، وكان كثير الشبه به ﷺ في هزله وجدِّه، ولا غرو أن يحذو الفتى حذو جدِّه.

[**زهده** ﷺ]: وأما الزهد، فكان من أزهد الناس في الدنيا ولذاتها، عارفاً بغرورها وآفاتها، ولذلك كانت أمطار السخاء، تنشأ من غمائم يمينه، وأنوار الجمال تطلع من أفق جبينه، فكان جوده يزري بقطر السحاب، ولا يدرك بعدٍّ ولا حساب، وشهرة ذلك تغني عن الأطناب، وكان له من المعطيات الوافرة ما ثبت بالأخبار المتواترة، فالجود والكرم غريزة مغروسة فيه، ونهج ما زال يسلكه ويقتفيه، وكان له ديوان مرتب بالعطاء الجزيل باسم الفقراء وأبناء السبيل.

[**كرمه وانفاقه** ﷺ]: وكان ﷺ ينفق على جميع مَن في تريم مِن السادة، ويموّنهم

---

(1) قوله ﷺ: «**تمعددوا، واخشوشنوا، وانتضلوا، وامشوا حفاة**»: قال المناوي في الفيض: (**تمعددوا**) أي تشبهوا بمعد بن عدنان في تقشفهم وخشونة عيشهم، وكانوا أهل تقشف، وفي رواية ذكرها ابن الأثير: «تمعززوا» أي: تشدّدوا في الدين وتصلبوا من العز والقوة والشدة، والميم زائدة كتمسكنوا من السكون. (واخشوشنوا): أمر من الخشونة أي: البسوا الخشن لا الحسن واطرحوا ذي العجمة وتنعمهم وإيثارهم لين العيش، وفي رواية ذكرها ابن الأثير واخشوشبوا بالباء الموحدة. (وانتضلوا وامشوا حفاة) قال الرامهرمزي: **يعني** اقتدوا بمعد بن عدنان في لبس الخشن والمشي حفاة فهو حث على التواضع ونهي عن إفراط الترفه. **قال بعضهم**: وقد أجمع العلماء والحكماء على أن النعيم لا يدرك إلا بترك التنعم، قال الغزالي رحمه اللّه: التزين بالمباح غير حرام لكن الخوض فيه يوجب الأنس به حتى يشق تركه، واستدامة الزينة لا تمكن إلا بمباشرة أسباب في الغالب يلزم من مراعاتها ارتكاب المعاصي من المداهنة ومراعاة الخلق فالحزم اجتناب ذلك، نعم يحرم على غني لبس ثوب خشن ليعطى لأن كل من أعطي شيئاً لصفة ظنت فيه وخلى عنها باطناً حرم عليه قبوله ولم يملكه وروى الطبراني في الأوسط عن ابن عباس عن أبي بكر مرفوعاً من مشى حافياً في طاعة اللّه لا يسأله اللّه ﷻ يوم القيامة عما افترض عليه قال الطبراني: تفرد به محمد وشيخه لم أرض ذكرهما قال بعضهم: ورد الحفاء من قول المصطفى ﷺ وفعله وأخذ منه ندب الحفاء في بعض الأحوال بقصد التواضع حيث أمن مؤذياً وتنجيساً ويؤيده ندبه لدخول مكة بهذه الشروط قالوا: ومتى قصد بلباس أو نحوه نحو تكبر كان فاسقاً. والحديث رواه الطبراني عن أبي حدرد وكذا أبو الشيخ ابن حبان، وابن شاهين وأبو نعيم كلهم من حديث يحيى بن زكريا بن أبي زائدة عن أبي سعيد المقبري وهو ضعيف وقال الحافظ العراقي: ورواه أيضاً البغوي وفيه اختلاف ورواه ابن عدي من حديث أبي هريرة والكل ضعيف. انظر : **فيض القدير للإمام المناوي**: الحديث رقم: 3346.

بأحسن ما جرت به العادة، حتى أن السيد الجليل عمر بن محمد جمع من ودك الغنم(1) التي كان يرسلها له ثلاثين منّا في شهر واحد، وكان جميع جيرانه يتقلّبون في جزيل إحسانه، ويعيشون في فيض تفضلاته وامتنانه، وكان الفقراء والمساكين حول داره مخيّمون، والغرباء بفناء مسكنه ينزلون، وكان يسأل عن أحوال جيرانه، ويتطلع على أصحابه وأعوانه، وكان بعض جيرانه أوقدوا تنّورهم ولم يكن لهم ما يخبزونه فيه حياء من كثرة إحسانه إليهم، فلما علم بذلك عاتبهم وصار يسأل عنهم صبيانهم.

وكان جماعة من أهل تريم تأتيهم نفقتهم إلى بيوتهم، لا يدرون ممّن هي، فلما توفي رضي الله عنه فقدوا ذلك!، ثم ظهر لهم أن ذلك منه رضي الله تعالى عنه.

[**أوقافه** رضي الله عنه]: ووقف على مسجد بني علوي المنسوب إليه نخيلاً وأراضي، وآبارا، وماء وعيوناً، وعلى الواردين إلى المسجد المذكور من الضيفان بما قيمته تسعون ألف دينار.

ووقف على من يحفر قبور الأموات ويعمل اللَّبِن الذي يسدّ به القبر أرضاً ونخيلاً، ووقف القبان الكبير، وأعطى تلميذه الشيخ محمد بن علي باشعيب الأنصاري أرضاً واسعة، فغرسها الشيخ محمد نخلاً وتسمّى بباشعيب، ووقف على ضيف بلده المسماة بالواسطة نخيلاً وأرضاً، وغير ذلك من العطيات التي يعجز عن مثلها الملوك، وإيثار رضي الله عنه غيره على نفسه حتى العبد المملوك.

وحكى تلميذه الشيخ علي بن مسلم أنه أُتي له بخمسمائة دينار، ففرقها في يومه ولم يترك لأهله منها شيئاً.

وحُكي أنه رضي الله عنه تصدّق بجميع ماله إلا قليلاً تركه لعياله..!!، إلى غير ذلك مما يفوق حاتماً وكعبا، ويستقل عنده عدد الحصبا.

[**عباداته** رضي الله عنه]: وأما اجتهاده في العبادات وعمله في أنواع القربات، فقد قام من ذلك بما لا يطيق أحد حَمْله، ولا يقوى مع التمسك بالسبب الأقوى من الهدى والتقوى، وكانت أحواله تنزع إلى أحوال أبيه وجدّه، وما سلكها مثل سلوكه أحد من بعده، فكان

(1) الودك: الشحم.

في أول سلوكه يأوي الجبال والقفار ويجاهد نفسه جهاد الأبرار، ويكلفها مشاق العبادات وعزائم القربات والطاعات، وكان بالليل يطوف المشاهد ويزور القبور والمساجد، وكان كثير البكا والعبرات والأفكار في ملكوت الأرض والسماوات، لاهياً عن المراء والخصومات، محافظاً على الخطرات واللحظات، وكان لا يصرفه عن إتلاف المفسد صارف، ولا يُخرجه عن ائتلاف المسترشد تليد ولا طارف، وكان كثير التلاوة لكتاب الله العزيز، ويأمر أولاده وأصحابه بكثرة تلاوته.

قال بعض أكابر العارفين: إن أكثر ما يفتح الله على آل عبد الله باعلوي بتلاوة القرآن، وأكثر الفتح على آل أخيه علي بن علوي بالذكر.

وكان ﵁ كثير البكا من خشية الله ﷻ؛ لا سيما عند تلاوة القرآن حتى كفَّ بصره، وربما مضى أكثر الليل عليه وهو يبكي على تفريطه، وكانت عاداته أنه يخرج إلى المسجد في السَّحر، فيصلّي الوتر ويقرأ القرآن إلى أن تطلع الشمس، ثم يذهب إلى البيت فيجلس قليلاً ثم يرجع إلى المسجد للدرس إلى وقت القيلولة فينامها، ويجلس بعد الظهر يطالع إلى العصر، ثم يصلّي بالناس العصر ويستمر مع أصحابه إلى أن يصلي المغرب، ثم يجلس يقرأ القرآن إلى العشاء، ويصلّي بعد صلاة العشاء ما شاء الله ثم يذهب إلى داره.

[عمله ﵁ في شهر رمضان]: وأما في رمضان، فيستمر في المسجد إلى أن يصلي التراويح، ثم يصلي ركعتين يقرأ فيهما القرآن، ثم يذهب إلى داره فيتسحر، ثم يرجع إلى المسجد فيقرأ القرآن حتى يضحى النهار فيصلّي الضحى ويرجع إلى بيته فينام القيلولة، ثم يرجع إلى المسجد فيصلي الظهر جماعة ويجلس للدرس إلى العصر، ويجلس بعد العصر يذكر الله، فهذه عاداته التي اشتهرت وعباداته التي ظهرت، وذلك عند أصحابه مشهور، وفي كتب العلماء مذكور، وكان الشيخ محمد مولى الدويلة يقول: ما رأيت في سفري وإقامتي مثل عمّي عبد الله.

وكان العارف بالله تعالى الشيخ عبد الرَّحمن السقاف ﵁ يقول: اتفق جميع العارفين ﵃ أن الشيخ عبد الله بن علوي بقية المجتهدين أوْلي التصريف والشهود والتمكين.

[**كراماته** رضي الله عنه]: وله رضي الله عنه كرامات ظاهرة، وخوارق متواترة مع كونه أشدّ الناس لها كتماناً، وأقام لها بياناً إلا ما ظهر عن غلبة مذكورة، أو حاجة أو ضرورة، وكان يكره أن تُنسب له كرامة، أو يظهر للعوام لذلك علامة، وقد ذكر في «الجوهر الشفاف والمنهل الصاف»، وكتاب «الغرر» من ذلك بعض ما اشتهر، وكذا ذكر الفقيه عبد الرَّحمن بن علي بن حسان الساكن بريدة المشقاص في كتابه الذي أَلَّفه في مناقب بني علوي، وتاريخه البسيط والوسيط المسمّى بـ «البها» كثيراً من كراماته الشهيرة، وأحواله المنيرة، فلنتبرَّك بذكر بعض كراماته المستطابة ودعواته المستجابة.

منها: أنه أنكر على رجل بمكّة المشرَّفة شَرِب خمراً، فقال له: أنا رجل خياط أستعين بذلك على صنعتي، فقال: إن أغناك الله عن ذلك تعاهدني على أن لا تعود لشربه؟ فقال: نعم، فدعا رضي الله عنه ربه أن يتوب عليه وأن يغنيه عنه، فتاب وحَسُنت توبته وأغناه الله تعالى، وتعاهده ثلاث ليال لئلا ينقض توبته، ثم رأى صاحب الترجمة كأنّ قائلاً يقول: أحضروا لفلان في محلّ كذا مدّ البصر، ومن صلّى عليه غُفر له، فاستيقظ وسأل عنه، فإذا هو قد مات، فصلّى عليه.

ومنها: أن رجلاً أنشد أبياتاً تتعلق بالبعث والحساب، فتواجد صاحب الترجمة وخرَّ مغشيًّا عليه، فلما أفاق قال للرجل: أَعِدِ الأبيات، فقال الرجل: بشرط أن تضمن لي الجنّة!، فقال: ليس ذلك إليّ، ولكن اطلب ما شئت من المال. فقال الرجل: ما أُريد إلا الجنة، فقال: إن جُعِل لنا شيء ما كرهنا، ودعا له بالجنّة، فحَسُنت حال الرجل وانتقل إلى رحمة الله تعالى، وشيَّعه صاحب الترجمة رضي الله عنه، وحضر دفنه، وجلس عند قبره ساعة، فتغيَّر وجهه ثم ضحك واستبشر، فسُئل عن ذلك؟ فقال: إن الرجل لما سألاه الملكان عن ربّه، فقال: شيخي عبد الله باعلوي: فتعبت لذلك، فسألاه أيضاً فأجاب بذلك، فقال: مرحباً بك وبشيخك عبد الله.

قال بعضهم: هكذا ينبغي أن يكون الشيخ يحفظ مريده حتى بعد موته.

ومنها: ما حكاه أحمد بن عبد الله باعمر، قال: أَوْدعت دراهم لي عند محمد باعبيد، فاحترق بيته وذهبت دراهمي، فأتيت شيخي عبد الله باعلوي وأخبرته، فأعرض عني فشفعت لي عنده زوجته، وكانت رحيمتي، فطلب خادمه باخريصة وكلّمه بكلام لم

أفهمه، ثم ذهب الخادم وعاد وبيده صرّة فأعطاني إياها وتأملتها، فإذا هي دراهمي التي احترقت!.

ومنها: أن جماعة من الفقراء أتوه وهم جياع، فقال لخادمه ابن نافع: هات لهؤلاء الفقراء تمراً من الزير الفلاني ـ والخادم يعلم أنه فارغ ـ فقال: إن الزير فارغ، فأمره ثانياً فقال: إن الزير فارغ، فقال: اذهب تجد فيه تمراً، فذهبَ ووجد التمر في الزير، فأتى به فأكل الفقراء حتى شبعوا، وحملوا الفضيلة.

ومنها: أن رجلاً له زرع وأراد آل أحمد أن يتلفوه لعداوة بينه وبينهم، فجاء إلى صاحب الترجمة وطلب منه أن يشفع له عندهم، فركب دابّته فوجدهم قد اجتمعوا ليتلفوه، فطلب منهم أن يتركوه، فأبوا، فألَحَّ عليهم، فامتنعوا وقالوا: لا بدّ من إتلافه، فلمّا رآهم مصمّمين، قال لهم: أنا صاحب هذا الزرع، وانصرف راجعاً إلى بلده، فلما غاب عنهم قال لهم كبيرهم: قد سمعتم ما قال هذا السيّد؟، وما يقول هذا إلا وله شأن عظيم، وأنا أخشى عليكم إن تعرضتم لهذا الزرع، ولكن أرسلوا فيه دابّة تأكل منه، فإن ضرّها شيء تركتموه وسلمتم، وإن لم يُصبها شيء فأنتم وشأنكم، فاستصوبوا رأيه وأرسلوا في الزرع دابة، فلمّا أكلت منه ماتت لوقتها، فانصرفوا وتركوه.

ومنها: أن لآل بانجّار حديقة نخل تحت قارة حشبر، وكان آل كثير ينهبون ثمرها، ثم نذر آل بانجّار برَيْع الحديقة لصاحب الترجمة رضي الله عنه، فلما بدا صلاحها هاب آل كثير أن ينهبوها لكون رَيْعها صار لعبد الله باعلوي رضي الله عنه، فقال بعض جهّالهم: أنا آكل منه، فإن أصابني شيء فاتركوه، وإلا فعلنا ما أردنا. فأكل منه يسيراً، فخرَّ ميتاً فتركوه، ثم وقف صاحب الترجمة رَيْع تلك الحديقة على بعض المشاهد، ثم أتى بعض آل باكثير، فقطع ثمر نخله، فاستغاث قيِّم المسجد بصاحب الترجمة، فأصاب ذلك الرجل الأَكَلَةُ في يده إلى أن مات.

ومنها: أن الشيخ محمد بن عمر باحميد سافر إلى الشحر بحملين تمر له، وحمل لصاحب الترجمة، فطلب منه الرصدي رسماً فأبى، فترك له الرصدي حملاً وطلب رسم اثنين فامتنع، فأخذ الرصدي الجمال وما عليها. ثم ذهب الشيخ محمد إلى قبر الشيخ محمّد بن سالم باوزير، فأخذته سنَة، فرأى صاحب الترجمة والشيخ محمد

باوزير، وأرادا يصافحانه، فامتنع، فقال له صاحب الترجمة: قد رَجِعت الجمال فانتبه، وذهبَ إلى محلِّه وإذا الجمال والرصدي قد أقبلوا بهم، وقد أصاب الرصدي ورمٌ فخرجت روحه، سامحه الله تعالى.

ومنها: أن أحمد بن نعمان معه حصان وسار به إلى الشحر ليبيعه في الموسم، ونذر لصاحب الترجمة بشيء من ثمنه إن ابتاعه، فباعه ورجع إلى تريم ونسي ما نذر به، فأرسل له يطلب منه ذلك النذر، فتذكّر وأرسل به واعتذر ولم يَطَّلع عليه آدميّ.

وكذلك وقع لعلي بن غيلان أنه كان معه خيل، فسار بها إلى ظفار، ونذر لصاحب الترجمة بثوب سوسي إن ابتاعت خيله بالثمن الذي يريده، فباعهنَّ كذلك، فلما عاد إلى تريم طلب منه الشيخ الثوب السوسي، فامتنع وقال: ليس لأحد عليَّ شيء، فقال له: إنك نذرت يوم كذا في محل كذا، فتذكّر وأقسم أنه لم يُخبر به أحداً، واعتذر بنسيانه.

وله ﵁ من هذا القبيل ما يحتاج إلى تطويل، وكان يُخبر أصحابه بما في بيوتهم وما يُضمرونه، ويخبر أهله بما يُخفونه عنه.

وأخبر جماعة قصدوه من بعد بما وقع لهم في طريقهم.

ووصل جماعة إلى تريم ليلاً والناس نيام وهم جياع عطاش، فأرسل لهم في ذلك الوقت بالعَشاء وبالماءِ ولم يعلم بهم أحد.

وقصده جماعة للزيارة وتمنَّى أحدهم تمراً برنياً، وأحدهم خبزاً خميراً، فلما وصلوا إليه أتاهم بجميع ما تمنّوهُ.

واقترض منه بعض الزرّاع دراهم وحبًّا إلى وقت حصاد زرعه، فلما حصد زرعه سافر من تريم ولم يُعطه شيئاً. فلما بلغ صاحب الترجمة سفره، فقال: ما يصل البلد التي قصدها، فضلَّ في الطريق إلى أن مات!.

ووقع لأعرابيّ أنه أُهدي للشيخ فضل بن محمد بافضل ناقة، فلم يقبلها، وأهدى أعرابي آخر لصاحب الترجمة ناقة فقبلها، فلما خرج إلى البادية أخبره صاحبه بأن

الشيخ فضل لم يقبل الناقة، فقال في نفسه: الرجل و الله هو الشيخ فضل الذي لم يقبل الهدية، فلما عاد إلى تريم وأتى إلى صاحب الترجمة أخبره بما حاك في نفسه، فأنكر فقال: قلت ذلك في نفسك وأنت تصطاد الطيور في محل كذا وكذا، فاعترف واعتذر، ولما بلغ ذلك الشيخ فضل بن محمد قال: الشيخ عبد الله باعلوي بحر لا ينجسه شيء، ونحن جابية نتنجس بالملاقاة، وليس لأحد على أحدهما اعتراض، أما صاحب الترجمة فعادته تبعاً لجدّه ﷺ أنه يقبل الهدية ويجازي عليها، وقد جوّز العلماء قبول هدية ولاة الأمر فضلاً عن غيرهم ما لم يتحقق في شيء أنه محرّم. وأما الشيخ فضل، فلعلّه علم من حال الأعرابي أنه إنما أهدى الناقة لوصْفٍ يظنه به وليس متصفاً به، أو لطلب مقابل أو نحو ذلك، فإن دلّت القرائن أنه لم يعطه إلا لذلك، فقد قال العلماء: مَن أُعطِي لوصف يُظَنُّ به لفقر أو صلاح وليس هو كذلك؛ حَرُم عليه الأخذ مطلقاً. ومثله لو كان به وصفٌ باطن لو اطّلع عليه المعطي لم يعطه، أو لعله شكَّ في حل الناقة فامتنع من قبولها ورعاً وزهداً، بل قال العلماء: يندب للفقير التنزّه عن قبول صدقة التطوع كسائر عقود التبرّع، كالهَدية والهبة والنذور والوصية والوقف إلا إن حصل للمعطي نحو تأذٍّ أو قطع رحم، أو حصل شكّ في الحلّ أو هتك المروءة أو دناءة في التناول، وإلا فيسنّ الأخذ للخبر الصحيح: «ما أتاك من هذا المال، وأنه غير مستشرف ولا سائل فخُذْه»(1).

ومن كراماته رضي الله عنه: أنه إذا أراد الاجتماع ببعض أصحابه الذين ببلدة بعيدة عنه يأمر واحداً يناديه باسمه، فيسمعه المطلوب في أي محل كان، من ذلك ما أخبر به خادمُه، قال: سافرت معه فلما وصل «حبوظه» ـ وهو محل بين تريم والعجز ـ أمرني أن أرقى محلًّا عالياً وأنادي الشيخ عمر باوزير ثلاث مرات، وهو يومئذ ببلدة الغيل، ففعَلت

---

(1) روى الشيخان وغيرهما ـ واللفظ لمسلم ـ : عَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللّهِ بْنِ عُمَرَ عَنْ أَبِيهِ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطّاب رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ يَقُولُ: **قَدْ كَانَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ يُعْطِينِي الْعَطَاءَ. فَأَقُولُ: أَعْطِهِ أَفْقَرَ إِلَيْهِ مِنّي. حَتّىَ أَعْطَانِي مَرّةً مَالاً. فَقُلْتُ: أَعْطِهِ أَفْقَرَ إِلَيْهِ مِنّي. فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: «خُذْهُ. وَمَا جَاءَكَ مِنْ هَذَا الْمَالِ وَأَنْتَ غَيْرُ مُشْرِفٍ وَلاَ سَائِلٍ، فَخُذْهُ. وَمَا لاَ، فَلاَ تُتْبِعْهُ نَفْسَكَ»**. **صحيح مسلم**: الجزء الثاني 12 كتاب الزكاة 37 باب إباحة الأخذ لمن أعطى من غير مسألة ولا إشراف ـ الحديث رقم: 110 ـ (1045). **وصحيح البخاري**: الجزء الرابع 97 كتاب الأحكام 17 باب: رزق الحكام والعاملين عليها ـ الحديث رقم: 6744.

ثم سمعتُ الشيخ عمر يقول بعد الثالثة: لبّيك، ثم رأيته مقبلاً مشمّراً ثيابه مسرعاً في مشيه، ثم جلسا يتذاكران ما شاء الله تعالى، وأنا متباعد عنهما ولم أدْرِ ما يقولان، ثم دخل وقت المغرب، فتوضآ، فصلّيا المغرب وتوادعا، وذهب الشيخ عمر إلى بلده، وأمرني الشيخ عبد الله أن لا أخبر بذلك في حياته، ولم أخبر به إلا بعد وفاته.

ومنها: أنه كان يحجّ كل عام كما أخبر بذلك غير واحد من أكابر الأولياء، قال تلميذه الشيخ مفلح بن عبد الله بن فهد: عزمت على الحجّ مرة وطلبت من شيخي الإعانة على الحج، فقال: أتريد من هنا أو نأمر لك عند بعض أصحابنا بمنى؟ فقلت: في منى، فقال: إذا وصلت منى فأسأل عن فلان ابن فلان تجد مطلوبك عنده، فلما قضينا المناسك سألت عن الرجل فدلّوني عليه وأخبرته بما قال شيخي، فسألني عنه فقلت: هو مقيم بتريم، فقال: وقف معنا بعرفة أمس محرماً وقضى حاجتي، فلما رجعت إلى تريم هنّأني بالحج، فقلت: وأنا أهنّئك بالحج أيضاً، فقد أخبرنا الرجل أنك وقفت معنا في عرفات، فقال لي: اكتم ذلك عليَّ فقد حصل مرادك، ولم أُخبر بذلك إلا بعد وفاته.

ومنها: أنه ما استغاث به أحد بصدق نيّته وحسن ظن إلا أتاه الغوث سريعاً، وقد وقع لأهل زماننا كثيراً كما أخبرني به الجمّ الغفير، ولو تتبّعت ما جرى من ذلك من زمانه إلى هذا الوقت لطال الكتاب، ولم يمكني الاستيعاب؛ فمن ذلك أن جماعة أخذوا من الماء الذي غسلوه به بعد وفاته ووضعوه على جراحات، فعافاهم الله تعالى. ولقد وقع لتلميذه عبد الجليل عبد الله ابن شيخه الفقيه أحمد بن عبد الرَّحمن أنه كان به مرض، فحضر عند غسله وأخذ من الماء الذي ينزل من جسده ومسح به على يده، ثم نام تلك الليلة فأصبح وقد بريء من ذلك البرص.

ومنها ما حكاه مفلح الحميدي قال: كنت بالبرّيّة، فخرج عليّ اللصوص وأرادوا هلاكي وأخذ مالي، فاستغثت بشيخي عبد الله باعلوي، ولم أزل أستغيث به وأتوسّل به إلى الله، حتى سمعت قائلاً يقول: حضر عبد الله باعلوي، ثم تفرق اللصوص عني ولم يأخذوا لي شيئاً.

ومنها: أنه كان لبعض أصحابه زرع قَرُبَ حصادُه، ووقع الحرب بين آل الصبرات وآل يماني، فأراد آل الصبرات أخذ الزرع، وجعل صاحبه كل يوم يستغيث بشيخه عبد

الله باعلوي، فلما أتى آل الصبرات لأخذ الزرع وجدوه محصوداً فرجعوا خائبين، ثم رآه بعضُ الفقراء وقال: الزرع موجود لم يُحصد، فبيّتوه فوجدوه محصوداً، فعرفوا أنه محفوظ.

وكان ﷺ يحبّ الزراعة ويكثر منها، ويحثّ أصحابه عليها ويقول: هو أفضل المكاسب. وكان يحب أن يقال: عملك صالح.

وما قاله من تفضيل الزراعة هو ما اعتمده أكثر المتأخرين تبعاً لما في «الروضة» و «المجموع» سواء باشرها بيده أو بعمّاله؛ لأنها أقرب إلى التوكل، ولأنها أعمّ نفعاً، ولأن الحاجة داعية إليها، وروى مسلم خبر: «ما من مسلم يغرس غرساً إلا كان ما أكل منه صدقة، وما شرب منه صدقة، ولا يزرؤه أحد ـ أي: ينقصه ـ إلا كان له صدقة»[1].

وفي رواية: «لا يغرس مسلم غرساً ولا يزرع زرعاً فيأكل منه إنسان أو دابّة أو طير، إلا كان له صدقة إلى يوم القيامة»[2].

وقيل: أفضلها التجارة، ورجحه في أصل «الروضة» وتبعه في «العباب». وقال الأوزاعي: الأشبه بالمذهب تفضيل التجارة، لما جاء أنه ﷺ رأى في بعض دُور الأنصار آلة حرث، فقال: «ما دخلت هذه دور قوم إلا دخلها الذل»[3].

ولأن أكابر الصحابة ﷺ تعاطوها دون الزراعة، انتهى.

وردَّه الشيخ ابن حجر بأنه ليس في ذلك ما يشهد له، أما في الأول فإنه بفرض صحته

---

(1) روى الشيخان ـ واللفظ لمسلم ـ عَنْ جَابِرٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ : «**مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْساً إلاّ كَانَ مَا أُكِلَ مِنْهُ لَهُ صَدَقَةً. وَمَا سُرِقَ مِنْهُ لَهُ صَدَقَةٌ. وَمَا أَكَلَ السّبُعُ مِنْهُ فَهُوَ لَهُ صَدَقَةٌ. وَمَا أَكَلَتِ الطّيْرُ فَهُوَ لَهُ صَدَقَةٌ. وَلاَ يَرْزَؤُهُ أَحَدٌ إلاّ كَانَ لَهُ صَدَقَةٌ**». **صحيح مسلم:** الجزء الثالث 22 كتاب المساقاة2 باب فضل الغرس والزرع ـ الحديث رقم: 7 ـ (1552). **وصحيح البخاري:** الجزء الثاني46 كتاب المزارعة1 باب: فضل الزرع والغرس إذا أكل منه ـ الحديث رقم: 2195.

(2) روى مسلم في صحيحه واللفظ له عَنْ جَابِرٍ أَنّ النّبِيّ ﷺ دَخَلَ عَلَى أُمّ بَشْرٍ الأَنْصَارِيّةِ فِي نَخْلٍ لَهَا. فَقَالَ لَهَا النّبِيّ ﷺ : «مَنْ غَرَسَ هَذَا النّخْلَ؟ أَمُسْلِمٌ أَمْ كَافِرٌ» فَقَالَتْ: بَلْ مُسْلِمٌ. فَقَالَ ﷺ: «**لاَ يَغْرِسُ مُسْلِمٌ غَرْساً، أو يَزْرَعُ زَرْعاً، فَيَأْكُلَ مِنْهُ إِنْسَانٌ وَلاَ دَابّةٌ وَلاَ شَيْءٌ، إلاّ كَانَتْ لَهُ صَدَقَةٌ**». **صحيح مسلم:** الجزء الثالث 22 كتاب المساقاة 2 باب فضل الغرس والزرع ـ الحديث رقم: 10 ـ (1552).

(3) لم أجده في المصادر لدي والله تعالى أعلم.

إنما يدلّ على أن أهل الزراعة يظلمون ويستذلّون، وذلك زيادة في فضلهم ودرجاتهم. وأما الثاني، فلأن المهاجرين لم يكونوا بمكّة يألفون الزراعة ولا يتعاطونها، وإنما الغالب عليهم تعاطي التجارة، فلما هاجروا إلى الدينة لم يمكنهم العمل في أراضي غيرهم بالأُجرة؛ لأن ذلك غير لائق بهم، ولم يكن لهم سعة يشترون بها أراضي لأنفسهم يعملون فيها، وقبولهم ما عرضه عليهم إخوانهم من الأنصار من مقاسمتهم في أموالهم فيه مِنّة، فانحصر أمرهم في التجارة، فإيثارها لذلك، لا لأفضليتها. كيف وفي الأحاديث الكثيرة: «التجار هُم الفجار إلا من برَّ وصدق»[1]؛ أي: فلا يكون من الفجار، فغاية برّه وصدقه أن لا يتعاطى غشاً ولا حلفاً كاذباً، وهذا أندر من الكبريت الأحمر أنه يخرج عن درك الفجار، ويسلم مِن عارهم، بخلاف الزارعين، فإنهم غالباً يسلمون من الغش والأيمان الكاذبة مع عَوْد أرفاق ومنافع لا تحصى من زرعهم على الطيور والدواب، بل والضعفاء عند نحو الحصاد، فمن ثم اتضح أن المعتمد ما في «الروضة» و «المجموع» من تفضيل الزراعة على التجارة ثم الصناعة ثم التجارة، انتهى.

---

(1) قوله ﷺ: «**إن التُجّار هم الفُجّار**» قال النجم رواه الطبراني عن معاوية، وأحمد والحاكم والبيهقي عن عبد الرحمن بن شبل، زاد فقيل: يا رسول الله أليس قد أحل الله البيع ؟ قال: نعم، ولكنهم يحلفون فيأثمون، ويحدثون فيكذبون؛ نعم يستثنى التاجر الصدوق الأمين لأنه مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين كما أخرجه الترمذي والحاكم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، انتهى. وقال ابن حجر المكي في فتاواه الحديثية رادا على بعض الحفاظ المورِد له بلفظ: «إن التجار هم الفجار إلا من قال بيده هكذا وهكذا»، قال: صدر الحديث إلى الاستثناء وارد، بل صحيح كما قاله الترمذي، وهو أن رسول الله ﷺ خرج إلى المصلى فرأى الناس يتبايعون، فقال يا معشر التجار، فاستجابوا لرسول الله ﷺ ورفعوا أعناقهم وأبصارهم إليه، فقال التجار يبعثون يوم القيامة فجارا إلا من اتقى الله وبر وصدق. وفي رواية صحيحة: «إن التجار هم الفجار، فسئل: يا رسول الله أليس قد أحل الله البيع ؟ قال: بلى ولكنهم يحدثون فيكذبون، ويحلفون فيأثمون، قال وأما آخره وهو إلا من قال بيده هكذا وهكذا. فلم يرد في شيء من كتب الحديث بعد البحث عنه. انتهى. وذكر الحافظ ابن حجر في فتح الباري ما قد يشهد لهذا الخطيب، حيث قال فيه: وفي رواية للبخاري عن أبي ذر بلفظ: «المكثرون هم الأخسرون يوم القيامة إلا من قال هكذا وهكذا. « الحديث. انتهى. وفي رواية لمسلم عن أبي ذر رضي الله عنه قال: انتهيت إلى النبي ﷺ وهو جالس في ظل الكعبة، فلما رآني قال: هم الأخسرون ورب الكعبة. فقلت: يا رسول الله، فداك أبي وأمي، من هم ؟ قال هم الأكثرون أموالا، إلا من قال هكذا وهكذا وهكذا، من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله، وقليلٌ ما هم؛ ما من صاحب إبل ولا بقر ولا غنم، لا يؤدي زكاتها، إلا جاءت يوم القيامة أعظم مما كانت وأسمَنُهُ، تنطحُهُ بقرونها وتطأه بأظلافها، كلما نفذت أخراها عادت عليه أولاها، حتى يُقضى بين الناس. انتهى فتأمله. كشف الخفاء للإمام العجلوني ـ الحديث رقم: 665.

وذهب بعضهم إلى أنَّ أفضل المكاسب المأخوذ من الكفار ثم الاحتطاب، فإن أفضل أنواع التجارة البز ثم العطر.

وكان رضي الله عنه يحب الطيب يشمّ رائحته من بُعْد، فيُعرف بذلك.

[صفته الخلْقية رضي الله عنه]: وكان رضي الله عنه أبيض اللون، طويل القامة، صبيح الوجه، واسع العينين، فصيح اللسان، ثبت الجنان، كثّ اللحية، بهيّ المنظر، كثير التبسّم عند لقاء كل أحد، ولفضلاء زمانه ومن بعده غرر القصائد في مدحه؛ لو جُمعت لكان ديواناً عظيماً.

وعلى الجملة، فمناقبه رضي الله عنه كثيرة، وشمائله أجلى من الشمس وقت الظهيرة، ولو أطنب أحد كل الإطناب وأسهب غاية الإسهاب، وأتى بكل عجب عجاب، لعجز عن وصف شأنه العظيم، وقصر عن الإحاطة بقدرة الكريم، ولكني تبرّكت من ذلك بالقليل وتبرمكت من عطاء وصفه الجزيل: [شعر]

وما بلغت كف امرىء متناول ... من المجد إلا والذي نال أطول

وما بلغ المهدون للناس مدحة ... ولو أطنبوا إلا والذي فيه أكمل

ولم تزل رباع الشرع معمورة بوجوده، ورياض الفضل مغمورة بجوده، يلقي دروساً، ويدير من المعارف على أهل العوارف كؤوساً، إلى أن فرغت مدّته في هذه الدار، وانتقل إلى دار القرار، في جوار العزيز، رحمه الله تعالى رحمة الأبرار.

وكان انتقاله رضي الله عنه يوم الأربعاء منتصف جمادى الأولى سنة إحدى وثلاثين وسبعمائة، وكان يوماً مشهوداً من ضجيج الأنام؛ لا سيّما من الفقراء والضعفاء والأيتام، سكبوا حول جنازته الدموع من الأجفان، والتهبت في الأكباد النيران، وجلت الفجائع والأحزان، وشيّعه خلائق لا يحصون من جميع البلدان، ودُفن رضي الله عنه بجنب قبر جدّه الأستاذ الأعظم الفقيه المقدّم رضي الله عنه، ولقد أحسن القائل: [شعر]

ولو قيل الفداء لكان يُفدى ... وإن جلَّ المصاب عن التفادي

ولكن المنون لها عيونٌ ... يدقّ لحاظها في الانتقاد

فقل للدهــر أنت أصبــت فالبس برغــم بنيــك أثــواب الحــداد

فرحم الله تعالى ذاته الطاهرة الجميلة، وتقبّل منه إحسانه وجميله، وأخلد ذكره الحسن في طباق أوراق الليالي والأيام، ورقمه في صفحات دفاتر السنين والأعوام.

وكان عمره ﵁ يوم وفاته ثلاث وتسعون سنة، أو إحدى وتسعون سنة، على ما مر في الخلاف في عام ولادته.

وكان الشيخ شيخ بن عبد الله العيدروس يقول: ما بلغ أحد من آل باعلوي من العمر ما بلغ مشاهيرهم الثلاثة: الأستاذ الأعظم الفقيه المقدّم، والشيخ الإمام عبد الله باعلوي، وشيخ الأشراف عبد الرَّحمن السقاف ﵃، والشيخ عبد الله باعلوي أطولهم عمراً؛ لأن الشيخين الأخيرين لم يتجاوزا الثمانين.

ومراده: أكابرهم وأعيانهم. وأكثر الأدباء والفضلاء المراثي في الشيخ عبد الله باعلوي: [شعر]

فبالــغ وأكثــر أن تحيــط بوصفه وأيــن الثُّريّــا مــن يــد المتناول

انتهى المنقول من «المشرع الروي» في مناقب السيد الشريف علي وأخيه السيد الشريف عبد الله باعلوي.

ترجمة
[الإمام العارف بالله تعالى علوي ابن الأستاذ الأعظم الفقيه المقدم ﵁]

ثم قلت:

وهـــا همـــا قـــد لبســـا كلاهما عـــن المســـمى علـــوي أبوهما

المذكور هنا هو الكهف الملاذ، السيد الشريف علوي ابن سيّدنا الأستاذ.

ترجم له السيد المبرور في كتابه «المشرع»[1] المشهور، فقال:

علوي ابن الأستاذ الأعظم والفقيه المقدَّم رضي الله عنهما

السيّد الكريم النسب، الوارث للفضائل عن أبٍ فأب، ذي البيت العالي العماد، والحَسَب الرفيع الآباء والأجداد، مُجلي الحلبة إذا تسابقت الفرسان، ومحلي اللبة إذا تناسقت فرائد الإحسان، مالك زمام الفضل والفخار، مظهر سر آباء خيار من خيار، الجامع بين الأصالة العريقة والمحاسن الشريفة الأنيقة، والشريعة والطريقة والحقيقة، طاووس الأولياء، وبدر الأصفياء، شمس الأتقياء أبو عبد الله شمس الشموس.

[**ولادته ونشأته ﵁**]: وُلد ﵁ بمدينة تريم، وحفظ القرآن الكريم، ونشأ تحت حجر أبيه، وحلّ نظره الكامل عليه، وتربّى في حضرته العليّة، وتعلّم من علومه اللَّدنية، وغاص في بحار الفضائل والفنون، واستخرج من غوامض مخبآتها كل درٍّ مكنون، ولزم الجدّ والاجتهاد في طاعة ربّ العباد، حتى بلغ غاية السُّؤل والمراد، ولازمه

(1) انظر: المشرع الروي لأبي بكر الشلي باعلوي: الجزء الثاني ـ صفحة 210 وما بعدها.

في جميع حالاته، وحضر في كل حضراته، ولبس منه خرقة التصوف، وتعرف منه المعارف والعوارف والتعرف، وكان أبوه يحبه ويثني عليه، ويشير بأن الولاية العظمى ستصير إليه.

وحُكي أن والده أمره حال سلوكه أن يقطف من الزرع للغنم، فرجع إلى أبيه ولم يقطف شيئاً!، وقال: وجدته كلَّه يسبّح الله تعالى، فاستحيت أن أقطع شيئاً يذكر الله ﷻ، فدعا له بخير، وكان والده يقول: ولدي علوي ممن يعرف السعيد والشقي.

وقال له يوماً: هل أنا من السعداء. فقال: نعم، على جبهتك سعيد.

ومرَّ يوماً بصبيان يلعبون، فقال: اثنان سعيدان واثنان شقيان، فصار اللذان قال إنهما سعيدان فقيهين في الدِّين صالحين، وهما: إبراهيم بن أبي صُليبي ـ بضم الصاد المهملة مصغراً ـ والفقيه الشهير ببا عمرو. وأما الآخران، فصارا يجمعان المال من غير حِلّ، ويتلبسان بمظالم العباد.

وكان ؓ يحضر في حضرات والده المشهورة، ويحصل فيها الإمدادات المأثورة، وربما سأله والده عمّن حضر عندهم من أقطار الأرض البعيدة ومن رجال الغيب وما حصل في الحضرة، فيخبره بجميع ذلك وما حصل لهم هنالك ويُعلمه بدقائق الأمور وخفيّها وجليلها وجليّها، واتفق له في بعض الحضرات تجلّيات عظيمة ومنازلات جسيمة، فملىء قلبه بالمشاهدة، فلم يسع سوى مولاه، ولم يشهد إلا إياه، وحضر تلك الحضرة الشيخ عبد الله بن محمد باعباد، وأخوه عبد الرَّحمن، وممن حضرها محتجباً بحاله، مختفياً بأنوار جلاله الشيخ أحمد بن أبي الجعد، فسأله والده: عَمّن حضر معهم في الحضرة مختفياً؟ فقال: شغلني عن ذلك ما كنت فيه، ثم سأل الشيخ عبد الله باعباد عن ذلك، فقال: حضر الحضرة الشيخ أحمد بن أبي الجعد. والعجب ممن انخرط في سلك أهل العناد، وجمع بعض مناقب الشيخ عبد الله باعباد لما ذكر هذه الحكاية عرض بقصور، كشف صاحب الترجمة، فعدّ نهاية الكمال من القصور، ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾، [النور: 40]، ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾، [الحج: 46].

والشيخ عبد الله بن محمد باعباد وأخوه عبد الرَّحمن من مشايخ صاحب الترجمة، فإنه أخذ عنهما وعن غيرهما من أكابر عارفي أهل عصره، ولما توفي والده تقلّد منصبه بعده، واجتلى في مطالع الإقبال سعده، فجلى الظلم سناه، وما ظُلم من شابه أباه، والولد سِرّ أبيه بشهادة كل فاضل نبيه.

وأتى إليه جماعة من البلاد، منهم الشيخ عبد الله با عباد وأخوه عبد الرَّحمن، والشيخ الكبير عبد الله بن إبراهيم با قشير، والمحبوّ بخفَّي الألطاف الشيخ سعيد بن عمر بالحاف ـ وهؤلاء من أكابر تلامذة أبيه ـ وأشاروا كلهم بأن سرّ والده انتقل إليه، وقالوا للعارفة بالله تعالى زينب أُم الفقراء: أولاد الأستاذ الأعظم علوي عِوَض عمن سلف، وهو نعم الخلف.

[مكاشفاته ﷺ]: **وحُكي** أن الشيخ عبد الله باعباد سأل صاحب الترجمة عما ظهر له من المكاشفات بعد موت والده، فقال: ظهر لي ثلاث: أُحيي وأُميت بإذن الله تعالى، وأقول للشيء كن فيكون، وأعرف ما سيكون. فقال الشيخ عبد الله: نرجو فيك أكثر من هذا.

وكان يقول: أنا بمنزلة الجنيد[1] ﷺ. وقال جماعة من العارفين بالله تعالى: ثلاثة لا تزال خيل حمايتهم مسرجة ملجمة لمن دعاهم أو استغاث بهم: السيد علوي، وابنه علي، والشيخ عمر المحضار. ونظمهم الإمام المحدث علي بن علوي خرد في قوله: [شعر]

إذا خفــت أمــراً أو توقعت شــدّة ... فنــوِّه بهم أن يدركــوك ويحضروا

فنــوِّه بعلــويّ الفتى وابنــه علي ... كــذا عمــر فيمــا يجلّ ويعســر

فغارتهــم تنجيــك من كل شــدَّة ... وعســر وضيق أو بصــدرك يكبر

---

(1) الإمام العارف بالله تعالى الجنيد بن محمد، أبو القاسم الخزاز ﷺ، كان أبوه يبيع الزجاج، فلذلك كان يقال له: القواريري. أصله من نهاوند، ومولده ومنشؤه بالعراق، وكان فقيهاً، تفقه على أبي ثور، وكان يفتي في حلقته، وصحب السري السقطي، والحارث المحاسبي، ومحمد بن علي القصاب البغدادي، وغيرهم ﷺ، وهو من أئمة القوم وسادتهم، مقبول على جميع الألسنة. توفي ﷺ سنة سبع وتسعين ومائتين، يوم السبت ـ وقيل توفي في آخر ساعة من يوم الجمعة ـ ودفن يوم ﷺ ونفعنا به وبأمثاله إلى يوم الدين.

[طلبه العلم ﷺ]: ثم عزم ﷺ على الرحيل لطلب العلا والتحصيل، قاصداً الحرمين الشريفين لأداء النُّسُكَيْن العظيمَيْن، وخرج من تريم وقصد العارف بالله تعالى عبد الله بن باعباد، فشقّ ذلك على والدته لكونه هو القائم بعيالهم ومصالح أخوته، فطلبت من الشيخ عبد الله أن يردَّه عما نواه إما بحال أو بجاه، وكتبت بذلك إليه، وأكّدت فيه عليه، فطلب منه الشيخ عبد الله الرجوع إلى وطنه تريم، وعدله عما هو عليه من التصميم، فامتنع من ذلك قصداً وقال: إذا خرج منا شيء لله تعالى لا نعود فيه أبداً، فلمّا خرج احتال الشيخ عبد الله في التعويق وسدّ عليه الطريق، وصار ما بين يديه كالجبال، فأشار صاحب الترجمة إليها حتى صارت كالرمال أو كالهباء أو كالخيال، ولم يبالِ بتهويله بل مضى لسبيله، فعرف الشيخ عبد الله أنه لا قدرة له عليه، واعترف بالعجز بين يديه، وكتب لوالدته: بأنا احتلنا عليه بأنواع الاحتيال، فلم نقدر عليه لا بجاه ولا بحال.

ثم قصد صاحب الترجمة ﷺ الشيخ العارف بالله تعالى أحمد بن أبي الجعْد، فلما اجتمعا نزّل كلّ منهما الآخر منزلته، وعرف له حرمته، وقال له: أنت علوي الذي يقولون؟، فقال: أنا علوي وأعوذ بالله مما يقولون!، قال: أترى منزلة والدك؟ فقال: أراها وما أحطت بها.

وقرأ بعض الكتب عليه وأجازه ببقية الروايات التي لديه، ثم قصد بيت الله الحرام، وحجّ حجة الإسلام، وبينما هو في طواف القدوم إذ جاءه رجل وقال له: نحن ستّة نفر برباط السدرة جياع لا تغفل عنا، فأمر تلميذه الصوفي أحمد بن محمد بامختار أن يعمل لهم ستة أمداد ويصلحها بإدامها، فقال الصوفي: عملتها لهم وأصلحتها، وجئت بها إلى الرباط المذكور فلم أرَ غير الرجل، فأشار إليّ بالأكل معه فامتنعت، ثم قلت في نفسي: لو أكلت معه ولو كان قليلاً لنلتُ بركته، وجعل يأكل حتى بقي لقيمات، فقال لي: كل هذه بحسب البركة، وقال: لي ستة أشهر لم أذق طعاماً!. قال الصوفي: فأخبرت شيخنا بذلك فقال: أصحابه عنده ولكنه حجبهم عنك وحجب الطعام عنهم!، ارجع واعمل لهم مثل ذلك، فعملتُ ذلك وجئت به إلى الرباط المذكور، فوجدتهم ستة نفر، فأكلوا ذلك كله.

وكان ﵁ مدة إقامته بمكة يكثر الاعتمار والصلاة والطواف بالليل والنهار، وأخذ بها عن جماعة من العلماء المجتهدين وصحب كثيراً من العارفين، ثم أَمَّ جدّه سيد الأنام عليه أفضل الصلاة والسلام، فزار سيّد الكونين ﷺ، وزار الصاحبين رضي الله عنهما، ثم وقف تلقاء الوجه الشريف وأطرق ساعة ثم رفع رأسه، فلما انصرف سأله بعض خواصّه عن ذلك، فقال: رأيت النبي ﷺ وصاحبيه أبا بكر وعمر رضي الله عنهما، فقلت للنبيّ ﷺ: ما منزلتي عندكم يا رسول الله؟ فقال: منزلتك في العين. وقال لي ﷺ: ما منزلتي عندكم؟ فقلت: على الرأس، فقال أبو بكر الصديق ﵁: يا شيخ علوي ما أنصفت جدك، جَعَلك في العين وجعلته على الرأس! فقلت: ماذا يجبّ عليّ؟ قال: شكرانية، فقلت: وما هي؟ قال: مائة دينار لتتصدق بها على الفقراء، فأفقت وليس عندي شيء وإذا بشخص قد دنا مني وناولني صرّة وإذا فيها مائة دينار، فتصدّقت بها على الفقراء المجاورين.

وأقام ﵁ بالمدينة المنورة مدة ثم رجع إلى وطنه، ولما ركب البحر كان في الجلبة رجل من أكابرها اسمه علوي، فتشوّش هو وأصحابه من المناداة بعلوي لاشتباه الاسم، فاتفق أن قطّاعاً قصدوا الجلبة ليأخذوها، فاستعدوا لقتالهم وليس فيهم مكافأة لهم، وتعب الناخوذ تعباً شديداً، فأرشد للسيد علوي وقيل له: عليك به، فقبّل يديه ورجليه، ولازمه في الدعاء بالنجاة من القطّاع، فدعا السيد علوي ساعة وإذا ريح عاصف رمت سفينة القطّاع بمكان سحيق، وسَلِمت جلبتهم. ثم طلب من الناخوذ أن يغيّروا اسم ذلك الرجل فغيّروه، ولما وصل بندر الشحر نزل بطرف البلاد، فأرسل والي البلاد يطلب السيد للضيافة، فأبى وخاف الرسول من عقوبة الوالي، قال الصوفي: فقلت للرسول سرًّا: اسأله بجدِّه ﷺ، وقدّم له مداسه، ففعل الرسول ذلك، قال: علمك هذا بامختار!، ثم خرج وسار وإذا الوالي مقبل نحو السيد علوي، فأنشد السيد علوي: [شعر]

إذا مـا الأميـر ببـاب الفقيـر فنِعْـم الأميـر ونِعْـمَ الفقيـر
وأمـا الفقيـر ببـاب الأميـر فبئـس الفقيـر وبئـس الأميـر

ولما قدم من سفره المسفر عن السعادة والإقبال، المبشر ببلوغ المقاصد والآمال، وحلَّ ببدله السعيد سالماً، ووصل إلى منزله المبارك غانماً، قرَّت عيون أصحابه، واستبشرت قلوب أحبابه، وغنَّا بذكره الحُداة في كل سمر وناد، ونادى بعلوّ مرتبته كل باد، وشُدَّت إليه الرحال من أكثر البلاد، ونصب نفسه لنفع العباد، وعمَّ نفعه الحاضر والباد، وألحق الأحفاد بالأجداد، وصحبه جمّ غفير، وتخرَّج به خلق كثير؛ منهم ولده الشيخ عبد الله باعلوي، والشيخ علي وأخواه أحمد وعلي، والشيخ الكبير علي بن مسلم، والصوفي أحمد بن محمد بامختار وغيرهم من الأكابر.

[علمه وأخلاقه ﵁]: وكان ﵁ متضلّعاً من العلوم اللّدنية والفنون الأدبية، عارفاً باصطلاحات الصوفية، وكان ﵁ كثير الشكر والثناء، جزيل الإحسان والعطاء، لم تزل مشارع إحسانه صافية الشراب، ومدارع اصطناعه سابغة الجلباب، وكان ﵁ ملجأ لكل المطالب، ومقصداً لإنالة المآب، وإغاثة لكل ملهوف، كثير الإسداء للمعروف، ومن قصده لم يَخِب، ولم يرد ولم يُحجب عن مراده ولا يُصدّ، وكان كثير العفو عن السيئات وسدّ الخلات، واغتفار الزلّات، كثير الشفاعات، وكانت الملوك تَقبل منه مع كثرة شفاعته، وتهابه في حضوره وغيبته، ومن عانده في سرٍّ أو إعلان باء بأعظم خسران، وعوقب بالحرمان، وكان غيوراً على اسمه، فلم يجسر أحد في حياته أن يسمي ولده باسمه، حتى أن أخاه السيد عبد الرَّحمن نوى إنْ وُلد ابن له أن يسميه علويًّا، فاحتبس الجنين عند خروجه وجلست أُمه في الطلق ثلاثة، ثم أمرهم أن يرجعوا عما نووا، فرجعوا عن ذلك، فخرج في الحال وسمّوه أحمد.

وكان ﵁ يراعي أحوال أصحابه وأهل بيته، وإذا رأى أحداً مال عن الطريقة ردّه إليها بحال أو بمال.

وحُكي أن أخاه أحمد اختصم معه في شيء، فخصَمَهُ صاحب الترجمة ﵁، فتعب أحمد وقال له: نخرج من البلد ونتركها لك!. قال أحمد: فلما هممت بالخروج انسدَّت عني الطرق، وضاقت بي الأرض، ولم أجد بدًّا من مصافاة أخي علوي، فجئته مستغفراً نادماً عما وقع مني، ففرح بذلك وأعطاني ما أردت.

وحُكي أن أخاه أحمد لما سمع بأحوال الشيخ عبد الله باعباد غبطه، وتمنَّى مثل

حاله، فقال له أخوه علوي: إن أطعتني وأدخلتك الخلوة أربعين يوماً بلغت حاله وزيادة، فسفه بكلامه فأصابته ريح بباطنه كادت أن تُهلكه، فجاء إلى أخيه علوي معتذراً، فقال له: ما لك وللاعتراض؟ ومسح على محل الوجع، فعُوفي.

ولما أُخرس أخوه علي في مرض موته اغتمَّ لذلك أقاربه، وكان صاحب الترجمة معتكفاً في المسجد، فتردَّد في المسجد وهو يتضرع ساعة ثم تهلَّل وجهه مسروراً، فسئل عن ذلك فقال: حالة أخي علي تكدّرت فتضرَّعْت إلى الله تعالى حتى صفت.

وكان أخوه أحمد في قرية العجز، فلما سمع بحالة أخيه علي سار لوقته، ولما دخل عليه قال له: يا علي! ما هذا؟ فتكلم بكلمة التوحيد. قال الخطيب: وكان إتيانه مصادفاً لقبول شفاعة علي، ﷺ وعن الجميع. وأنشدوا: [شعر]

إذا كان منا سيّد في عشيرة ... علاها وإن ضاق الخناق حماها

وما اختبرت إلا وأصبح شيخها ... وما افتخرت إلا وكان فتاها

ولا ضربت بالأبرقين خيامها ... وأصبح مأوى الطارقين سواها

[كراماته ﷺ]: وله ﷺ كرامات كثيرة، وصفات شهيرة تقدَّم بعض كراماته.

ومنها: أن رجلاً غريباً قَدِم مدينة تريم، وكان يستخدم بعض الجنّ، ومَن لم يمتثل أمره آذاه، فزاره أكثر أعيان البلد، وكان يطعن في من لم يزره ويتوعّده بالأذى، ثم نال من صاحب الترجمة ﷺ بحضرة جماعة لكونه لم يزره!، فقام رجل من بني حرام اسمه عيسى بن عمرو، وكان من الحاضرين، فلطم الرجل الغريب وشتمه، وقال: مثلك يتكلم على السيد علوي ونسكت له! ثم خاف منه وجاء إلى السيد علوي، فوجده في مسجد بني علوي يصلّي، وأخبره بما جرى، فقال له: لا بأس عليك، اذهب حيث شئت. فلم يطمئن قلبه ولازم السيد علوي، فذهب السيد علوي إلى الباب وحرّكه فسمع صوتاً مثل صوت طائر، ثم ذهب إلى الباب الثاني ففعل مثل ذلك وسمع مثل ذلك، ثم قال: هذا الرجل معه جنيان يؤذي بهما الناس، فقتلناهما، فطابت نفس عيسى بن عمرو، وأخبر جماعة بذلك، فلما عرف الرجل الغريب أن الجنِّيَّيْن قد قُتلا هرب من البلد.

ومنها: أن بعض الناس كان يوسوس في وضوئه، ويرى صاحب الترجمة وأصحابه يسرعون في وضوئهم، فقال: هؤلاء لا يُحسنون الوضوء!، وجعل يُنكر عليهم. ثم اتفق أن صاحب الترجمة رضي الله عنه طلب ماء ليتوضأ به، فقيل له: الرجل الموسوس يتوضأ على البئر، فدعا عليه فابتُلي بالعطش الشديد، فشرب دلواً فلم يُرْوَ، ثم دلواً ثانياً والعطش باق، ثم ذهب ورمى بنفسه في الحمأة وعلم أن ذلك من إنكاره على صاحب الترجمة، فجاء إليه معتذراً مستغفراً نادماً على ما صدر منه، فعفا عنه ثم طلب منه الدعاء برفع ما به من الوسواس، فدعا له فذهب عنه.

ومنها: أن علي بن عبد الله باغريب مرض ـ وهو ابن ثلاثة أشهر ـ مرضاً شديداً، فجاءت به أُمه إلى صاحب الترجمة وهي مشفقة عليه من الموت، فقال لها: مَن عمره مائة سنة ما يموت ابن ثلاثة أشهر، ودعا رضي الله عنه له بالعافية، فعوفي، وعاش مائة سنة.

[عباداته رضي الله عنه]: وكان رضي الله عنه كثير الاعتكاف في مسجد بني علوي ليلاً ونهاراً، وكان يصوم إذا اعتكف للخروج من الخلاف، وكان كثير الصلاة، وكان يزور القبر المشهور بأنه قبر النبيّ هود على نبيِّنا وعليه أفضل الصلاة والسلام، ولما زاره أول زيارته غاب عن حسِّه، ثم أفاق وقال: خطر ببالي هل هذا قبره حقيقة لم غبت عنكم، فوجدته وطلب مني أن أصلي عليه إذا صليت على نبيِّنا محمد صلى الله عليه وسلم.

وكان رضي الله عنه يقول: اللّهمَ صلِّ على سيدنا محمد خير مولود، وعلى النبيِّ هود.

[ثناء المشايخ عليه رضي الله عنه]: وكان الشيخ عبد الرَّحمن السقاف يثني عليه جدًّا، ويذكر من كراماته وصفاته ما يطرب السامعين، ولما قُرِىء عليه كتاب «المائتين» للشيخ عبد الله بن أسعد اليافعي، قال بعض الحاضرين: هل أحد في تريم مثل هؤلاء؟ قال: نعم فيها مَن هو أعظم منهم، الشيخ علوي. وذكر من صفاته ما يستدلّ به على ذلك، وكان يقول: أنا أبطش بالسلطان، ولا يبطش بي؛ أي: أن ملوك الدنيا لا يقدرون على تنفيذ أمرهم عليه، وهو من ملوك الحقيقة يقدر عليهم بطشاً وعزلاً وتولية.

ونظير ذلك ما وقع للأستاذ أبي حامد الإسفراييني أنه قال لبعض ملوك زمانه: أنا أقدر على عزلك بقطعة ورقة، ولا تقدر أنت ولا مَن ولَّاك على عزلي من منصب العلوم والمعارف.

وكان ﷺ أراد ترك التزوُّج حتى سمع النداء: في ظهرك ذرية صالحة، فتزوج الشريفة العارفة بالله تعالى فاطمة بنت أحمد بن علوي المعظَّم عمّ الأستاذ الأعظم، فوُلِد له منها ولدان، وما أدراك ما ولدان! هما في الفضل ندَّان، وفي الفخر أقران، ما سمح بنظيرهما دهر، ولا نفست عن مثلهما ذات درّ، وهما الشيخان الكبيران: الشيخ عبد الله باعلوي والشيخ عليّ، ولكلٍّ منهما ذرية تحلو بهم صدور المجالس والمحاضر، ويفتخر بهما البادي والحاضر، ويتحمّل بهم بطون المحاريب ورؤوس المنابر. قال بعض المشايخ الأكابر: إن فتح ذرية الشيخ عبد الله باعلوي في تلاوة القرآن وفتح ذرية أخيه علي في سائر الذكر. وكان أبوهما يحبّهما حبًّا شديداً، ويدعو لهما.

وحُكي أن معلمهما ضربهما يوماً، فنهاه عن ضربهما وقال له: إن ضربت أحداً منهما ثانياً نزعنا القرآن من صدرك.

ومدحه جماعة من فضلاء عصره بقصائد طنّانة، وكذا جماعة من المتأخرين عنه، وللشيخ عبد الرَّحمن الخطيب والمحدث السيد محمد بن علي معلم، والشيخ علي وغيرهم قصائد ومقاطيع مذكورة في محالِّها من الدواوين، ورثاه بعد موته كثيرون من الأدباء بقصائد عظيمة، ولم يزل في أبّهة عظمته الفاخرة، إلى أن انتقل من دار الدنيا إلى دار الآخرة.

[وفاته ﷺ]: وتوفي ﷺ يوم الجمعة ثاني ذي القعدة الحرام سنة تسع وستين وستمائة، وقُبر في مقبرة زنبل، وقبره معروف مشهور باستجابة الدعاء، رحمه الله تعالى وأسكنه الفردوس الأعلى وبوّأه من الجنان الدرجات العلا. انتهى ما من «المشرع» أردنا نقله من مناقب سيدنا ومولانا علوي، مَن شاع فضله.

ترجمة
[الأستاذ الأعظم الفقيه المقدم؛ محمد بن علي صاحب مرباط رضي الله عنه]

ثم قلت: [شعر]

وهو لَبِسَ مِن أبيه الأعظمُ   فقيهُنا المعروف بالمقَدَّم

المذكور هنا هو سيّدنا، وسندنا، وقدوتنا، وعُمدتنا، شيخ مشايخ شيوخنا، وقائد قاداتنا بمسلكنا، ذو الفخر الجليّ، والقدر العليّ، **سيدُنا الفقيه المقدَّم محمد بن علي**، نور جوهرها الشفاف، وسرّ ترياقها الشافي الواف، ذِكْره شاع وذاع في جميع الأقطار والبقاع، ذكروا مناقبه في كتب كثيرة، وأوردوا فضائله في أسفار شهيرة.

ترجم له العالم العلّامة، والحبر العظيم الفهّامة، السيد الشريف محمد بن أبي بكر الشّلي في كتابه «**المشرع الروي**»[1] الجامع لكل نعت جلي، فقال:

[اسمه ونسبه الشريف رضي الله عنه]: محمد بن علي بن محمد، صاحب مرباط، بن علي خالع قسم، بن علوي بن محمد بن علوي بن عبد الله ابن المهاجر أحمد بن عيسى، بن محمّد بن علي العريضي، ابن الإمام جعفر الصادق، ابن الإمام محمد الباقر، ابن الإمام علي زين العابدين، ابن الإمام الحسين السِّبْط، ابن الإمام علي، وابن البتول فاطمة ابنة الرسول صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين.

المشهور بالأستاذ الأعظم الفقيه المقدّم أبو علوي، جمال المسلمين والإسلام، وواسطة العقد النفيس من العلماءِ الأعلام، المقدَّم على التحقيق، السباق إلى الغايات، فخلّي له عن الطريق، واعتُرف له بالسَّبْق والتقدم ذوو التحقيق، جامع

(1) المشرع الروي لأبي بكر الشلي باعلوي: الجزء الثاني ـ صفحة: 212.

المنقول والمعقول، مستنبط الفروع من الأصول، فهو شيخ شيوخ الشريعة على الإطلاق، وإمام أهل الحقيقة بالاتفاق، غزالي عصره، وجنيد وقته ودهره، سيد الطائفية الصوفية، ومركز دائرة الولاية الربانية، قدوة العلماء المحقّقين، وتاج الأئمة العارفين، وفي جميع الكمالات أمير المؤمنين، ففاق مَن في الوجود وهو منهم في جميع الأحوال، فالمسك بعض دم الغزال، والياقوت من جملة أحجار الجبال، وليلة القدر منتظمة في سلك الليال، ضُرب باسمه الأمثال، وسار ذكره كالشمس إلا أنه لا يُدبر إذا أقبلت الليال، فهو بالإجماع أستاذ أهل الشريعة والطريقة، وحامل لواء جيش الحقيقة، وكان من العلوم بحيث يقضى له من كل علم بالجميع، شهد له بذلك مَن عاصره مِن أئمة الدين، واعترف بذلك أهل زمانه من العلماء العارفين، وكماله يُغنيه في التعريف عن الإكثار، كالشمس المضيئة في نصف النهار، وصحَّ لمحبيه أن ينشدوا فيه: [شعر]

والمقفَّـى مـا بعـده مِـن ولـيّ ... فهـو لا شـكَّ خاتـم الأوليـاءِ

وخاتم الأولياء ـ في اصطلاحهم ـ: مَن بلغ مقام الوراثة المحمّدية، وهو مقام القطبية الكبرى، كما يقال لمن ملك الروم: قيصر، والفرس: كسرى.

[ولادته ونشأته رضي الله عنه]: وُلد رضي الله عنه سنة أربع وسبعين وخمسمائة بمدينة تريم، ونشأ بها ولحظته بالسعادة عناية ربّها، وحفظ القرآن العظيم، وكان يبدي من معانيه المعنى الجسيم حال التعليم، ثم اشتغل بتحصيل العلوم والاستفادة، وروى حديث الفضل المسلسل شفاهاً لا بالوجادة، وحاز قصب السبْق في ميدان الإجادة.

[طلبه العلم ومشايخه رضي الله عنه]: وتفقة على شافعيِّ زمانه وعلّامة أوانه عبد الله بن عبد الرَّحمن باعبيد مصنف «الإكمال»، وكان لا يبتدىء بالدرس حتى يحضر صاحب الترجمة رضي الله عنه. وعلى القاضي أحمد بن محمد باعيسى.

وأخذ الأصول والعلوم العقلية على الإمام العلّامة علي بن أحمد بامروان، والإمام محمد بن أحمد بن أبي الحبّ.

وأخذ علم التفسير والحديث عن الحافظ المجتهد السيد علي بن محمد باجديد.

وأخذ التصوف والحقائق عن الإمام سالم بن بصري، ومحمد بن علي الخطيب، وعمّه الشيخ علوي بن محمد ـ صاحب مرباط ـ والشيخ الكبير سفيان اليمني لما زار حضرموت ونزل مدينة تريم، وسألوه أن يستسقي بهم، فقال: أصلحوا مجاري الماء، ففعلوا فأغاثهم الله بسيول كثيرة غزيرة. وحصل بينه وبين الأستاذ الأعظم مذاكرات، وحصل لكلٍّ منهما مِن صاحبه عظيم الاستمدادات، ثم رجع سفيان إلى اليمن وبعد ذلك أرسل صاحب الترجمة إليه برسالة، كما يأتي.

وسمع الحديث من هؤلاء المذكورين وغيرهم ممن يصعب ذكرهم، ويعسر حصرهم.

وبرع في العلوم العربية والفنون الأدبية حتى أسكت كلَّ متكلِّم، وأمات ذِكْر كل متقدم، وصارت العلوم لا يُشار بها إلا إليه، ولا يُحال فيها إلا عليه.

وقال بعضهم: إنه بلغ الاجتهاد المطلق، ومقام القطبية المحقَّق. وقال له شيخه الفقيه علي بن أحمد بامروان: اجتمعتْ فيه شروط الإمامة العظمى. وقال الشيخ عبد الرَّحمن السقاف رضي الله عنه: مكث الفقيه المقدّم في القطبية مائة وعشرين ليلة ثم جلس للتدريس في كل علم نفيس، وأحيا ما كان منه دريس، وملأ أصداف الأسماع درًّا فاخراً، وبهر الأبصار والبصائر محاسناً ومفاخراً.

وأما فصاحته وبلاغته، فعليه مدارهما وإليه إيرادهما وإصدارهما، وما الدرّ النظيم إلا ما انتظم من جواهر كلامه، ولا السِّحر العظيم إلا ما نفثت به سواحر أقلامه.

[أخلاقه رضي الله عنه]: وأما أخلاقه رضي الله عنه، فكانت على المحاسن مطبوعة، وقلَّ أن توجد في غيره مجموعة، فلو مُزِج بها البحر لعُذُب طعماً، أو كُحِّلت به العيون لم تلف أعمى.

[عباداته رضي الله عنه]: وأما عبادته، فبحرٌ لا ساحل له، ولواء كمال حمله كاهله، فكان يشتغل بالدرس والصوم بالنهار، ويقوم في الأسحار، يواظب على قراءة القرآن سرًّا وجهراً، وإذا ختم ختمة شرع في أخرى، وكان يتعبَّد الزمان الكثير في شعب النعير، واتفق أن ولده أحمد تبعه في بعض الليالي، فلما وصل الوادي ذكر الله تعالى بلسان وجهر، فذكر الله تعالى ما في الوادي؛ من شجرٍ وحجر، فخرَّ الولد مغشيًّا عليه، حتى رجع أبوه إليه.

[زهده ﵁]: وأما زهده، فقد ملك جنّاته التي طلعها هضيم، ولا يقاس إلا بابن أدهم إبراهيم، فكان يرى الآخرة ونعيمها بين يديه، ويرى الدنيا وزوالها بين عينيه.

[تواضعه ﵁]: وأما تواضعه، فلم يُسمع أنه ادَّعى حالاً ولا مقاماً وغيرهما مما هو أحقّ به وأهله، وشهد له الأكابر بأنه لم يبلغ ما بلغه مثله، وأن البدر مِن دون محلّه محله، ولم ينتقم لنفسه بعد القدرة، ولا شمت بعد وبعد النصرة.

ومن تواضعه أنه لم يصنّف كتاباً مبسوطاً، وإنما ألَّف رسائل مختصرة، منها رسالتان ذَكَر فيهما بدائع من علوم المكاشفات، وغرائب المشاهدات والتجليات، مشتملتين على معانٍ دقيقة، وعبارات رشيقة، أرسلها إلى شيخه الشيخ سعد الدين بن علي الظفاري، المتوفَّى ببندر الشحر سنة سبع وستمائة، فلما رآهما شاهد ما دُهِش منه لبّه، وحارَ فيه فكره وقلبه، وتعجّب من فصاحة كلامه، وحُسْن اتِّساق نظامه، فاعترف له بعلوِّ الرتبة والمقام، وأنه في هذا الفن هو الإمام، وكتب له في جوابهما رسالتين يقول فيهما: احذر من السكوت والميل إلى تلك المكاشفات، والركون إلى تلك البراهين والآيات. وذكر كلمات يُخشى على المبتدىء الاغترار بها والميل إليها، وذكر في آخر تلك الرسالتين: وأنت يا إمام أهدى من أن تُهدى، وأعرف بالظاهر والباطن منا. وكتب إليه يشوّقه إلى القدوم عليه، في أبيات منها قوله: [شعر]:

حلفــتُ لكم ما زرتكم فــي دُجْنةٍ ... مــن اللَّيــل تُخْفيني كأنِّي ســارقُ

ومنها:

ولا زرتُ إلاّ والســيوف شــواهر ... علــيَّ وأطــراف الرِّمــاح لواحق

ومنها:

إذا مــا اكتفَيْنــا بالرســائل بيننــا ... فلا أنا معشــوقٌ ولا أنت عاشــقُ

وألَّف رسالة ضمَّنها مسائل دقيقة، وأسراراً عميقة، في غوامض علم الطريقة والحقيقة، وأرسلها إلى الشيخ الكبير سفيان اليمني، فلمّا رآها علم أن منشئها أُلْقيت له مفاتيح الكنوز، ووصل لكيمياء السعادة، فاهتدى لتلك الشذور والرموز، ثم أطرق مليًّا وكتب حييًّا: هذا شيءٌ لم يصل إليه أفهامنا، ولم تبلغه أحوالنا.

وسُئل رضي الله عنه عن ثلاثمائة مسألة في أنواعٍ من العلوم، فأجاب عنها في رسالة بأحسن جواب، وبيَّن فيها وجه الصواب، وأوضحَ منها كل مشكلة، وحلَّى بها كل معضلة.

ومن تواضعه: أنه لما قيل له: مَن يجلس بعدك؟ فقال: أُم الفقراء؛ يعني: زوجته الشريفة زينب بنت أحمد بن محمد صاحب مرباط.

[كرمه وسخاؤه رضي الله عنه]: وأما كرمه، فحدِّث عنه ولا حرج، فقد أنسى مَن تقدَّم ودرج، وتقدَّم في الجود على من مضى وفاقه، وترك الناس بين يديه ذوي فاقة، وكانت داره مشيدة البناء، رحبة الفنا، يلجأ إليها الأيتام والفقراء والأرامل، ويفد عليها الراجي والآمل. وكان إذا أتاه ضيفان قصد الإناء الكبير والطعام الكثير، وقدَّمه إليهم لالتماس بركة أيديهم.

وفي «إحياء علوم الدين» عن بعض علماء خراسان: أنه كان يقدّم إلى إخوانه طعاماً كثيراً لا يقدرون على أكل جميعه، ويقول: بلغنا عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن الإخوان إذا رفعُوا أيديهم عن الطعام لم يحاسب مَن أكل فضل ذلك الطعام»[1]، فأنا أحبّ أن أستكثر مما أقدِّمه إليكم لنأخذ فضل ذلك.

وفي الخبر: «لا يحاسَب العبد على ما يأكله مع إخوانه»[2]. وكان بعضهم يكثر الأكل مع الجماعة لذلك، ويقلل إذا كان وحده. انتهى ما في الإحياء، والحديث الذي ذكره منكر[3]، وليس موضوعاً.

وكان رضي الله عنه يطيل الجلوس مع مؤاكلة الأصحاب لقول الإمام جعفر الصادق رضي الله عنه: «أطيلوا الجلوس مع الإخوان على المائدة، فإنها لا تُحسب عليكم من أعماركم».

وكان الناس يَفِدون إليه الجفلا، ويَرِدون من بحور علومه وجوده نهلاً وعللاً، ويروى بأسانيده العالية، فيروي الأكباد الصادية، إلى غير ذلك من محاسن صفات

(1) قوله: «إن الإخوان إذا رفعوا أيديهم عن الطعام لا يحاسب من أكل من فضل ذلك الطعام». قال الحافظ العراقي: لا أصل له. **تخريج أحاديث الإحياء للحافظ العراقي**: المجلد الثاني. كتاب آداب الأكل: الباب الثالث، في آداب تقديم الطعام إلى الإخوان الزائرين ـ الحديث رقم: 2.

(2) لم أجده فيما لدي من مصادر والله أعلم.

(3) الحديث المنكر :هو ما رواه الضعيف مخالفا للثقة. والموضوع: المكذوب على سيدنا رسول الله ﷺ.

يطول سردها. وشهد العيان أنه في الجموع فردها، ولما تلت الألسن سور أوصافه، واجتلت الأسماع سور اتّسامه بالفواضل واتصافه نُودي من قِبَل مَن لا تخفى عليه السرائر: اترك ما أنت عليه من الظواهر، وانظر ما بين يديك، وأقبل إلينا نواصلك ونواليك، فإن لنا فيك مراداً، وسنمنحك ازدياداً، الزم تفريد التوحيد، وتجريد التفريد، سنريك من آياتنا عجباً، ونمنحك من فضلنا الطلبا، فلا تشب مرادنا بمرادك، وارجع إلينا في مبداك ومعادك، ولا ترَ تصريفاً لغيرنا، فإن لنا خاصة من عبادنا سنوصلهم على يديك إلينا.

وجاء إليه رجل من أهل الشام، وقال: ما جئت إلا لأجلك، ولكني وجدت عبد الرَّحمن المقعد جاثماً على قلبك، فلو اجتمع أهل المشرق والمغرب أن يفكّوه من قلبك ما قدروا، فإذا جاءك فتحكَّم له فهو رجل مكتسب، وأنت رجل ذو نسبة. فقال الأستاذ: ما هذه النسبة؟ فقال: سدرة المنتهى.

ثم أن الشيخ الإمام العارف بالله تعالى شعيب أبا مدين[1] بن أبي الحسن التلمساني

(1) هو الولي الكبير والقطب الشهير مولانا أبو مدين شعيب الشهير بالغوث ﷺ ونفعنا به، أحد أعيان مشايخ المغرب وصدور العارفين، وشهرته تغني عن تعريفه، وهو مدفون بجبانة العباد بتلمسان، وأما الذي بمصر بجامع الشيخ عبد القادر الدشطوطي ببركة القرع خارج السور مما يلي شرقي مصر وعليه قبة عظيمة وقبره يزار فهو ولده مدين، وأما الأب صاحب الترجمة فهو سيدي شعيب بن الحسين بن أسعد الأندلسي الزاهد، من حصن شوجب من أعمال أشبيلية، ساح منها وسكن بجاية مدة، ثم رحل منها إلى تلمسان، وله ﷺ كرامات منها: أنه كان يتكلم في الحقيقة بمسجد الأندلس، فسمع به سبعون راهباً بديور للملك، فجاء منهم عشرة يمتحنون الشيخ، فتنكروا ولبسوا زي المسلمين، ودخلوا المسجد، وجلسوا مع الناس ولم يشعر بهم أحد، فسكت الشيخ حتى دخل رجل خياط، فقال له الشيخ: ماأبطأك؟ فقال: ياسيدي حتى فرغت من العشر طواقي التي أوصيتني بها البارحة. فأخذ الشيخ منه الطواقي وقام فألبس كل واحد من الرهبان طاقية، فعجب الناس من ذلك، ثم قال الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ : يا فقراء إذا هبت نسمات التوفيق من جناب الحق على القلوب أطفأت كل نور، ثم تنفس الشيخ، فانطفأت القناديل التي في المسجد، ثم سكت الشيخ، وأطرق فلم يتجاسر أحد أن يتكلم لعظم هيبته، ثم رفع رأسه وقال: لاإله إلا الله، يا فقراء إذا أشرقت أنوار العناية على القلوب عاشت وأنارت منها كل ظلمة، ثم تنفس فاشتعلت القناديل واضطربت حتى كاد يلحق بعضها بعضاً، ثم تكلم الشيخ في أية سجدة فسجد وسجد الناس، وسجد الرهبان خوفاً من الفضيحة والاشتهار، فقال الشيخ في سجوده: اللهم إنك أعلم بتدبير خلقك ومصالح عبادك، وإن هؤلاء الرهبان قد وافقوا المسلمين في لباسهم وسجودهم، وأنا قد غيرت ظواهرهم ولا يقدر على تغيير بواطنهم غيرك، وقد أجلستهم على موائد كرمك، فأنقذهم من الشرك والطغيان، وأخرجهم من ظلمة الكفر إلى الإيمان، فأجيبت دعوته ﷺ فما رفعوا رؤوسهم من السجود إلا وقد دخلوا في دين الملك المعبود، فأقبلوا على الشيخ وأسلموا على يديه،

ﷺ أرسل الشيخ الجليل عبد الرَّحمن بن محمَّد الحضرمي ثم المغربي الشهير بالمقعد، وكان من أكابر تلامذة الشيخ أبي مدين ﷺ، فقال له: إن لنا بحضرموت أصحاباً، اذهب إليهم وخذ عليهم عهد التحكيم وحكِّمهم وألبسهم الخرقة، وأعطاه الخرقة، وأمره أن يعطيها الأستاذ الأعظم ﷺ، وقال له: أرى أنك تموت في أثناء الطريق، فإذا عرفت ذلك أرسل إليهم مَن تعرفه أهلاً لذلك. فسافر من تلمسان، فلما وصل مكة المشرّفة حضرته الوفاة، فأوصى أجلّ تلامذته الشيخ الكبير عبد الله الصالح المغربي وأعطاه تلك الخرقة الشريفة، وقال: ستدخل مدينة تريم، وتجد الشريف محمّد بن علي يقرأ على الفقيه علي بن أحمد بامروان، فاعمده وحكِّمه وألبسه الخرقة هذه وأعطِه إياها، ثم اذهب إلى مدينة قيدون إلى الشيخ سعيد بن عيسى العمودي، فحكِّمه.

ولما علم الأستاذ بخروج عبد الرَّحمن المقعد من تلمسان خرج للقائه، ثم علم بموته فرجع، ولما قَدِم الشيخ عبد الله الصالح مدينة تريم وجد الأستاذ الأعظم كما قال له شيخه، فجلس عنده وقال له: أيُّ جوهرة أنت لو ثُقبت؟. فقال: وما الثقيب؟ قال: التحكيم. وأخبره بما أتى لأجله وأعلمه بجميع أمره كلّه، فرغب الأستاذ في الحيازة إلى جنابه وانتظامه في سلك أصحابه، فاتصل به اتصال المحبوب بعد اجتنابه، وزهد في الرياسة والمناصب، ورأى أن حال المسكنة لحاله مناسب، فأقبل عليه إقبال الرامق الودود، وأظلّه بسرادق ظلّه الممدود، فألبسه الخرقة الأنيقة التي هي في أصولهم عريقة، وأعطاهُ تلك الخرقة التي هي الأصل والحقيقة، وأخذ عليه عهد التحكيم، وحكَّمه أحسن تحكيم، وقال لسان الحال: هذا من لدن عليمٍ حكيم، وانخلع عمَّا كان عليه، ولبس لباس الصوفية المشار إليه، فلما رآه شيخه عليٌ بامروان تغيَّر عما كان، قال له: أذهبت نورك وقد رجونا أن تكون كابن فورك[1]، واخترت

وشهدوا شهادة الحق، فكثر الصياح في المسجد واشتد البكاء، ومات ثلاثة أنفس في ذلك اليوم، وفرح الشيخ بإسلامهم وسر سروراً كثيراً. مات ﷺ ونفعنا بمحبته ـ سنة 594من الهجرة. انظر: «**موسوعة أعلام المغرب** ـ عن تذكرة المحسنين ـ وفيات سنة 594 ـ 1/ 385» .

(1) **الأستاذ أبو بكر محمد بن الحسن بن فورك** المتكلم الأصولي الأديب النحوي الواعظ الصبهاني؛ أقام بالعراق مدة يدرس العلم، ثم توجه إلى الري فسمعت به المبتدعة، فراسله أهل نيسابور والتمسوا منه التوجه إليهم، ففعل وورد نيسابور، فبنى له بها مدرسة ودارا، وأحيا الله تعالى به أنواعا من العلوم، ولما استوطنها وظهرت بركاته على جماعة المتفقهة وبلغت مصنفاته في أصول الفقه والدين ومعاني القرآن قريباً من مائة مصنف،

طريقة التصوف والفقر وقد كنت عَلِيِّ المقدار والقدر، فقال الأستاذ: الفقر فخري وبه أفتخر، وبه على الشيطان والنفس أنتصر، ولا أتباعد عنكم إعراضا، ولا تبدَّلت بكم معتاضاً، فهجره الفقيه علي، وظنَّ أن يفيد فيه الحجر، ورأى أنه أعظم من الزجر، واستمرّ مهاجراً له إلى أن مات، وكان الأستاذ غائباً، فما جاء إلا وقد ألحدوه في رمسه، فآلى على نفسه أن لا يخرج من منارة الجامع حتى يجتمع بالفقيه، ويزيل ما كان في خاطره ويرضيه، فأتاه الفقيه وقت السَّحر، واستمرَّ عنده إلى أن جاء حميد المؤذن ليؤذّن الفجر، وطلب منهما الدعاء، فدعيا له بخير.

قال حميد المؤذن: وسمعت الفقيه عليًّا يقول للأستاذ: إن أهل البرزخ الشريف والضعيف يترجونك كما يترجى أهل حضرموت الخريف.

وسار الشيخ عبد الله الصالح إلى الشيخ سعيد العمودي وحكَّمه وحكّم لنفسه الشيخ باعمرو صاحب عُورة ـ بضم المهملة ـ والشيخ باحمران صاحب ميفعة، ولما مرض أتاه الأستاذ الأعظم ليعوده وحضر عنده تلامذته المذكورون وسألوه أن يقيم واحداً ليكون شيخاً عليهم مِن بعده، فسكت طويلاً ثم قال: ما استقل منكم إلا صاحب السبحة، فهو شيخكم. وجعلت ميراثي بينكم أرباعاً، ثم قضى ﵁ نحبه، وخلف سبحة، وعكازاً، ومشعلاً، وقِدراً، وحبوة، وبسطة، ودلقاً، فخرج العكاز والسبحة للأستاذ، والمشعل والقدر للشيخ سعيد، والحبوة والبسطة لباحمران، والدلق لباعمرو، فعند

دعي إلى مدينة غزنة وجرت له بها مناظرات كثيرة. **ومن كلامه:** شغل العيال نتيجته متابعة الشهوة بالحلال، فما ظنك بقضية شهوة الحرام. وكان شديد الرد على أصحاب أبي عبد الله ابن كرام. ثم عاد إلى نيسابور فسُمَّ في الطريق فمات هناك ونقل إلى نيسابور ودفن بالحيرة، ومشهده بها ظاهر يزار ويستسقى به وتجاب الدعوة عنده، وكانت وفاته سنة ست وأربعمائة، رحمه الله تعالى. وقال أبو القاسم القشيري في الرسالة: سمعت أبا علي الدقاق ﵁ يقول: دخلت على أبي بكر ابن فورك عائدا فلما رآني دمعت عيناه، فقلت له: إن الله سبحانه يعافيك ويشفيك، فقال لي: تراني أخاف من الموت، إنما أخاف مما وراء الموت. انظر ترجمته في: الوافي 2: 344 وتبيين كذب المفتري: 232 وطبقات السبكي 3: 52 واللباب (الفوركي) والنجوم الزاهرة 4: 240 وعبر الذهبي 3: 95 والشذرات 3: 181. وفورك: بضم الفاء وسكون الواو وفتح الراء وبعدها كاف، وهو اسم علم. والحيرة: بكسر الحاء المهملة وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح الراء وبعدها هاء ساكنة، وهي محلة كبيرة بنيسابور ينسب إليها جماعة من أهل العلم، وهي تلتبس بالحيرة التي بظاهر الكوفة. وغزنة: بفتح الغين المعجمة وسكون الزاي وفتح النون بعدها هاء ساكنة، وهي مدينة عظيمة في أوائل الهند من جهة خراسان. انظر: **فوات الوفيات لابن خلكان**: الجزء الرابع ـ صفحة 272.

ذلك اعترفوا للأستاذ بأنه وحيد الزمان وألقوا إليه مقاليد السِّلم والأمان، وسار ذكره في الأقطار وشاع صيته واستطار، وقصدته علماء الأمصار، واتفقت على فضله الأسماع والأبصار، وافتخرت به أهل تلك الأقطار، فوضعته في مفرقها تاجاً، وطلع في مشرقها سراجاً وهّاجاً، وجلس ودرَّس في علم التصوف والحقائق، وفنون الرياضة والدقائق، وتفرد بهذه العلوم والفنون والزمان بعدد بأهله مشجون، والعصر بمحاسنه مفتون.

[تلاميذه ﷺ ومن أخذ عنه]: وكان أهل حضرموت مشتغلين بالعلوم الفقهية، وجمع الأحاديث النبوية، ولم يكن فيهم مَن يعرف طريق الصوفية، ولا من يكشف اصطلاحاتهم السَّنية، فأظهر الأستاذ علومها، ونشر في تلك النواحي أعلامها، فأخذ عنه الجمّ الغفير، وتخرَّج به العدد الكثير؛ فمن أجلِّ مَن أخذ عنه وتخرج به من أهل تلك البلاد الإمام الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الرَّحمن باعباد، وكان الأستاذ يحبه ويثني عليه ويشير بالكمال إليه، وأخوه الشيخ عبد الرَّحمن بن محمد باعباد، والشيخ الكبير العلم الشهير عبد الله بن إبراهيم باقشير، والشيخ المتحلي بالتقى والعفاف سعيد بن عمر بالحاف، والشيخ إبراهيم بن يحيى بافضل صاحب الرباط، والشيخ علي بن محمد الخطيب، وأخوه الشيخ أحمد، وسعد بن عبد الله أكدر وأولاده الأستاذ علوي وعبد الله وأحمد، وولد الشيخ علوي عبد الله وعلي وأبو بكر بن أحمد، وغيرهم من علماء الآفاق، ممن تضيق عن أوصاف ما منحوه بطون الأوراق.

[فضله وثناء العلماء عليه ﷺ]: وأثنى عليه أكابر الرجال، واتسع في مدحه المقال، وكان إذا تكلّم في التفسير، فهو حامل رايته، أو ذاكَرَ في الحديث فهو ذو روايته، أو أفتى في الفقه فهو مُدْرِك غايته، فلو رآه أحد أجداده لتبجح بمكانه، أو رآه الشافعي لترجح عنده على أقرانه، ولو سمعه ابن فورك لفرك عن طريقته ورجع بَعْد بُعْد المجاز إلى حقيقته، ولو شاهده شيخه علي بامروان في ذلك العصر والأوان؛ لعَلِمَ أنه بحرُ علم ليس للبحر ما عنده من الجواهر، وروضته فضل تستقل الرياض نفسها أن تحاكي ما لَدِيه من الأزاهر.

وممن أثنى عليه الإمام الجليل أبو الغيث بن جميل، فإن تلميذه الشيخ إبراهيم بن يحيى بافضل سافر إليه ليسأله عن حال الأستاذ، والشيخ عبد الله بن إبراهيم باقشير،

ورجل غريب يظهر على يديه الشيء العجيب، فوجده في الدرس يتكلّم على القلوب، فكاشفه وقال له: أما الشيخ محمد بن علي فما وصلنا درجته حتى نصف حالته. وأما الشيخ عبد الله باقشير، فهو من الصالحين. وأما الرجل الغريب، فحالته غير مرضية. ثم انكشف حاله، وافتضح على يد الشيخ علوي ابن الأستاذ ـ كما يأتي في ترجمته إن شاء الله تعالى ـ. والظاهر أن هذا السؤال وقع من الشيخ إبراهيم في أوائل عمره وبدوِّ أمره، وإلا لما خَفِيَ عليه الصِّدِّيق من الزنديق، والصالح من الطالح.

وقال بعض العارفين في وصفه: أبهرت محاسن أحواله ومقاماته وخوارق أحواله ومكاشفاته كثيراً من أهل زمانه، بل أكثر مشايخ دهره وأوانه وأدهشتهم، فما قدَّروهاحق قدرها، وأعجزتهم فما فسَّروها حق تفسيرها. وأشار إلى ذلك الشيخ عبد الرَّحمن بن محمد الخطيب بقوله:

وأحواله قد أبهرت كل عارف ... فما فسّروا منها بتفسير مقنع
ولا أفصحوا منها بقولٍ مبين ... ولا أسفروا عن وجهها المتبرقع
وفي لفظه حارت عقول أُولي النُّهى ... وأفحم معنى سرّها كل مدَّع
وعن كنهها كانت عبارات كل ذي ... لسان فصيح في البلاغة مصقع
فما حلَّ منها مشكلاً قول قائل ... ولا طمعوا في نيل ذاك بمطمع
حكى لفظه في الحسن سمط جواهر ... له منظر يزهو بنور مشعشع
فذلك علمُ ليس يعلم سرّه ... وذلك طَوْد ما له من مزعزع

وحُكي عن الإمام سفيان الثوري(1) ﷺ أنه قال: «مَنِ اجتمعت فيه صفتان من هذه الأوصاف لم يفضله أحد من أهل زمانه، وهي: الشريف السُّنِّي، والفقيه الصوفي،

(1) الإمام العارف بالله تعالى سفيان بن سعيد بن مسروق بن حبيب بن رافع الثوري، من ثور عبد مناة، وقيل: بل من ثور همدان، أبو عبد الله الكوفي، أحد الأئمة الأعلام؛ كان لا يسمع شيئاً إلا حفظه، يقول الخطيب: كان الثوري إماماً من أئمة المسلمين، وعلماً من أعلام الدين، مجمعاً على إمامته مع الإتقان والضبط والحفظ والمعرفة. توفي ﷺ بالبصرة سنة إحدى وستين ومائة، ومولده سنة سبع وسبعين. **انظر ترجمته في**: تاريخ بغداد 9/ 151 .

والعالم الزاهد، والغني المتواضع، والفقير الشاكر».

قال العلماء: اجتمعت جميع هذه الأوصاف في الأستاذ الأعظم ﵁، وقد يستشكل اجتماع الغنى والفقر لكونهما ضدَّيْن، وقد **يجاب** بأن المراد اجتماعهما في زمانين، فيصدق اجتماعهما فيمَن أصبح غنيًّا وأمسى فقيراً؛ لكونه ينفق جميع ما عنده. وقد كان مدخول الإمام الليث بن سعد ﵁ كل يوم ألف دينار، وما لزمته زكاة قطّ؛ لكونه ينفق أولاً فأولاً.

ويحتمل أن المراد بالغنى: غنى القلب، وبالفقر: قلَّة المال. قال ﷺ: «إنما الغنى غنى القلب، والفقر فقر القلب»[1].

وقال بعض العارفين: الفقيه المقدم تصرف على المشايخ الذين تصرّفوا بعد موتهم كتصرّفهم في حياتهم، وهم: القطب الرباني الشيخ عبد القادر الجيلاني[2] ﵁، والشيخ معروف الكرخي[3] ﵁، والشيخ عقيل البلخي ﵁، وحيوة بن قيس ﵁. وإلى ذلك أشار الحافظ محمد بن علي خرد باعلوي، بقوله: [شعر]

---

(1) أخرج ابن حبان بسنده عن أبي ذر ﵁ قال: قال لي رسول الله ﷺ: «يا أبا ذر، أترى كثرة المال هو الغنى؟ قلت: نعم يا رسول الله. قال: أفترى قلة المال هو الفقر؟ قلت: نعم يا رسول الله. قال ﷺ: إنما الغنى غنى القلب، والفقر فقر القلب».

(2) الإمام العارف بالله تعالى قطب وقته سيدي هو الإمام أبو محمد محيي الدين عبد القادر بن موسى بن عبد الله الجيلاني ويلقب أيضاً بالجيلي (471 ـ 561هـ) نسبه إلى جيلان، من طبرستان، تلقى الطريقة من حمَّاد الدباس، وأخذ الخرقة من ابن سعد المبارك، واشتغل بالقرآن في مبتدئه، وتفقَّه على مذهب ابن حنبل، وله في التصوف مصنفات منها: الغنية لطالبي طريق الحق، والفتح الرباني، وفتوح الغيب، والفيوضات الربانية، وكان ﵁ يأكل من عمل يده، وبرع في الوعظ، وتكلم للناس في الزهد فكثر مريدوه، وأقام في مدرسته يدرس فيها ويتخذها رباطاً إلى أن توفي ﵁. **انظر ترجمته في**: بهجة الأسرار في مناقب سيدي عبد القادر، للشطنوفي، وسير أعلام النبلاء للإمام الذهبي 20/ 439 – 451، رقم 286، والطبقات الكبرى للشعراني 1/ 108.

(3) الإمام العارف بالله تعالى سيدي معروف بن فيروز الكرخي أبو محفوظ، أحدُ السَّادات، كان ﵁ مجاب الدعوة، وهو أستاذ السري السقطي ﵁، وهو من جُلَّة المشايخ وقدمائهم، والمذكورين بالورع والفتوة. كان أسلم على يد علي ابن موسى الرضا ﵁، وكان بعد إسلامه يحجبه ـ أي كان حاجباً له ـ فازدحم الشيعة يوماً على باب علي ابن موسى ﵁ فكسروا أضلع معروف، فمات ودفن ببغداد. سنة 200 هجرية. ينظر ترجمته في: طبقات السلمي 3 8، طبقات ابن الملقن 280، حلية الأولياء 8/ 360.

تصرف شيخ في الوجود معظم
على السادة الأشياخ أهـل المعارف

على السيد الشيخ الفتي عبد قادر
ومـعـروف الـكـرخـي مـنـح لتالف

وقـيـس عقيل البلخي وشيخنا
لـتـصـريـفـه لا يـصـرفـون لـصـارف

وتصريفهم فـي كـل شـيء محقق
سـوى في جمال الدين عين لواقف

وقوله: وقيس، صوابه: وحيوة.

ومدحه بعضهم بقصيدة أشار فيها إلى ما مرّ، فقال: [شعر]

كمال جمال الدين كـلٌّ به اعترف
وفي فضله ما شكَّ شخص ولا وقف

لقد حـاز مجداً شامخاً في اعتلائه
على كـل مجد مجده رافـع الشنف

يـرى كـل شيخ فـي العلا متصرّف
على كل شـيء نافذ الحكم عنه كف

كذاك أولوا التصريف من بعد موتهم
تـصـرفـهـم فيهم تـصـرفـهـم صـرف

فـيـا حـبَّـذا مـن سـيِّـدٍ مـا أجـلَّـه
وناهيك ما في التصرف من شَرف

فـإنـي بمدحي فيه أطـنـب طاقتي
وأعلم به من فوق أوصاف مَن وصف

فما وقـف الـمـدّاح فـي بحر فضله
على ساحل هيهات كـلاًّ ولا طرف
ومـن ذلـك البحر المحيط امتداده
وأنــواره مـن شمس أحمد ملتحف
إلـهـي بـهـذا القطب نــوِّر بصيرتي
وكن ملحقي يا ربّ مع صالح السّلف
وأحـمـد ربـي حـمـده الـلائـق الـذي
يكافي مـزيـداً أو يـوالـي لما طرف
وأســألــه لــي مـنـه كـمـال سـعـادةٍ
بخاتمة حسنى ولـطـفـاً ومؤتلف

وللشيخ عبد الرَّحمن بن علي حسان قصيدة في مدحه الأستاذ الأعظم، وهي: [شعر]

قِفَا عند مشتاقٍ إلـى الـرَّبْـع شاعر
يغني بسكان الحمى والمشاعر
خليلي فـي حــبِّ الأحـبـة غـزِّلا
بعليا ومــن فـي ربعها والمحاجر
ومـــرا عـلـى أحـبـابـنـا بتريمهم
وبــلّا رُبــاهــا بـالـدمـوع الـمـواطـر
وزوروا بـصـدق لـلـزيـارة صـادق
شموس الهدى في ظلِّ تلك المقابر
زيــارتــهــم تــريــاق داء طبـائـع
وتـذكـارهـم دريــاق ذنــب الكبائر

بهم حضرموت الخير تاهت وفاخرت
فتيهي دلالاً حضرموت وفاخري

وغنّي وقولي وارفعي الصوت واجهري
ليسمع خيراً كل بادٍ وحاضر

عليهم من الرحمن أزكى تحيَّةٍ
يفوح شذاها في الدجا والأباكر

لنا مفخرٌ فاق المفاخر كلّها
وأصبح مغفوراً به كلَّ فاجر

لنا سيّد فاق المشايخ كلّهم
بتمكينه في كلِّ حالٍ وخاطر

لنا سيد قطب كبير معظَّم
فأنفاسه يزكو بها كل فاخر

لنا سيّد أربى على كل سَيِّدٍ
تعالى فهاك الفخر يا أُم زاهر

فسيدّنا هذا الفقيه وجاهنا
أبو علوي الشيخ زاكي العناصر

هو ابن عليٍّ ذو المعالي محمَّد
أبو علوي ذو العلا والمفاخر

به سارت الركبان من كل جانبٍ
إلى ذكره كم واردٍ ثم صادر

حوى الحسْن والحسنى هو اليمن والمنا
وأمنٌ لنا ننجو به في المحاشر

مليك له التصريف في الكون كائن
لـه كـم كـرامـات وكـم مـن شعائر

بصحبته سـرّ الـسـرايـة قـد سرى
لـعـبـادهـم بـحـر الـمـكـارم زاخِـر

وقـامـع نـفـس بـالـريـاضـة حـبَّـذا
قـشـيـرهـم قـل فـي لـحـاف فظافر

ومـن سعد تـاج الـعـارفـيـن نـوادر
إلـيـه بـغـيـب يـا لـهـا مـن نـوادر

إلـى أن تناها في النهايات فاعتلى
أبـو عـلـوي فـوق كـل الأكـابـر

بـه افتخر القطر اليماني وازدهـى
كفخر عـراق بـالـفـتـى عـبـد قـادر

فـإن فَـخِـروا بأُصولهم وفروعهم
فـخـرْنـا بـأصـل طـاهـر وابـن طاهر

وفـــرع نـمـتـه دوحــة نـبـويّـة
أرومــة زيــن الـعـابـديـن وبـاقـر

وسـابـقـة مـن أصـل سعد بمغرب
عـلـى يـد قـطـب بالحقيقة دائـر

أبـي مـديـن عــلّاً سـقـاه براحها
تـجـلّـت لـه منـهـا الحقيقة ماير

هي الـراح من نور الجمال عصيرها
مـقـدَّسـة عـن حـانـة ودوائـر

وقـد أنهلت مـن قبل ذاك شريعة
فـواصـل سلمى ليس عنها بهاجر

بـصـحـبـة عـــلّام إمــــام أئـمـةٍ
فقيه الــورى نــور الــولايــة زاهــر

فــأكــرِمْ بـه حـبـراً عـلـيّ بـن أحمد
ضياء الـهـدى والـديـن كنز السرائر

فكم مـن أبـي مــروان سيرت مـروة
وكـم نـائـل مـن مـعـدن الفضل ماير

وصــلِّ على المختار والآل كلّهم
صـــلاة تـنـاهـى كـلـمـا طـــار طـائـر

ولما تحقَّق الأستاذ بصفة الفقر والمسكنة والانكسار والغيبة عن شهود الآثار؛ حصل له كمال اللّقا وصدق العبودية والبقا، وكَمُلت صفاته العليَّة، وأشرقت أنواره البهية، ورغب في صحبة الفقراء والمساكين والضعفاء الزاهدين؛ لقول أبي ذرّ ﵁: «أوصاني خليلي ﷺ بحبِّ المساكين والدنوّ منهم»[1]، الحديث رواه الطبراني وابن حبان في صحيحه.

وقال ﷺ: «اللَّهمّ أحيني مسكيناً وأمِتْني مسكيناً واحشرني في زمرة المساكين»[2]،

---

(1) عن أبي ذر ﵁ قال: أوصاني خليلي ﷺ أن لا يأخذني في الله لومة لائم، وأن أنظر إلى من هو أسفل مني، ولا أنظر إلى من هو فوقي، وأوصاني بحب المساكين والدنو منهم، وأوصاني بقول الحق وإن كان مراً، وأوصاني بصلة الرحم وإن أدبرت، وأوصاني أن لا أسأل الناس شيئاً، وأوصاني أن أكثر من قول: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم فإنها من كنوز الجنة». رواه الطبراني في الصغير والكبير بنحوه وزاد: «وأن لا أسأل الناس شيئاً». ورجاله رجال الصحيح غير سلام أبي المنذر وهو ثقة ورواه البزار. **مجمع الزوائد للهيثمي**: المجلد السابع 32 كتاب الفتن ـ أعاذنا الله منها 20 باب في الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وفيمن لا تأخذه في الله لومة لائم ـ الحديث رقم: 12126.

(2) روى الترمذي في سننه بسنده عن أَنَس أَنّ رَسُولَ الله ﷺ قالَ: «**اللّهُمّ أَحْيِنِي مِسْكِيناً وَأَمِتْنِي مِسْكِيناً وَاحْشُرْنِي فِي زُمْرَةِ المَسَاكِينِ يَوْمَ القِيَامَةِ». فَقَالَتْ عَائِشَةُ: لِمَ يَا رَسُولَ الله؟ قالَ: «إنّهُمْ يَدْخُلُونَ الْجَنّةَ قَبْلَ أَغْنِيَائِهِمْ بِأَرْبَعِينَ خَرِيفاً، يَا عَائِشَةُ لاَ تَرُدّي المِسْكِينَ وَلَوْ بِشِقّ تَمْرَةٍ، يَا عَائِشَةُ أَحِبّي المَسَاكِينَ وَقَرّبِيهِمْ فَإِنّ الله يُقَرّبُكِ يَومَ القِيَامَةِ**». قال أبو عيسى: هذا حديثٌ غريبٌ. انظر: **تحفة الأحوذي للمباركفوري** 35 كتاب الزهد عن

رواه الترمذي وغيره.

وقال ﷺ: «اللّهمَّ توفَّني فقيراً ولا توفّني غنيًّا، واحشرني في زمرة المساكين»[1]، رواه الحاكم والبيهقي وغيرهما.

واختلف العلماء في الفقر والغنى، أيُّهما أفضل؟ والذي ذهب إليه جمهور الصوفية: أن الفقر أفضل لِمَا ورد فيه من الفضائل؛ لأن المدار على تهذيب النفس ورياضتها، وذلك مع الفقر أكثر منه مع الغنى[2].

رَسُولِ الله ﷺ 1542 باب مَا جَاءَ أَنّ فُقَرَاءَ المُهَاجِرِينَ يَدخُلُونَ الْجَنّةَ قَبْلَ أَغْنِيَائِهم ـ الحديث رقم: 2392. ورواه عبد بن حميد عند ابن ماجه عن أبي سعيد الخدري ﷺ، وكذا رواه الطبراني في الكبير والضياء عن عبادة بن الصامت، ورمز السيوطي لضعفه في جامعه: الحديث رقم 1554.

(1) قوله «**اللهم توفني فقيرا ولا توفني غنيا واحشرني في زمرة المساكين فإن أشقى الأشقياء من جمع عليه فقر الدنيا وعذاب الآخرة**». رواه البيهقي بسنده عن أبي سعيد ﷺ. **كنز العمال للمتقي الهندي**: المجلد السادس. الإكمال من فرع في لواحق الفقر– الحديث رقم: 16671.

(2) **مسألة: [التفضيل بين الفقر والغنى، والفقير الصابر والغني الشاكر]** قال شيخ الإسلام ابن حجر الهيثمي ﷺ في شرحه على قول البخاري ﷺ في الجامع الصحيح: «بَاب فَضْل الْفَقْر»: قِيلَ أَشَارَ بِهَذِهِ التَّرْجَمَة عَقِب الَّتِي قَبْلهَا إِلَى تَحْقِيق مَحَلّ الْخِلَاف فِي تَفْضِيل الْفَقْر عَلَى الْغِنَى أَوْ عَكْسه؛ لِأَنَّ الْمُسْتَفَاد مِنْ قَوْله: «الْغِنَى غِنَى النَّفْس»، الْحَصْر فِي ذَلِكَ، فَيُحْمَلُ كُلّ مَا وَرَدَ فِي فَضْل الْغِنَى عَلَى ذَلِكَ، فَمَنْ لَمْ يَكُنْ غَنِيَ النَّفْس لَمْ يَكُنْ مَمْدُوحًا بَلْ يَكُون مَذْمُوماً فَكَيْف يَفْضُل، وَكَذَا مَا وَرَدَ مِنْ فَضْل الْفَقْر لِأَنَّ مَنْ لَمْ يَكُنْ غَنِيَ النَّفْس فَهُوَ فَقِير النَّفْس، وَهُوَ الَّذِي تَعَوَّذَ النَّبِيّ ﷺ مِنْهُ . وَالْفَقْر الَّذِي وَقَعَ فِيهِ النِّزَاع عَدَم الْمَال وَالتَّقَلُّل مِنْهُ، وَأَمَّا الْفَقْر فِي قَوْله : «يَا أَيّهَا النَّاس أَنْتُمْ الْفُقَرَاء إِلَى اللَّه وَاَللَّه هُوَ الْغَنِيّ الْحَمِيد» فَالْمُرَاد بِهِ اِحْتِيَاج الْمَخْلُوق إِلَى الْخَالِق، فَالْفَقْر لِلْمَخْلُوقِينَ أَمْر ذَاتِيّ لَا يَنْفَكُّونَ عَنْهُ، وَاَللَّه هُوَ الْغَنِيّ لَيْسَ بِمُحْتَاجٍ لِأَحَدٍ .وَيُطْلَقُ الْفَقْر أَيْضاً عَلَى شَيْء اِصْطَلَحَ عَلَيْهِ الصُّوفِيَّة وَتَفَاوَتَتْ فِيه عِبَارَاتهمْ وَحَاصِله ـ كَمَا قَالَ أَبُو إِسْمَاعِيل الْأَنْصَارِيّ:- نَفْضُ الْيَد مِنْ الدُّنْيَا ضَبْطاً وَطَلَباً، مَدْحًا وَذَمًّا، وَقَالُوا: إِنَّ الْمُرَاد بِذَلِكَ أَنْ لَا يَكُون ذَلِكَ فِي قَلْبه سَوَاء حَصَلَ فِي يَده أَمْ لَا، وَهَذَا يَرْجع إِلَى مَا تَضَمَّنَهُ الْحَدِيث الْمَاضِي فِي الْبَاب قَبْله أَنَّ الْغِنَى غِنَى النَّفْس عَلَى مَا تَقَدَّمَ تَحْقِيقه، وَالْمُرَاد بِالْفَقْرِ هُنَا الْفَقْر مِنْ الْمَال. وَقَدْ تَكَلَّمَ اِبْن بَطَّال هُنَا عَلَى مَسْأَلَة التَّفْضِيل بَيْن الْغِنَى وَالْفَقْر فَقَالَ: طَالَ نِزَاع النَّاس فِي ذَلِكَ، فَمِنْهُمْ مَنْ فَضَّلَ الْفَقْر وَاحْتَجَّ بِأَحَادِيث الْبَاب وَغَيْرهَا مِنْ الصَّحِيح وَالْوَاهِي، وَاحْتَجَّ مَنْ فَضَّلَ الْغِنَى بِمَا تَقَدَّمَ قَبْل هَذَا بِبَاب فِي قَوْله: «إِنَّ الْمُكْثِرِينَ هُمْ الْأَقَلُّونَ إِلَّا مَنْ قَالَ بِالْمَالِ هَكَذَا». وَحَدِيث سَعْد الْمَاضِي فِي الْوَصَايَا: «إِنَّك أَنْ تَذَرَ وَرَثَتك أَغْنِيَاء خَيْر مِنْ أَنْ تَذَرهُمْ عَالَة». وَحَدِيث كَعْب بْن مَالِك ﷺ حَيْثُ اسْتَشَارَ فِي الْخُرُوج مِنْ مَاله كُلّه فَقَالَ ﷺ: «أَمْسِكْ عَلَيْك بَعْض مَالِك فَهُوَ خَيْر لَك». وَحَدِيث: «ذَهَبَ أَهْل الدُّثُور بِالْأُجُورِ...» وَفِي آخِره: «ذَلِكَ فَضْل اللَّه يُؤْتِيه مَنْ يَشَاء». وَحَدِيث عَمْرو بْن الْعَاص ﷺ: «نِعْمَ الْمَال الصَّالِح لِلرَّجُلِ الصَّالِح» أَخْرَجَهُ مُسْلِم وَغَيْر ذَلِكَ قَالَ: وَأَحْسَن مَا رَأَيْت فِي هَذَا قَوْل أَحْمَد بْن نَصْر الدَّاوُدِيّ: الْفَقْر وَالْغِنَى مِحْنَتَان مِنْ اللَّه يَخْتَبِرُ بِهِمَا عِبَاده فِي الشُّكْر وَالصَّبْر كَمَا قَالَ :﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾. وَقَالَ : ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً﴾، وَثَبَتَ أَنَّهُ ﷺ: «كَانَ

يَسْتَعِيذ مِنْ شَرّ فِتْنَة الْفَقْر وَمِنْ شَرّ فِتْنَة الْغِنَى» ثُمَّ ذَكَرَ كَلَامًا طَويلًا حَاصله: أَنَّ الْفَقِير وَالْغَنِيّ مُتَقَابِلَان لِمَا يَعْرِض لِكُلٍّ مِنْهُمَا فِي فَقْره وَغِنَاهُ مِنْ الْعَوَارِض فَيُمْدَح أَوْ يُذَم وَالْفَضْل كُلّه فِي الْكَفَاف لِقَوْلِهِ :﴿وَلَا تَجۡعَلۡ يَدَكَ مَغۡلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبۡسُطۡهَا كُلَّ ٱلۡبَسۡطِ﴾، وَقَالَ ﷺ: «اللَّهُمَّ اجْعَلْ رِزْق آل مُحَمَّد قُوتاً» وَعَلَيْهِ يُحْمَلُ قَوْله ﷺ: «أَسْأَلُكَ غِنَايَ وَغِنَى هَؤُلَاءِ». وَأَمَّا الْحَدِيث الَّذِي أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيّ: «اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مِسْكِيناً وَأَمِتْنِي مِسْكِيناً»... الْحَدِيث فَهُوَ ضَعِيف، وَعَلَى تَقْدِير ثُبُوته فَالْمُرَاد بِهِ أَنْ لَا يُجَاوِز بِهِ الْكَفَاف. انْتَهَى مُلَخَّصاً. وَمِمَّنْ جَنَحَ إِلَى تَفْضِيل الْكَفَاف: الْقُرْطُبِيّ فِي «الْمُفْهِم» فَقَالَ: جَمَعَ اللَّه لِنَبِيِّهِ الْحَالَات الثَّلَاث: الْفَقْر وَالْغِنَى وَالْكَفَاف، فَكَانَ الْأَوَّل أَوَّل حَالَاته فَقَامَ بِوَاجِبِ ذَلِكَ مِنْ مُجَاهَدَة النَّفْس، ثُمَّ فُتِحَت عَلَيْهِ الْفُتُوح فَصَارَ بِذَلِكَ فِي حَدّ الْأَغْنِيَاء فَقَامَ بِوَاجِبِ ذَلِكَ مِنْ بَذْله لِمُسْتَحِقِّهِ وَالْمُوَاسَاة بِهِ وَالْإِيثَار مَعَ اقْتِصَاره مِنْهُ عَلَى مَا يَسُدّ ضَرُورَة عِيَاله، وَهِيَ صُورَة الْكَفَاف الَّتِي مَاتَ عَلَيْهَا. قَالَ: وَهِيَ حَالَة سَلِيمَة مِنْ الْغِنَى الْمُطْغِي وَالْفَقْر الْمُؤْلِم، وَأَيْضاً فَصَاحِبهَا مَعْدُود فِي الْفُقَرَاء لِأَنَّهُ لَا يَتَرَفَّهُ فِي طَيِّبَات الدُّنْيَا بَلْ يُجَاهِد نَفْسه فِي الصَّبْر عَنْ الْقَدْر الزَّائِد عَلَى الْكَفَاف، فَلَمْ يَفُتْهُ مِنْ حَال الْفَقْر إِلَّا السَّلَامَة مِنْ قَهْر الْحَاجَة وَذُلّ الْمَسْأَلَة انْتَهَى . وَيُؤَيِّدهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ التَّرْغِيب فِي غِنَى النَّفْس ، وَمَا أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَة ﷺ رَفَعَهُ» وَارْضَ بِمَا قَسَمَ اللَّهُ لَك تَكُنْ أَغْنَى النَّاس «وَأَصَحّ مَا وَرَدَ فِي ذَلِكَ مَا أَخْرَجَهُ مُسْلِم عَنْ عَبْد اللَّه بْن عَمْرو رَفَعَهُ» قَدْ أَفْلَحَ مَنْ هُدِيَ إِلَى الْإِسْلَام، وَرُزِقَ الْكَفَاف وَقَنِعَ» وَلَهُ شَاهِد عَنْ فَضَالَة بْن عُبَيْد نَحْوه عِنْد التِّرْمِذِيّ وَابْن حِبَّان وَصَحَّحَاهُ. قَالَ النَّوَوِيّ: فِيهِ فَضِيلَة هَذِهِ الْأَوْصَاف، وَالْكَفَاف الْكِفَايَة بِلَا زِيَادَة وَلَا نُقْصَان . وَقَالَ الْقُرْطُبِيّ: هُوَ مَا يَكُفّ عَنْ الْحَاجَات وَيَدْفَع الضَّرُورَات وَلَا يُلْحِق بِأَهْلِ التَّرَفُّهَات، وَمَعْنَى الْحَدِيث: أَنَّ مَنْ اتَّصَفَ بِتِلْكَ الصِّفَات حَصَلَ عَلَى مَطْلُوبه وَظَفِرَ بِمَرْغُوبِهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَة، وَلِهَذَا قَالَ ﷺ:«اللَّهُمَّ اجْعَلْ رِزْق آلِ مُحَمَّد قُوتًا»،أَيْ اِكْفِهِمْ مِنْ الْقُوت بِمَا لَا يُرْهِقُهُمْ إِلَى ذُلّ الْمَسْأَلَة، وَلَا يَكُون فِيهِ فُضُول تَبْعَث عَلَى التَّرَفُّه وَالتَّبَسُّط فِي الدُّنْيَا. وَفِيهِ حُجَّة لِمَنْ فَضَّلَ الْكَفَاف لِأَنَّهُ إِنَّمَا يَدْعُو لِنَفْسِهِ وَآلِهِ بِأَفْضَلِ الْأَحْوَال، وَقَدْ قَالَ: «خَيْر الْأُمُور أَوْسَاطهَا» انْتَهَى . فائدة أخرى في بيان أنَّ الصَّبر أفضل أم الشكر: قال حجة الإسلام الإمام الغزالي ﷺ: دلالة الأخبار على فضيلة الصبر أشد قال ﷺ: «من أفضل ما أوتيتم اليقين وعزيمة الصبر». وقال: «يؤتى بأشكر أهل الأرض فيجزيه الله جزاء الشاكرين، ويؤتى بأصبر أهل الأرض فيقال له: أترضى أن نجزيك كما جزينا هذا الشاكر؟. فيقول: نعم يا ربّ. فيقول الله تبارك وتعالى: لقد أنعمتُ عليك فشكرتَ، وابتليتُك فصبرتَ، لأضعفنّ لك الأجر، فيعطى أضعافَ جزاء الشاكرين». وأما قوله ﷺ: «الطَّاعم الشَّاكر بمنزلة الصَّائم الصَّابر» فهو دليل على فضل الصَّبر، لأنَّ هذا إنما يذكر في معرض المبالغة وهي لا تحصل إلا إذا كان المشبه به أعظم درجة من المشبه كقوله ﷺ: «شارب الخمر كعابد الوثن». وأيضاً روي أن سليمان ﵇ يدخل الجنة بعد الأنبياء بأربعين خريفاً لمكان ملكه، وآخر الصحابة دخولاً الجنة عبدُ الرحمن بن عوف لمكان غناه. وفي الخبر: أبواب الجنة مصراعان إلا باب الصبر فإنه مصراع واحد، وأول من يدخله أهل البلاء، وإمامهم أيوب ﵇. قاله الفخر.

حكي أنه كان لبعض أرباب القلوب صديقٌ، فحبسه السلطانُ، فأرسل إليه صديقه يقول له: كيف حالك في الحبس؟. فقال: أشكر الله. ثم جاؤوا بمجوسي مبطون، وصفَّدوه معه في الحديد، فصار كلَّما قام المجوسي إلى المستراح يقوم معه ضرورةً، ويقف عنده حتى يفرغ من حاجته، ويحصل له التأذِّي بنتن الريح، وبالحركة معه، فعلم صديقه بذلك، فأرسل له يقول: كيف حالك؟. فقال: أشكر الله تعالى. فقال له صديقه إلى متى هذا الشكر؟! وأيُّ بلاء أعظم مما أنت فيه؟!. فقال: لو أخذ الزنار من وسط المجوسي وشده في وسطي لكان أعظم مما أنا فيه، وإنما أنا يا أخي أستحق أعظمَ من هذا، فإن سامحني ربي بهذا القَدْر أما كان الشكر واجباً عليّ؟.. أما سمعتَ أنه صُبَّ على شيخ طَسْتٌ من رماد! فسجد شكراً!! فقيل له في ذلك، فقال: إني أخاف

قال المحققون: هذا في غير الأنبياء والأولياء لعصمتهم وحفظهم من محبة المال لغير الله، وقد كان أبو حسن الشاذلي ﵁ يقول في معنى قوله: ﴿مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْأَخِرَةَ﴾، [آل عمران: 152]. أي: لله، فعلم أن الكلّ لا يضرهم كثرة الدنيا.

قالوا: وما ردَّ ﷺ جبال الذهب حين عرضها الله عليه إلا تشريعاً لأُمته خوفاً عليهم أن لا يبلغوا مقام العارفين فيهلكوا، فكان ردّه من باب الاحتياط خوفاً أن يقتدوا به ظاهراً في الأخذ، ولا يقدروا يتبعونه في الإنفاق. ثم لا يخفى أن من شرط الفقير أن لا يكون له اختيار مع الله تعالى، ولا يختار غير ما اختار له مولاه.

إذا عَلِمتَ ذلك؛ علمت أن الأستاذ الأعظم ﵁ من عبادِ الله المكرمين بالمفاتحات الرحمانية والمطالعات لصحائف الأسرار الصمدانية والمكاشفات الربانية، الجارين على سَنَن الكتاب والسُّنّة، الناهجين من الشريعة سبيل المِنَّة، المقيمين لكل حضرة قسطاس المعدلة، المؤدين لكل رتبة نظام التكملة، ومِن ذلك الكمال الذي هو أنور من ضياء الصباح، تركه لحمل السلاح الذي صار حمله يؤدي إلى أعظم جناح، فأظهر الله على يديه عجائب فضله، وجعل طريقته باقية في عقبه ونسله، ولقد أسس لبنيه أبنية المجد والمكارم، ورفع ألوية شرف آبائه الحضارم، وأسَّس لذريته أساساً راسخاً، وبنى له حصناً حصيناً شامخاً، وهذه الطريقة ورثها عنه البنون، ولم يزالوا بها يتوارثون، **ودعا لذريته بثلاث دعوات، الأولى**: حسن السيرة، **والثانية**: أن لا يسلّط عليهم ظالماً يؤذيهم، **الثالثة**: أن لا يموت أحد منهم إلا وهو مستور. وقد استجاب الله تعالى منه الدعاء، وأجراه على سنن الوفاء، فآثاره مستمرة ظاهرة في هذه السلالة الطاهرة، وأنواره عليهم لائحة باهرة، ولا زالوا محروسين بالملائكة الكرام، محفوظين بالملك العلّام، ملحوظين بعينه التي لا تنام، وبجدِّهم سيد الأنام عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام: [شعر]

وهذا دعاء شـــامل النفـــع للورى   فيـــا ربِّ قابـــل بالقبـــول دعانـــا

وكان الغالب على الأستاذ ﵁ التحقيق والتدقيق، والتفريد والتجريد، والاتّصاف

أن يصب عليّ طَسْتٌ من نار... فإذا سومحت بهذا الطَسْت من الرماد عنه فهلا أشكر الله تعالى؟. والله أعلم، قاله القيلوبي رحمه الله.

بمقام البقاء والجمال، وجمع الجمع على غاية الكمال، فكان لا يحجبه الخلق عن الحقّ، ولا الجمع عن الفرق[1]، ومن ثم كان قدوةً للأنام وعمدةً للإسلام، ولم يظهر منه كثير من الكرامات وخوارق العادات، ولا يسلك هذه المسالك إلا إن دعت ضرورة إلى ذلك أو تقويةَ يقين سالك؛ **منها**: أن خادمَه باخريصة سافر سفراً طويلاً، فبلغ أهله أنه قد مات، فتعبوا وأتوا إلى الأستاذ، فأطرق ساعة وقال: لم يمت باخريصة، فقيل له: قد جاء الخبر بموته! فقال: إني اطّلعت على الجنة فلم أجده فيها، ولا يدخل فقيري النار. ثم جاء الخبر بحياته، وقَدِم هوَ بَعْد مدَّة.

ومنها: أنه رافق جماعة في الطلب في صغره، وجعلوا على من فاتته الجماعة شيئاً، فنام الأستاذ وقت القيلولة ولم يستيقظ إلا بالإقامة، وأشار إلى الدلو فطلع من البئر ملآناً وتوضأ، وأدرك الجماعة.

ومنها: أنه قال لأصحابه: هل رأى أحد منكم رؤيا؟ فقال رجل: رأيت القيامة قامت وحضر الأولياء، وقائل يقول: اشتغل الشيخ محمّد بن علي بالتمر، فقال الأستاذ: التمر يحترق، فاحترق التمر جميعه. فقال الرجل: و الله ما رأيت رؤيا، وإنما قلت ذلك ليعطيني من ذلك التمر، فقال: لا حاجة لنا بما يحول بيننا وبين ربّنا.

ووردت على الأستاذ واردات وتجليات جليلات ربانيات أخذته عن نفسه، وغاب عن حسِّه، وبقي مائة يوم مصطلماً[2] تحت شموس تلك الأنوار الجمالية، والأحوال

---

(1) **الجمع والفرق**: لفظ الجمع والتفرقة يجري في كلام القوم ﭭ كثيراً، وكان الأستاذ أبو علي الدقاق ﭬ يقول: الفَرْقُ ما نسب إليك، والجَمْعُ ما سلب عنك، **ومعناه**: أن ما يكون كسباً للعبد من إقامة العبودية وما يليق بأحوال البشرية فهو فرق، وما يكون من قبل الحق عن إبداء معان، وإسداء لطف وإحسان فهو جمع، هذا أدنى أحوالهم في الجمع والفرق، لأنه من شهود الأفعال، فمن أشهده الحقُّ أفعاله من طاعاته ومخالفاته فهو عبد بوصف التفرقة، ومن أشهده الحقُّ ما يوليه من أفعال نفسه فهو عبدٌ يشاهد الجمع، فإثبات الخلق من باب التفرقة، وإثبات الحقِّ من نعت الجمع، ولا بدَّ للعبد من الجمع والفرق، فإنَّ من لا تفرقة له لا عبودية له، ومن لا جمع له لا معرفة له. انظر: الرسالة القشيرية 38.

(2) **الاصطلام**: في اصطلاح القوم ﭭ : وَلَهٌ يرد على القلب سلطانه قوي فيسكن من قام به تحته، وهو أن العبد إذا تجلّى له الحق في سره في صورة الجمال أثر في نفسه هيبته، فإن الجمال نعت الحق، والهيبة نعت العبد، والجلال نعت الحق، والأنس نعت العبد. فإذا اتصف العبد بالهيبة لتجي الجمال فإن الجمال مهوب أبداً كان على الهيبة أثر في القلب، وخدر في الجوارح، حكم ذلك الأثر اشتعال نار الهيبة، فيخاف لذلك سطوته فيسكن، وعلامته في الظاهر خدر الجوارح وموتها، فإن تحرك من هذا صفته فحركته دورية حتى لا يزول

الكمالية؛ لا يأكل ولا يشرب ولا يصلي، فأَخبر وهو في تلك الأحوال بأشياء غريبة، وأمور عجيبة بعيدة وقريبة، فوقعت كما قال.

ومنها: أنه أخبر بغرق بغداد، فزادت الدّجلة زيادة مهولة، ودخل الماء من سور البلد، وانهدمت دار الوزير وخزانة الخليفة وثلاثمائة وثلاثون داراً، ومات تحت الهَدْم خلق كثير، وغرق جمّ غفير، وذلك في جمادى الآخرة سنة أربع وخمسين وستمائة.

وأخبر ﵁ بحريق المسجد النبوي على صاحبه أفضل الصّلاة والسّلام، فاحترق أول رمضان في السنة المذكورة.

وأخبر ﵁ بواقعة التتار المصيبة التي لم يقع مثلها في الفلك الدوّار، المشتملة على كل قبيح وعار، فقتل الخليفة في صفر سنة ست وخمسين وستمائة. وهذه الأمور الثلاثة وقعت بعد موته.

وأخبر ﵁ بسيل عظيم يكون في حضرموت، فسالت أوديتها وأخربت بلداناً، وأهلكت ما ينيف على أربعمائة إنسان، وهو المسمّى عندهم بـ «جاحش».

عن موضعه فإنه يخيل له أن تلك النار محيطة به من جميع الجهات، فلا يجد منفذاً فيدور في موضعه كأنه يريد الفرار منه إلى أن يخف ذلك عنه بنعت آخر يقوم به وهو حال ليس هو بمقام. وقد يسمى هذا أيضاً سكراً ومحواً وجمعاً، وقد يفرقون بين معاني هذه الأشياء، وقد يغلب شهود القلب بمحبوبه ومذكوره حتى يغيب ويفنى به فيظن أنه اتحد به وامتزج، بل يظن أنه نفسه!، كما حكي أن رجلاً ألقى محبوبه نفسه في الماء، فألقى المحب نفسه وراءه!، فقال له: ما الذي أوقعك في الماء؟. فقال:

غبت بك عني فظننت أنك أني!

وهذا إذا عاد إليه عقله يعمل أنه كان غالطاً، وأن الحقائق متميزة في ذاتها، فالرب ربٌّ، والعبد عبدٌ، والخالق بائن عن المخلوقات ليس في المخلوقات شيء من ذاته، ولا في ذاته شيء من مخلوقاته، ولكن في حال السكر والمحو والاصطلام والفناء قد يغيب عن هذا التميُّز، وفي مثل هذا الحال قد يقول ما يحكى عن بعض أهل هذه الأحوال من الكلمات التي يشطحون بها التي لو صدرت عن قائلها وعقله معه لكان ضالاً، ولكن مع سقوط التمييز والشعور قد يرتفع عنه قلم المؤاخذة؟ وهذا الفناء يحمد منه شيء ويذم منه شيء ويعفى عن شيء: فيحمد منه فناءه عن حب ما سوى الله ، وعن خوفه ورجائه، والتوكل عليه، والاستعانة به، والالتفات إليه، بحيث يبقى دين العبد ظاهراً وباطناً لله. وأما عدم الشعور والعلم بحيث لا يفرق صاحبه بين نفسه وغيره فهذا ليس بمحمود ولا هو وصف كمال. ولا هو مما يرغب فيه ويؤمر به، بل غاية صاحبه أن يكون معذوراً لضعف عقله عن احتمال التميُّز، وإنزال كل ذي منْزلة منْزلته، موافقة لداعي العلم، ومقتضى الحكمة، وشهود الحقائق على ما هي عليه، والتميُّز بين القديم والمحدث، والعبادة والمعبود، فيُنْزل العبادة منازلها، ويشهد مراتبها، ويعطي كل مرتبة منها حقها من العبودية ويشهد قيامه بها. انظر: **بغية الواحد في مكتوبات حضرة مولانا خالد للشيخ محمد زاده العثماني النقشبندي** ـ صفحة 28 وما بعدها.

وحُكي أنه قيل له ـ وهو في تلك الواردات ـ: [كل نفس ذائقة الموت]، فقال: ليس لي نفس، فقيل له:]كل من عليها فان[، فقال: ما أنا عليها، فقيل له: [كل شيء هالك إلا وجهه]، فقال: أنا من نور وجهه.

وسمع أعرابيًّا يقول: هل محمَّد بن عليّ هو الله؟ فقال: أنا الله!![1]، وخرَّ مغشيًّا عليه. وقال: ما لي حاجة إلى محمد ومحمداه.

واعلم أن ما وقع من كلمات أهل الله في حضرات التوحيد إن صدر منهم في حال الغيبة، فهو من الشطحات[2] التي لا حكم لها؛ إذ لا يحكم إلاّ على ما تلفظ به صاحبه في حال الصحو والاختيار، وإن صدر منهم في حال الصحو فيجب أن ينزِّه ساحتهم عن الاتحاد والحلول، ويعتقد أنه على أحسن المحامل محمول؛ لأن للعارفين ﷺ أوقاتاً يغلب عليهم فيها شهود الحقّ تعالى بعين العلم والبصيرة، فإذا تمَّ لهم ذلك الشهود وذُهِلوا حتى عن نفوسهم، ولم يبق لهم شعور بغير الحق ؛ فحينئذ يتكلمون على لسان القرب الأقدس الذي مُنحوه، المشار إليه بقوله : «فإذا أحببته كنت سمعه وبصره وعينه ويده ورجله» الحديث[3]، ويثبتون لأنفسهم بطريق الإلهام ـ لا بطريق الحقيقة ـ ما أثبته الحق لنفسه ـ لا بمعنى الاتحاد ـ الذي هو الكفر والإلحاد، حاشاهم

---

(1) وهذا الكلام وأمثاله يجب علينا أن نعتقد يقينا أنه من الشطحات التي تطوى ولا تروى حتى لا يقع الانتقاد من أهل الجهل والعناد، ويؤذى من انتقدها من المريدين الضعاف، والله تعالى أعلى وأعلم.

(2) **الشطح**: معناه عبارة مستغربة في وصف وجدٍ فاض بقوته، وهاج بشدة غليانه وغلبته. أو هو كلامٌ يترجمه اللسان عن وجد يفيض عن معدنه مقرونٌ بالدعوى، إلا أن يكون صاحبه مستلباً محفوظاً، قال أبو حمزة: سألني رجل خراساني عن الأمن؟ فقلت: أعرف من لو كان على يمينه سبع وعلى يساره مِسورة ما ميّز على أيهما اتَّكى؟ فقال لي: هذا شطحٌ فهات العلم!. وكان بعضهم إذا سأله إنسان مسألة فيها دعوى يقول: أعوذ بالله من شطح اللسان. **ويأتي الشطح** نتيجة وجد عنيف لا يستطيع صاحبه كتمانه، فينطلق بالإفصاح عنه لسانه، وفيه يتبين الهوية الجوهرية فيما بين العبد الواصل والمعبود الموصول إليه، فيتحدث على لسان الحق لأنه صار والحق شيئاً واحداً بمعنى أنه فني فناء كلياً ، لا كما يتوهم البعض حلولاً أو اتحاداً معاذ الله من هذا، ومن هنا ينتقل الخطاب إلى صيغة المتكلم بعد أن كان في حال المناجاة بصيغة المخاطب، وفي حال الذكر بصيغة الغائب. لكن من المخاطِب؟ ومن المخاطَب؟، الأحرى أن يكون كلاهما واحداً، ولذا لا يفترض هنا غير يتوجه إليه الخطاب، وهذا هو الأصل في تحريم إذاعة ما يجري في النفس إبان هذه الحال، ومن أذاع فقد شطح. لكن هل كان في وسعه ألا يذيع؟ ذلك هو مأزق الصوفي: فشدة الوجد ترغمه على الإذاعة، والمذاع سر بين العبد والرب، لأن التفرقة انتفت وصارت اتحاداً! نتيجة الفناء الكلي. والكلام في هذا طويل طويل يكفي منه ما ذكرنا ، والله أعلم وأحكم.

(3) سبق تخريجه أول هذا الكتاب المستطاب.

عن ذلك.

قال السعد التفتازاني: إن السالك إذا انتهى سلوكه إلى الله أو في الله تعالى يستغرق في بحر التوحيد والعرفان، بحيث تضمحل ذاته في ذاته، وصفاته في صفاته، ويغيب عن كلِّ ما سواه، ولا يرى في الوجود إلا الله، قال: وهذا الذي يسمونه الفناء في التوحيد، وإليه يشير الحديث الإلهيّ: «إنَّ العبد لا يزال يتقرَّب إليَّ حتى أُحبه، فإذا أحببته كنت سمعه»، الحديث، وحينئذ ربما يصدر عن الولي عبارات تشعر بالحلول أو الاتحاد لقصور العبارة عن بيان تلك الحال، وبعد الكشف عنها بالمثال، قال: ونحن على ساحل التمني نغترف من بحر التوحيد بقدر الإمكان، ونعترف أن طريق الفناء فيه العيان دون البرهان، انتهى.

وأجاب بعض العارفين عن قول الأستاذ: ما لي حاجة إلى محمد ومحمّداه، بأنهما شيخان كبيران ذُكِرا عنده.

وكان ﷺ في تلك الواردات[1] يتكلم بكلام نفيس على لسان أهل الحقائق يعترفُ بنفاسته المخالف والموافق، وإذا تكلم في الرقائق بكى الحاضرين ببكائه، وسالت الدموع من الجفون بإشارته وإيمائه، وشاهد غير واحد من أهل الكشف فيها الملائكة ورجال الغيب والخضر.

وحُكي أنه دخل عليه في صورة بدوي، وعلى رأسه زبدة، فقام الأستاذ إليه وأخذ تلك الزبدة وأكلها، وتعجَّب منه الحاضرون وعرفه المكاشفون، وكان ينشد في تلك الحال: [شعر]

وِدادك بحـــرٌ والقلـــوب سـفائنُ وشـــوقك موجٌ والبحار عواصفُ
وأنت دليلُ القلب في لُجَج الهوى ومنقـــــذه إذا المتـــــالــــف

---

(1) **الواردات**: جمع «وارد»، **والوارد**: مايرد على القلب من الخواطر المحمودة مما لا يكون بتعمد العبد، وكذلك ما لا يكون من قبيل الخواطر فهو أيضاً وارد، ثم قد يكون وارد من الحق، ووارد من العلم، فالواردات أعم من الخواطر، لأنَّ الخواطر تختص بنوع الخطاب أو ما يتضمن معناه، والواردات تكون وارد سرور، ووارد حزن، ووارد قبض، ووارد بسط، ...إلى غير ذلك من المعاني. «الرسالة القشيرية 44».

فكن لي يــا مولاي عــزًّا وناصراً لعبــدٍ ذليــل فــي هــواك يوالف

[وفاته ﵁]: ولم يزل ﵁ في تلك الواردات الربانية، والتجليات الصمدانية، والمشاهدات الإلهية، ولما طالت غيبته على أهله؛ ظنّوا أن تلك الغيبة لعدم أكله، فأطعموه طعاماً قليلاً ليقضي الله أمراً كان مفعولاً، وسمعوا قائلاً يقول: لو لم تطعموهُ طعاماً ولا شراباً لعمّر لكم أحقاباً، فكان ذلك الطعام آخر زاده من هذه الدار، ثم قدّر الله ما قضاه في الأزل، ودنا منه وقت حلول الأجل، فانتقل ﵁ إلى رحمة الله ﷻ ليلة الجمعة آخر ليلة من ذي الحجّة آخر سنة ثلاث وخمسين وستمائة، وعمره تسع وسبعون سنة، وعَظُمت مصيبة موته على الأنام، وعمَّت الردية الخاص والعام: [شعر]

ومــا كان قيس هلكــه هلك واحد ولكنــه بنيــان قــوم تهدَّمــا

وضبط بعض العلماء تاريخ وفاته على عدد حروف هاتين الكلمتين بحساب الجمل الكبير، وهما: (أب تريم)، هذا هو الصواب في تاريخ وفاته.

ووقع للشريف عبد القادر بن شيخ العيدروس في بعض كتبه أن انتقاله ﵁ سنة أربع وستين وستمائة، وأن حروف وفاته: «هو أب تريم»، فأدخل لفظة: «هو» في الحساب، وبنى على ذلك أن الأستاذ قام بالخلافة الظاهرة أيضاً بعد قتل الخليفة المستعصم، وهو بناء على غير أساس.

وقُبر الأستاذ ﵁ بمقبرة زنبل المشهورة، وبالزيارة والقراءة معمورة، وقبره بها كالبدر ليلة الكمال، وكالشمس وقت الزوال، مقصود بالزيارة من كل البلاد، ويهرع إليه عند النوائب من كلّ زاد، ويسعى الناس كل يوم لزيارته سعياً حثيثاً، ويستسقى به قديماً وحديثاً، وكان حفيده الشيخ الإمام عبد الله باعلوي كثير الزيارة، وينشد عنده: [شعر]

يــا دار إن غــزالاً فيــك هيمنــي للــه درّك مــا تحويــه يــا دار

لو كنت أشــكو إليها حُسن ساكنها إذن رأيــت بنــاء الــدار ينهــار

فكان يقول: إذا رآه كل الصيد في جوف الفرا.

وكان الشيخ محمد بن أبي بكر باعباد ﵁ يزوره كثيراً، وإذا رأى القبر الشريف قبّله، فقيل له: كيف تقبّله وأنت تنهى عن تقبيل القبور؟ فقال: ما صبرت عنه.

وكان الشيخ عبد الرَّحمن بلحاج بافضل يزوره بعد صلاة الظهر، ويقول: أجد عنده في ذلك الوقت ما لا أجده في غيره. ونصبوا على قبره خيمة عظيمة، وكلما بليت جدّدوا غيرها.

ومناقبه ﵁ ونفعنا به لا تحدّ ولا تُحصى، ومن المستحيل أن يحاط بها أو تُستقصى: [شعر]

يفنى الكلام ولا يحيط بفضله   أيحيط ما يفنى بما لا ينفد

وأقسم بالله أن فضائل هذا الأستاذ فوق ما علقته، وأعلى بما اعتنيت به وذكرته، وأن جميع ما قلته في حقِّه قليل وحقير، ونزر من بحر غزير، ولم آتِ بعشر العشير: [شعر]

والله والله العظيم ومَن به   قام السماء بلا أسطوان ولا عمد
ما قلت عشر العشر من أوصافه   الغرّ التي تبقى على طول الأبد
حاز العلوم بأسرها وفنونها   فترى له في كل علم مستند

وانتخبت هذا المقدار لاشتماله على فنون التفكر والاعتبار، وعدلت عن الأسمار والإطالة، إلى ما تحتمله هذه العجالة، وتبرّكت بذكر القليل، وتبرمكت من الفضل الجزيل.

وقد ألّف في مناقبه ﵁ غير واحد كتباً، وصاغوا منها ذهباً، وأفردوها بالتآليف، وأطالوا في بيان أحواله والتعريف، منهم الشيخ عبد الرَّحمن بن حسان، وألّف بعض الفضلاء في ذلك تأليفاً، وبعضهم تأليفاً مختصراً جليلاً، وترجمه الشيخ الكبير عبد الله بن عبد الرَّحمن باوزير في كتابه: «التحفة النورانية»، والعلّامة عبد الله بن عمر بامخرمة في: «ذيل طبقات الأسنوية»: [شعر]

فسل عنه واسمع وانظر إليه تجد ما
قد ملا سمعاً مع مثله وفما

حدث عن البحر إن حدّثت عنه فلا
عليك من حرج تخشى به التُّهما

انتهى ما من «المشرع الروي» من ترجمة سيدنا الفقيه المقدَّم المقدِّم في بني علوي.

قلت: وحيث قد ذكر الشّلي بعض ما قاله سيدنا الفقيه محمّد بن علي من الشطحات في كلامه التي يتطرق بها عليه اللائم في ملامه، اللائقة بمقام مَن هو في مقامه مِن سائر أولياء الله؛ كقوله للبدوي في قصته المشهورة: أنا الله، فلنذكر بعض ما لا يليق بالمقام، فنقول:

قال سيدنا الإمام جامع السرّ المعنوي والمحسوس العالِم العلّامة شيخ بن عبد الله العيدروس في كتابه المسمى بـ «السلسلة القدوسية المتصلة بالخرقة العيدروسية» الملقب بالطراز المعلم والسر الملهم، في أثناء ترجمة سيدنا الفقيه المقدَّم ﵁ بعد كلام طويل له هناك تقدَّم: واعلم أن سيدي الشيخ الفقيه ﵁ لما تلفت بسرِّه في حضرة قدسه؛ عَمي عن نفسه ونسي بيومه أمسه، شهد اللاهوتية، ونسيَ الناسوتية[1]، فقال: أنا الله؛ لأنه كان في عين جمْع الجمع في مقام البقاء[2]، لأن أُمهات المقامات عندهم جمع وفرق، فالفرق مجاز والجمع حقيقة، والجمع نشأ عن الجمع، وهو جمع الجمع، ونشأ عن الفرق فرق[3]، وهو فرق الفرق، فالفرق المجرَّد شِرْك خفي،

---

(1) **اللاهوت**: الألوهة، وأصله «لاه» أي أنه زيدت فيه الواو والتاء للمبالغة كما في جبروت وملكوت. و**الناسوت**: الطبيعة الإنسانية.

(2) جمع الجمع: قال سيدي محيي الدين بن عربي نفعنا الله بسره العزيز: جمع الجمع الاستهلاك بالكلية في الله تعالى عند رؤية الجمال. وقيل: هو شهود الخلق قائماً بالحق، ويسمى الفرق بعد الجمع. وقال القشيري: جمع الجمع الاستهلاك بالكلية وفناء الإحساس بما سوى الله عز وجل عند غلبات الحقيقة. انظر: الفتوحات المكية لسيدي محيي الدين 2/ 133، والتعريفات له أيضاً 15.

(3) الجمع والفرق: لفظ الجمع والتفرقة يجري في كلام القوم ﷺ كثيراً، وكان الأستاذ أبو علي الدقاق ﵁ يقول: **الفَرْقُ** ما نسب إليك، **والجَمْعُ** ما سلب عنك، **ومعناه**: أن ما يكون كسباً للعبد من إقامة العبودية وما يليق بأحوال البشرية فهو فرق، وما يكون من قبل الحق عن إبداء معان، وإسداء لطف وإحسان فهو جمع، هذا أدنى أحوالهم في الجمع والفرق، لأنه من شهود الأفعال، فمن أشهده الحقّ أفعاله من طاعاته ومخالفاته

والجمع المجرَّد جحود جليّ، وشهود الجمع في الفرق كمال عَلِيّ، فافهم.

والجمع عند هذه الطائفة ما يكون من قِبَل الله تعالى، مِن إظهار فهم ومعنى في القلب، والفرق ما يكون من قِبَل العبد من أداء العبودية والسؤال، ولا بدَّ للعبد من الفرق والجمع، فإن من لا تفرقة له لا عبودية له، ومَن لا جمع له لا معرفة له، فإذا خاطب العبد الحق بلسان نجواه؛ إما سائلاً أو داعياً أو شاكراً أو متضرّعاً؛ قام في محل الفرق، وإذا أصغى بسرِّه إلى ما يناجيه ربّه به، فهو في مقام الجمع، ولله درّ قائلهم: [شعر]

البحــر جمع في القيــاس وموجه	فــرق تعــدد للعيــون الناظــرة
والموج بحــرٌ إن نظــرت حقيقة	والبحــر مــوج إن تعــدَّد ظاهره
هذا هــو الحــق المبين بــلا مِرا	مــن غير شــكٍّ للقلــوب العامره

فمتى كان ظاهر العبد بحكم الفرق، وباطنه بحكم الجمع، فقد جمع بين الشريعة والحقيقة، فالشريعة: النظر لأمر الله، والحقيقة: النظر إلى فعل الله، فمَن لا شريعة له؛ لا طريقة له، ومَن لا طريقة له؛ لا حقيقة له، فشعاع البصيرة يشهدك قربه منك، وعين البصيرة يشهدك عدمك بوجوده، وحق البصيرة يشهدك وجوده لا عدمك ولا وجودك. [شعر]

إذا كنــت تقــرأ علــم الحــروف	فشــخصك لــوحٌ بــه أســطر
وتمثــال ذلــك أُنمــوذج	لــكل الوجــود لمــن يُبصــر
حــروف معانيــك لا تنقــري	لــذي الجهــل كلّا ولا تظهــر
ومــن يــكُ غــرًّا بأســرارها	فمعروفهــا عنــده منكــر
لئــن كان جرمــك جــرمٌ صغيــر	ففيــك انطــوى العالــم الأكبــر

فهو عبد بوصف التفرقة، ومن أشهده الحقّ ما يوليه من أفعال نفسه فهو عبدٌ يشاهد الجمع، فإثبات الخلق من باب التفرقة، وإثبات الحقِّ من نعت الجمع، ولا بدَّ للعبد من الجمع والفرق، فإنَّ من لا تفرقة له لا عبودية له، ومن لا جمع له لا معرفة له. انظر: الرسالة القشيرية 38.

وقد قال بعض العلماء العارفين: المحقق هو الله ليس المراد بهذا الاسم غيره، ولا غير له. وقال سيدي الشيخ العارف بالله تعالى السيّد محمد قيس دراز ﵁ في بعض رسائله: ما الغنى في الوجود إلا هو.

وقال سيدي محيي الدين بن عربي ﵁ في بعض كتبه، بعد أن ذكر شرح البسملة: العبد الجامع الكلي هو كلمة الجلالة، فإن العبدية قد تتصف بصفات الربوبية، فكلمة [الله] في العبد، ولهذا قال بعض المحققين في حالة ما: أنا الله، انتهى. ولا يغرب عنك ما سَبَق من كلام الشيخ عبد الكريم الكيلاني[1] ﵁، حيث قال: الولي هو حق متصوّر في صورة خليقة، أو خلق متحقق بمعاني إلهيّة. وسيدي الفقيه ﵁ نطق بذلك، وهو في حال كون الحق سمعه وبصره وجميع قواه، كما نطق بذلك أبو يزيد ﵁ في هذا المقام، فقال: «أنا الله»، و «إنني أنا الله فاعبدون»؛ نقل ذلك سيدي الشيخ محيي الدين بن عربي في «الفتوحات».

وقال صاحب «الإنسان الكامل» بعد كلام له في ذلك: واعلم أن الله جعل هذا الاسم ـ أي: اسم [الله] ـ مرآة للإنسان الكامل، فإذا نظر وجهه فيها علم حقيقة «كان الله ولا شيء معه، وهو الآن على ما عليه كان»[2]، وكشف له أن سمعه سمع الله،

---

(1) **القطب الجيلي** (767 ـ 832 هـ / 1365 ـ 1428 م) العارف بالله تعالى سيدي عبد الكريم بن إبراهيم بن عبد الكريم الجيلي، ابن سبط سيدي عبد القادر الجيلاني ﵁. شاعر، من علماء الصوفية. من تصانيفه: «الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل» في اصطلاحية الصوفية و «الكمالات الإلهية في الصفات المحمدية ـ خ» فرغ من كتابته سنة 805 هـ.

(2) قوله ﷺ: «**كان الله ولا شيء معه**». رواه ابن حبان، والحاكم، وابن أبي شيبة عن بريدة ﵁، وفي رواية: «ولا شيء غيره»، وفي رواية: «ولم يكن شيء قبله». قال القاري ثابت ولكن الزيادة وهي قوله: «وهو الآن على ما عليه كان» من كلام الصوفية. قال: وقد نص الحافظ العسقلاني على وضعها ـ أي هذه الزيادة: «وهو الآن على ما عليه كان» قال: وإن صحت، فتأويلها أنه تعالى ما تغير بحسب ذات الكمال وصفات الجلال عما كان عليه بعد خلق الموجودات، انتهى ملخصاً. لكن قال النجم: ذكر ابن العربي في «الفتوحات» أنها مدرجة في الخبر، ولفظه: عن بريدة ﵁ قال: دخل قومٌ على رسول الله ﷺ فقالوا: جئنا نسلِّم على رسول الله ﷺ، ونتفقَّه في الدين، ونسأله عن بدء هذا الأمر. فقال رسول الله ﷺ: «كان الله ولا شيء غيره، وكان عرشه على الماء، وكتب في الذكر كل شيء، ثم خلق سبع سماوات. قال ثم أتاني آتٍ» هذه ناقتك قد ذهبت، فخرجت والسراب يتقطع دونها، فلوددت أني كنت تركتها». ورواه أحمد والبخاري والترمذي وغيرهم عن عمران بن حصين ﵁ قال: قال: يا رسول الله أخبرنا عن أول هذا الأمر كيف كان؟. قال ﷺ: «كان الله قبل كل شيء وكان عرشه على الماء، وكتب في اللوح المحفوظ ذكر كل شيء، وخلق السماوات والأرض». فنادى منادٍ:

وبَصَره بصره، وكلامه كلامه، وحياته حياته، وعلمه علمه، وكذا إرادتهُ وقدرته وكل ذا بطريق الأصالة. وعلم حينئذ أن جميع ذلك كان منسوباً إليه بطريق العارية والمجاز، ثم قال: والناظر في مرآة هذا الاسم يجد هذا العلم ذوقاً، ويكون عنده من علوم التوحيد علم الواحدية[1]، ومَن حصل له هذا المشهد كان مجيباً لمن دعا الله، فهو إذاً مُظهر لاسمه [الله]، ثم إذا ترقّى وصفّي من كَدَر العدم بوجود الواجب، وزكّاه الله تعالى بظهور القِدَم من حيث الحدث؛ صار مرآة لاسمه [الله]، فهو حينئذ مع الاسم كمرآتين متقابلتين يوجد كل منهما في الآخر، وإلى ذلك أشار عليه الصلاة والسلام بقوله: «**المؤمن مرآة المؤمن**»[2]، فمتى نظر المؤمن في مرآة المؤمن لم ينظر إلا نفسه، ومن حصل له هذا المشهد يكون الله مجيباً لمن دعاه، فيغضبُ لغضبه، ويرضى لرضاهُ، ويجد عنده من علوم التوحيد علم الأحدية فما دونها.

قلت: وقد قيل: إنّ تجلّي الأحدية بطلب انعدام الأسماء والصفات مع آثارها ومؤثراتها، وتجلي الواحدية بطلب فناء العالم بظهور أسماء الحق وأوصافه، فيقال من حيث تجلي الأحدية ما ثَمَّ وصف ولا اسم، ومن حيث تجلّي الواحدية ما ثَمَّ منطق لظهور سلطانها بصور كل متصور في الوجود،انتهى. ولهذا قال سيدي الحلاج بما قال.

والناس في التلفّظ بهذا الاسم ـ أي: اسم الله ـ على طبقات، فمنهم من قال: [الله]، ووقف مع المثال والرسم.

ومنهم من قال: [الله]، ووقف مع الأدب.

«ذهبت ناقتك يا ابن الحصين»، فانطلقت فإذا هي تقطع دونها السراب، فوالله لوددت أني كنت تركتها. انتهى. انظر: كشف الخفاء للعجلوني ـ الحديث رقم 2011.

(1) الأحدية عند العارفين هي الذات البحت؛ أي الخالصة عن الظهور في المظاهر وهي الأكوان، **والواحدية** هي الذات الظاهرة في الأكوان، فيكون للأكوان حينئذ ثبوت باعتبار ظهور الحق فيها. ولذا يقولون: الأحدية بحر بلا موج، والوحدانية بحر مع موج، فإن الحق عندهم كالبحر، والأكوان كالأمواج التي يحركها ذلك البحر، فهي ليست عينه ولا غيره. هذا هو توحيد العارفين.

(2) روى أبو داود في سننه بسنده عن أَبِي هُرَيْرَةَ عن رَسُولِ الله ﷺ: «**الْمُؤْمِنُ مِرْآةُ الْمُؤْمِنِ، وَالْمُؤْمِنُ أَخُو الْمُؤْمِنِ يَكُفُّ عَلَيْهِ ضَيْعَتَهُ وَيَحُوطُهُ مِنْ وَرَائِهِ**». **سنن أبي داود**: الجزء الثاني 35 كتاب الأدب57 ت/ 49 م باب في النصيحة والحياطة للمسلم ـ الحديث رقم: 4918.

ومنهم من قال: [الله]، وقصد البحث والفهم.

ومنهم من قال: [الله]، فطاش وخرج عن حدِّ رسمه فعاش.

ومنهم من قال: [الله]، قاله قلبه، وذُهل لُبّه، وطاح علمه، وحَسُن فهمه، وتلاشى نعته ورسمه.

ومنهم من قال: [الله]، ونظر بعين اليقين، فوصل.

[الاسم الأعظم](1): ثم اعلم أن **الاسم الأعظم** هو اسم [الله] عند أكثر العلماء ﭫ؛

---

(1) «**فائدة جليلة في الكلام على الاسم الأعظم**»: قال الإمام العسقلاني في «الفتح»: وإذ قد جرى ذكر الاسم الأعظم في هذه المباحث فليقع الإلمام بشيء من الكلام عليه، وقد أنكره قومٌ كأبي جعفر الطبري، وأبي الحسن الأشعري، وجماعةٌ بعدهما كأبي حاتم بن حبان، والقاضي أبي بكر الباقلاني؛ فقالوا: لا يجوز تفضيل بعض الأسماء على بعض، ونسب ذلك بعضهم لمالك ﭬ لكراهيته أن تعاد سورة أو تردد دون غيرها من السور لئلا يظنَّ أنَّ بعض القرآن أفضل من بعض فيؤذن ذلك باعتقاد نقصان المفضول عن الأفضل، وحملوا ما ورد من ذلك على أنَّ المراد بالأعظم: «العظيم»، وأنَّ أسماء الله كلَّها عظيمة، وعبارة أبي جعفر الطبري: اختلفت الآثار في تعيين الاسم الأعظم، والذي عندي أنَّ الأقوال كلَّها صحيحةٌ إذ لم يرد في خبر منها أنه الاسم الأعظم، ولا شيء أعظم منه، فكأنه يقول: كل اسم من أسمائه يجوز وصفه بكونه أعظم؛ فيرجع إلى معنى عظيم كما تقدم. وقال ابن حبان: الأعظمية الواردة في الأخبار إنما يراد بها مزيد ثواب الداعي بذلك، كما أطلق ذلك في القرآن، والمراد به مزيد ثواب القارئ. وقيل: المراد بالاسم الأعظم كل اسم من أسماء الله دعا العبد به مستغرقاً بحيث لا يكون في فكره حالتئذ غير الله ، فإن من تأتَّى له ذلك استجيب له. ونقل معنى هذا عن جعفر الصَّادق ﭬ، وعن الجنيد وعن غيرهما ﭫ. وقال آخرون: استأثر الله تعالى بعلم الاسم الأعظم ولم يطلع عليه أحداً من خلقه، وأثبته آخرون معيَّناً، واضطربوا في ذلك، قال الحافظ: وجملة ما وقفت عليه من ذلك أربعة عشر قولاً:

الأول: الاسم الأعظم: [هُو] نقله الفخر الرازي عن بعض أهل الكشف، واحتج له بأن من أراد أن يعبر عن كلام معظم حضرته لم يقل له: أنت قلت كذا، وإنما يقول هو يقول تأدبا معه.

الثاني: [الله] لأنه اسم لم يطلق على غيره، ولأنه الأصل في الأسماء الحسنى ومن ثم أضيفت إليه.

الثالث: [الله الرحمن الرحيم] ولعلَّ مستنده ما أخرجه ابن ماجه عن عائشة رضي الله عنها وعن أبيها: أنها سألت النبي ﷺ أن يعلِّمها الاسم الأعظم فلم يفعل، فصلَّت ودعت: [اللهم إني أدعوك الله، وأدعوك الرحمن، وأدعوك الرحيم، وأدعوك بأسمائك الحسنى كلِّها ما علمت منها وما لم أعلم]. الحديث، وفيه أنه ﷺ قال لها: «إنه لفي الأسماء التي دعوت بها». قلت أي: الإمام العسقلاني: وسنده ضعيف وفي الاستدلال به نظر لا يخفى.

الرابع: [الرحمن الرحيم الحي القيوم] لما أخرج الترمذي من حديث أسماء بنت يزيد أن النبي ﷺ قال: «اسم الله الأعظم في هاتين الآيتين : ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ وفاتحة سورة آل عمران: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ﴾. أخرجه أصحاب السنن إلا النسائي، وحسَّنه الترمذي، وفي نسخة صحيحة: وفيه نظر لأنه من رواية شهر بن حوشب.

الخامس: [الحي القيوم] أخرج ابن ماجه من حديث أبي أمامة ﷺ: «الاسم الأعظم في ثلاث سور: البقرة وآل عمران وطه». قال القاسم الراوي عن أبي أمامة: التمسته منها فعرفت أنه [الحي القيوم]، وقوَّاه الفخر الرازي، واحتج بأنهما يدلان من صفات العظمة بالربوبية ما لا يدل على ذلك غيرهما كدلالتهما.

السادس: [الحنان المنان بديع السماوات والأرض ذو الجلال والإكرام الحي القيوم] ورد ذلك مجموعاً في حديث أنس عند أحمد والحاكم، وأصله عند أبي داود والنسائي وصححه ابن حبان.

السابع: [بديع السماوات والأرض ذو الجلال والإكرام]. أخرجه أبو يعلى من طريق السُّدِّي ابن يحيى عن رجل من طيئ وأثنى عليه قال: «كنت أسأل الله أن يريني الاسم الأعظم فأريته مكتوباً في الكواكب في السماء».

الثامن: [ذو الجلال والإكرام]: أخرج الترمذي من حديث معاذ بن جبل ﷺ قال: «سمع النبي ﷺ رجلا يقول: يا ذا الجلال والإكرام، فقال: «قد استجيب لك فسل». واحتجَّ له الفخر بأنه يشمل جميع الصفات المعتبرة في الإلهية، لأنَّ في الجلال إشارة إلى جميع السلوب، وفي الإكرام إشارة إلى جميع الإضافات.

التاسع: [الله لا إله إلا هو الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد] أخرجه أبو داود والترمذي وابن ماجه وابن حبان والحاكم من حديث بريدة، وهو أرجح من حيث السند من جميع ما ورد في ذلك.

العاشر: [رب رب]: أخرجه الحاكم من حديث أبي الدرداء وابن عباس ﷺ بلفظ: «اسم الله الأكبر رب رب». وأخرج ابن أبي الدنيا عن عائشة رضي الله عنها وعن أبيها: «إذا قال العبد: يا رب يا رب، قال الله تعالى: لبيك عبدي سل تعط» رواه مرفوعاً وموقوفاً.

الحادي عشر: «دعوة ذي النون» أخرج النَّسائي والحاكم عن فضالة بن عبيد رفعه: «دعوة ذي النون في بطن الحوت: «لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين»، لم يدع بها رجل مسلم قط إلا استجاب الله له».

الثاني عشر: نقل الفخر الرازي عن زين العابدين ﷺ أنه سأل الله أن يعلمه الاسم الأعظم فرأى في النوم «هو الله الله الله الذي لا إله إلا هو رب العرش العظيم».

الثالث عشر: هو مخفي في الأسماء الحسنى، ويؤيده حديث عائشة رضي الله عنها وعن أبيها المتقدم: «لما دعت ببعض الأسماء وبالأسماء الحسنى؛ فقال لها ﷺ: إنه لفي الأسماء التي دعوت بها».

الرابع عشر: «كلمة التوحيد» نقله عياض تقدم قبل هذا. وقال الإمام الشعراني ﷺ: والمراد بالاسم الأعظم فخامة الألفاظ اللائقة بالجناب الأعلى، وإلا فليس لله اسم غير أعظم. وقد قال رجل لذي النون المصري ﷺ: علمني الاسم الأعظم. فقال: أرني الأصغر! وزجره.

وكان بعض العارفين يقول: الاسم الأعظم هو كل ما قام له التعظيم في قلب الداعي، فكأنه أعظم عنده من أيِّ اسم آخر، كما يقع فيه بعض العوام، وإلا ففي قوة كل اسم ما في سائر الأسماء الإلهية، لرجوعها كلِّها إلى ذاتٍ واحدة. والله سبحانه وتعالى أعلم. وروى الترمذي وقال حديث حسن: «أن النبي ﷺ سمع رجلاً يقول: [يا ذا الجلال والإكرام]. فقال: قد استجيب لك، فسَلْ». وروى الحاكم مرفوعاً: «إن لله ملكاً موكلاً بمن يقول يا أرحم الراحمين، فمن قالها ثلاثاً، قال الملَك: إن أرحم الراحمين قد أقبل». ومعنى أقبل: أي: أقبل عليك، وأذن لك في الدعاء فسل. وروى الإمام أحمد واللفظ له، وابن ماجه، وأبو داود، والنسائي، وابن حبان في صحيحه والحاكم: «أنَّ النبي ﷺ مرَّ بأبي عياش وهو يصلي وهو يقول: [اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت، يا منان، يا بديع السماوات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام]». زاد في رواية: «يا حي ياقيوم»، فقال رسول الله ﷺ: لقد سألت الله باسمه الأعظم الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى». زاد في رواية للحاكم: «أسألك الجنة وأعوذ بك من النار». والله تعالى أعلم. انظر: **فتح الباري، شرح صحيح البخاري، للإمام ابن حجر العسقلاني** ـ المجلد الحادي عشر. كِتَاب الدَّعَوَاتِ. باب لِلَّهِ مِائَةُ اسْمٍ غَيْرَ وَاحِد.

لأنه الاسم الجامع المنعوت بجميع الأسماء الإلهية، ولم يُنقل أنه وقعت من أحد أية مشاركة بخلاف غيره من الأسماء، قال الله: [هل تعلم له سمياً]؛ أي: هل تعلم أن غيره يسمَّى: [الله]؟. وهو علم على الذات، عربي عند الأكثرين، غير مشتقّ من معنى عند جماعة من الفقهاء والأصوليين، فيصير الألف واللام من بُنية الكلمة؛ لا للتعريف ولا لغيره. ذكره صاحب كتاب «المجالس في شرح بسم الله الرحمن الرحيم».

ثم اعلم أن اسم الله الأعظم الذي تدلُّ كل الأسماء عليه، وتشير جميع الصفات إليه، وهو الاسم المركب من الألف واللام والهاء، فهو مستودَع جميع معاني الإلهية، وصفات الربوبية، وهو كنز الأزلية، وخزانة القدسية، فجميع ما اشتملت عليه اللاهوتية والملكوتية والجبروتية مندمجة في سرِّ هذا الاسم، منطوية في خزائن غيبه.

وقال سيدي الشيخ عبد القادر الجيلاني ﷺ: الاسم الأعظم هو الله، وإنما يُستجاب لك إذا قلت: الله، وليس في قلبك غيره؛ يعني: أن المقصود صدق الالتجاء والافتقار، ولهذا لما قيل لأبي يزيد: أيُّ اسم الله الأعظم الذي تنفعل به الأشياء؟ قال: أروني الأصغر حتى أُريكم الأعظم، أسماء الله كلها عظيمة، ولكن هو الصدق، فاصدق وخذ أيَّ اسمٍ شئت.

وقال سيدي الشيخ العارف بالله عبد الله العيدروس ﷺ في بعض تأليفه، بعد كلام له في ذلك: واعلم أن هذا الاسم الأعظم أسماء الله تعالى ـ أعني: اسمه الله ـ لأنه دلَّ على الذات الجامعة لصفات الإلهية كلها. ثم قال: **تنبيه**: ينبغي أن يكون حظّ العبد من هذا الاسم التألّه؛ أعني به: أن يكون مستغرق القلب والهمّ بالله تعالى، لا يرى غيره، ولا يلتفت إلى سواه، وكيف لا يكون كذلك وقد فهم من هذا الاسم أنه للوجود الحقيقي، وأن كلَّ ما سواهُ باطل وهالك، فيرى أولاً نفسه أنه باطل وهالك، وقال ﷺ: أصدق بيت قالته العرب: [شعر]

«ألا كل شيء ما خلا الله باطل»(1)

انتهى.

(1) عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: «أصدقُ كلمةٍ قالها الشاعر كلمة لَبيد: ألا كلُ شيء ما خلا اللهَ باطلُ». رواه الشيخان، وفي رواية عند أحمد والترمذي عن أبي هريرة ﷺ: «أشعر كلمة تكلمت بها العرب كلمة لبيد»، وتتمته: «وكل نعيم لا محالة زائل». انظر: **كشف الخفاء للإمام العجلوني** ـ الحديث رقم: 378.

واعلم أن في كل ذرَّة من ذرَّات العالم سرًّا من أسرار اسمه الله، فبذلك السرّ فهم عنه وأَقرَّ له بالتوحيد كل عالم على نوعه الذي هو قائم به، علم ذلك أو لم يعلم، كما قال ﷻ: ﴿وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا﴾، [الرعد: 15].

ثم اعلم أن هذا الاسم خماسي؛ لأن الألف التي قبل الهاء ثابتة في اللفظ، ويعتدّ بسقوطه في الخطّ؛ لأن اللفظ حاكم على الخط، فالألف الأولى عبارة عن الأحدية التي تهلك فيها الكثرة، ولم يبق لها وجود بوجهٍ من الوجوه، وذلك حقيقة قوله: ﴿كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥ﴾، [القصص: 88]. **يعني**: وجه ذلك الشيء، وهو أحدية الحق فيه، ولهذا قيل: إن الألف ليس هو من الحروف عند مَن شمَّ رائحة من الحقائق، ولكن قد سمَّته العامة حرفاً، فإذا قال المحقق أنه حرف، فإنما يقول ذلك على سبيل التجوّز.

ولما كانت الأحدية أوّل تجليات في نفسه لنفسه بنفسه؛ ابتُديء هذا الاسم الشريف بحرف الألف لما فيه من الدلالة عليه والإشارة إليه، فإن معنى الربوبية مندرج في هذا الاسم الشريف، فلهذا ابتُديء بظهوره لعباده ليستدلُّوا عليه ويَصِلُوا به إليه؛ إذ لا سبيل إلى ذاته، فدلَّهم بأسمائه وصفاته، فجعل حرف الألف أول اسمه [الله]، وأول حروف المعجم، وأول ما خاطب به عباده في الوجود بقوله: [ألست بربكم]، وهذا إشارة إلى أوليته، وجعله ممتدًّا طويلاً إشارة إلى سرمديته وأبديته، وجعله قائماً معتدلاً إشارة إلى عدله وقيوميّته، وجعله صامتاً لا تجويف فيه إشارة إلى صمديته، وجعله منفرداً عن الحروف تنبيهاً على أحديته التي ليس للأوصاف الحقية ولا النعوت الخلقية فيها ظهور، أو إشارة إلى فرديته وأحديته، وجعله يتصل بالحرف بعده إشارة إلى افتقار خلقه إليه.

وقال سيدي الشيخ العارف بالله تعالى السيد محمَّد قيسودراز ﵁: قيل: إن الألف إشارة إلى وحدانيته، واللام الأولى إشارة إلى محو الإشارة، واللام الثانية إشارة إلى محو المحو في كشف الهاء، فالطّائف حول كعبة هذا الاسم الشريف أول ما يُكشف له في طوافه سرّ هذا الحرف، [ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله]، ثم يسعى بين صفا اللام الأولى، ومروة اللام الثانية، فإذا تمَّ سعيه وقف على عرف اللاهوتية؛ أي

الألفات الثانية، فكان قائلاً يقول له: عند الهاء إلى ههنا هو المطلوب الذي تعرفه القلوب، وتحجُبه الغيوب، فإشارة الهاء إلى هوية الحق في كل شيء.

وفيها معنى لطيف وهو أن قوله: هو حرفان هاء وواو، فالهاء تخرج من آخر مخارج الحروف، والواو تخرج من بين الشفتين، فهو أوّلها مخرجاً، فأشار إلى ذاته بهذين الحرفين، فقال: [هو الله]، إلى أنه: [هو الأول والآخر]؛ لا أوَّلَ قبله، ولا آخر بعده، منزَّهٌ عن الحلول والنزول، لا كما يخطر في العقول.

قال الشيخ عبد الكريم الكيلاني رضي الله عنه: اعلم أن هذا الاسم ـ أي: اسم ـ هو أخص من اسمه: [الله]، وهو سرّ لاسمه: [الله]؛ ألا ترى أن اسم [الله] ما دام هذا الاسم موجوداً فيه كان له معنى يرجع به إلى الحق، وإذا فك بقيت أحرفه غير مقيَّدة.

وقال بعض المشايخ: إن [هو] اسم الله الأعظم؛ لأنه ليس له مبتدأ ولا منتهى، فهو من أقصى الجوف إلى ما لا نهاية له.

وقال صاحب كتاب «المجالس» بعد كلام له في ذلك: فأما الطائفون حول كعبة هذا الاسم إنما يشيرون إلى هاء الهوية؛ إذ هو المقصود الواجب الوجود، فإذا ازدلف السالك إلى مزدلفة الألف، ووقف بين علم اللام الأولى وعلم اللام الثانية؛ لاح من عرفات العرفان هاء الهوية، فصاحت هويته: [هو الله]، فمن أسماء الله تعالى: [هو]، وهو حرفان جامعان لجميع المعاني الأولية والآخرية والظاهرية والباطنية، فـ[الهاء[تدلّ على الأولية والباطنية، و [الواو] تدلّ على الآخرية والظاهرية، فثبت أن: [هو]: [هو الأول والآخر والظاهر والباطن]، فالأسماء كلها دلَّت على أفعال وصفات، والاسم [هو] لا صفة له، فإنه دلَّ على الذات المعروفة الموصوفة، ومنه ظهرت الصفات، وإليه تعود. ألا تراه يقول: [هو الله الذي لا إله إلا هو]، ثم قال: [عالم الغيب والشهادة]، ثم قال: [هو]، ثم قال: [الرحمن الرحيم]، ثم قال: [الملك القدوس]، ثم قال: [هو]، ثم قال: [الباريء]، فهو أصل الأسماء وإليه تشير القلوب، وحوله تطوف السرائر، فهو الظاهر الذي لا يُنكر، والباطن الذي لا يُدرَك، فاعلم ذلك فإنه من السرِّ المصون، والأمر البديع المكنون، وما أجدرني حينئذ أن أنشد وأقول: [شعر]

بدا لك سـرّ طـال عنـك اكتتامه		ولاح صبـاح كنـت أنـت ظلامه
فأنت حجاب القلب عن سـرّ غيبه		ولـولاك لم يطبـع عليـه ختامه

ولله درّ مَن قال:

فاسـمع إذ غنَّـت المعانـي		تقـول: يـا هـو لبيـك يـا هـو
مـا قلـت للقلـب أيـن حبّـي؟		إلا وقـال الضميـر: هـا هـو

فإن قال قائل: إن فحوى كلامك هذا يثبت الله تعالى، وينفي كل شيء؛ فما هذه الأشياء التي تراها؟

قلت: هذه المقالات مقالات مَن لا يرى مع الله شيئاً، ومن يرى سوى الله، فليس كلامنا معه، فإنه لا يَرَى غير ما يرى، ومن عرف نفسه عرف الله ومن لا يعرف نفسه لا يرى الله، وكل إناء يترشح بما فيه، فالواصل تكفيه الإشارة، وغير الواصل لا يصل بالتعليم، فافهم إن كنت ممن يفهم، فإن لم تفهم هذه الإشارات ما شممت عندهم في مذهبهم رائحة التوحيد، والله يختص برحمته من يشاء، وهذا ثمرة قوله ﷻ: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾، [المائدة:54].

[مطلب]
[في أقوال المحبين والعارفين في المحبة]

واعلم أن المحبة لطيفة روحانية على كثيف جثمانية المحبّ، فتتلاشى الجثمانية بالروحانية لقوة سلطان المحبة، وقد أطلق القوم في المحبة بألفاظ مختلفة، ومعانٍ متقاربة، فتكلم كل منهم بحسب ذوقه، ونطق على مقدار شوقه، **فقال بعضهم**: المحبة مَحْو المحبّ بصفاته وإثبات المحبوب بذاته.

قال سري السقطي رضي الله عنه: لا تصلح المحبة بين اثنين حتى يقول أحدهما للآخر: يا أنا**!**.

وقال الجنيد رضي الله عنه: دخول صفات المحبوب على البدل من صفات المحبّ.

وقيل: المحبة أوَّلها: [يحبهم]، وآخرها: [يحبونه]، ومن لم يسبق له: [يحبهم] لم يصح له: [يحبونه]، فمن ثبت قدمه عند شرب كأسه قال: [هو]، ومن تجاوز سكره عن حدّ الثبوت حتى تناول كأسّه بكف: [يحبّونه]، قال: أنا. فالناطق بالأنانية متكلم من وادي المحو بلسان الإثبات، والناطق بالهوية متكلم من وادي الفنا بلسان البقاء، وكلاهما بالحق ناطق، وللحقيقة موافق؛ لأن من قال: أنا، ما أراد بالأنانية نفسه؛ لأنه مأخوذ عن نفسه مجذوب عن حسّه، فأخذه وليه وهو المتكلم بلسانه، وشاهد ذلك قصة أبي يزيد رضي الله عنه، قال: سبحاني**!!**، فأنكروا عليه فقال: **حقٌّ سبَّح نفسه على لسان عبده.**

وأما الناطق بالهوية، فإنه متمكن، محفوظ عليه وقته، محروس عليه ستره، بل قد ذكر العلماء بالله رضي الله عنهم، مثل الشيخ محيي الدين بن عربي، والشيخ عبد الكريم الكيلاني رضي الله عنهما ـ بأن **العبد إذا ترقَّى إلى مرتبة الكمال وصار نائباً عن الله، فلا حرج عليه إذا نزَّه نفسه؛ لأنه قد اتصف بصفات الحق، فتطهَّر محله وخلُصَ من نقائص**

المحدثات بتنزيه الله تعالى، فانتقل حكم ذلك التنزيه عليه؛ أي: رجع إلى العبد وبقي الحقّ على ما كان عليه من التنزيه الذي لا يشاركه فيه غيره؛ إذ هو في الحقيقة تنزيه لنفسه، ونحن ليس بأيدينا من التنزيه إلا التنزيه المحدث الذي بإزاء التشبيه، وليس بإزاء التنزيه القديم تشبيه؛ لأن الحق لا يقبل الضدّ، فتنزيهه لا يعلمه غيره، فليس للخلق فيه مجال، وإلى ذلك أشار سيدي الشيخ العارف بالله السيد محمد قيسودراز ﷺ، بقوله: ليس لي مجال في التوحيد.

وقال الصِّدِّيق الأكبر ﷺ: العجز عن درْك الإدراك إدراك.

بل قال أفضل المخلوقات ﷺ: «لا أحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك»[1]، وإلى ذلك أيضاً أشار الشيخ عمر بن الفارض ﷺ بقوله: [شعر]

وأســكت عجزاً عن أُمــورٍ كثيرةٍ بنطقي لن تُحصى ولو قلت: قلت

فسبحان مَن لم يجعل للخلق دليلاً إلى معرفته إلا العجز عن معرفته.

ومتى ظهرت العندية زالت العبدية، فحينئذ يؤمر العبد بتنزيه المحل لتجلي المثل. قالوا: وإلى ذلك أشار بقوله: [سبح اسم ربك الأعلى]؛ إذ الحق من باب الحقيقة لا يصح عليه الأعلى والأوسط والأسفل تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيراً، بل نسبة الأعلى والأوسط والأسفل إليه نسبة واحدة، فكان محلّه العبد الكامل، وهو [سيدنا] محمّد ﷺ، ومِن هذا قول مَن قال: «سبحاني» تعظيماً لجلال الله، ومِن هنا أشار بعض المشايخ ﷺ إلى بعض المريدين بقوله: نزِّه شيخك، وهذا ثمرة تنزيههم الله تعالى.

قال ﷺ: «إنما هي أعمالكم ترد عليكم»[2]، فمَن كان عمله التنزيه عاد عليه تنزيهه.

---

(1) روى الإمام مسلم في صحيحه بسنده عَنْ أمِّنا عَائِشَةَ رضي الله تعالى عنها وعن أبيها قَالَتْ: «فَقَدْتُ رَسُولَ اللّهِ ﷺ لَيْلَةً مِنَ الْفِرَاشِ، فَالْتَمَسْتُهُ، فَوَقَعَتْ يَدِي عَلَى بَطْنِ قَدَمَيْهِ، وَهُوَ فِي الْمَسْجِدِ، وَهُمَا مَنْصُوبَتَانِ، وَهُوَ يَقُولُ: «اللّهُمّ أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ. وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ. وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ. لاَ أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ. أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ». صحيح مسلم: الجزء الأول4 كتاب الصلاة 42 باب ما يقال في الركوع والسجود ـ الحديث رقم: 222 ـ (486).

(2) قوله ﷺ: «إنما هي أعمالكم تُرَدُّ عليكم». قال النجم رواه أبو نعيم عن حسان بن عطية قال بلغني أن الله تعالى يقول يوم القيامة يا بني آدم إنا قد أنصتنا لكم مذ خلقناكم، فأنصتوا لنا اليوم نقرأ عليكم أعمالكم، فمن وجد خيرا فليحمد الله، ومن وجد شرا فلا يلومن إلا نفسه، إنما هي أعمالكم ترد عليكم، وفى كتاب الله ﷻ: ﴿وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾. انظر: **كشف الخفاء للإمام العجلوني** ـ الحديث رقم: 653.

وما مثال فناء المحب في بقاء المحبوب إلا مثال النار إذا استولت بلطائف روحانيتها على كثافة جثمانية الحطب، فتفنى بشرية الحطب وتبقى روحانية اللّهب، فتصير المحبة كامنة في ذات المحبّ سالبة لصفاته، ككون النار في ذاتية الماء الحار، فأنت تظّنه ماءً يغرق وهو في الحقيقة نار تحرق، فلو أدنيت منه شيئاً لأحرقه.

فإن قلت: المحرق هو النار، فأين الماء؟ وإن قلت: المغرق هو الماء، فأين النار؟ وكذا الحديدة المحمّاة في النار فهذه الصفة، فحينئذ صار كما قيل: [شعر]

رقّ الزجاج ورقَّتِ الخَمْرُ فتَشَابَها فَتَشَاكَلَ الأمرُ

فكأنما خمرٌ ولا قدحٌ وكأنما قدحٌ ولا خمْرُ

كذلك الحق بواسطة قرب العبد منه وإقباله عليه كساه صفته الباقية من غير تحيّز ولا اتصال، [ويضرب الله الأمثال]، فكيف ومذهب المشايخ ﷺ: «كان الله ولا شيء معه، وهو الآن على ما عليه كان»[1]، فلا ظرف ولا مظروف.

قال سيّدي الشبلي[2] ﵁: جلّ الواحد المعروف قبل الحدود والحروف.

ثم اعلم أنه ظهر من هذا المعنى سرّ قوله في الحديث القدسي: «ما وسعني أرضي ولا سمائي، ووسعني قلب عبدي المؤمن»[3]، فذلك الوسع في الحقيقة لمن تدبَّر وتفكّر وتبصّر، إنما هو وسع نفسه وما وسعه غيره؛ لأنه وسع كل شيء وما وسعه شيء، فكيف يسعه العبد على زعمك ذلك؟! بل إنما صحَّ بانخلاع العبد عن صفاته الفانية وخلع سيده عليه صفاته الباقية، وهو قوله: «كنت سمعه وبصره وفؤاده»، فذلك الفؤاد الذي خلعه عليه هو الفؤاد الذي وسعه؛ لأن الفؤاد والقلب اسمان لشيء واحد.

قلت: ما وسعه في الحقيقة إلا هو، لا هو القلب الصنوبري الشكل؛ لأنه محدث الوجود والواجب منزَّه عن الحلول في الحادث المحدود.

واعلم أن القلب غيب، والرب غيب، فاطَّلع الغيب على الغيب، فكان نزولاً لا

---

(1) سبق تخريجه.

(2) سبقت ترجمته ﵁.

(3) سبق تخريجه.

حلولاً، وهذا من بركة معنًى معنوي: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾، [القصص: 88]. ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾، [الرحمن:26]. ﴿كل نفس ذائقة الموت﴾، [آل عمران: 185]. فسبحان الباقي بعد فناء خلقه.

والعارفون ماتوا قبل أن يموتوا، وأفنوا نفوسهم قبل أن يفنوا: **﴿ألا له الخلق والأمر﴾**، [الأعراف: 54]. بلى: ﴿أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ﴾، [فصلت: 54].

قال سيدنا الإمام الغزالي في «الإحياء» عند قوله: «من عرف نفسه فقد عرف ربّه»[1]: وعند ذلك يشمّ العبد روائح المعنى المطوي تحت قوله ﷺ: «إن الله خلق آدم على صورته[2] ونظر بعين الرحمة إلى الجامدين» على ظاهر اللفظ، والمتعسفين في طرق تأويله وإن كانت رحمته على الجامدين على ظاهر اللفظ أكثر من رحمته على المتعسفين في التأويل؛ لأن الرحمة على قدر المصيبة، ومصيبة أولئك أكثر، وإنِ اشتركوا في مصيبة الحرمان عن حقيقة الأمر، فإن الحقيقة فضل الله يؤتيه من يشاء، وتحت هذا غور لا يُدركه إلا صاحب ذوق ولا يتحدث به إلا معه، وقد أنصف أبو حامد الغزالي ﷺ أيضاً عند ذكر هؤلاء، حيث قال: هؤلاء قوم غلبت عليهم الأحوال حتى قال أحدهم: «سبحاني»، وقال الآخر: «أنا الله»، **وهم قوم سكارى، ومجالس السكر تُطوى ولا تُحكى، تسلَّم إليهم أحوالهم ولا تردّ عليهم أقوالهم؛ لأن كلامهم ونطقهم عن ذوق وشوق، فمن ذاق عرف، ومن لم يعرف فلا حرج عليه إذا سلم**

(1) قال النووي ﷺ: ليس بثابت. وقال أبو المظفر بن السمعاني في «القواطع» إنه لا يعرف مرفوعاً، وإنما يحكى عن يحيى بن معاذ الرازي ﷺ ـ يعني من قوله –. وقال ابن الغرس بعد أن نقل عن النووي ﷺ أنه ليس بثابت قال: لكن كتب الصوفية ﷺ مشحونة به، يسوقونه مساق الحديث كالشيخ محي الدين بن عربي ﷺ وغيره. قال: وذكره لنا شيخنا الشيخ حجازي الواعظ شارح الجامع الصغير للسيوطي بأن الشيخ محي الدين بن عربي ﷺ معدود من الحفاظ. وذكر بعض الأصحاب أن الشيخ محي الدين ﷺ قال: هذا الحديث وإن لم يصحَّ من طريق الرواية فقد صحَّ عندنا من طريق الكشف. وللحافظ السيوطي فيه تأليف لطيف سماه: «القول الأشبه في حديث من عرف نفسه فقد عرف ربه» ـ مطبوع ضمن رسائل السيوطي المسماة بالحاوي للفتاوي –. وقال النجم: قلت: وقع في «أدب الدين والدنيا» للماوردي عن عائشة رضي الله تعالى عنها وعن أبيها: سئل النبي ﷺ: «من أعرف الناس بربه؟ قال: أعرفهم بنفسه». انظر: **كشف الخفاء للعجلوني** ـ الحديث رقم 2532.

(2) من قوله ﷺ: «لا تقبحوا الوجه فإن الله خلق آدم على صورته وفي لفظ على صورة الرحمن». أخرجه الدارقطني في الصفات عن ابن عمر رضي الله عنهما. **الجامع الصغير** ـ الحديث رقم: 1148.

واعترف، انتهى.

فينبغي إذاً للعاقل المنصف من نفسه أن يسلِّم لهؤلاء القوم ما يُخبرون، فإنه وإن لم يفز من ذلك بالتصديق، فقد انتفع بالتسليم، حيث لم يرد ما هو حق في نفس الأمر، وإن ردَّ علم ما سمع منهم إلى الله فقد وفى الربوبية حقاً، فكيف وقد قيل: إن علوم المكاشفات تحصل من طريقين، أحدهما: طريق الوهب والإلهام، والثانية: طريق الإيمان بعبارات أهل الله وإشاراتهم، وأن المريد إذا سمع بشيء من علوم الحقيقة مَثلاً مما هو فوق طوره، وآمن به وانصبّ فيه وأخذه بكلتا يديه حتى سكن قلبه إليه، واطمأنت نفسه؛ كان ذلك العلم له حقيقة كما هو للمتكلم به، وما الفرق بينه وبين المتكلم إلا أن المتكلم أخذه من الله بلا واسطة، وهذا السامع أخذ من الله بواسطة هذا المتكلم، واستويا في تلك المسألة إن فهمها على ما قاله المتكلم، وإلا فلا. وقد سوَّى الله بينهما في قوله: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾، [ق:37]. إشارة إلى المؤمن بما يلقى فيأخذه بكليّته، فأذن البصيرة أحد رجلين: إما رجل سلك الطريق وظهر له مثل ما ظهر لهم، فهو صاحب ذوق ومعرفة وقد وصل إلى عين اليقين. وأما رجل لم يسلك الطريق أو سلك ولم يصل، ولكن آمن وصدّق، فهو صاحب علم اليقين.

فنسأل الله تعالى أن يجعلنا من الراسخين في العلم القائلين: **﴿آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولوا الألباب﴾**، [آل عمران: 7]:

فإذا كنت بالمدارك غرًّا ... ثم أبصرت حاذق لا تُمارِ
وإذا لم تر الهلال فسلِّم ... لأناسٍ رأوه بالأبصار

فأين أنت من هؤلاء القوم؟ بل أين اليقظة من النوم؟ وليس هذا بعجب من المشايخ ﷺ؛ لأنهم أهل أحوال، وصاحب الحال ليس له قرار في صفة واحدة، بل مرة في كسوة السلاطين، ومرة في كسوة التراب والطين، أما تنظر إلى سيد العالمين ﷺ تارة يؤخذ من نفسه فيقول: «لست كأحدكم»[1]، وتارة يرد عليه فيقول: «إنما أنا بشر

(1) عن أم سلمة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: «من صلى أربع ركعات قبل العصر حرم الله بدنه على النار».

مثلكم»[1]، وتارةً تستغرقه المشاهدات الربانية، فيقول: «لي مع الله وقت لا يسعني فيه غير ربي»[2]، وتارة تخطفه الجذبات القريبة فيقول: «ما أدري ما يُفعل بي ولا بكم»[3]، وتارة يصطلم بغيب تحت تجلي الهيبة فيقول: «زمِّلوني زمِّلوني، دثِّروني دثِّروني» لاضطراب مفاصله، وتخلّل النور الروحاني مسالك ذاته، حتى رُوي أنه ﷺ كان إذا جاءه الوحي ونزل الروح الأمين به على قلبه؛ أخذ عن حسِّه وسُجِّي ورغا كما يرغو البعير حتى ينفصل عنه، هذا مع كماله وقوة احتماله لما يفاجئه من التجليات الجلالية

قلت: يا رسول الله قد رأيتك تصلي وتدع! قال: «لست كأحدكم». رواه الطبراني في الكبير، وفيه نافع بن مهران وغيره. **مجمع الزوائد للحافظ الهيثمي**: المجلد الثاني 4كتاب الصلاة 269 باب الصلاة قبل العصر- الحديث رقم: 3333.

(1) روى الشيخان وغيرهما ـ واللفظ للبخاري ـ عن عبد الله بن مسعود ﷺ اللَّه صَلَّى النَّبِيُّ ﷺ قَالَ إِبْرَاهِيمُ: لا أَدْرِي زَادَ أَوْ نَقَصَ فَلَمَّا سَلَّمَ قِيلَ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَحَدَثَ فِي الصَّلاةِ شَيْءٌ ؟ قَالَ: وَمَا ذَاكَ؟ قَالُوا: صَلَّيْتَ كَذَا وَكَذَا !، فَثَنَى ﷺ رِجْلَيْهِ وَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ وَسَجَدَ سَجْدَتَيْنِ ثُمَّ سَلَّمَ، فَلَمَّا أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ قَالَ: إِنَّهُ لَوْ حَدَثَ فِي الصَّلاةِ شَيْءٌ لَنَبَّأْتُكُمْ بِهِ، وَلَكِنْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَنْسَى كَمَا تَنْسَوْنَ، فَإِذَا نَسِيتُ فَذَكِّرُونِي، وَإِذَا شَكَّ أَحَدُكُمْ فِي صَلاتِهِ فَلْيَتَحَرَّ الصَّوَابَ، فَلْيُتِمَّ عَلَيْهِ ثُمَّ لِيُسَلِّمْ ثُمَّ يَسْجُدُ سَجْدَتَيْنِ». **صحيح البخاري**: الجزء الأول 10 أبواب القبلة4 باب: التوجه نحو القبلة حيث كان ـ الحديث رقم: 392. **وصحيح مسلم**: الجزء الأول 5 كتاب المساجد ومواضع الصلاة 19باب السهو في الصلاة والسجود له ـ الحديث رقم: 89 ـ (572). **وسنن النسائي**: المجلد الثالث. كتاب السهو. باب التحري. **وسنن ابن ماجه**: الجزء الأول5 كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها 133 باب ما جاء فيمن شك في صلاته فتحرى الصواب ـ الحديث رقم: 1211.

(2) قوله ﷺ: «لي مع الله وقت لا يسعني فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل».تذكره الصوفية كثيرا، وهو في رسالة القشيري بلفظ: «لي وقت لا يسعني فيه غير ربي»،ويقرب منه ما رواه الترمذي في شمائله وابن راهويه في مسنده عن علي في حديث: «كان ﷺ إذا أتى منزله جزأ دخوله ثلاثة أجزاء جزءا لله وجزءا لأهله وجزءا لنفسه ثم جزأ جزأه بينه وبين الناس» كذا في اللآلئ، وزاد فيها ورواه الخطيب بسند قال فيه الحافظ الدمياطي أنه على رسم الصحيح، وقال القاري بعد إيراده الحديث قلت ويؤخذ منه أنه أراد بالملك المقرب جبريل وبالنبي المرسل أخاه الخليل انتهى فليتأمل، ثم قال القاري وفيه إيماء إلى مقام الاستغراق باللقاء المعبر عنه بالسكر والمحو والفناء انتهى. انظر: كشف الخفاء للإمام العجلوني ـ الحديث 2159.

(3) أخرج البخاري بسنده عَنْ خَارِجَةَ بْنِ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ ﷺ عَنْ أُمِّ الْعَلاءِ ـ وَهِيَ امْرَأَةٌ مِنْ نِسَائِهِمْ ـ بَايَعَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَتْ: طَارَ لَنَا عُثْمَانُ بْنُ مَظْعُونٍ فِي السُّكْنَى حِينَ اقْتَرَعَتْ الأَنْصَارُ عَلَى سُكْنَى الْمُهَاجِرِينَ فَاشْتَكَى فَمَرَّضْنَاهُ حَتَّى تُوُفِّيَ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ فِي أَثْوَابِهِ فَدَخَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْكَ أَبَا السَّائِبِ فَشَهَادَتِي عَلَيْكَ لَقَدْ أَكْرَمَكَ اللَّهُ قَالَ ﷺ: وَمَا يُدْرِيكِ؟. قُلْتُ لا أَدْرِي وَاللَّهِ. قَالَ: أَمَّا هُوَ فَقَدْ جَاءَهُ الْيَقِينُ إِنِّي لأَرْجُو لَهُ الْخَيْرَ مِنْ اللَّهِ وَاللَّهِ مَا أَدْرِي وَأَنَا رَسُولُ اللَّهِ مَا يُفْعَلُ بِي وَلا بِكُمْ. قَالَتْ أُمُّ الْعَلاءِ: فَوَاللَّهِ لا أُزَكِّي أَحَدًا بَعْدَهُ. قَالَتْ: وَرَأَيْتُ لِعُثْمَانَ فِي النَّوْمِ عَيْنًا تَجْرِي فَجِئْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لَهُ فَقَالَ: ذَاكِ عَمَلُهُ يَجْرِي لَهُ». **صحيح البخاري**: الجزء الرابع 95 كتاب التعبير 27 باب: العين الجارية في المنام ـ الحديث رقم: 6615.

والجمالية، وعلم الأحوال لا سبيل إليه إلا بالذوق، فلا يقدر عاقل على أن يحدّها ولا يقام معرفتها على دليل البتّة، وعند ذلك أقول: لا تُقاس الملائكة بالحدادين؛ إذ ما أوردت هذه الإشارات النبوية إلا خشية قائل يقول: أليس الأنبياء بأفضل من هؤلاء المشايخ؟ ولم يرد عنهم فيما نسمع ذلك؟

فأقول: إن قياسك بمثل هؤلاء قياس في غاية الاعوجاج، فإنهم يَلزمهم أن ينزلوا في أقوالهم وأفعالهم إلى درجة مَن دونهم ليقتدي بمشاهدتهم، ولا يظنّ ظان بأن ذلك نزول عن درجة الكمال، بل هو عين الكمال. قال ﷺ: «نحن معاشر الأنبياء أُمرنا أن نكلِّم الناس على قدر عقولهم»[(1)]؛ أي: على قدر ما يعقلونه من الخطاب حتى يقبلوه ولا يرموا به.

ويُروى عنه ﷺ أيضاً: «أن من العلم كهيئة المكنون لا يبذل إلا لأهله»[(2)].

وقال سيدنا زين العابدين رضي الله عنه: [شعر]

إنــي لأكتم مــن علمــي جواهره ... كي لا يرى الحــق ذو جهل فيَفْتَتِنَا
فــرُبَّ جوهــر علــمٍ لو أبُــوح به ... لقيــل لي أنت ممَّــن يَعْبــدُ الوَثَنَا
ولاســتحلَّ رجالٌ مســلمون دمي ... يــرون أقبــح مــا يأْتونــه حَسَــنَا

---

(1) **قال في المقاصد**: عزاه الحافظ ابن حجر لمسند الحسن بن سفيان عن ابن عباس رضي الله عنهما بلفظ: «أمرت أن أخاطب الناس على قدر عقولهم». قال: وسنده ضعيف جداً. ورواه في الغنية للشيخ عبد القادر الجيلاني قدس الله سره العزيز بلفظ: «أمرنا معاشر الأنبياء أن نحدث الناس على قدر عقولهم». انظر: كشف الخفاء للإمام العجلوني ـ الجزء الأول ـ صفحة 196.

(2) قوله ﷺ: «**إن من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه إلا أهل المعرفة بالله تعالى، فإذا نطقوا به لم يجهله إلا أهل الاغترار بالله تعالى فلا تحقروا عالما آتاه الله تعالى علما منه، فإن الله** عز وجل **لم يحقره إذ آتاه إياه**». رواه أبو عبد الرحمن السلمي في الأربعين له في التصوف من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بإسناد ضعيف. انظر: تخريج أحاديث الإحياء للحافظ العراقي ـ المجلد الأول. كتاب العلم: الباب الثاني. الحديث رقم: 1. وفي «أربعين» السلمي: «**أن من العلم كهيئة المكنون لا ينكره إلا أهل الغرة بالله**». وفي البخاري تعليقاً عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «أوتيت وعاءين من العلم، أما أحدهما فقد بثثته، وأما الآخر فلو بثثته قطع مني هذا البلعوم». والله عز وجل يقول: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَا تُبۡصِرُونَ ۝٣٨ وَمَا لَا تُبۡصِرُونَ﴾ أي: هناك عوالم أخرى مستورة غير منظورة لها نظامها الدقيق الذي أقسم الله به، وغيب الله أعظم من أن يحيط به أحدٌ مهما اشتهر ذكره، وارتفع عند بعض الخلق قدره!!. انتهى من «أصول الوصول.

وقـــد تقـــدَّم في هـــذا أبو حســـن إلى الحُسَـــيْن ووصَّى قبله الحَسَنَا

قال سيدي الشيخ العارف بالله السيد محمد قيسودراز ﷺ، في شرحه على العوارف عند كلامه على هذه الأبيات التي في غاية الرقة واللطافة: أفهمت قوله: «ولاستحلَّ رجال»: هم رجال زمانه وأعيان أوانه، عنده علمٌ هم جاهلون به، فليتدبّر وليصور قدر العلم وخطره وارتفاع شأنه ورفعة قدره. وقد كان من الشيوخ مَنْ لا يشير على مريد برياضة إلا ويخوض معه فيها تشبيهاً بالأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، مع استغنائهم عنها تسهيلاً لأمر المريدين. ولا تعجب من هذا، فإن الأمم في كنف شفقة الأنبياء، والعلماء كالصبيان في كنف شفقة الآباء، وكالمواشي في كنف الرعاة. أما ترى الأب إذا أراد أن يستنطق الصبي كيف ينزل إلى درجة نطقه، كما قال ﷺ للحسين: «كخ كخ» لما أخذ التمرة؟![1].

وما كانت فصاحته ﷺ تقصر عن أن قول له: ارْم ارم ونحو ذلك، ولكن لما سلَّم بأنه ﷺ لا يفهم ترك فصاحته ونزل إلى لكنته، بلَ الذيَ يعلّم الحيوان كذلك ينزل إلى درجة الصغير وغير ذلك، فإيّاك أن تغفل عن مثل هذه الدقائق، فإنها مزَلَّة أقدام العارفين فضلاً عن الغافلين، والعارف عاجز عن تفهيم المقلد القاصر، كما يعجز عن تفهيم الصبي، ولذا لما قيل لأبي يزيد البسطامي ﷺ: ما لنا لا نعرف كلامك؟ قال: لأني أخرس، والأخرس ما يعرف كلامه إلاّ أُمه، ولذلك قال ﷺ: «ارحموا ثلاثة: عالِم بين جهّال»[2]، الحديث.

ولا شكَّ أن الأنبياء مرحومون بهذا السبب لمقاساتهم قصور عقول الأُمة وتفاوتها،

(1) روى الشيخان وغيرهما ـ واللفظ للبخاري، **عن أبي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: أَخَذَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا تَمْرَةً مِنْ تَمْرِ الصَّدَقَةِ فَجَعَلَهَا فِي فِيهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «كِخْ كِخْ»، لِيَطْرَحَهَا، ثُمَّ قَالَ: «أَمَا شَعَرْتَ أَنَّا لَا نَأْكُلُ الصَّدَقَةَ»**. **صحيح البخاري**: الجزء الثاني 60 كتاب الجهاد والسير184 باب: من تكلم بالفارسية والرطانة ـ الحديث رقم: 2907. **وصحيح مسلم**: الجزء الثاني 12 كتاب الزكاة 50 باب تحريم الزكاة على رسول الله ﷺ وعلى آله وهم بنو هاشم وبنو المطلب دون غيرهم ـ الحديث رقم: 161 ـ (1069).

(2) قوله ﷺ: «ارحموا ثلاثة: عالما بين الجهال، وغني قوم افتقر، وعزيز قوم ذل». أخرجه ابن حبان في الضعفاء من رواية عيسى بن طهمان عن أنس، وعيسى ضعيف، ورواه فيه من حديث ابن عباس إلا أنه قال «عالم تلاعب به الصبيان» وفيه أبو البحتري واسمه وهب بن وهب أحد الكذابين. **تخريج أحاديث الإحياء للحافظ العراقي**: المجلد الرابع. كتاب التوبة ـ الحديث رقم: 3.

ولعلَّ هذا هو المعنى بقوله ﷺ: «البلاء موكل بالأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل»[1].

ولا تظن أنه البلاء النازل بالبدن، بل هذا أعظم. ولذا لما تأذّى عليه الصلاة والسلام ببعض الناس قال: «رَحِم الله أخي موسى قد أُوذي بأعظم من هذا فصبر»[2]، فإذاً لا تخلو الأنبياء عن الابتلاء بالجاحدين، ولا تخلو الأولياء والعلماء عن الابتلاء بالجاهلين، فإن لكل نبيٍّ فرعوناً، ولكل وليٍّ شيطان.

واعلم بأن الخلق كلهم أطفال في حجر تربية الحق يغذّي كل واحد منهم على قدر معدة معرفته؛ لأن الله له في كل موجود تجلٍّ خاص ووجه مخصوص به، فغذاء الرجال لا يصلح للأطفال، هذا موسى عليه السلام كليم الله، لما كان طفلاً في حجر تربية الحق، ما تجاوز حدّه ولا تعدّى قصده، بل قال: ﴿رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ﴾، [الأعراف: 143]. فكان غاية طلبه في طفولية بدايته طعام وشراب، وكان منتهى إربه في نهايته رفع الحجاب.

وهذا أبو بكر الصدِّيق رضي الله عنه لما كان طفلاً في حجر تربية النبي ﷺ، كان يلقمه من لقم الغيب بواسطة: «ما صُبَّ في صدري شيء إلا صببته في صدر أبي بكر»[3].

وفي الحقيقة ما طاق أبو بكر رضي الله عنه إلا بواسطة رسول الله ﷺ .

(1) قوله ﷺ: «البلاء موكل بالأنبياء ثم الأولياء ثم الأمثل فالأمثل». أخرجه الترمذي وصححه، والنسائي في الكبرى، وابن ماجه من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، وقال: قلت: يا رسول الله أي الناس أشد بلاء؟» فذكره دون ذكر «الأولياء». وللطبراني من حديث فاطمة: «أشد بلاء الأنبياء ثم الصالحون... الحديث». **تخريج أحاديث الإحياء للحافظ العراقي**: المجلد الرابع. كتاب التوبة ـ الحديث رقم: 4.

(2) أخرج الشيخان ـ واللفظ للبخاري ـ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ حُنَيْنٍ آثَرَ النَّبِيُّ ﷺ أُنَاسًا فِي الْقِسْمَةِ فَأَعْطَى الأَقْرَعَ بْنَ حَابِسٍ مِائَةً مِنْ الإِبِلِ وَأَعْطَى عُيَيْنَةَ مِثْلَ ذَلِكَ وَأَعْطَى أُنَاسًا مِنْ أَشْرَافِ الْعَرَبِ فَآثَرَهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْقِسْمَةِ. قَالَ رَجُلٌ: وَاللَّهِ إِنَّ هَذِهِ الْقِسْمَةَ مَا عُدِلَ فِيهَا وَمَا أُرِيدَ بِهَا وَجْهُ اللَّهِ! فَقُلْتُ: وَاللَّهِ لأُخْبِرَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، فَأَتَيْتُهُ، فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ: فَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ يَعْدِلْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ؟! رَحِمَ اللَّهُ مُوسَى قَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرَ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ». **صحيح البخاري**: الجزء الرابع 83 كتاب الدعوات 18 باب: قول الله : (وصل عليهم). ومن خص أخاه بالدعاء دون نفسه ـ الحديث رقم: 5977. **وصحيح مسلم**: الجزء الثاني 12 كتاب الزكاة 46 باب إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام وتصبر من قوى إيمانه ـ الحديث رقم: 140 ـ (1062).

(3) عن أبي ذر رضي الله عنه قال: ما ترك رسول الله ﷺ شيئاً مما صبه جبريل وميكائيل عليهما السلام في صدره إلا صبه في صدري. وما تركت شيئاً صبه في صدري إلا صببته في صدر مالك بن ضمرة. رواه الطبراني وفيه من لم أعرفهم. معجم الطبراني الكبير: باب الجيم . جندب بن جنادة أبو ذر الغفاري رضي الله عنه . **مجمع الزوائد للحافظ الهيثمي**: المجلد التاسع 37 كتاب المناقب 116 باب ما جاء في أبي ذر رضي الله عنه ـ الحديث رقم: 15824.

ومن هذا أيضاً قوله ﷺ: «أنا مدينة العلم وعليٌّ بابها»[1]، فلم يحمل ما تحمله المدينة، وإنما كان بمنزلة الباب من المدينة لا يخرج شيء من المدينة حتى يمرَّبالباب. ومن سرِّ هذا الكشف قال عليٌّ ﵁: لو كُشِف الغطاء ما ازددت يقيناً.

وحقيقة العارف سائر طائر، فالسير تبدل بالطير، والسير يكون في مقامات النفس المطمئنة للمريد، والطير يكون في مقامات النفس الروحانية العلوية المشار إليها بالعقل على مذهب الحكماء الإلهيين للمريد، فمتى يلحق السائر الطائر؟ ألا ترى إلى موسى ﵇ حيث كان مريداً، ونبيّنا ﷺ مراداً؟ انتهى سير موسى ﵇ إلى جبل طور سينا، وسير نبيّنا ﷺ إلى العرش واللوح؛ بل أقرب من ذلك، فالمريد طالب، والمراد مطلوب، عبادة المريد مجاهدة، وعبادة المراد موهبة، المريد موجود، والمراد فاني، المريد يعمل للعوض، والمراد لا يعمل؛ بل يرى التوفيق والمنن، المريد يخالف هواهُ، والمراد يتبرَّى مِن إرادته ومعناه.

قلت: ومن هنا قيل: أرسل ذو النون المصري إلى أبي يزيد رضي الله عنهما، فقال: إلى متى النوم والراحة وقد جازت القافلة؟. فقال أبو يزيد: قل لأخي ذي النون: الرجل مَن ينام الليل كله ثم يصبح في المنزل قبل القافلة، فقال ذو النون ﵁: هنيئاً له، هنيئاً له، هذا كلام لا تبلغه أحوالنا. ثم... الطير تبدل بالجذبات، والجذبة تبعده عن أنانيته وتقرّبه إلى هويته، ثم تورثه المشاهدة، ثم المشاهدة تورثه المحاضرة وتفنيه عنه إلى أن يظهر بالعيان، فالعيان يستحقه، العين تمحقه ثم يحققه الحق ويزهق باطله، فيكاشف بأنوار غيب الغيب، وتتجلّى له شمس الربوبية عن سماع العبودية، فتشرق أرض بشريته بنور ربّها المستفاد من سرّ: [الله نور السماوات والأرض]. ثم نودي موسى السر من الشجرة: [أن يا موسى إني أنا الله]، فانمحت الجهات، وتلاشت الصور، وانطمست الأبعاض، وانعدمت الأجزاء، وسطعت عزَّة الوحدانية، وتجلَّى نور الصمدانية، فتدكدك جبال الإنسانية، وخرَّ موسى الروحانية صعقاً، فاحترقت

---

(1) حديث: «**أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد العلم فليأت الباب**» رواه العقيلي، وابن عدي، والطبراني في الكبير، والحاكم في المستدرك كلهم عن ابن عباس رضي الله عنهما، وابن عدي والحاكم أيضاً عن جابر ﵁. انظر: **الجامع الصغير** 1/ 364 ـ الحديث رقم: 2705 .

الغيرية بنار الغيرة، وارتفعت الشركة وبقيت الوحدة له: [لا شريك له كل شيء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون]، هذا حال مَن كوشف بأسرار: «كنت كنزاً مخفياً»[1]، فسُقي بكأس شراب الجلال من بحر الوصال، فاستراح عن ضروب القيل والقال وكثرة السؤال وتغيّر الحال، وأنشد لسان حاله: [شعر]

قد كان ما كان مِمَّا لا أبوح به ... فظُنَّ خيراً ولا تسأل عن الخَبَرِ

وفي ذلك قيل: [شعر]

يا ساقي القوم مِن شذاه ... الكل لما سقيت تاهوا
غابوا وبالسكر فيك طابوا ... وصرَّحوا بالهوى وفاهوا
يا عاذل خلِّني ومشربي ... فلست تدري الشراب ما هو
ما شرب الكأس واحتساه ... إلا محبٌّ قد اصطفاه
قم فاجتلي صفوة المعاني ... في صفوة الكأس إذ جلاه
واسمع إذا غنَّت المثاني ... نقول يا هو لبيك يا هو
ما قلت للقلب أين حبِّي ... إلا وقال الضمير: ها هو

قال الشيخ عبد الرَّحمن السلمي رضي الله عنه: بالله تعالى ظهرت الأشياء، وبه فنيت، وبتجلِّيه حَسُنت، وباستناره سُمجت وقُبِّحت، فلا يلتذّ العارف إلا بظهوره، ولا يتكدَّر إلا ببطونه.

ثم اعلم بأن الأسباب والعلل حُجُب إلهية، وستور رحمانية موضوعة لا تُرفع، واعظمها ستراً وحجاباً عليك، فإذا ظهر النور الإلهي للعارف لا يرى إلا إياهُ. نعم، مَن حصل له الأنس بالله يزول عنه الركون إلى تلك الأسباب والعلل لا وجودها، فإن الله

(1) كنت كنزاً لا أعرف، فأحببت أن أعرف، فخلقت خلقا، فعرفتهم بي فعرفوني. وفي لفظ فتعرفت إليهم فبي عرفوني، قال ابن تيمية ليس من كلام النبي ﷺ ولا يعرف له سند صحيح ولا ضعيف. وتبعه الزركشي والحافظ ابن حجر في اللآلئ والسيوطي وغيرهم. وقال القاري لكن معناه صحيح مستفاد من قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ أي ليعرفوني كما فسره ابن عباس رضي الله عنهما. ذكره العجلوني في كشف الخفاء.

لا يعطّل حكم الحُكم في الأشياء.

قلت: لأن الركـون إلى الأسبـاب والاعتمـاد عليهـا شـرك في التوحيد، قال الله: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾، [يوسف: 106]. والتباعد عنها بالكلِّية طعن في السنّة، ومراغمة للحكمـة، وجهل بسنَّـة الله تعالى. وقد قيـل: التوكل يقوّي ألوهية الأسباب، وللعلماء في ذلك كلام، ولا يقوى على كشف هذا الغطاء إلا سماسرة العلماء الذين اكتحلوا من فضل الله بأنـوار الحقـائق. والمقصـود من ذلك ـ والله أعلم ـ سكون النفس إلى سبب الأسباب.

ثم اعلم بأن ما مثال المكاشفين إلا كَسَحرة فرعون لما تنكشف لهم حقيقة الأمر، فلم يكترثوا بقول فرعون: ﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ﴾، [الأعراف: 125]. بل ﴿قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ﴾، [طه:72]. فلا يخشون أحداً؛ لا ذمًّا ولا ضرباً ولا قتلاً ولا غير ذلك. ولذلك قلَّ أن يرجع أحد منهم عن شطحه؛ لأنه لا يجوز عندهم الانحطاط عن الدرجة التي هم بها.

سُئل بعض المشايخ عن سوء أدب الفقير؟ قال: انحطاطه عن درجة الحقيقة إلى الظاهر، وفي معنى ذلك قال سيدي ذو النون المصري ﷺ: رياء العارفين إخلاص المريدين.

وقال سيدي الفضيل[1] ﷺ: لو حلفت أني مرائي أحبُّ إليَّ من أن أحلف بأني لست بمراء.

---

(1) الفضيل بن عياض بن مسعود بن بشر التميمي ثم اليربوعي أحد الأقطاب، ولد بخراسان بكورة أبيورد، وقدم الكوفة وهو كبير فسمع بها الحديث ثم تعبَّد، وانتقل إلى مكة، وجاور بها، وكان ـ رحمه الله تعالى ونفعنا بمحبته ـ شاطراً يقطع الطريق بين أبيورد وسرخس، وسبب توبته أنه كان يعشق جارية، فبينما هو ذات يوم يرتقي الجدران إليها إذ سمع تالياً يتلو: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾، [الحديد: 16]. فقال: بلى!. والله يا رب! قد آن. فرجع، فآواه الليل إلى خربة فإذا فيها رفقة، فقال بعضهم: نرتحل، وقال بعضهم: حتى نصبح، فإن فضيلاً على الطريق. فآمنهم، وبات معهم. ومن كلامه ـ ﷺ ونفعنا بمحبته وبالصالحين ـ: إذا أحب الله عبداً أكثر همه. أي: بأمر آخرته، وإذا أبغض الله عبداً أوسع عليه دنياه. مات ﷺ سنة 187 من الهجرة. **انظر ترجمته في**: طبقات السلمي 6، وطبقات ابن الملقن 266، وحلية الأولياء 8/ 84.

وقال بعضهم: لا يكون العارف عارفاً حتى يرى أعماله كلها بعين الرياء.

ولله درَّ مَن قال في معنى ذلك: [شعر]

أنـــا بيـــن النـــاس فـــي حـــال صلاحـــــي واسْتوائـــــي

لـــــو رأوا باطـــن حالـــــي لقَّبونـــــي بالمرائـــــي

وقال الشيخ الفقيه عمر بامخرمة الحضرمي في معنى ذلك:

راحـــت أعمارنا يا ربنا في التماويه مـــا لنا صادقة فيمـــا نقوله ونحكيه

ولكن قال أبو سعيد الخرّاز[1] ﷺ: رياء العارفين أفضل من إخلاص المريدين؛ وذلك لأن الإخلاص معلول برؤية الإخلاص، والعارف لا يرى ذلك، فهو منزَّه عن الرياء الذي يبطل به العمل، ولكن لعله يظهر شيئاً من حاله وعمله بعلم كامل عنده من جذب مريد أو معاملة خلق من أخلاق النفس في إظهار ذلك، فللعارفين ﷺ علم دقيق لا يعرفه غيرهم، فيرى ناقص العلم صورة رياء وليس برياء، وإنما هو صريح العلم لله وبالله من حضور النفس ووجود آفة فيه؛ لأنهم علموا «إنما الأعمال بالنيات» لقوله عليه الصلاة والسلام. ولذا قال بعضهم: حديث: «الأعمال بالنيات» نصف العلم. قيل: وذلك أن للدين ظاهراً وباطناً، والنية متعلقة بالباطن، والعمل هو الظاهر. وأيضاً، فالنية عبودية القلب، والعمل عبودية الجوارح. قال سيدنا عليّ كرَّم الله وجهه: [شعر]

لســـان الفتى نصف ونصفٌ فؤاده ولـــم يبق إلا صـــورة اللحم والدَّم

وقال بعضهم: حديث: «الأعمال بالنيات» ثلث الدين، ووجه ذلك أن الدين: قول، وعمل، ونيَّة، فلما تحقَّقوا أن العمل بغير نية كالجسد بلا روح، وأمعنوا النظر في صحة النيّة، حتى قالوا: مَن حضرت له نية في مباح، ولم تحضر له نيَّة في فضيلة؛ فالمباح

---

(1) أبو سعيد الخراز ﷺ، واسمه: أحمد بن عيسى، وهو من أهل بغداد، صحب ذا النون المصري، وأبا عبد الله النباجي وسرياً السقطي وغيرهم ﷺ. وهو من أئمة القوم، وجلَّة مشايخهم، قيل إنه أول من تكلم في علم الفناء والبقاء. مات رحمه الله سنة 279 هجرية. **انظر ترجمته في**: حلية الأولياء 1/ 246، طبقات الشعراني 1/ 117، طبقات السلمي 228.

أوْلى به وانتقلت الفضيلة اليه؛ لأن النية غير داخلة تحت الاختيار، فليس النيّة عندهم قول القائل بقلبه أو لسانه: نويت، هيهات هيهات ذلك!! حديث نفس أو حديث لسان أو فكر أو انتقال من خاطر إلى خاطر، والنية بمعزل من جميع ذلك، وإنما هي انبعاث النفس وتوجُّه القلب إلى ما ظهر له أنَّ فيه غرضه؛ إمَّا عاجلاً وإما آجلاً، والميل لا يمكن اكتسابه بمجرد الإرادات، فذلك كقول الشبعان: نويت أن أشتهي الطعام وأميل إليه، فذلك محال بل لا طريق إلى اكتساب صرف القلب إلى الشيء وميله إليه وتوجُّهه نحوه إلا باكتساب أسبابه، ولهذا امتنع جماعة من السلف من جملة من الطاعات إذا لم تحضرهم النيّة، حتى أن ابن سيرين لم يصلِّ على جنازة الحسن البصري، وقال: لو كان لي نيَّة لفعلت.

وكان طاوس لا يحدِّثُ إلا بنيَّة، فكان يُسأل أن يحدِّث، فلا يحدِّث ولا يسأل فيبتدىء الحديث!؛ وذلك لعلمهم بأن العمل بغير نيَّة رياء وتكلّف وسبب مقت؛ لا سبب قرب.

ومَن عرف هذه الحقائق أورثته أعمالاً واقعاً لا يستنكرها أهل الظاهر، وذلك مثل أن تكون له نيّة في الشرب والأكل والنوم ليريح نفسه ويتقوّى على العبادة، ولا تنبعث له نيّة في الحال في الصوم والصلاة، فيرى أن الأكل والنوم أفضل له، بل لو ملَّ عن العبادة لمواظبته عليها، وعَلِم أنه لو ترفَّه ساعة بلهو وحديث نفس عاد نشاطه؛ علم أن اللَّهو أفضل له، وقد قال ﷺ: «إن المنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى»[1].

---

(1) أخرج ابن المبارك في «الزهد، من حديث عبد الله بن عمرو موقوفاً: «إن هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق، ولا تبغضوا إلى أنفسكم عبادة الله فإن المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى». **والمنبَتُّ**: أي الذي عطب مركوبه من شدة السير، مأخوذ من البت وهو القطع أي صار منقطعا لم يصل إلى مقصوده وفقد مركوبه الذي كان يوصله لو رفق به. وقوله: «أوغلوا»: من الوغول وهو الدخول في الشيء. وقوله: «واغدوا وروحوا وشيئا من الدلجة» وفي رواية: «وخطا من الدلجة». والمراد بالغدو: السير من أول النهار، وبالرواح السير من أول النصف الثاني من النهار، والدلجة: بضم المهملة وسكون اللام ويجوز فتحها وبعد اللام جيم ـ سير الليل، يقال: سار دلجة من الليل أي: ساعة فلذلك قال: شيئاً من الدلجة لعسر سير جميع الليل، فكأن فيه إشارة إلى صيام جميع النهار وقيام بعض الليل وإلى أعم من ذلك من سائر أوجه العبادة، وفيه إشارة إلى الحثِّ على الرفق في العبادة وهو الموافق للترجمة، وعبر بما يدل على السير لأن العابد كالسائر إلى محل إقامته وهو الجنة، وشيئا منصوب بفعل محذوف أي افعلوا. وقوله (والقصد القصد) أي: الزموا الطريق الوسط المعتدل، أخرج ابن ماجه من حديث جابر رضي الله عنه قال: «مر رسول الله ﷺ برجل يصلي على صخرة

وقال ﷺ: «روِّحوا النفوس فإنها إذا كرهت عَمِيت»[1].

ولذلك قلَّ ما انفكّ الأولياء ﷺ عن ضربٍ من الإيذاء وأنواع البلايا بالإخراج من البلاد، والسعاية بهم إلى السلطان، والشهادة عليهم بالكفر والزندقة والخروج من الدين، وواجب أن يكون أهل المعرفة عند أهل الجهل من الكافرين، كما يجب أن يكون المعتاض من الإبل الكثيرة جوهرة صغيرة من المبذرين عند الجاهلين، ولذلك قيل: **لا يكون الصديق صديقاً حتى يقول في حقّه سبعون صديقاً أنه زنديق.**

قال أبو الحسين الدراج رضي الله عنه: قصدت زيارة يوسف بن الحسين الرازي من بغداد، فلما دخلت الري سألت عن منزله، فكلُّ مَن أسأله يقول: إيش تريد بذلك الزنديق؟ فضيَّقوا صدري حتى عزمت على الانصراف، ثم قلت في نفسي: قد جئت إلى هذه البلد فلا أقل من زيارته، فلم أزل أسأل عنه حتى وصلت إلى مسجده، فوجدته جالساً في المحراب وبين يديه مصحف يقرأ فيه، فدنوب وسلَّمت عليه، فردّ عليَّ السلام وقال: من أين؟ فقلت: من بغداد، قال: أتحسن قولة شيء؟ قلت: نعم، وأنشدت: [شعر]

رأيتــك تبنـــي دائماً فـــي قطيعتي ... ولو كنت ذا حــزمٍ لهدمت ما تبني

كأني بكم والليـــت أفضل قولكم ... ألا ليتنــا والليـــت إذ ذاك لا تغني

فأطبق رضي الله عنه المصحف ولم يزل يبكي حتى بلَّ لحيته وثوبه، ثم التفت إليَّ وقال: يا

فأتى ناحية فمكث ثم انصرف فوجده على حاله فقام فجمع يديه ثم قال: أيها الناس عليكم القصد، عليكم القصد». انظر: **فتح الباري، شرح صحيح البخاري للإمام** ابن حجر العسقلاني: المجلد الحادي عشر. كِتَاب الرِّقَاقِ. باب الْقَصْدِ وَالْمُدَاوَمَةِ عَلَى الْعَمَلِ.

(1) قوله ﷺ: «**روحوا القلوب ساعة فساعة**» ـ وفي رواية: «ساعة وساعة»– أي: أريحوها بعض الأوقات من مكابدة العبادات، بمباح لا عقاب فيه ولا ثواب. قال أبو الدرداء رضي الله عنه: «إني لأجِمُّ فؤادي ببعض الباطل» أي اللهو الجائز «لأنشط للحق». وذكر عند المصطفى ﷺ القرآن والشعر، فجاء أبو بكر رضي الله عنه فقال: «أقراءة وشعر؟» فقال: «نعم، ساعة هذا وساعة ذاك». وقال علي كرم الله وجهه: «**أجِمّوا هذه القلوب، فإنها تمل كما تمل الأبدان**» أي تكلُّ. «لأجِمُّ فؤادي» و «أجموا»: قال في النهاية: وفي حديث طلحة رضي الله عنه «رمى إلي رسول الله ﷺ بسفرجلة وقال: دونكها، فإنها تِجُم الفؤاد» أي: تريحه، وقيل تجمعه وتكمل صلاحه ونشاطه. انتهى من النهاية. ومنه «الاستجمام». أخرجه أبو داود في مراسيله عن الزهري مرسلا، وأبو بكر بن المقري في فوائده، عن أنس رضي الله عنه. الجامع الصغير للإمام السيوطي ـ الحديث رقم: 4484.

بني! أتلوم أهل الري على قولهم: يوسف بن الحسين زنديق، وها أنا ذا من وقت صلاة الصبح أقرأ القرآن لم تقطر من عيني قطرة، وقد قامت عليَّ القيامة بهذين البيتين!.

قال في القاموس: والزنديق ـ بالكسر ـ من الثنوية، أو القائل بالنور والظلمة أو من لا يؤمن بالآخرة أو من يُبطن الكفر ويُظهر الإيمان[1].

وقيل: إن الزنديق لفظة معربة أصلها: «زند»، وذلك أن المجوس لهم كتاب اسمه «زند»، ومعرفة ذلك موقوفة على الواضع، وذلك الكتاب أخرجه أزدشير لهم، وادَّعى أنه من عند الله ودعواه باطلة.

والحاصل أن من اتَّبع ذلك الكتاب يسمّى زندي، فزادت العرب قافاً، فقالوا: زنديق، وحاشا سيدي يوسف بن الحسين ﵁ من ذلك كله.

وأما قوله ﵁: يا بنيّ! أتلوم أهل الري... إلى آخره، فإنه أراد به هضماً لنفسه وتقوية لعقيدة الزائر بإظهار ما أطلعه الله عليه من الكشف، وهذا أحد الأسباب المبيحة للولي إظهار الكرامة، وإلا فللعُلماء في ذلك كلام طويل واختلاف كثير من أن الغناء[2] أشد

(1) **الزِنْديقُ**، بالكسر: من الثَّنَوِيَّةِ، أو القائلُ بالنُّورِ والظُّلْمَةِ، أو مَن لا يُؤْمِنُ بالآخِرَةِ وبالرُّبوبيَّةِ، أو مَن يُبْطِنُ الكُفْرَ ويُظْهِرُ الإِيمانَ، أو هو مُعَرَّبُ: زَنْ دين، أي: دِينِ المرْأةِ، ج: زَنادِقَةٌ أو زَناديقُ، وقد تَزَنْدَقَ، والاسْمُ: الزَّنْدَقَةُ. ورَجُلٌ زِنْديقٌ وزَنْدَقِيٌّ: شَديدُ البُخْلِ.

(2) **أما الغناء والإنشاد**: فإن كان ملتزماً وبشروطه المشروطة شرعاً، فإنَّ له أصلاً في السنة الصحيحة، ففي البخاري وغيره أنَّ سيدنا رسول الله ﷺ كان أصحابه ﵃ – وهو يشارك في بناء مسجده الشريف ﷺ – ينشدون:

اللهم لولا أنت ما اهتدينا ... ولا تصدّقنا ولا صلينا
فأنزلن سكينة علينا ... وثبِّت الأقدام إن لا قينا

إلى آخر ما قالوا، بأصوات منغّمةٍ ـ طبعاً على لحون العرب!!-. كما ورد أنه ﷺ كان يردِّد نحو هذه المقاطع على من كان ينشد مع المردّدين من الصحابة ﵃، سواء في بناء المسجد، أو حفر الخندق، أو غيره، وقد استمع ﷺ حُداء «عبد الله بن رواحة ﵁» وأقرَّه، وحسبك في رضاه ﷺ عنه قوله لابن رواحة ﵁ يوماً ـ عند تزايد خطو العيس ـ أي الإبل ـ على حُدائه، أن قال له ﷺ: «رويدك، رفقاً بالقوارير»، يريد النساء من خلف الركب، منهنّ من لا يقوين على شدة خطو الإبل المأخوذة بجَمَال الحُداء، وحُسن الصَّوت، ورقة الأداء والتلحين. وقد تواتر أنه ﷺ استمع إلى غناء الجواري عند دخوله المدينة، كما استمع إلى المرأة التي نذرت أن تضرب له الدف وتغني. وقد ثبت أنه ﷺ كان يستمع لبعض الأراجيز في بعض المناسبات، والأراجيز شعر ينشد منغَّماً بلحن عربي موروث، فهو ضربٌ جادٌّ من الغناء العفيف، فضلاً عما كان يستمعه ﷺ من الشعر ـ بلحون العرب ـ وأصواتها بمسجده ﷺ؟. وتأثُّر النفس الشريفة باللَّحن والصَّوت الجميل طبيعةٌ في الإنسان الكامل، لا ينكرها رجلٌ سَويٌّ قط، ألا ترى أنه سوف يكون من متع الجنة أن يستمع أهلها كلام الرحمن ﷻ ، وكيف اختار رسول الله ﷺ سيدنا بلالاً ﵁ للأذان، وكيف كان العرب يضربون المثل بصوت وأداء أبي

تهييجاً للوجد من القرآن؛ لوجوه:

أحدها: أن جميع آيات القرآن لا تناسب حال المستمع ولا يصلح لفهمه أن ينزله على ما هو ملابس له، ولو أنزله كان في حقّه محذوراً، فمن استولى عليه خوف أو شوق أو ندم فمن أين يناسب حاله قوله: ﴿**يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين**﴾، [النساء: 11]. وكذا جميع الآيات التي في أحكام الميراث والطلاق والحدود وغيرها، بل قيل لسيدتنا عائشة رضي الله عنها وعن أبيها: إن أقواماً إذا سمعوا القرآن صُعقوا، فقالت: القرآن أكمل من أن تذهب منه عقول الرجال.

ثانيها: أن الشعر الموزون يختلف تأثيره في النفوس باختلاف الألحان التي تسمَّى الطرق، وإنما اختلاف تلك الطرق بمدِّ المقصور وقصر الممدود والوقف في أثناء الكلمات، وهذا التصرف جائز في الشعر، ولا يجوز أن يُتلى القرآن إلا كما أُنزل، والتصرف فيه حرام أو مكروه، وإذا رتّل القرآن كما أُنزل سقط عنه، ألا ترى الذي هو سبب وزن الألحان، ولأن القرآن ونظمه خارج عن أساليب الكلام ومنهاجه، ولو تتبّعت أقاويلهم في ذلك لطال الفصل، والقصد الاختصار.

نعم، مَن كان له ذكاء ثاقب يتفطّن به للمعاني البعيدة من الألفاظ، فقد يحضر وجده عند كل مسموع، كمن يخطر له عند قوله: [يوصيكم الله في أولادكم]: حالة الموت المحوج إلى الوصية، فيغلب عليه الخوف، أو يسمع ذكر كلمة [الله] في قوله: [يوصيكم الله]، فيدهشه مجرّد الاسم، أو تخطر له رحمة الله وشفقته، حيث تولّى

محذورة ﷺ، أحد مؤذِّني النبي ﷺ، وكيف أنه ﷺ أقام منبراً لسيدنا حسان ﷺ في المسجد ينشد الشعر عليه منافحاً عنه وعن الإسلام. ولقد استمع ﷺ لصوت ابن مسعود ﷺ، فقال ﷺ: «لقد أوتي مزماراً من مزامير آل داود»- رواه أحد والنسائي وأبو داود -. وكان رسول الله ﷺ يرتل القرآن ترتيلاً يأخذ بمجامع قلوب الصحابة فيتمنون لو أنه أطال وبالغ. وفي الصَّحيحين حديث: «ما أذن الله لنبي ما أذن لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرآن». ثم .... ألا ترى أنَّ الله أبغض الصَّوت الكريه، فقال تعالى: ﴿**إنَّ أنكر الأصوات لصوت الحمير**﴾. ومن مجموع هذا، وما هو منه ـ وهو كثير- يمكن الحكم على الإنشاد الملتزم بالمشروعية على أقلِّ صور الأحكام، إن لم يكن السُّنِّيَّة، أو النَّدب، أو الاستحسان، فإنَّ من الإنشاد ما يرتقي بالمرء إلى أسمى معارج الأرواح، إذا كان رقيق القلب شفيف الرُّوح. وقد أثر عن بعض كبار شيوخ الأزهر قوله: «من لم تطربه الأوتار، على شواطىء الأنهار، في ظلال الأشجار، وغريد الأطيار، وجوار الأزهار، والنسيم المعطار، ذاكراً فردوس العزيز الغفار: فهو حمار من حمار...!!». انظر: أبجدية التصوف لسيدي الإمام محمد زكي إبراهيم ﷺ ـ صفحة 48-50.

قسمة مواريثهم بنفسه، نظراً لهم في حياتهم ومماتهم، فيقول: إذا نظر لأولادنا بعد موتنا، فلا شكَّ في أنه ينظر لنا، فيهيّج منه حالة الرجاء.

وقد نُقل عن سيدنا زين العابدين ﵁؛ أنه قال: إن أرجى آية في كتاب الله قوله ﷿: [يوصيكم الله في أولادكم]، ولكن هذا لمن فيه وصفان، **أحدهما**: حالة غالبة قاهرة، **والثاني**: تفطّن بليغ وذكاء ثاقب يتفطن به للمعاني البعيدة، وذلك مما يعزّ، فلذلك يفزع المستمعون إلى الغناء المناسب للأحوال.

رُوي أن أبا الحسين النوري[1] ﵁ كان مع جماعة في دعوة، فجرت بينهم مذاكرة في العلم حتى استغرقوا بذلك وقتاً وأبو الحسين ﵁ ساكت، ثم رفع رأسه وأنشدهم: [شعر]

ربّ ورقــاء هتــوف بالضُّحــى ذات شــجو صَدَّحــت فــي فنن

ذكــرت إلفــاً ودهــراً صالحــاً فبكــت حزنــاً فهاجــت حزنــي

فبكائــــي ربمــــا أرَّقهــــا وبكاهــــا ربمــــا أرَّقنــــي

ولقــد تشــكو فمــا أفهمهــا ولقــد أشــكو فمــا تفهمنــي

غيــر أنــي بالجــوى أعرفهــا وهــي أيضــاً بالجــوى تعرفنــي

قال الراوي: فما بقي في القوم أحد إلا قام وتواجد، ولم يحصُل لهم هذا الوجد عند مذاكرة العلم. ولا يعزب عنك ما قلنا آنفاً أنه لا يجوز عندهم الانحطاط عن الدرجة التي هم بها، فمن هنا لما قيل للحلاج: ارجع عمّا قلت؛ أبى أن يرجع، فطُلِب ليُصلب، فلما رأى الخشبة والمسامير ضحك ضحكاً شديداً ثم نظر في الجماعة، فرأى الشبلي فقال: يا أبا بكر! أمعك سجادة؟ قال: نعم، قال: فافرشها، وفرشها له،

---

(1) في الأصل: «أبو الحسن» وصوابه: **أبو الحسين النوري**: وهو أحمد بن محمد، بغدادي المنشأ والمولد خراساني الأصل يعرف بابن البغوي، كان ﵁ من أجلِّ مشايخ القوم وعلمائهم لم يكن في وقته أحسن طريقة منه ولا ألطف كلاماً. مات ﵁ في مسجد الشونيزى جالساً وبقي أربعة أيام لم يعلم أحد بموته، فلم يمكن مدُّه على المغتسل، فلما حملت جنازته نادى الشبلي خلفه: اضربوا على الأرض المنابر فقد رفع العلم من الأرض. توفي ﵁ سنة خمس وتسعين ومائتين من الهجرة. **انظر ترجمته في**: حلية الأولياء ـ لأبي نعيم 10/ 249 ـ وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي 5/ 130 وما بعدها، وطبقات السلمي 164 وما بعدها.

فتقدَّم وصلَّى ركعتين ثم دعا بدعاءٍ طويل، فكان من جُمْلته: أسألك اللَّهمَّ أن توفِّقني لشكر هذه النعمة التي أنعمت بها عليَّ، حيث كشفت لي من مطالع وجهك وحرمتَ على غيري ما أبحت لي من النظر من مكنونات سرّك، وهؤلاءِ عبادك قد اجتمعوا لقتلي تعصّباً لدينك وتقرّباً إليك، فاغفر لهم فإنك لو كشفت لهم ما كشفت لي ما فعلوا، ولو سترت عني ما سترت عنهم لما ابتُليت بما ابتليت، فلك الحمد فيما تفعل ولك الحمد فيما تريد.

وأنشد لسان حاله: [شعر]

اقـتـلـوني يـا ثـقـاتـي
إنَّ فـي قـتـلـي حـيـاتـي
وحـيـاتـي فـي مـمـاتـي
أنـا عـنـدي مـحـو ذاتـي
مـن أجـل الـمـكـرمـات
وبـقـائـي فـي صـفـاتـي
مـن قـبـيـح الـسـيـئـات

ثم قام أبو الحرث السيّاف وضربه ضربة هشم بها وجهه، فصاح الشبلي ﵁ ومزَّق جيبه، وغشِّي على أبي الحسين الواسطي ﵁، وعلى جماعة من المشايخ المشهورين، فلما قُتل قال بعض الصالحين: [شعر]

هيهات ما قتلوه ... كلَّا ولا صلبوه
لكنهم حين غابوا ... عن وجهه شبَّهوه
أحبابه حين غاروا ... عليه قد غيَّبوه
سقوه صرفاً وراموا ... كتمان ما أودعوه
فما أطاق ثبوتاً ... لثقل ما حملوه
وتاه سكراً ونادى ... أنا الذي تعرفوه

فإن قلت: لِمَ طلب السّجادة ولم يصلِّ على الأرض أو على أيِّ شيء كان؟.

قلت: ذلك اقتفاءً لأثر النبي ﷺ، فقد رُوي عن أبي سلمة بن عبد الرَّحمن عن عائشة رضي الله عنها وعن أبيها؛ أنها قالت: كنت أجعلُ لرسول الله ﷺ حصيراً يصلِّي عليه(1).

وعن ميمونة رضي الله عنها؛ أنها قالت: كان رسول الله ﷺ تبسط له الخُمرة في المسجد يصلي عليها(2).

قيل: **والخُمرة**: سجادة من ليف النخل. **وقال في القاموس**: الخُمرة: حصيرة صغيرة من خوص النخل.

فمتى نطق أحد من العارفين بشيء من الشطح المخالف للشرع، فإنه مغلوب عليه، فيُهمل فهو من حيث تحقيق حاله محقّق في علمه، والذي حكم بقتله مصيب في حكمه؛ إذ الشريعة لها حدود، ومَن تعدَّاها أُقيمت عليه الحدود، كإنكار موسى على الخضر عليهما السلام قياماً بما عليه؛ إذ هو مشرع ومقتدى به، فلو سكت عن الإنكار استحق الإنكار، ولذلك تأدّب معه الخضر عليه السلام بقوله: ﴿**إنك لن تستطيع معي صبراً**﴾، [الكهف:67]. ومهما صفت الأواني حكت ما فيها من المعاني.

وفي ذلك المعنى قيل:

أباحت دمـــي قلبي إذ بـــاح بحبّها   وحلَّ لها في حكمها ما اســـتحلَّت

وما كنت ممـــن يظهر الســـرَّ إنما   عروس هواها في ضميري تجلَّت

---

(1) روى مسلم وغيره ـ واللفظ لمسلم ـ بسنده عَنْ عَائِشَةَ أَنّهَا قَالَتْ: **كَانَ لِرَسُولِ اللّهِ ﷺ حَصِيرٌ**. وَكَانَ يُحَجّرُهُ مِنَ اللّيْلِ فَيُصَلّي فِيهِ. فَجَعَلَ النّاسُ يُصَلّونَ بِصَلاَتِهِ. وَيَبْسُطُهُ بِالنّهَارِ. فَثَابُوا ذَاتَ لَيْلَةٍ. فَقَالَ: «يَا أَيّهَا النّاسُ عَلَيْكُمْ مِنَ الأَعْمَالِ مَا تُطِيقُونَ. فَإِنّ الله لاَ يَمَلّ حَتّى تَمَلّوا. وَإِنّ أَحَبّ الأَعْمَالِ إِلَىَ الله مَا دُووِمَ عَلَيْهِ وَإِنْ قَلّ». وَكَانَ آلُ مُحَمّدٍ ﷺ إِذَا عَمِلُوا عَمَلاً أَثْبَتُوهُ. **صحيح مسلم**: الجزء الأول 6 كتاب صلاة المسافرين وقصرها 30 باب فضيلة العمل الدائم من قيام الليل وغيره ـ الحديث رقم: 215 ـ (782).

(2) روى الإمام أحمد في مسنده بسنده عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يدخل على أم سليم فتبسط له نطعا فيقيل عليه فتأخذ من عرقه فتجعله في طيبها وتبسط له الخمرة فيصلي عليها». **مسند الإمام أحمد**: المجلد الثالث. مسند أنس بن مالك رضي الله عنه.

فشــاهدتها فاســتغرقتني فكــرة　　فغبت بها عــن كل كلّي وجملتي
وحلت محــلَّ الكل منــي بكلِّها　　فإيــاي إياهــا إذا مــا تبــدَّت
ونمَّت على سرِّي فكانت هي التي　　عليهــا بهــا بيــن البريــة نمــت
إذا ســألت من أنت قلت أنا الذي　　بقايــا إذا أفنيــت فيــك هويتــي
ومــن عجــب أن الذيــن أحبّهم　　وقد علقــوا أيدي الهــوى بأعِنَّتي
ســقوني وقالوا لا تغن ولو ســقوا　　جبــال حنين مــا ســقوني لغنَّت
جبال حنيــن ليس تعرف ما الهوى　　ولو علمــت ما في الغــرام لأنَّتِ

واعلم أن الله إذا قضى أمر النبي أو وليّ لم يجعل عليه في ذلك من حرج ولا سبب نقصان؛ لأن العبد مجرى لأيادي القدرة. قيل لأبي يزيد[1] ﷺ: أيزني العارف؟ فقال: [وكان أمر الله قدراً مقدوراً]؛ أي: قضاءً حتماً، وذلك منه ﷺ تأدّب، حيث لم يقل نعم ولا لا؛ لمعرفته بما ثمَّ، فكما يجب احتمال قضائه عزّ وجل بالصبر؛ فيجب احتمال العارف في مقابل أمره. قال الله: ﴿مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنۡ حَرَجٖ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥۖ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلُۚ وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ قَدَرٗا مَّقۡدُورًا﴾، [الأحزاب: 37–38].

قال سيدي محيي الدين بن عربي ﷺ وأرضاه وعنا به: فمعصيتهم ﷺ بحكم القدر النافذ فيهم؛ لأنهم لا يقصدون انتهاك حرمات الله أبداً، بل منهم من يعصى غفلة، ومنهم من قال له الحق: افعل ما شئت فقد غفرت لك، ولا يقول الحق افعل ما شئت على هذا الحدّ بهذه القرينة، إلا على طريق الإباحة، ومَن فعل مباحاً لا يؤاخذ، وهو في العموم ـ أعني: ذلك الفعل ـ معصية، فينطلق على هذا العبد لسان المعصية لا

(1) المشهور أن ذلك منسوب لسيدي الإمام الجنيد ﷺ، وذلك في معرض جوابه ﷺ عن جواز ارتكاب الولي لمعصية ما، حيث أنه لا معصوم من البشر إلا الأنبياء، أما سواهم فغير معصومين، وإنما يكونون محفوظين بحفظ الله تعالى، فلما قيل للإمام الجنيد ﷺ ونفعنا بمحبته: أيزني الولي؟ فأطرق، ثم قال: «وكان أمر الله قدراً مقدورا». أي أنه لا معصوم من المعاصي سواء كانت كبيرة أم صغيرة إلا الأنبياء وأما سواهم فلا، إلا أن يحفظهم الله بحفظه، وفقنا الله لما فيه رضاه، وختم لنا ولمن أحبنا وأحببناه في الله تعالى بالحسنى بمنه وفضله وكرمه، آمين.

حقيقتها، قال عليه الصلاة والسلام في أهل بدر: «مَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللَّهَ اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ»[1]، فمَن هذه حالته ما فعل أو ما ترك إلا ما أُبيح له التصرف فيه، فإن الحكم يترتب على الأحوال والخلل في عين الناظر؛ لأنه تخيّل له أنه قد اجتمع معه في الحكم وما عنده خبر أنه ممن قيل له: اعمل ما شئت، فأُبيح له ما حجر على غيره. ثم قيل له: فقد غفرت لك؛ أي: سَترك من خطاب التحجير. **ومنهم** من يخالف على حضور عنه عن كشف إلهي قد عرفه الله فيه ما قدَّره عليه، فهو على بصيرةٍ من أمره وبيِّنة من ربِّه؛ إذ علم المقدور وقبل وقوعه، ولذا لما قال إبليس لربه: لو أردت مني السجود لسجدت!، فقال: متى عرفت أني لم أرده منك بعد وقوع الإباية منك أو قبلها؟ قال: بعدها، قال: فبذلك أخذتك. فمَنْ أطلعه الله منهم على ما قدر عليه من المعاصي؛ سارع إليها من شدّة الحياء من الله ليتركها خلف ظهره ويستريح من مشاهدتها، وإن كانت لا تضرّ مَن هذه صفته ومنزلته عند الله، فهو لم يأت في نفس الأمر إلا مباحاً؛ لأنه فعله بما يلزمه من حكم الله، وهو ما اقتضاه شهود المظهر الذي هو فيه؛ إذ واجب على كلٍّ منَّا أداء حق الله الذي تعيَّن عليه.

قال صاحب «الإنسان الكامل»: وهؤلاء أهل تجلِّي الأفعال، منهم من يبدّل الله معصيته طاعة، فلا تجري عليه عند الله اسم معصيته.

ومنهم من تكون نفس معصيته طاعة.

وقال سيدي الشيخ العارف بالله تعالى أحمد بن علوان: إذا كانت المحبّة قديماً

---

(1) أخرج الشيخان ـ واللفظ للبخاري ـ عَنْ سَعْدِ بْنِ عُبَيْدَةَ عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ وَكَانَ عُثْمَانِيًّا فَقَالَ لابْنِ عَطِيَّةَ وَكَانَ عَلَوِيًّا إِنِّي لأَعْلَمُ مَا الَّذِي جَرَّأَ صَاحِبَكَ عَلَى الدِّمَاءِ سَمِعْتُهُ يَقُولُ بَعَثَنِي النَّبِيُّ ﷺ وَالزُّبَيْرَ فَقَالَ ائْتُوا رَوْضَةَ كَذَا وَتَجِدُونَ بِهَا امْرَأَةً أَعْطَاهَا حَاطِبٌ كِتَابًا فَأَتَيْنَا الرَّوْضَةَ فَقُلْنَا الْكِتَابَ قَالَتْ لَمْ يُعْطِنِي فَقُلْنَا لَتُخْرِجِنَّ أَوْ لأُجَرِّدَنَّكِ فَأَخْرَجَتْ مِنْ حُجْزَتِهَا فَأَرْسَلَ إِلَى حَاطِبٍ فَقَالَ لا تَعْجَلْ وَاللَّهِ مَا كَفَرْتُ وَلا ازْدَدْتُ لِلإِسْلامِ إِلا حُبًّا وَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِكَ إِلا وَلَهُ بِمَكَّةَ مَنْ يَدْفَعُ اللَّهُ بِهِ عَنْ أَهْلِهِ وَمَالِهِ وَلَمْ يَكُنْ لِي أَحَدٌ فَأَحْبَبْتُ أَنْ أَتَّخِذَ عِنْدَهُمْ يَدًا فَصَدَّقَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ عُمَرُ دَعْنِي أَضْرِبْ عُنُقَهُ فَإِنَّهُ قَدْ نَافَقَ فَقَالَ **مَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللَّهَ اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ** فَهَذَا الَّذِي جَرَّأَهُ». **صحيح البخاري**: الجزء الثاني60 كتاب الجهاد والسير 191 باب: إذا اضطر الرجل إلى النظر في شعور أهل الذمة، والمؤمنات إذا عصين الله، وتجريدهن- الحديث رقم: 2915. **وصحيح مسلم**: الجزء الرابع44 كتاب فضائل الصحابة ﷺ 36 باب من فضائل أهل بدر ﷺ، وقصة حاطب بن أبي بلتعة- الحديث رقم: 161 ـ (2494).

لم تؤثر أعراض التجنّب حديثاً، وإذا كانت البغضة من الله قديماً لم تؤثر فيها أعراض التحبب حديثاً؛ كانت معصية آدم عليه السلام وصالحي ولده اعراضاً في قديم محبتهم ومحبته؟ قيل: وهذه الحالة في حقِّهم بمنزلة البشرى في قوله: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾، [الفتح: 2]. فقد أعلمه بالذنوب الواقعة المغفورة، فهي لا حكم لها لأنها إذا جاء وقت ظهورها يكون في صحبتها الاسم [الغفار]، فتنزل بالعبد وتحجب [الغفار] حكمها، فيكون بمنزلة من يُلقى في النار ولا يحترق؛ كإبراهيم عليه السلام، فالعارف وصاحب مقام الكشف تحلّ به النازلة وحكمها بمعزل عنه، فلا تؤثر في مقامه، بخلاف من تحلّ به وهو على غير بيِّنة.

قال سيدنا محيي الدين بن عربي رضي الله عنه: فلا تظن بأحد من أهل الله سبحانه وتعالى أنه إذا نزل وحطّ عن مقامه أن ذلك انحطاط يقضي بشقائه، بل يكون هبوطه كهبوط آدم عليه السلام، فالانحطاط في حقِّهم رضي الله عنهم ليس إلا عروج وارتفاع، فإن الله سبحانه وتعالى لا يتحيّز ولا يتقيّد، ولم يكن الهبوط عقوبة لآدم وحواء عليهما السلام، وإنما كان عقوبة لإبليس، فإنّ آدم عليه السلام أُهبط بصدق الوعد بأن يجعل في الأرض خليفة، وإذا كان كذلك فيكون عين هبوط الوليّ عند الزلّة وما قام به من الزلة والانكسار عين الترقي إلى أعلى مما كان فيه؛ لأن علوّه بالمعرفة والحال، وقد يزيده ذلك من العلم بالله ما لم يكن عنده، والظنّ بالأنبياء والرسل وكذا الأولياء بحكم التبعية أنهم لا يُنقَلون من حالة إلا إلى ما هو أعلى منها، بموجب قوله: ﴿وَلَلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ﴾، [الضحى: 4]. وإنما الولي لما كان في المقام الذي كان فيه، والحال التي كان عليها ملتذًّا بها، فلذّته إنما كانت بحالة، وهي حالة الطاعة والموافقة، فلما فقدها تخيَّل أنه انحطَّ من عين الله، وإنما انحطَّ عن تلك الحالة التي تقتضي عنده الرفعة، وهو الآن في معراج الذلّة والافتقار مترقِّيًا إلى حالة هي أشرف من الحالة التي كان عليها، فهم رضي الله عنهم لا يتعدُّون حدود الله جملة واحدة، فإن صار مِن أحدهم في الظاهر تعدٍّ لحدٍّ من حدود الله، فذلك هو بالنسبة إليه مباح لا معصية فيه، وأنت لا تعلم فهو على بيِّنة من ربّه في ذلك، فما أتى محرماً من هذه صفته، فإنه ممن قيل له: اعمل ما شئت، فما عَمِل إلا ما أُبيح له، وإنما أظهر الله عليه لسان الذنب ليستره عن الخلق؛ لأنهم أحبابه، والمحب غيور على محبوبه

أن يراه غيره، فهم العرائس المخدورات خلف حجاب الغيرة، فيقال فيهم: مذنبون وليسوا والله بمذنبين، **بل مُصانون محفوظون**، ولكن نطالبهم نحن بظاهر الشريعة، وإن كنا مسلِّمين لهم في الباطن، وذلك لما يلزمنا من حكم الله تعالى.

فإذا عرفت ذلك، فاعلم يا أخي ـ حماك الله تعالى من التعرض للفضول ـ أن الذي خصَّصوا به من كيمياء الحقائق إنما هو بالحضور في حضرة القبول؛ لا بالمعقول ولا بالمنقول. قال سيدي الإمام حجّة الإسلام الغزالي قدّس الله سره: مهما سمعت أمراً غريباً من أمور ذوي الذي جحده أهل الكياسة في سائر العلوم، فلا ينفِّرك جحودهم عن قبوله؛ إذ من المحال أن يظفر سالك طريق الشرق بما يوجد في طريق الغرب؛ لأنهم وإن عدُّوا من الأكياس، لكنهم في علم المكاشفة جهّال؛ إذ ما ليس تدركه الحواس تضعف الأفهام عن دركه. وقد قال الله: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا﴾، [الإسراء: 85]. ﴿وَفَوۡقَ كُلِّ ذِي عِلۡمٍ عَلِيمٞ﴾، [يوسف:76]. وما يُفتح ذلك الباب إلا تفريداً لله وذكره، ولهذا قال ﷺ: «سبق المفردون، سبق المفردون!» قيل: ومن هم يا رسول الله؟ قال: «المستهترون بذكر الله وضع الذكر أوزارهُم، فوردوا القيامة خفافاً»[1]، ثم قال ﷺ في وصفهم حكاية عن الله؛ إذ وصفهم فقال: «أُقبل عليهم بوجهي، أترى من واجهته بوجهي يعلم أحد أي شيء أريد أن أعطيه»، ثم قال: «أول ما أعطيهم أن أقذف في قلوبهم من نوري، فيخبرون عني كما أخبر عنهم».

---

(1) أخرج الإمام مسلم في صحيحه بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ يَسِيرُ فِي طَرِيقِ مَكّةَ. فَمَرّ عَلَىَ جَبَلٍ يُقَالُ لَهُ جُمْدَانُ. فَقَالَ: «سِيرُوا. هَذَا جُمْدَانُ. سَبَقَ الْمُفَرّدُونَ» قَالُوا: وَمَا الْمُفَرّدُونَ؟ يَا رَسُولَ اللّهِ قَالَ «الذّاكِرُونَ اللّهَ كَثِيراً، وَالذّاكِرَاتُ». **صحيح مسلم**: الجزء الرابع 48 كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار 1 باب الحث على ذكر الله تعالى– الحديث رقم: 4 ـ (2676). **قال الإمام النووي** رضي الله عنه **في شرحه لمسلم**: هكذا الرواية فيه المفَرِّدون بفتح الفاء وكسر الراء المشددة، وهكذا نقله القاضي عن متقني شيوخهم، وذكر غيره أنه روي بتخفيفها وإسكان الفاء، يقال: فرد الرجل وفرد بالتخفيف والتشديد وأفرد، وقد فسرهم رسول الله ﷺ بالذاكرين الله كثيرا والذاكرات تقديره والذاكراته فحذفت الهاء هنا كما حذفت في القرآن لمناسبة رؤوس الآَي ولأنه مفعول يجوز حذفه، وهذا التفسير هو مراد الحديث. قال ابن قتيبة وغيره: وأصل المفردين الذين هلك أقرانهم وانفردوا عنهم فبقوا يذكرون الله تعالى. وفي رواية الترمذي: عَن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قالَ: قالَ رَسُولُ الله ﷺ : «سَبَقَ المفَرّدُونَ، قَالُوا وَمَا المفَرّدُونَ يَا رَسُولَ الله؟ قالَ المسْتَهْتِرُونَ في ذِكْرِ الله. يَضَعُ الذّكْرُ عَنْهُمْ أَثْقَالَهمْ فَيَأْتُونَ يَوْمَ القيامَةِ خِفَافا». قال أبو عيسى: هَذا حديثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ. سنن الترمذي: المجَلَّد الخَامِس. أبواب الدعوات عَن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ 12 بابٌ– الحديث رقم: 3666.

فهذا يدلّك على أن علومهم تأتي من داخل القلب من الباب المنفتح إلى عالم الملكوت، وعلم العلماء يأتي من أبواب الحواس المفتوحة إلى عالم المُلْك، فإذا الفرق بين العالمين ظاهر، فيحتاج الإنسان أن يفرّق ما بين شراب نقيعة وشراب بقيعة، وليس هذا التمييز إلا لمن انفتحت بصيرته وشرح الله بنور الإيمان صدره، حتى اقتدر أن يسعى بنوره الذي بين يديه في ظلمات الجهل مستغنياً عن قائد يقوده في كل خطوة، فالسالك إما أعمى لا يستغني عن القائد في كل خطوة، وإما بصير يهدي إلى أول الطريق ثم يهتدي بنفسه، فكذلك الناس ينقسمون في طريق الآخرة إلى هذه الأقسام، فمن قاص لا يقدر على مجاوزة التقليد في خطوة واحدة، فيفتقر إلى أن يسمع في كل قدم نصًّا من كتاب الله وسُنَّة رسول الله ﷺ، فربما يعوزه ذلك فيتحير، فسير ذلك وإن طال عمره وعظم جدّه مختصراً، وخطاه قاصرة، ومن سعيد شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربِّه يتنبه بأدنى إشارة، ولهذا قيل: ينبغي لكل عاقل إذا أتاه بهذه العلوم الإلهية غير المعصوم إذا لم يؤمن به أن يقول: هذا جائز عندي أن يكون صدقاً ولا كذباً؛ لأنه كما لا يلزمه بتصديقه لا يلزمه بتكذيبه.

قال سيدي محيي الدين بن عربي رضي الله عنه: والقدرة واسعة أن تعطي لهذا الولي ما أعطيت للنبي من علوم الأسرار، فإن ذلك ليس من خصائص النبوّة ولا حجر الشارع على أُمته هذا الباب، بل قال: «إن يكن في أمتي محدثون فعمر منهم»[(1)]، فقد أثبت ﷺ أن ثم من يحدث ممن ليس بنبي، وهي قراءة بعض الصحابة: «وما أرسلت قبلك من رسول ولا نبي ولا محدث» الآية[(2)].

---

(1) روى البخاري بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِنَّهُ قَدْ كَانَ فِيمَا مَضَى قَبْلَكُمْ مِنْ الْأُمَمِ مُحَدَّثُونَ وَإِنَّهُ إِنْ كَانَ فِي أُمَّتِي هَذِهِ مِنْهُمْ فَإِنَّهُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ**». **صحيح البخاري:** الجزء الثاني 64 كتاب الأنبياء 52 باب: [أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم] ـ الحديث رقم: 3282.

(2) **قال ابن عطية:** وجاء عن ابن عباس أنه كان يقرأ «وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي ولا محدث «ذكره مسلمة بن القاسم بن عبدالله، ورواه سفيان عن عمرو بن دينار عن ابن عباس. قال مسلمة: فوجدنا المحدثين معتصمين بالنبوة ـ على قراءة ابن عباس ـ لأنهم تكلموا بأمور عالية من أنباء الغيب خطرات، ونطقوا بالحكمة الباطنة فأصابوا فيما تكلموا وعصموا فيما نطقوا؛ كعمر بن الخطاب في قصة سارية، وما تكلم به من البراهين العالية. **قلت:** وقد ذكر هذا الخبر أبو بكر الأنباري قي كتاب الرد له، وقد حدثني أبي رحمه الله حدثنا علي بن حرب حدثنا سفيان بن عيينة عن عمرو عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قرأ «وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي ولا محدث» قال أبو بكر: فهذا حديث لا يؤخذ به على أن ذلك قرآن. والمحدث هو الذي

ومن أنكر على هؤلاء القوم قبل أن يسلك طريقهم ويعرف مصطلحهم فهو جاهل، فإنكار بعض العقلاء لطور الولاية كإنكار المميز لطور العقل، وإنكار الأعمى للمبصرات، والأخشم للمشمومات، وذلك عين الجهل؛ إذ لا مستند له إلا أن هذا طور لم يبلغه عقله، والعقل معزول عن هذا الأمر كعزل قوة الحواس عن التمييز، وعزل التمييز عن المعقولات.

واعلم بأن كل ذي عقل سليم لا يخيل أن فوق طور عقله طوراً آخر، وفوق ذلك الطور طور آخر وهلمَّ جرًّا، فكما أن قدرة الله تعالى صالحة لأن يخلق في المميز ما لم يدركه الطفل من العلم، وفي العاقل ما لم يدركه المميز، فهو قادر على أن يخلق في بعض العقلاء طوراً لا يدركه العقل من انفتاح عين في القلب تسمى البصيرة بمثابة البصر لعين الرأس.

قال سيدي الشيخ عبد الهادي السودي[1] في بعض قصائده: [شعر]

ولـي مـرام نـازح المـرام   خافي على العقَّال فكيف أوباش

فإذا عرفت أن العقل لا يخيل أن يترقَّى الإنسان الكامل إلى طور فوق طور العقل، كما ترقى عن طور الطفولية إلى طور التمييز وجب عليك الاعتراف بأن هذا شيء وُجِد في غيري فأدركه ولم يوجد في علم أدركه، فالله ﷻ قادر على أن يخلق في قلوب عباده المعرفة به وبأسمائه وصفاته من غير واسطة؛ كقوله ﷻ: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾، [البقرة:31]. وقوله ﷻ: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾، [الكهف:65]، وآدم نبيّ والعبد وليٌّ، وكلاهما أُشركا

يوحي إليه في نومه؛ لأن رؤيا الأنبياء وحي. **الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي**: الجزء 12 سورة الحج. الآية: 52 [وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم].

(1) الإمام الشيخ الشاعر محمد بن علي بن محمد السودي، أبو عبد الله الشهير بالهادي اليمني. من أهل تعز (باليمن) ووفاته فيها سنة 932 هـ / 1525 م. له: ديوان شعر أسماه: بلبل الأفراح وراحة الأرواح، وفي شعره جودة وطلاوة، وأكثره على طريقة الصوفية ﷺ، أورد صاحب «النور السافر» طائفة كبيرة من شعره، والسودي نسبة إلى قرية (سودة شضب) على ثلاث مراحل من صنعاء، ونسبه يرجع إلى بني شمر وهم من أولاد كندة.

في التعليم اللّدني بغير واسطة، وطور النبوة أيضاً فوق طور الولاية الولي ويؤمن به كما يعلم أن طور الولاية فوق طور العقل، وقد علم أن سنَّة الله ﷻ جارية بأن كل صاحب ذوق لا بدّ أن يكون له كشف بحال أعلى مما هو فيه، فيكون في حاله الأول صادقاً، وفي الحال الذي كوشف به صاحب علم وبحال فوق ذلك صاحب إيمان حتى لا يزال طريق الطلب مسلوكاً.

ولله درّ سيدي الشيخ أبي بكر بن عبد الله العدروس ﷺ حيث قال في معنى ذلك: [شعر]:-

اعكف على حُـبِّ الحبيب وذِكْره | فـي جَمْع جَمْع الجَمْـع لا تتفرَّقا
وإذا أنالـك قربـة مـن دونـه | لا ترضهـا وارق ولا تتعوَّقـا
فهناك نادتـك الحقائـق لا تقف | فأمامـك المطلـوب دُم متشـوّقا

وما دام العبد مترقِّياً، فهو صاحب تلوين[1] يصح في نعته الزيادة والنقصان؛ إذ التلوين عبارة عن الانتقال من حالٍ إلى حال، وتحوّل من وصف إلى وصف، وترقّ من مقام. وهذا كله وصف مَنْ هو في الطريق ولم يصل، فإذا وصل المنزل فهو متمكّن. ومن هنا عرف التلوين والتمكين، فإنه عندهم تلوين وتمكين وتلوين في التمكين، وهو أكمل عند الأكثرين؛ إذ هو حال العبد مع الله كل يوم هو في شأن، بل في كل نفَس، والعارف تحت تلك الشؤون، زاد بعضهم وتمكين في التلوين؛ وذلك

---

(1) **التلوين**: صفة أرباب الأحوال. والتمكين: صفة أهل الحقائق، فما دام العبد في الطريق، فهو صاحب تلوين، لأنَّه يرتقي من حال إلى حال، وينتقل من وصفٍ إلى وصف، ويخرج من مرحل، ويحصل في مربع، فإذا وصل تمكّن، وأنشدوا:

ما زلت أنزل في ودادك منْزلاً | تتحيَّر الألباب دون نزوله

وصاحب التلوين أبداً في الزيادة، وصاحب التمكين وصل ثم اتّصل، وأمارة أنه اتّصل أنّه بالكلّيّة عن كلّيّته بطل. وقال الهجويري: التمكين: عبارة عن إقامة المحقِّقين في محل الكمال، والدرجة العليا، فيمكن لأهل المقامات العبور من المقامات، والعبور من درجة التمكين محال، لأنَّ الأول درجة المبتدئين، والثاني مستقرّ المنتهين، ويكون العبور من البداية إلى النهاية، ولا وجه لتجاوز النهاية، لأنَّ المقامات منازل الطريق، والتمكين قرار الحضرة، وأحبّاء الحق يكونون في الطريق عاريةً، وفي المنازل غرباء، وأسرارهم في الحضرة، والآلة في الحضرة آفة، والأدوات غيبةٌ وعلّة. انظر: كشف المحجوب للهجويري 2/ 617.

لأن منهم مَن هو ثابت في مقام تغير الأنفاس وتنوّعات التجليات دائماً في كل نفس، فيُكنى عن ثبوت هذه الحالة بذلك.

وقد ذكر صاحب كتاب «منازل السائرين» أن عدد مقامات السالكين ألف مقام وواحد. وذكر بعض العلماء أن للحق ﷻ ألف اسم وواحداً، فحيث ما تعلق العبد بصفة اسم مِن هذه الأسماء، فيسمى في حقه مقاماً، والسالك هو الذي مشى على المقامات بحاله لا بعلمه.

واعلم أن هذه الأوصاف لا تكون إلا لمن شَرُفت أوصافه وصفت أحواله وخَلُصت أعماله وصدقت أقواله، وقَصُرت آماله، وقام بما عليه، وترك ما له، وخلع عن قدميه نعل الكونين، وهما الدنيا والآخرة، وارتحل عن الوطنَيْن: العلم والعمل، وانتزع عن الفصلين: السعادة والشقاوة، وأعرض عن الحالتين: السابقة واللاحقة، وذهب عن الإشارتين: لي ولك، معي ومعك، وأنت وأنا؛ لأن هذه كلها مأخوذة من جهات البشرية مشيرة إليها، فارتحل عنها وسار بلا واسطة، ووقف مع مشاهدة الحق، بلا كيف ولا محاضرة ولا أين، بل هو معه بلا هو، ولا يدّعي لنفسه حالاً ولا مقاماً، بل لا يتشوّف إليه ولا يستدعيه، فإن المعاني لا تثبت بالدعاوي، والأماني لا تُنال بالتواني، فقد قيل: «لن تنال ما تحب حتى تصبر على كثير مما تكره، ولن تنجو مما تكره حتى تصبر عن كثير مما تحب». ولهذا قيل: إن الخروج عن الكونين، والزهد في الدارَيْن، وبذل الروح بلا مَيْن؛ من بعض شروط المعالي: [شعر]

أرى لك نفساً تشتهي أن تعزّها ... فلست تنال العزَّ حتى تذلّها

قال صاحب «الحكم»: كيف تخرق لك العوائد وأنت لم تخرق من نفسك العوائد؟ أم كيف تطلب الوصول وأنت لم تقف بشروط الوصول؟[1].

---

(1) الحكمة السابعة والعشرون بعد المائة الأولى من حكم سيدي ابن عطاء الله السكندري ؓ قوله: «كيف تخرق لك العوائد؟ وأنت لم تخرق من نفسك العوائد». أي لا تطمع أيها المريد في خرق العوائد لك؛ بأن تظهر على يدك الكرامات، وأنت لم تخرق من نفسك العوائد التي اعتدها من سيئ الأحوال، والاسترسال مع الشهوات. فإنه قد جرت عادة الله بأن لا تخرق العوائد إلا لمن فني عن حظوظه، ولم يكن لها بقاصد. فإن لم تصل إلى هذا المقام، لم تكن من أهلها والسلام. فإن ظهر على يدك صورة كرامة، فربما كان ذلك استدراجاً، فخف من ظهورها على يد، واتخذ التباعد عن الركون إليها منهاجاً.

أتظنّ أن التكحُّل كالكحل في القياس؟، أو من أسس بنيانه كمن بنى بلا أساس؟، ألم ترَ إلى الدنيا الفانية لا تُدرِك البعض منها إلا بعد التعب؟ فكيف تروم نيل المعالي بالراحة، فيا لله العجب!!

رُوي عن ذي النون المصري ﷺ أنه قال: كنت في بعض طرق البادية، فرأيت امرأة كأنها القمر، فتقدّمت إليها وقلت لها: كلّي بكلك مشغول، فقالت: كلّي بكلك مبذول، ولكن ورائي مَن هو أحسن مني. فالتفتُّ فلم أرَ أحداً، ففرَّت إليَّ فرة وقالت: يا مدّعي رأيتك من بعيدٍ، فتوهمت أنك عارف، فتقدّمت، فظننت أنك عاشق ثم غابت عني، فما أدري الأرض ابتلعتها أم السماء رفعتها!!.

فمن أعطى الكل سلم إليه الكل، فمن الناس من كان صاحب مجاهدات ومنازلات يَنزل منزلاً بعد منزل ويَرِد منهلاً بعد منهل، فالمنازل النفوس والمناهل القلوب، فكلّما نزلت النفس عن المجاهدة منزلاً ورد القلب منهلاً: [شعر]

مــا زلت أنــزل مــن ودادك منزلاً　　　تتحيَّــر الألبــاب دون نزولــه

أنّى تبيّن لهم علم النجاح، فاندرج المصباح في ضوء الصباح، فهم في راحة من التعب ولو تحمّلوا أضعاف ما كانوا يتحمّلون، فقد رفع عنهم كلفة التكليف، كما قيل: [شعر]

ولما استبان الصبح أدرج ضوؤه　　　بإسفاره أنوار تلك الكواكب

وهذا وصف المريد، ومن لم يكن له في السعادة الأزلية نصيب لم ينفعه الوجه المصفر، ولا الذيل المشمر، ولا الدمع المقطر، فإن أحكام العزيز لا تتغير باكتساب العبيد؛ كما قيل: [شعر]

فمــا كل غــادٍ نحــو قصــدٍ يناله　　　ولا كل من زار الحِمى ســمع النِّدا

انظر إلى إبليس كيف كان ثم إلى أين صار؟! خصَّ قوماً بالسعادة من غير سبب ولا جُهدٍ ولا طلب، ولا شرفٍ ولا نسب، ولا سعي ولا نَصَب، ورمى قوماً بسهام إبعاده، ووضع قدرهم بين عباده، وحرمهم نعيم حضرته: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُرِدِ ٱللَّهُ

﴿أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْۚ﴾، [المائدة:41]. ولله درّ مَن قال:

إذا لم يكن عونٌ من الله للفتى فأكثر ما يجني عليه اجتهاده

ومنهم من يكون مرفوقاً به، فيقرَّب من غير كدٍّ ولا نصب ولا جهدٍ ولا تعب، وهذا وصف المراد. **ومَن ظنَّ أنه يصل من غير اجتهاد، فهو متمنٍّ. ومن ظنَّ أنه يصل بالعمل، فهو متعنٍّ. والعارف مجتهد في العمل امتثالاً للأمر، وقلبه معتمد على الله، ناظر إلى الحكم معطي الربوبية حقّها، لا يرى لنفسه عملاً ولا حالاً ولا مقابل، بل يرجع إلى سؤال المغفرة كحال المذنب المقصر.**

قال صاحب «الحكم»: قوم أقامهم الحق لخدمته، وقومٌ اختصَّهم بمحبته، [كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا][1].

ويُروى أن الله سُبحانه وتعالى أوحى إلى داود عليه السلام: «إن أحبّ أحبّائي إليَّ مَن عبدني لغير نوال إلا ليُعطي الربوبية حقها، ومَن أظلم ممن عبدَني لجنّة أو نار». ولهذا قال عليّ كرَّم الله وجهه: إن قوماً عبدوا الله رغبة، فتلك عبادة التجار. وإن قوماً عبدوه رهبة، فتلك عبادة العبيد. وإن قوماً عبدوه شكراً، فتلك عبادة الأحرار.

ويُروى أن عيسى عليه السلام مرَّ بطائفة، وقد بلغوا من العبادة الجهد، فقال لهُم: «مَن أنتم؟ وما هذه عبادتكم الصعبة»؟ قالوا: نحن عباد الله، وقد خفنا من ناره. قال: «قد خفتم مخلوقاً، وحقّ على الله أن يؤمنكم مما خفتم منه». ثم مرَّ بآخرين لهم عبادة أشدّ منهم، فقال لهم: «مَن أنتم؟ ولأيِّ شيء عبدتم»؟ فقالوا: نحن عباد الله، وقد اشتقنا

(1) الحكمة الثامنة والستون من حكم سيدي ابن عطاء الله السكندري رضي الله عنه، قوله: قوم أقامهم الحق لخدمته وقوم اختصهم بمحبته، ﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنۡ عَطَآءِ رَبِّكَۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحۡظُورًا﴾، [الإسراء:20] . أي قوم اختارهم الحق سُبحانه وتعالى لخدمته حتى صلحوا لجنته، وهم العابدون . وقوم اختصهم بمحبته حتى صلحوا لدخول حضرته، وهم العارفون والمحبون . والكل منتسبون إلى خدمته، لكن خدمة الأولين أكثرها بالجوارح، والآخرين أكثرها بالقلوب، على حسب ما يليق بكل من القسمة الأزلية التي منحها لهم علام الغيوب. كما قال جل جلاله: ﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنۡ عَطَآءِ رَبِّكَۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحۡظُورًا﴾ أي: ممنوعاً. فإذا شهد العبد انفراد الله تعالى بهذه الإقامة، رجع عن الاحتقار، فإن ذلك من الجهل بحكمة العزيز الغفار.

إلى جنّته. فقال: «قد اشتقتم إلى مخلوق، وحقّ على الله أن يوصلكم إلى ما اشتقتم إليه». ثم مرَّ بآخرين أكثر عبادة منهما، فقال لهم: «مَن أنتم؟ ولأي شيء عبدتموه هذه العبادة العظيمة»؟ قالوا: نحن عباد الله المحبُّون المشتاقون إليه، نعبده لا خوفاً من ناره ولا شوقاً إلى جنّته. فقال عليه السلام: «أنتم أولياء الله المقربون حقاً، المخلصون صدقاً، ومعكم أُمرت أن أُقيم».

ولهذا قال ذو النون رحمه الله: ينبغي أن تكون عبداً له في كل حال، كما أنه ربّ لك في كل حال؛ لا بالبلاء تنحرف ولا بالعطاء تنصرف.

قلت: وهذا مقام الصدِّيقية؛ لأن الصِّدِّيق هو الذي استقام ظاهره وباطنه، يعبد الله بتلوين الأحوال، لا يحجبه عن الله وعن ذكره شيء، ورؤية الثواب وملاحظة العقاب نقص؛ لأنهما خوف مما سوى الله ورجاء لغيره، وهما من حال المبتدىء. ولهذا قيل: المبتدىء صادق، والمنتهي صِدِّيق، وأقرب الأحوال إلى النبوّة الصديقية.

قال ﷺ: «نِعْم العبد صهيب، لو لم يخف الله لم يعصه»[1].

ولهذا قال صاحب «الحكم»: قلَّ أن تكون الواردت الإلهية إلا بغتة صيانة لها أن يدّعيها العُبّاد بالاستعداد[2].

---

(1) قوله: «نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه. «قال العجلوني في الكشف: اشتهر في كلام الأصوليين وأصحاب المعاني وأهل العربية من حديث عمر وبعضهم يرفعه إلى النبي ﷺ ، وذكر البهاء السبكي أنه لم يظفر به بعد البحث. وكذا كثير من أهل اللغة لكن نقل في المقاصد عن الحافظ ابن حجر أنه ظفر به في مشكل الحديث لابن قتيبة من غير إسناد. **وقال في اللآلئ** منهم من يجعله من كلام عمر رضي الله عنه، وقد كثر السؤال عنه ولم أقف له على أصل وسئل بعض شيوخنا الحفاظ عنه فلم يعرفه لكن روى أبو نعيم في الحلية بسند ضعيف عن عبد الله بن الأرقم أنه قال حضرت عمر رضي الله عنه عند وفاته مع ابن عباس والمسور بن مخرمة فقال عمر رضي الله عنه: سمعت رسول الله ﷺ يقول إن سالما شديد الحب لله عز وجل لو كان لا يخاف الله ما عصاه. وفي لفظ: «لو لم يخف الله ما عصاه، وفي رواية قال لو استخلفت سالما مولى أبي حذيفة فسألني ربي ما حملك على ذلك لقلت ربي سمعت نبيك ﷺ يقول أنه يحب الله حقا من قلبه، وقال الجلال السيوطي في شرح نظم التلخيص: كثر سؤال الناس عن حديث نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصيه». ونسبه بعضهم إلى النبي ﷺ ونسبه ابن مالك في شرح الكفاية وغيره إلى عمر رضي الله عنه. قال الشيخ بهاء الدين السبكي لم أر هذا الكلام في شيء من كتب الحديث لا مرفوعا ولا موقوفا لا عن عمر رضي الله عنه ولا عن غيره مع شدة التفحص عنه انتهى، نعم قد روى الديلمي في سالم لا صهيب عن عمر مرفوعا أن معاذ بن جبل إمام العلماء يوم القيامة لا يحجبه من الله إلا المرسلون وإن سالما مولى أبي حذيفة شديد الحب في الله لو لم يخف الله ما عصاه. والله أعلم.

(2) الحكمة التاسعة والستون من حكم سيدي ابن عطاء الله السكندري رضي الله عنه: قوله: «قلما تكون الواردات الإلهية

قال سهل بن عبد الله التستري[1] ﵁: للعالِم ثلاثة علوم: علم ظاهر يبذله لأهل الظاهر، وعلم باطن لا يسع إظهاره إلا لأهله، وعلم هو بينه وبين الله تعالى. ولذلك قيل للجنيد ﵁: يسألك السائل عن مسألة فتُجيبه، ثم يسألك آخر عن تلك المسألة فتجيبه بجواب آخر؟! فقال: على قدر السائل يكون الجواب، فمتى سمعت بأرباب الأحوال والموارد، فلا تكن لآيات جاحداً، ولا في تأويلها لاحداً، واسأل من أعطاهم أن يعطيك، فإن مولاك ومولاه واحد.

واعلم بأن الباب مفتوح للطلاب، ولا بوَّاب عليه ولا حجاب، وإنما المحجوب عن المسبب مَن وقف مع الأسباب، فإذا لم تجد إليه سبيلاً ولا في ظله مقيلاً، ثم رأيت من أولاه الله جميلاً وأعطاه جزيلاً، واتَّخذه صفياً وخليلاً، وألقى عليه من أسرار معرفته قولاً ثقيلاً، وباح بما لم يقم عليه دليلاً، فلا ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾، فأحسن الناس مَن أسلم، وأسلمهم مَن سَلِم، وأحبّهم إلى الله من استسلم ﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾، [النساء: 59].

ولنرجع إلى ما قاله الصِّدِّيق الأكبر ﵁: العجز عن درك الإدراك إدراك. وفي رواية: إدراك العجز عن الإدراك إدراك؛ أي: أن العارف إذا اعترف بعجزه عن إدراك شيء إنما هو المعرفة بصفات ذلك الشيء، وأنها لا تُدرَك إما لعدم التناهي، وإمّا لعدم الإدراك،

إلا بغتة، لئلا يدعيها العُبَّاد بوجود الاستعداد . «أي أن الواردات الإلهية التي هي الأسرار العرفانية، يقل حصولها فجأة من غير استعداد لها بعبادة ، لئلا يدعيها العُبَّاد بوجود الاستعداد لها . فإن تحف الله تعالى وهداياه مقدسة عن أن تعلل بالأعمال؛ لأنها من مواهب الغني المفضال، فحصولها بغير استعداد كثير، وأما حصولها بالاستعداد فنزر يسير .

(1) العارف بالله تعالى سيدي أبو محمد سهل بن عبد الله التستري ﵁، نسبته إلى تُستَر من خوزستان، سكن البصرة وعبادان، وطريقته تسمى السهلية، كما يقول الهجويري في كشف المحجوب، وأساسها المجاهدة والرياضة ـ أي: رياضة النفس ومراقبتها ومخالفتها، كسبيل للخلاص والنجاة والوصول، وكان ﵁ يعيش على الشعير، يشتري منه بدره فيطحنه ويخبز له، ويفطر منه عند السحر كل ليلة على أوقية واحدة بغير ملح ولا إدام، فكان الدرهم يكفيه سنة، ثم عزم على أن يطوي ثلاث ليال ثم يفطر ليلة، ثم خمساً، ثم سبعاً، ثم خمساً وعشرين ليلة، واستمر على ذلك عشرين سنة في ابتدائه، وكان يقوم الليل كله. مات رحمه الله تعالى ورحمنا به في تستر سنة 283 هجرية. **انظر ترجمته في**: حلية الأولياء لأبي نعيم الأصبهاني 10/ 189، طبقات ابن الملقن 232، طبقات الأولياء للسلمي 206.

وذلك القدر هو معرفة ذلك الشيء كما ينبغي، فإذا عرفه كما ينبغي فقد أدركه كما ينبغي، وإلى ذلك أشار ﷺ بقوله: «زدني فيك تحيّراً» [1]؛ أي: انزل إليَّ نزولاً يخيله العقل من جميع الوجوه ليعرف عجزه عن إدراك ما ينبغي لك ولجلالك من النعوت، وذلك منه طلباً لتوالي التجلّيات عليه ﷺ، فكن أحد رجلين إمّا متصف بهذه الصفات، وإما معترف بالتقصير مع الإقرار به، وإياك أن تكون الثالث فتهلك. ويكفيك من هذا المقام التسليم لأهله والاعتراف بأنك محروم عما لا ينال إلا بفضله، بل ارجع إلى قول سيد الأنبياء ﷺ، فما آتاك فخذه، وما نهاك عنه فانته عنه، وما قاله فقله، فإنه ما زاد في ذلك على أن قال: «لا أُحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك»[2]، وليس معنى ذلك أني أعجز عن التعبير عما أدركته، بل هو اعتراف بالقصور عن إدراك كنه جلاله.

قال الصدِّيق رضي الله عنه: «الحمد لله الذي لم يجعل للخلق سبيلاً إلى معرفته إلا بالعجز عن معرفته».

فإذا كنت طفلاً في حجر عاداتك محصوراً بعماة مألوفاتك فلا تتطاول إلى تناول طعام الرجال، فإن طعام الأصحاء يضرّ بذوي الاعتلال، وإشراق الشمس المنيرة يضرّ بذوي الأبصار الضعيفة، فما كل قلب يصلح للسرّ، ولا كل صدفٍ ينطوي على الدرّ، فلكلِّ مقام مقال، ولكل وادٍ حال، وما كل ما يُعلم يقال، بل لا ينقال، وللمقامات العالية أقوام خُلقوا، وللوصال أهل به مُنحوا ورُزِقوا، فترى صفتك تشبه صفات القوم؟ حاشا وكلّا، بل لست تدري أين هُمُ اليوم؟ لأن بصيرتك منطمسة، ومنابع فكرتك مندمسة، فما لك والتطاول إلى منازل قوم عيونهم منبجسة؟!، وسرائرهم من جذوة الغيب مقتبسة، فلا تدَّعي ما ليس فيك، وحسبك ما يعلم الله فيك، فبضاعتك مزجاة، وزادك طفيف، والطريق التي توجّهت إليها كثيرة المهالك، والصواب لك

(1) لم أجده فيما لدي من مصادر، والله تعالى أعلم.
(2) عَنْ عَائِشَةَ رضي الله تعالى عنها وعن أبيها قَالَتْ: «فَقَدْتُ رَسُولَ اللّهِ ﷺ لَيْلَةً مِنَ الْفِرَاشِ، فَالْتَمَسْتُهُ، فَوَقَعَتْ يَدِي عَلَى بَطْنِ قَدَمَيْهِ، وَهُوَ فِي الْمَسْجِدِ، وَهُمَا مَنْصُوبَتَانِ، وَهُوَ يَقُولُ: «اللّهُمّ أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ. وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ لاَ أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ». **صحيح مسلم:** الجزء الأول 4 كتاب الصلاة 42 باب ما يقال في الركوع والسجود ـ الحديث: 222 ـ (486).

أن تنصرف وتدع ما أنت فيه، فما لهذا بَعثك فادرج عنه، فكلٌّ ميسَّر لما خُلق له، وقد سبق في المثل: إذا لم تكن ملحًا يُصلح، فلا تكن ذباباً يُفسد. ومن لم يقدر على جمع الفضائل، فليكن همّه ترك الرذائل. **بل قيل**: إن الرجل من كفَّ صاحب الشمال، ليس الرجل من استعمل صاحب اليمين. ومن قواعد الشرع: درء المفاسد أوْلى من جلب المصالح، ولهذا قيل: إن لم تطق تعبد الله، فلا تعصه.

وقد قال ﷺ: «ومن أحبَّ قوماً ووالاهم حُشِر معهم يَوْمَ القيامة»[1].

ورُوي عن سيدنا عمر بن الخطاب، وعن ولده عبد الله رضي الله عنهما: «لو أنَّ عبداً صفَّ قدميه عند الركن والمقام يعبد الله عزّ وجل عُمره؛ يصوم نهاره ويقوم ليله، حتى لقي الله وليس في قلبه محبة وموالاة لأولياء الله؛ لَمَا نفعه ذلك شيئاً».

فالزم الوقوف بأبوابهم، ولا تعدل عن جنابهم، واصبر عليهم وإن هجروك، وتقرّب منهم وإن أبعدوك، وتذلّل لعزّهم وإن طردوك، وتودّد لهم وإن جَفوك، وارض بحكمهم ولو أتلفوك، ولا تَعْدُ عيناك يوماً عن النظر لحضرتهم، فلعلك أن تُحشر معهم في زمرتهم. وقيل: [شعر]

لا أبرح الباب حتى تصلحوا عِوَجي
وتقبلوني على عيبي ونقصاني

فإن رضيتم فيا عزّي ويا شرفي
وإن أبيتم فمن أرجو لعصياني

واعلم أن سيدنا الفقيه ﷺ إنما كان نطقه عن وجده؛ لا عن اختياره.

قال داود بن باخلا الشاذلي في «حزب البحر»: اعلم أن اللسان جعل معبراً عما في ضمير الإنسان، وهو إمّا معبر عن قلب ـ أي: وجد ـ أو عقل أو عن خيال فاسد. أمّا الخيال الفاسد، فكحال عادم العمل، فإن كلامه تنزّلاً عن حقيقة رؤية، بل عن قصور

(1) قوله ﷺ: «**من أحبَّ قوماً حُشِر معهم**». رواه الحاكم في مستدركه جازماً به بلا سند. ويشهد له حديث: «المرء مع من أحب». أخرجه الطبراني، والضياء عن أبي قرصافة ﷺ بلفظ: «من أحب قوما حشره الله في زمرتهم». انظر: كشف الخفاء للإمام العجلوني ـ الحديث رقم: 2353.

فاسد لا معنى له، فهو مردود بالطبع عند العقلاء. وأما ما برز عن عقل، فإما عن عقل طبيعي وهو أول مرتبة ترقّت عن الخيال الفاسد، وهو حال الصبي. وإما عن عقل نظري، وهو أول درجات العقول، وفيه تفاوت العقلاء على حسب صحة السجية والفطرة، ووسع التجربة، وحسن النظر، ومقايسة الحقائق الخارجية بالحقائق الباطنة، فهذا النوع إذا سلم قائلهُ من الهوى تهيّأ لارتسام متعلقه في دائرة الخيال. وإما عن عقل وهمي، كالاطّلاع على أسرار الحكمة الإلهية؛ إذ معقولات هذا النوع تحصل؛ لا عن استنباط تجربة سابقة، ولا استخراج نوع من نوع آخر، كالحروف وبعض العلوم الحسابية والمنطقية، فإنها تُنال بتسليط العقول على ضرب بعضها ببعض، واستنباط فروعها من أصولها. وعلوم الحكمة الإلهية ليست كذلك، بل إنما تُنال بفراغ القلب وصفائه وزهده، فيلوح لعقله حقائق الحكم، وبدائع الفهوم.

قال ﷺ: «إذا رأيتم الرجل قد أُعطي زهداً في الدنيا حسن سمت، فاقربوا منه فإنه يلقى الحكمة»(1)، وهذا النوع إذا سلم السامع له من الهوى الصادق فإنه أكثر نفعاً من النفع الأول، وأسرع تاثيراً.

وصاحب النوع الأول يسمى: عالماً، وشرف علمه بحسب شرف معلومه، وقد يكون دنياً لدناءة معلومه.

وصاحب النوع الثاني يسمى: حكيماً عليماً، ولا يكون إلا محموداً شريفاً.

والنوع الثالث: اللسان المعبّر عن القلب، وهو أعلى الأقسام وأشرفها وأقلّها وجوداً، كما قيل: أعزّ شيء في الوجود عالم يعمَل بعلمه، وعارف ينطق عن وَجْده.

واعلم أن سيدنا الشيخ الفقيه رضي الله عنه له في علم توحيد الوحدانية وتفريد الفردانية، يدٌ طولى وبصيرة وقّادة ربانية معنوية، وقد كان يسمع الهواتف من جانب الحق سبحانه وتعالى تناديه: يا فقيه! اترك ما أنت عليه من الظواهر وأقبل علينا نواصلك ونواليك، فإن لنا فيك مراداً، ولك منا ازدياداً، الزم تفريد التوحيد وتجريد التفريد سنريك من آياتنا

---

(1) قوله ﷺ: «إذا رأيتم الرجل قد أعطى زهدا في الدنيا، وقلة منطق؛ فاقتربوا منه، فإنه يلقى الحكمة». رواه ابن ماجه، وأبو نعيم في الحلية، والبيهقي في شعب الإيمان عن أبي خلاد. وأبو نعيم في الحلية والبيهقي في شعب الإيمان عن أبي هريرة رضي الله عنه. الجامع الصغير للإمام السيوطي ـ الحديث رقم: 635.

عجباً، ونمنحك من فضلنا طلباً، فلا تشب مرادنا بمرادك، ولا تر تصريفاً لغيرنا، فإن لنا خاصة من عبادنا سنوصلهم على يديك. قال الله: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾، [فصلت:53]. قوله: [في الآفاق]: شمسٌ وقمر. قال الله: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾، [آل عمران:190]. وفي النفوس علم ونظر، قال الله: ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾، [الذاريات:21].

واعلم أن التوحيد هو الحكم بثبوت الوحدة لله، وهو ما اتفق عليه جمهور العلماء. وعند المحققين الخروج عن الفهم والوهم والقياس بظهور معنى تضمحلّ فيه الحواس.

والتوحيد أصل الإيمان ورأسه، والقول فيه يطول ولا يبلغ شأوه إلا أفراد الرجال؛ لأنه عظيمٌ شأنه، عالٍ مكانه، لا يحظى بحقيقته إلا أهل الكمال؛ لأنه بحرٌ لا ساحل له، وهو مِن علم المكاشفة، فالمحققون حول حماه يخوضون، والعارفون في لجّة من لجج بحاره غارقون.

وبالجملة، فقد قال الله: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾، [يوسف:106].

وإلى هذا أشار سيدي أبو يزيد رضي الله عنه حيث قال: خضنا بحراً وقف الأنبياء في ساحله؛ أي: أن العارفين في لجة من لججه غارقون، والأنبياء ـ صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ـ قد عبروا إلى ساحل عين اليقين، ووقفوا لنجاة من مرَّ بهم من الأمم، رزقنا الله وإياكم الاقتداء بسُنَّتهم والاتباع لهم، ظاهراً وباطناً.

قال سيدي أحمد الشهيد ابن الفقيه بلحاج منوّهاً لما نحن بصدده في بعض قصائده، حيث قال: [شعر]

أهل الشـــريعة في الكتب يدورون	وأهل الطريقة فـــي الدجا ينوحون
وأهل الحقيقة فـــي العُلا يجولون	وهـــي تنـــادي مـــن وراء خباهـــا
الأيـــن أنتم، مـــا لكـــم وللأين؟	الأيـــن أنتـــم والبقـــا مـــع العين

قال سيدي الشيخ عبد الله بن أبي بكر العيدروس ﷺ ، بعد كلام له طويل في مثل ذلك: اعلم أن ذرّات الوجود مكتوب على صفحات ألواح نسماته، كلا بل هو الله، ومقدمات الحديث تنطبق بلسان كل محدث، دالّة على وحدانية الصمد المحدث، قائلة: [قل هو الله].

وعلى الجملة، فقد أقرَّ الكلُّ بالعجز عن مداه البعيد، واعترف الملأ بالقصور دون سنامه العالي، المجيد الفصيح فيه لكنٌ خافت، والناطق عنه أخرسٌ صامت، ليس مع الجميع منه إلا اسمه، ولا يصل الواصلون إلا إلى القشر من رسمه، ألا وفناه التوحيد من توحيده، وانطمست كثرته في تفريده، فهوَ الواحد الموحد لنفسه، تعالت وحدانيته عن التوحيد، ولذلك لما سئل سيدي الشبلي ﷺ عن التوحيد قال للسّائل: ويحك**!** من أجاب عن التوحيد بعبارة فهو ملحد، ومن أشار إليه فهوَ ثنوي(1)، ومن أومى إليه فهو عابد وثن، ومن نطق فيه فهو غافل، ومن سكت عنه فهو جاهل، ومن توهّم أنه واصل فليس له حاصل، ومن تواجد فهو فاقد، وكلّ ما مثلتموه بأوهامكم، وأدركتموه بعقولكم في أتمِّ معانيكم فهو مردود عليكم، محدَثٌ مثلكم.

قال سيدي محيي الدين بن عربي ﷺ في هذا المعنى: اعلم أن كل ما يتصور المتصور فهو عينه لا غيره، فإنه ليس بخارج عنه. وقيل في المعنى: [شعر]

مـا وَحَّـد الواحـدَ مـن واحـدٍ ... إذ كل مـن وحَّـده جاحـد
توحيـده مـن ينطـق عـن نعته ... عاريـة أبطلهـا الواحـد
توحيـده إيـاه توحيـده ... وكـل مـن ينعتـه لاحـد

اعلم أن معنى هذه الأبيات نفي التوحيد الذاتي؛ لأنه عندهم إسقاط الحدث وإثبات القدم، فقوله:

مـا وَحَّـد الواحـد مـن واحـدٍ ... إذ كل مـن وحَّـده جاحـد

أي: لتعدُّد الصفات، فإن الموحد يجحدها بتوحيده، أو لأن من وحّده أثبت وجوده وفعله، ومَن فعل ذلك فقد جحده بإثبات وجود نفسه وفعله، فما وحّد الله حقّ توحيده

(1) أي: مشرك.

الذاتي أحد؛ كما قيل: [شعر]

إذا قلتُ: ما أذنبت؟ قالت مجيبة: وجودك ذنبٌ لا يُقاس به ذنبُ

فإذاً لا يصح لأحد التوحيد الذاتي إلا بفناء وجوده المجازي الهالك المشار إليه بقوله: [كل شيء هالك إلا وجهه] بخلعة: «فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به» الحديث[1]، فمتى كان الحق سمع العبد وبصره وجميع قواه ذهبت أوصاف العبد بظهور أنوار الصّفات الإلهية مع ثبوت عين العبد، وهذا هو المفهوم من وجود الضمير في الحديث. ولذا قيل ببقاء التكليف على صاحب هذا المقام، إذاً أين يذهب العبد والعين موجودة؟ وغايته أن يكون صورة في هيولى الوجود المطلق مقيدة، وليس له بعد هذا مرتبة إلا العدم، والعدم لا يقبل الصورة، فافهم. وهذا معنى القرب عندهم، فمتى اتَّصف العبد بالقرب من الحق اتّصاف الحق منه، فقد عرف معنى ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾، [ق:16]. ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْۚ﴾، [الحديد:4]. إذ معنى كل آية من المتشابهات مستور عن أن يتعلق به معرفة عارف دون إخبار إلهي، وقوله: [شعر]

توحيد من ينطق عن نعْته عارية أبطلها الواحد

إذ لا نعت في الحضرة الأحدية، ولا نطق ولا رسم لشيء، فلذلك أبطل الواحد الحقيقي تلك العبادة التي هي ذلك التوحيد مع بقاء رسم غير الذات، فإنه باطل في نفسه كالسراب، قال الله ﷻ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥۗ﴾، [النور:40]. أي من حيث الحقيقة؛ لا من حيث المجاز السرابي. وقوله: [شعر]

توحيده إياه توحيدهُ وكل من ينعته لاحد

أي: مائل عن طريق الحق؛ لأن توحيد الحق ذاته بذاته هو توحيده الحقيقي، سواء كان على لسان عبده، «فبي ينطق» أو بنفسه: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾، [غافر:16].

---

(1) سبق تخريجه.

[**مراتب التوحيد**]: وللتوحيد أربع مراتب؛ لأنه منقسم به إلى لب، ولب اللبّ، وإلى قشر، وقشر القشر كالجوز؛ فإن له قشرين ولبًّا، وللبّه دهن هو لبُّ اللّب.

فالمرتبة الأولى: أن يقول الإنسان بلسانه: [لا إله إلا الله]، وقلبه غافل عنه.

والثانية: أن يصدق بمعنى اللفظ قلبه كعموم المسلمين.

والثالثة: أن يشاهد ذلك بطريق الكشف بواسطة نور الحقّ، وهو مقام المقرّبين، وذلك بأن يرى أشياء كثيرة لكن يراها على كثرتها صادرة عن الواحد القهار.

والرابعة: أن لا يرى في الوجود إلا واحداً، وهو مقام الصِّدّيقين، وتسميه الصوفية فناء في التوحيد عن التوحيد، فإنه من حيث ما يرى إلا واحداً لا يرى نفسه أيضاً في توحيده؛ لأنه فني عن رؤية نفسه، فالأول كالقشرة العليا للجوز، والثاني كالقشرة السفلى له، والثالث كاللُّب، والرابع كالدّهن المستخرَج من اللُّبّ.

واعلم بأن الإيمان الكشفي يحصل بانشراح الصدر بنور الله حتى ينكشف فيه بأن لا موجود إلا الله وصفاته وأفعاله، وهذا مقام المقرّبين النازلين في الفردوس الأعلى؛ أي جنة المعارف التي عناها الشبلي رضي الله عنه بقوله: ليس في الجنّة أحد سوى الله. لا جنة العوام التي هي مقيدة بالحور والقصور، وهم المعنيُّون بقوله ﷺ: «صنف من أهل الجنة لا يستر الرب عنهم ـ أي: حيناً من الأحيان ـ ولا يحتجب بجهة من الجهات»[1]، وهم أيضاً أصناف، ففيهم السابقون، وفيهم مَن دونهم، وتفاوتهم بحسب تفاوت معرفتهم، فانظر هنا من التفاوت وألق سَمعك وأنت شهيد، فهذه مقامات الموحدين على سبيل الإجمال، فسُبحان مَنِ احتجب من الظهور لشدة ظهوره، واستتر عن الأبصار بإشراق ثوره، ولولا احتجابه بسبعين حجاباً من نوره لأحرق سبحات وجهه أبصار الملاحظين لجمال حضرته، ولولا أن ظهوره سبب خفائه لبهتت العقول، ودُهشت القلوب وتخاذلت القوى وتناثرت الأعضاء، ولو رُكِّبت القلوب من الحجارة والحديد لأصبحت تحت مبادي أنواره دكًّا دكًّا.

ثم اعلم أن من استرسل بإطلاق التوحيد ولم يتقيد بظاهر الشريعة، فقد قُذف به في

---

(1) لم أجده حديثا فيما لدي من مصادر، والله تعالى أعلم.

بحر الزندقة؛ لأن كل حقيقة تردّها الشريعة فهي زندقة، ولكن الشأن أن يكون العبد بالحقيقة مؤيّداً وبالشريعة مقيداً، لا مطلقاً مع الحقيقة ولا واقفاً مع ظاهر الشريعة، [وكان بين ذلك قواماً]؛ لأن الوقوف مع ظاهر الإسناد شرك، والانطلاق مع الحقيقة من غير تقييد بالشريعة تعطيل، والهداية فيما بين ذلك.

واعلم أن أقرب الطرق إلى الله تعالى لزوم قانون العبودية، والاستمساك بعروة الشريعة الإسلامية؛ لأنها أشرف مقام، فلا مقام أشرف منها. ولذا وصف الله ﷻ نبيَّه ﷺ بالعبودية(1)، ولما خُيِّر عليه الصلاة والسلام بين أن يكون نبيًّا ملكاً أو نبيًّا عبداً؛ اختار العبودية(2).

ولله درّ مَن قال: [شعر]

لا تدعنـي إلا بيـا عَبْدهـا ... فإنـــه أشْـــرَف أسْمـــائي

فمن اتَّصف منها ولو بالشيء اليسير فقد ظفر بالسرّ الخطير.

واعلم أن التوحيد يوجب الشريعة، فمَنْ لا شريعة له فلا إيمان له ولا توحيد.

والشريعة توجب الإيمان، فمن لا إيمان له لا توحيد له.

والإيمانُ يوجب الأدب، فمن لا أدب له لا شريعة له ولا توحيد.

---

(1) في قوله ﷻ في أول سورة الإسراء: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾.

(2) «كان ﷺ كثيرا إذا جلس يأكل يجمع بين ركبتيه وقدميه كما يفعل المصلي إلا أن الركبة تكون فوق الركبة والقدم فوق القدم ويقول: «إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد». أخرجه عبد الرزاق في المصنف من رواية أيوب معضلا: أن النبي ﷺ كان إذا أكل أحفز وقال: «آكل كما يأكل العبد... الحديث» وروى ابن الضحاك في الشمائل من حديث أنس ﷺ بسند ضعيف: «كان ﷺ إذا قعد على الطعام استوفز على ركبته اليسرى وأقام اليمنى»، ثم قال ﷺ: «إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد وأفعل كما يفعل العبد». وروى الشيخ في أخلاق النبي ﷺ بسند حسن من حديث أبي بن كعب ﷺ: أن النبي ﷺ كان يجثو على ركبتيه وكان لا يتكئ. أورده في صفة أكل رسول الله ﷺ. وللبزار من حديث ابن عمر رضي الله عنهما: «إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد» ولأبي يعلى من حديث عائشة رضي الله عنها وعن أبيها: «آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد» وسندهما ضعيف. **تخريج أحاديث الإحياء للحافظ العراقي**: المجلد الثاني. بيان أخلاقه وآدابه في الطعام- الحديث رقم: 7.

وإذا أراد الله بعبدٍ خيراً لم يَرْم ميزان الشريعة من يده، فإن الكامل من لا يطفىء نور معرفته نور وَرَعه، **فميزان الشريعة**: هذا لي وهذا لك، **وميزان الحقيقة**: لا لي ولا لك، كلُّه لله، فمَن وفَّقه الله بمكنون علمه وقف مع الشريعة بجسمه، ومع الحقيقة بقلبه، فلا يتحرك ولا يسكن إلا بما لا يسوغه الشرع.

قال سيدنا الجُنَيْد ﵁: مذهبنا هنا مقيَّد بأصول الكتاب والسُّنّة.

قال سيدي محمد قيسودراز ﵁: وفي رواية: مؤيّد بالكتاب والسُّنّة أو مشتبك بالكتاب والسُّنة؛ أي: مستخرج عن إشارات الحديث ورموز كتاب الله، فما مِن حال أو مقام تشير إليه الصوفية إلا وهو في إخبار رسول الله ﷺ، والقرآن المنزل عليه ولكن بعضها المنطوق وبعضها المرموز، انتهى.

والشريعة لها حدود مَن تعدَّاها أُقيمت عليه الحدود، قال الله ﷻ: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَاۗ﴾، [البقرة:187].

وقال ﷺ: «ألا وإن لكل ملك حِمى، ألا وإن حِمَى الله تعالى محارمه»[1]. والحقيقة لها شهود خارج عن هذا الوجود، فالشريعة إقامة بوظائف العبودية، والحقيقة مشاهد الربوبية، فلا تباين بينهما؛ بل هما متلازمان تجمعهما كلمتان من كتاب الله ﷻ، وهو قوله ﷻ: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾.

وإن شئت قلت: الشريعة ما ورد به التكليف، والحقيقة ما حصل به التعريف، فالشريعة مؤيَّدة بالحقيقة، والحقيقة مقيَّدة بالشريعة، فالشريعة وجود الأفعال والقيام بشروط العلم بواسطة الرسل، والحقيقة شهود الأحوال بالله والاستسلام لغلبات الحكم بتقدير السابق في القدم بواسطة الفضل والكرم؛ إذ الأمر عندهم أمران: أمرٌ

(1) روى الشيخان ـ واللفظ للبخاري -: عن النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ ﵁ قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «**الْحَلَالُ بَيِّنٌ، وَالْحَرَامُ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشَبَّهَاتٌ لَا يَعْلَمُهَا كَثِيرٌ مِنْ النَّاسِ. فَمَنْ اتَّقَى الْمُشَبَّهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ كَرَاعٍ يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يُوَاقِعَهُ. أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، أَلَا إِنَّ حِمَى اللَّهِ فِي أَرْضِهِ مَحَارِمُهُ. أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ**». **صحيح البخاري**: الجزء الأول 2 كتاب الإيمان 37 باب: فضل من استبرأ لدينه– الحديث رقم: 52. **وصحيح مسلم**: الجزء الثالث 22 كتاب المساقاة 20 باب أخذ الحلال وترك الشبهات ـ الحديث رقم: 107 ـ (1599).

إيجادي وأمرٌ إيجابي. فالإيجادي هو الذي بلا واسطة، وهو لا يخالف البتّة. والأمر الإيجابي هو الذي يكون بالواسطة، وقد يخالف منه ما هو مِن تأثير: اِفعل ولا تفعل. والطريقة لها ظاهر وباطن، فالباطن عين الظاهر، والظاهر عين الباطن، فظاهرها الشريعة وباطنها الحقيقة، فبطون الحقيقة في الشريعة كبطون الزبد في لبنه، فبدون مخضه لا يظفر بزبده، فكل شريعة لا حقيقة لها باطلة، وكل حقيقة لا شريعة لها باطلة، **وقد مثّلوا الشريعة بالسفينة، والطريقة بالبحر، والحقيقة بالدرّ، فمن أراد الدرّ ركب سفينة أولاً ثم شرع في البحر ثم وصل إلى الدرّ، ومن ترك هذا الترتيب لم يصل إلى الدرّ، فلا وصول إلى الحقيقة إلا بعد تحصيل الطريقة**. ولذا قيل: إنما حُرِموا الوصول ـ أي: إلى الحقيقة ـ بتضييعهم الأصول، وهي الطريقة، فصاحب الطريقة ينشد: [شعر]

وفي كل شيء له آية تدلّ على أنه واحِد

قيل: وذلك لأنه عرف أحديَّة الحق من أحدية نفسه على أحدية ربّه دليلاً؛ إذ كان كل موجود لا بدَّ أن يمتاز عن غيره بأحدية شخصيته لا تكون لغيره، وتلك هي على الحقيقة أينية وهوية. وصاحب الحقيقة يَنشد: [شعر]

وفي كل شيء له آية تدل على أنه عَيْنه

فليس عنده في الوجود إلا الله، ومِن هذه الحقيقة قال من قال: أنا الله؛ وذلك لأنه عرف توحيده من النظر في شفعيته، فيرى كل ما سوى الحق لا يصح له الانفراد بنفسه، وأنه مفتقر إلى غيره، فهو مركَّب من عينه ومن اتصافه بالوجود الذي لم يكن له من حيث عينه.

فإن قيل: فما خلاف الظاهر والباطن، فإن كان الباطن مناقضاً للظاهر وهو قول من قال: إن الحقيقة تخالف الشريعة، فهو كفر، وإن كان لا يناقضه، فيزول الانفصام ولا يكون للشرع سرّ لا يفشى؟.

فاعلم أن من قال: إن الحقيقة تخالف الشريعة، فهو إلى الكفر أقرب منه إلى الإيمان، بل الأسرار التي يختصّ المقربون بها ويمتنعون عن إفشائها ترجع إلى أمور غامضة لا يسع هذا المختصر إيداعها؛ **منها** أن يكون الشيء في نفسه **دقيقاً** تَكِلّ أكثر

الأفهام عن دَرْكه، مع أنه مكشوفٌ لبعض الأولياء، فضلاً عن الأنبياء، ولكنهم يتأدّبون بآداب الشرع، فيسكتون عما سكت عنه.

قال سيدنا عليّ رضي الله عنه: إن ههنا علوماً جمّة، لو وجدتُ لها حَمَلة».

وقال رسول الله ﷺ: «إن للقرآن ظهراً وبطناً وحدًّا ومطلعاً»[1]. وإخفاء سرّ الروح، وكفّ رسول الله ﷺ بيانه من هذا القبيل، فإن حقيقته مما تَكلّ الأفهام عن دركه.ولا تظنّ أن ذلك لم يكن مكشوفاً له ﷺ، وإنما قال: «نحن معاشر الأنبياء، أُمِرنا أن نكلّم الناس على قدر عقولهم»[2].

وقال ﷺ: «ما حدّث أحد قوماً بحديث لم تبلغه عقولهم إلا كان فتنةً عليهم»[3]. فهكذا كان أوّل هذا الأمر وآخره لا يفهمه إلا مَن كان أهلاً له، فتحت العين وأبصرت فلا تحتاج إلى قائد يقودك، ومن امتلأت مشكاة قلبه نوراً مقتبساً من نور الله، نور السماوات والأرض، وكان زيته أولاً صافياً يكاد يضيء ولو لم تمسسه نار، اشتعل نوراً على نور، فأدرك النور على ما هو عليه، فقيل له: تأدّب لله وأمسك، فإن للحيطان أذاناً، وحواليكم ضعفاء الأبصار، فسيروا بسير ضعفائكم، ولا تكشفوا حجاب الشمس لأبصار الخفافيش، فيكون ذلك سبب هلاكهم، فتخلَّقوا بأخلاق الله، وارقوا إلى السماء الدنيا من منتهى علومكم لتأنس بكم الضَّعَفة، وتقتبس من بقايا أنواركم المشرقة.

ومنها ما هو مفهوم في نفسه لا يَكِلّ الفهم عنه، ولكن ذكره يضرّ بأكثر المستمعين،

---

(1) عند الطبراني وأبي يعلى والبزار عن ابن مسعود رضي الله عنه موقوفاً بلفظ: «إن هذا القرآن ليس منه حرفٌ إلا له حد ولكل حد مطلع». وروى ابن حبان في صحيحه من حديث ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً: «إن للقرآن ظهراً وبطناً وحداً ومطلعاً». انظر: **تخريج أحاديث الإحياء ـ** الحديث رقم: 856 .

(2) **قال في المقاصد:** عزاه الحافظ ابن حجر لمسند الحسن بن سفيان عن ابن عباس رضي الله عنهما بلفظ: «أمرت أن أخاطب الناس على قدر عقولهم»، قال: وسنده ضعيف جداً. ورواه في الغنية للشيخ عبد القادر الجيلاني قدس الله سره العزيز بلفظ: «أمرنا معاشر الأنبياء أن نحدث الناس على قدر عقولهم». انظر كشف الخفاء للإمام العجلوني: الجزء الأول ـ صفحة 196.

(3) قوله ﷺ: «ما حدث أحدكم قوما بحديث لا يفهمونه إلا كان فتنة عليهم». رواه العقيلي في الضعفاء وابن السني وأبو نعيم في الرياء من حديث ابن عباس بإسناد ضعيف، ولمسلم في مقدمة صحيحه موقوفا على ابن مسعود رضي الله عنه . **تخريج أحاديث الإحياء للحافظ العراقي**: المجلد الأول. كتاب العلم: الباب الثالث ـ الحديث: 2.

وسرّ القدر الذي مُنع من إفشائه من هذا القبيل أيضاً، ولا يبعد أن يكون ذكر بعض الحقائق مضرًّا ببعض الخلق كما يضرّ نور الشمس بأبصار الخفافيش، وكذا تضرّ رياح الورد بالجُعَل، فهذا وأمثاله من الأحوال التي لا يُدْرك تمام حقائقها، ولا يمكن المتّصف أن يعبّر عنها إلا بنور إلهي وقبول من الجانبين؛ لأن الخُلُقَ الذي كلّف الخَلْقُ اعتقاده له مبدأ ظاهر وغور باطن، وجمود الطبع على الظاهر يمنع من الوصول إلى الغور الباطن، هذا ما قدّره الله تعالى ويسّره على لساني من الكلام على النفثات الأربع التي فضّت أفواه العقول بيد العجز عن كنه إدراكها، وسجنتها تحت أطباق الأنوار الصادرة عن سيدنا ومولانا الشيخ الفقير البحر الزخّار، الخضمّ التيار، محمّد بن علي باعلوي رضي الله عنه ملخصاً من أقوال المشايخ، وذلك مني وصف لزوم الإحجام عن هذا الورد المنيع والجناب الرفيع؛ إذ الضالع لا يدرك شيئاً، والضليع ومن يتكلم عن وجده، فماذا يقال في كلامه **وقد قيل**: لا يفهم عنك إلا مَن أشرق فيه ما أشرق فيك؟.

وقيل أيضاً: لا يفهم ما تقول إلا من يرى ما عبّرت عنه. فكما أنه لا يعرف الولي إلا ولي، كذلك لا يفهم كلام الولي إلا ولي. **وقد قيل**: إذا بلغ الرجل في هذا العلم الغاية رماه الخلق بالغواية؛ أي: لأنه يخرج كلامه عن حدّ عقولهم.

قال سيدي حاتم بن أحمد الأهدل رحمه الله: اعلم يا أخي أن الولي كلما عرج في معارج العلا، ودرج على مدارج [سبح اسم ربك الأعلى] جُهِلَت صفتُه، وتنكّرت معرفته، فلولا رسم العبودية اللازم لما ثبت له المقال، ولا علمت كينونة العوالِم، ويكفي في شأن حاله قول بعض أهل المقام ورجاله: [شعر]

تسترق عن دعوى بظل جناحه ... فعيني ترى دهري وليس يرانيا

فلو تسأل الأيام ما اسمي ما درت ... وأين مكاني؟ ما عرفن مكانيا

وقال ابن باخلا الشاذلي رضي الله عنه في شرحه لحزب البحر: وما زال أهل العلم والأخبار والأكابر يلتمسون لكلام هذه الطائفة أحسن المخارج لعلمهم أن بعض كلامهم يرتقي عن دائرة العقول، ويشذّ عن ظواهر المنقول، فإما تأويلٌ حسن، وإما ظنّ حسن، وقد قال الله تعالى في حقٍّ من وقف مع ظواهر الأشياء وترك بواطنها: ﴿بل كذبوا بما

لم يحيطوا بعلمه﴾، [يونس:39]. وإذ لم يهتدوا به فيقولون: هذا إفك قديم، فحقيقة كلامهم ﷺ لا يعرفه إلاّ هم؛ لأنما هو لغز، ورمز، وتورية، والتورية في اللغة حمل المعنى على أبعد المفهومين، والرموز والألغاز يعطى ظاهرها ما لا يقصد قائلها، وليست مرادة لأنفسها إنما هي مرادة لما لُغزت له أو لُغِز فيها.

وقد قيل في هذا المعنى: [شعر]

ألا إن الرموز دليل صدق ... على المعنى المغيّب في الفؤاد

ويلزم أن يكون لزيد لسان واصطلاح لا يفهمه عمرو، وأن ذلك باطل في نفسه. وقد قيل: [شعر]

وكم من عائب قولاً صحيحاً ... وآفته من الفهم السقيم

قال الشيخ عبد الكريم الكيلاني ﷺ: أقوالهم ﷺ كلها مقيدة بالكتاب والسُّنّة، ومَن لاح له خلاف ذلك فليعلم إنما ذلك من حيث مفهومه، فليتوقف عن العمل به مع التسليم إلى أن يفتح عليه بمعرفته، ويحصل له شاهد ذلك من الكتاب والسُّنّة، وهذا شيء لا يفهمه إلا الغرباء من الأولياء الأفراد الكُمّل، فإنه من الأذواق الإلهية المخصوصة بالمحققين دون غيرهم من العارفين، فإن حصل بما أوردته موافقة المرام وشفاء الأورام، فهي رمية من غير رام؛ إذ لا يصف الشيء بكماله إلا من تحقق به: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾، [الصف:3].

وأنشد لسان حالي حينئذ: [شعر]

هذا المقام الوهبي ... لا يرتقى بالكسب
وليس هذا سربي ... لكن أنى أنبي
عن حال أهل القرب ... نعم وإن شا ربي
كمثلهم أعطاني ... وهو العظيم الشان

وفضل الله تعالى ومِنَنه لا تحصر بمكان ولا تختص بزمن دون زمان، ورُبّ حامل

فقه إلى مَن هو أفقه منه؛ وإذ قد انتهى ذلك المزبور[1] بالكتاب المذكور المأخوذ من أثناء ترجمة الفقيه المقدّم ﷺ حسب ما أشرنا إليه بالكلام فيما تقدّم، فقد عجزت أبيات الشيخ أحمد بن علوان ﷺ وصدّرتها وفي هذا المحل تعجيزها وتصديرها أثبتها، فلينظر إليها الناظر، وليكن لي بما يراه بها عاذر لكوني خلطت شعيري ببُرّها، وقابلت جراءة مني حجري بدُرِّها، ولقائل يقول: ما هذا الكلام الذي تقوله وأنت تخشى من الملام؟.

أقول في جواب من أحب فهو أعمى وإن كان بصير، وأصمّ في جميع الحالات سمعه؛ لا سيّما عن كلام الغير، كما قلت: [شعر]

متى أحبب الإنسـان جـنَّ جنانه ... وأضحى يقول بالذي هو لا يدري
فمَـنْ لامـه بعـد أن أقـرَّ بذنبه ... فذاك الذي لام الظلام على الفجر

وهذه الإنشاءات المشار إليها، فرحم الله امرأً بعين الرضى نظر فيها: [شعر]

محتني يد الرحمن عن حرف صورتي ... وأثبـت والإثبـات مـا كان لولاه
وأظهرني كالشمس في كَبِد السَّما ... وغيَّبنـي عنـي فلـم أرَ إلاّ هُـو
وقال: أنـا الله اسـتَجِب لعبارتي ... وقُلْهـا بسـرٍّ قـد تعاظـم مَبنـاه
فهمْـت بمالي قيـل بالحال طاعة ... فقال صداي المسـتجيب: أنا الله
فشـق الأنا الجاري على لفظة أنا ... منـادى بهـذا قـد أجاب منـاداهُ
أرى الحال لاح عكسه لي وقد دَنا ... وعوضنـي باسـم الإله مسَـمَّاهُ
وصيّـر قطعـي وصلـه وأهانني ... بدت غـرة لي بالـذي أنـا أهواهُ
وصيَّـر خفضـي رفعـةً وتنزُّلي ... علـوًّا وصلبـي مـا ألـذّ محيَّاهُ
وصيَّـر تحريقي وذروي إشـارة ... فهمهـا الذي في موتـه كان أحياهُ
فبيـن الثُّريّـا والثَّرى كم مَسـافة ... ألا مَـن أحـب الله حقَّـق دعواهُ

(1) أي: المذكور.

فكل قتيـل في الهوى فهو صاحبي | علـى كل حال كان مـأواي مأواه
وكل محـبّ للحبيـب حبتـه | وكل شـهيد للقضـا أنـا إيّـاهُ
لقد ذبـح الجفـر المعـدّ لذبحه | قضا به القاضي قضى مذ قضى الله

وقد عجزت وصدّرت أيضاً أبيات عظيم الصيت الشيخ عبد الكريم الكيلاني ﵁ المشهور، وذيّلتها ببيت، وهي هذه: [شعر]

لي الملك في الداريـن لم أر فيها | عبيـداً على الإطـلاق عرفه الله
ولـم يتحقـق حـق معرفـة لـه | سـواي وأرجو فضله أو فأخشـاهُ
فـلا قبل مـن قبلي فالحقّ شـأنه | بشـوق وعشـق للذي أنا أهواهُ
ولا واصل بالحـال أفضل وصلة | ولا بعد مـن بعدي فأسـبق معناهُ
وقد حـزت أنواع الكمـال فإنني | على ما أنـا فيه مـن البُعد مجلاه
أقـول بفضل اللـه سـرًّا وظاهراً | جمـال جلال اللـه ما أنـا إلا هُو
فـلا تعذلونـي إن أبـن مـا أبانه | أمـا إن نـوري ليلـه كان ليـلاه

وأيضاً عجزت وصدّرت أبيات القيصري شارح الفصوص لابن عربي من بالشيخ الأكبر هو مخصوص ﵁ وهي هذه: [شعر]

حقيقة ظهرت فـي الكون قدرتها | أوجدهـا واجد موجـود ما غَرُبا
وكونها أشرقت من حيث ما بطنت | فأظهرَتْ هذه الأكـوان والحُجُبا
تنكـرت بعيـون العالميـن كما | أبـان تعريفهـا مَـن كان مِنها أبا
مـذ نكروهـا بجزم لا سـكون له | تعرفت بقلـوب تغـرف الأدبا
ما بالتسـتر بالأكوان مـن عجَب | إذ لا عجيـب هنـا يا أيهـا النجَبا
إن تُمعنوا العجاب لا عجاب نرى | بل كونهـا عينها مما تـرى عَجَبا
فالخلـق كلهـم أسـتار طلعتهـا | هي هي حيـث ما كانـت تعد نبا

فالشــأن شــتتهم والفــرق فرقهم		والأمــر أجمعهــم كانوا لهــا نُقبا
تعجيــز تصدير جفــر جعفري بدا		فاعجب لجفر اكتســا عمامة وقبا
والقيصــري عجمي لكنــه عَربي		لفظــاً وفحــوى فيا لله مــا انتخبا

واقترح عليّ بعض الإخوان بتعجيز وتصدير الأبيات، ولم يعرفا لإنسان، فأجبته إلى ذلك وإن لم أكن أهلاً لما هنالك، وهي هذه: [شعر]

ومخطوبــة الحســن محجوبــة		عــن الأعيــن بضيــا كشــفها
بألــف يؤلــف تأليفهــا		ولا تألفــن ســوى ألفهــا
إذا مــا تجلَّــت علــى عاشــق		نحاهــا نحتــه بتصريفهــا
وأعلتــه قــدراً علــى غيــره		وأهــدت إليــه شــذا عرفهــا
تغيــب الصفات وتفنــى الذوات		بتنكيرهــا بــان تعريفهــا
بســرٍّ وجهــر يلــوح لنــا		بمــا أبــرز الحُسْــن مــن لطفها
فــإن رامَ عاشــقها نظــرة		لمــا قــد نرجــاهُ مــن عطفهــا
وســار إليهــا بعــزمٍ جلــيٍّ		ولــم يســتطع إذ عــلا وصفهــا
أعادتــه طرفــاً رآهــا بــه		وفي ضمنــه الصرف من رشــفها
بــذاك تحقــق تحقيقهــا		فــكان البصيــر بهــا طرفهــا

ثم أتى إليَّ ذلك البعض بأبيات للشيخ السود المسعودي، فخمّستها بما ورد عليَّ من وارد نفحات الإله المعبود، فقلت: [شعر]

يــا كريــم الوجــه يــا قمَــري		يــا غِنــى قلبــي ويــا وطــر
يــا غيّاثــي عنــد مــا خطــر لي		ليــس عنــد الخلــق مــن خبــر
عــنــك يــا أغــلــوطــة الـفـكـر
وصفــك الباهــي نَمَــا وسَــما		وترقَّــى فــوق كل سَــمَا

ليس إلا بك ما رسما تاهت الألباب فيك وما
ميزت ورداً من الصّدر
كل شخص قال نحوي أتى خبر عنك أقول متى
كأن ذاك والذي ثبتا حيرة عمّت وأيُّ فتى
دام عرفاناً ولم يحر
لم أقل شأنك متصلا لا ولا أحكيه منفصلا
أنت أنت في خفا وجلا عمّت أنباء ذاك على
كلهم في البدو والحضر
فتباين فيك خوضهم بنقيض بان نقضهم
وطفح بالحال حوضهم وغدا يسأل بعضهم
عنك بعضاً عل من ظفر
نزلوا عن كل ما ارتفعوا بالمعاني في الذي وضعوا
فيك كم من مهمةٍ قطعوا فانثنوا و الله ما وقعوا
لا على عينٍ ولا أثر
كل من زاد تعجّبه انبسط فيك تحجّبُه
قال من طال ترقُّبُه بل عظيم القوم مطلبه
شدَّة التحيير والحذر
قلت فيه ما هو يجب لنسب الأنساب والحسب
سِرّ سِرٍّ ضاء يلتهب بالظهور والصرف يحتجب
أنت هذا صحَّ في الأثر
كل خير منك قد جُلِبا وسواك قط ما قلبا

قلت لما أن عدمت نبا كيف حاروا فيك واعجبا

يا منى سمعي ويا بصري

كل من يدعى بمُتحد بك خاطي غير مجتهد

ما له أجر بمستند أنت لا تخفى على أحدِ

غير أعشى الفكر والنظر

أو على من حقّه سفه وعلته بالهوى شَبه

أو ما على من لا هو نبه أو على شخص به كمه

لم يشاهد صورة القمر

إن يقل من لا يكون فهم أمر هذا بالغموض بُهم

قلت فيك عازم ومهم أنت منهم ظاهر وبهم

ولهم لولا بقا الأثر

كم هنا زلَّت بهم قدم سيما من عدّك عَدم

وقؤول قال مصطلم وتلاشت عنهم ظلم

وانمحوا عن عالم الصور

وازالوا خبط من خبطا ورموا ربطاً ومرتبطا

وتحروا عمداً جا وخطا شاهدوا معناك منبسطا

سائراً في سائر القطر

وأقروا أنهُم بهم ونفوا ما كان متّهم

واستبانوا ضدّ ما فهموا ودروا أن الحجاب هم

عن شهود المنظر النّضر

وتولوا وجه وجهَته ولقى الطالب منيّته

وانتفــت بالحــال شُــبْهته وقضــى يعقــوب حاجتــه
وانــتــهــى زيــــدٌ إلــــى الــوطــر

وارد التخميــس قــد وردا وصــدر نحــو الــذي قصــدا
إن يوافيــه وفيــه هــدى ذاك فضــل اللــه منــه بــدا
مــا ادّعـــــاه الـعــاجــز الـجـفـري

أو يــرى فيــه زلــل وخطــا لعــدم شــرط لهــم شــرطا
فاعــذروا مــن رامــه شــططاً وتعــدّى حــدَّه وسَــطا
بــالــنــبــيّ الـمـصـطـفـى الطهر

وهذا تخميس ورد بفضل الله ﷻ على القصيدة الخمرية لابن الفارض ﵁، وكان وروده وختمه كما ذكر في آخره بساعة عصرية من دون عارض، فحق له أن يسمى بوارد العصر على ابنة العصر، حلوى وما من شأنها الملح؛ إذا لا نَحُو نحو ناظمها يا طالب الربح، فليعذر كلّ من هو ناظر فيه متى وجد عيباً بظاهره وخافيه؛ لأن ناظمه لكثرة مساويه ربما خلط في معانيه، فرحم الله امرأً نظر بعين الرضا، وسامح محروقاً دائماً بجمر الفضا، والحمد لله أولاً وآخراً وصلاةً وسلاماً، باطناً وظاهراً على سيدنا محمد صاحب الشفاعة الكبرى وعلى آله وصحبه سادات الدنيا وملوك الآخرى: [شعر]

روايـــة أهل العشـــق كانـــت دراية ومـــن غيرهـــم إن قالهـــا لكبيـــرة
ومـــا قالـــه الســـلطان كان حقيقةً شـــربنا على ذكر الحبيـــب مدامة
سكرنا بها من قبل أن يخلق الكرم

فتلـــك التي من قبـــل آدم عصيرها ومن قبـــل خلق الجنة وســـعيرها
فظاهرهـــا مـــن رامـــه وضميرها فظاهرهـــا مـــن رامـــه وضميرها
هلال وكم يبدو إذا مزجت نجم

فــلا شــك أن عصرهــا وزمانها بيــوم ألســت كونهــا ومكانهــا
فلولا بلى قلــت حرّمــت إتيانها ولولا شــذاها مــا اهتديت لحانها
ولــولا سناها ما تصورها الوهم
عجوز ولكــن للضراغم أعجزت ومهما تطل في العمر حسناً تزايدت
كريمــة أصل للمحبين ســاعدت ومن بين أحشــاء الدنان تصاعدت
ولم يبق منها في حقيقتها الاسم
فمــن نالهــا قــد نالهــا بعنايــة معانــي معانيهــا حظى بفراســة
وليســت هــي إن وقفــت ببعيدةٍ ولم يبق منها الدّهر غير حشاشــة
كــأنّ خفايا من صــدور النها كتم
نعم مــن تأمّلها فقــط طاب أصله وقــد حــاز منهــا نهلــه ثــم علّه
فلــو شــمّها الأدنى تعاظــم حاله ولو ذكرت في الحــيّ أصبح أهله
نشاوى ولا عــارٌ عليهم ولا إثم
فمــا دون مشــواه يعــد بمشــوء جرت في قلــوب العارفين بمجره
يــا مــن تقرّاهــا يعــد بمقــرء وإن خطرت يوماً على خاطر أمره
أقامت به الأفــراح وارتحل الهمّ
وتــاه بهــا حــالاً مــع أوليائهــا وعربد مــن وجد لــه بانتشــائها
لقد فــاز فاني عمــره فــي فنائها ولــو نظــر الندمــاء ختــم إنائها
لأسكرهم من دونها ذلك الختم
هويــة قــوم مــا لهــم مــن هويّة كرامٌ عظــامٌ قــد حموا مــن بليّة
مع خفيِّهــا أمســت لهــم بجليَّةٍ فلو نضحــوا منها ثــرى قبر ميت
لعادت إليه الروح وانتعش الجسم

تعالت على الأسما جميعاً باسمها وقـد قدمت فـي الحالتين لقدمها

ومـن غرها قالـوا كثيـراً بعدمها ولو تركوا فـي حائط تحت كرمها

عليلاً وقـد أسقى لفارقه السقم

يخص بها الرحمن لا شك من يشا وما خصّها بالشيخ والكهل والرشا

فمـن حبّـه الله بهـا قلبه أنعشـا ولو قربـوا من حانها مقعدا مشـا

وتنطق من ذكـرى مذاقها البكم

فـدع عنـك أقوامـاً نفـوه بعيبها فقد حُجبت عنهم بسـتر حجابها

وماذا على الحسـنا نبيـج كلابها ولو عبقت في الشرق أنفاس طيبها

وفي الغرب مزكوم لعاد له الشمُّ

بهـا المقعـد عند اللقـاء كفارسٍ يصير وكم قد أعجزت من مُمارس

بها يفخر العـاري على كل لابس ولو خضبت من كأسها كف لأمس

لما ضـلَّ في ليل وفـي يـده نجْم

بها الله من شـا من الناس أسْـعدا وأحماهم بالفضل من حومة الردا

هي المبتدا والختـم بالرغم للعدا ولو جلبت سـرًّا علـى أكمه غدا

بصيراً ومن راووقها تسمع الصمّ

رياضة أهل الله في وسـط روضها فيبـدو لهم مـا يطلُبـوه بخوضها

شـرابهم الصافي زلال بحوضها فلـو أن ركباً يمَّموا تـرب أرضها

وفي الركب ملسوع لما ضرَّه السُّمُّ

تجلت علـى أمل الولايـة والولا وأما علـى أهل نفـوس البلا فلا

تعالت على كل مسـمَّى من الطلا ولو رسم الراقي حروف اسمها على

جبين مصاب جـنّ أبـراه الرسمُ

فإن خفيت يوماً وقد غاب رسمها   على من يرى أن تلك روحُ بجسْمها
فقــل لا يراها مــن يظــنّ بعدمها   وفوق لواء الجيش لو رقّم اســمها
لا سكر من تحت اللوا ذلك الرقمُ

تسامت فلم تخطر على قلب معتدي   نعم قد تجلّــى نحو من هو مقتدي
وتقصــد بالتوفيق مــن قلبه ندي   تهــذب أخــلاق النّدامــا فيهتدي
بها لطريق القوم من لا له عزمُ

بها ينتفي و الله فــي الحال خوفهُ   ويصــرف عنــه كلمــا رام صرْفه
بها يكشــف ما ينكر الغير كشــفه   ويكرم مــن لا يعرف الجــو د كفّه
ويحلم عند الغيظ من لا له حلم

فيا سعد من دام على شرب صرفها   ومــا مزجهــا إلا يخــلّ بلُطفهــا
فكم منتشي من دون شرب بعرفها   يقولــون لي صِفْها فــأت بوصفها
خبير نَعم عندي من أوصافها علمُ

فما ذاقها من لم يذق حرقة الجوى   ومن لا له قلــبٌ على حبّها انطوى
فكيف بمن أغوى وللغير قد غوى   صفــاء ولا ماء ولطــف ولا هوى
ونــور ولا نــار وروح ولا جسمُ

عجائبُ لا تُحصى عن الحدّ أنفها   وليس يفيد الحصر في ضعف ضعفها
فقم دونها واســلك مسالك ألفها   محاسن تهدي الواصفين لوصفها
فيحسن فيها منهم النثر والنظم

فقل ما تشــا وابق حجاباً لســرِّها   لئــلا تلحد عنــد وحــدة فجرها
وقل كل شــيء جرى تحت أمرها   ويطرب من لا يَدْرهــا عند ذكرها
كمشتاق نعم كلما ذكــرت نعم

أرى كل من عن مقصد القوم أحْجما نهانــي صريحاً بعــد أن كان أبْهَما

وجملــة عذالــي رموني بــكلّ ما وقالوا أشــربت الإثــم قلت وإنما

شربت الذي في تركها عندي الإثمُ

أمــا إنهــا روح الذي شــغفوا بها وأهل الغنا فــي صدقهم عُرفوا بها

لقد فــاز من قد هام في ســرِّ حبها هنيئــاً لأهل الدير كم ســكروا بها

ومــا شــربــوا منها ولكنهم عموا

رجال هــم فيما تعاطــوه قدوتي جميع الــذي محنوا به نحو محنتي

ومنحتهم يــا صاحبي فهي منحتي وعنــدي منهــا نشــأة قبل نشــأة

معي أبــداً تبقى وإن بلى الجسْمُ

نهضني لذكــر الله يا صاح وهجها ونلتُ بها من عالــم الغيب ثلجها

فأطنب بها في المدح والغير أهجها عليك بها صرفاً وإن شئت مزجها

فعدلك عن ظلم الحبيب هو الظلم

فمــا بلــغ المحبــوب إلا بحُبّــه ومــا فاز مَــن قــد فــاز إلاّ بقربه

ســنا كل من تهواهُ يا صاح ســربه ودونكما في الحال واســتجلها به

على نغم الألــحــان فهي بــه غنم

من اللــه فاســألها تنلهــا بفضله من اللــه فاســألها تنلهــا بفضله

فمــا قــال إلا مــا يظــن بجهلــه فــلا قبل إلا وهــي من قبــل قبله

وبـعـديـة الأبــعــاد فهي لــه ختم

فإن أخبروا للكون صدرٌ فصدرها ومــا خبــر إلا تضمَّــن خبرهــا

مضارعــة والحال أمضــاه أمرها وعصر المدا من قبله كان عصرها

وعصر أبينا بعدها ولها اليتم

تضمن سـرّ الكائنـات احترامَها فلا حرمـة تدعى سـوى التزامَها
فيـا ويل طالـب حلّهـا بحرامِها ولـو نال قـدم القوم لثـم ختامها
لأكسبه معنى شمائلها اللّثم

أيقطـع بالتفصيل مَـن هو جاحد ويزعـم بالتلحيـد مـن هو لاحد
ثلاثـة أيـام وأسـبوع عائـد وقد وقـع التفريق والـكل واحد
وأرواحـنـا خمر وأشباحنا كرم

فيا رب اجعل لي بفضلك مخرجاً فربّ لسـاني في مقالـي تلجْلَجا
لأن الحميـا نورها عقلـي أدْمجا بها اتَّحدت روحي بحيث تمازجا
اتـحـاد ولا جـرم تخلّله جـرم

بعيـد انتسـاب وهو عبـدٌ مقرَّب عجيـب قريـب غيره منـه أقربُ
من استغرب الماضي رأى ما هو أغرب فخمـر ولا كـرم وآدم لـي أب
وكــرمٌ ولا خـمـرٌ ولـي دنـهـا أُم

لقد جـلَّ عنهـا غوثهـا ومغيثها وباعثهـا للعاشـقين وريثهـا
فمـا آدم إلا روى عـن حديثهـا تقـدّم كل الكائنـات حديثهـا
صريحاً ولا شكل هناك ولا رسمُ

فمـن لا رزقه اللـه منها بشـرْبة فمـا ذاق مـن ذوق عليـه بنقمةٍ
بها جوهر الأسـرار مـن غير مِرية وقامت بها الأشـياء ثـم بحكمة
بها احتجبت عن كل من لا له فهمُ

وبالقـدرة قـد بـان ما هـو لامعٌ وما نار مـن أنوارها فهو سـاطعُ
فخـذ مجملاً لا غيـره وهو قاطعٌ وحكم الأواني فـي الحقيقة تابعُ
للطف المعاني والمعاني بها شم

وبالجزم إن الفتح قد ضمَّه المعي وقد نصبت رفعاً بخفض بمهيعي
فما كسرها في زودها بمضيعي وما سكنت والهمّ يوماً بموضعي
كذلك لم يسكن مع النعم الغم

وما حرفة فيها وما من صناعةٍ وليست بإخفاءٍ ولا بإشاعةٍ
فدعْ مدَّعيها إنها بخلاعة وفي سكرةٍ منها ولو عمر ساعة
ترى الدهر عبداً طائعاً ولها الحكم

بمعرفة تلقى الطريق كما هي حقيقتها نور إلى الله داعيا
بأحكام شرع آمراً ذا وناهياً فلا عيش في الدنيا لمن عاش صاحيا
ومن لم يمت سكراً بها فاته الحزم

ولا عزّه الله ولا جلّ قدره وأكرم ظاهره وأظلم سرّه
وأعدم في الدنيا وفي تلك ذكره على نفسه فَلْيَبْكِ مَن ضاع عمره
وليس له منها نصيب ولا سهمُ

يقول بحول ربّه السيد الجفري لقد تمّ تخميسي على ابنة العصر
وواردهِ مبداه والختم بالعصر ويطلب دأباً من أولي العلم للعذري
لحيث أن لا آلات معه ولا علمُ

وختمي صلاة مع سلام زكي زانا على من به ربّ الخلائق أهدانا
مع الآل والأصحاب سادات من دانا وتاريخها تخميسها جيد بانا
فلا غرو أن يحلو بضابطه النَّظْم

وقد سألني شخص من أرباب المعقول والمنقول بهل لك من معنى يقوم عليه تركيب هذا المقول؟.

فأجبته في ذلك بقولي بعد أن اعترفت بصبوتي وذهولي: [شعر]

أقـــول لـــم أدْرِ بمـــا أحكيـــه ... سـرًّا وجهـراً والـذي أعنيـه
لكـــن مـــا لـــي واردٌ يأتـــي متـــى ... جـاء صـدر منـي فـلا أخفيـه
لكـــي بـــه يحظـــى خليـــل ذوقه ... يـذوق شـيئاً بالـذي أُبديـه
لا سـيما ذو أدب مـن ربِّـه ... موفـق لفهـم مـا أمليـه
يـرى معـان معنويـات انجلت ... بحـسّ محسـوس بـه رائيـه
الـراوي الضمـان من مشـروبه ... شـرابه راويـه بـل ظاميـه
أسـكره مـن معنويـه دائمـاً ... بـكأس راح ريحهـا فانيـه
كأس بـه نـار الكليـم ونـار ... إبراهيم يوسـف حسـنه سـاقيه
مريـم بعيسـى حملهـا وفصالها ... وكلامـه فـي مهْـده يحويـه
منـه الخضـر قـام بعيـن حياته ... ويونـس مـن نونـه ينجيـه
طوفـان نـوح كان منـه وبـه ... نـوح نجـا بالفلـك مع مَـن فيه
وآدم خالقـه اللـه علـى ... صورتهـا ضميرهـا هـو هيـه
هـاء هوى إبليـس بها مـن مُعتلٍ ... إلـى حضيـض سـافل مُخزيـه
إذ صـار ذا وجهيـن فـي أعماله ... واسـتكبر فضلـه هاديـه
لا ماكـراً بـل كان ممكـوراً بـه ... لا أمـن لا يـأس بمـا نرويـه
كن كيف شئت كما أُمرت فاستقم ... وبـه اسـتعذ مـن مكـره بنبيـه
حالٌ بأحـوال يحول علـى المدا ... والحَـوْل والقـوة لمـن تدريـه
جفر يلـج البحـر خـاض قائلاً ... أقـول لـم أدري بمـا أحكيـه

وأشرت إليه لكونه مستهزءاً بقولي، وله بمستنكري بتعجيزي وتصديري لأبيات الشيخ المعروف بالتلعفوي، فقلت: [شعر]

لو كنت في دعوى المحبة تصدق … يـا سـيبويه الآن فيمـا تنطـق
أو تضمـر متعرّضـاً نفحاتنـا … مـا كان قلبـك سـاكناً لا يخفق
لا تدّعـي ولهـاً وقلبـك فـارغٌ … عـن حبّنـا إن كنت ممّن يعشـق
لا ترتجـي وصـلاً ولا مـن نظرة … منّـا وأنـت بغيرنـا متعلّـق
نـزِّه مواطـن مثلنـا عَـن غيْرنا … فالغيـر غيـر بالتغيُّـر ملحـق
جانـب نواهينـا وتابـع أمرنـا … واقبـل فأنـت بنـا أحـقّ وألْيَق
لو جال فيك هوى المحبّة سـاعة … بل نفسـاً مـا كان صَـدرك ضيّق
لـو كان أخلصْـت بدعـواك لنا … مـا كنـت تطلبنـا وأنـت معوّق
ولقد كرهت العيـش بعد بعادكم … وبـه غدوت بـدون قلـب أطرق
مفكـرٌ أنشـد سـرًّا وعَلَـنٍ … ما فـي الحيـاة إذا بعدتـم رونق
والختم بالمبدأ لصـدق حديثكم … لو كنت في دعوى المحبة تصدق

وقد عجّزت وصدَّرت أبيات الشيخ المشهور بالطائفي المدني الحسين بن عبد الشكور، وقد قصدت إثباتها هاهنا لكون في ضمنها ما يلوح عن جواب من قال: هل لك بهذا المقول تركيب يدل على معنى حيث هو؛ أي: السائل من أرباب الإعراب والمبنى، وما كان فيما نحن فيه من المقاصد معنا، وهي هذه: [شعر]

الذنـب من شـأن العبيـد الفاني … إذ بالوجـود كلاهمـا ألفـان
ما يخلو من ذنبٍ سوى ذي عصمةٍ … حتـى ذوى التحقيـق والعرفـانِ
إذ هم حـوادث والعلوم حوادث … والنقص منسـوبٌ إلـى الحدثان
فالعجـز صـار لازماً من شـأنهم … لـم يدركـوا تحقيق علـم الفاني
والجهل وصفهم ولـو علموا بما … بعيـن علـم الواحـد الديّـان
لتحققـوا وتعرفـوا مـاذا بـدا … في الكون مـن قاصيهـم والدّانِ

والكــون غايتــه الفنــاء وإنمــا طريقــه بالقصــد والإمــكان
والفهــم للحــال الــذي فيــه به يجدي علــوم الــذوق والوجدان
علم بــه الأعيــان تقلــب عندما تتلــوّن الأشــخاص بالألــوان
فبالتلــون مــن تخيُّــلِ وهمهــا يبــدو بوصــف القبــح للأعيــان
علــم تنــزّه عــن قلاقــل حاذق متشــدّق متنطِّــع الألحــان
أو مدّعــي مــا لا يطيــق بجهلــه أو مــاذق أوصــادق أو عــانِ
علم يفــاض مــن العليــم لأهله بمحلّــه والســرّ والإعــلان
بحالــة مــا حــال عنهــا علمهــا بتنــزُّل مــن ربِّنــا الرحمــن
علــم لدنــيٌّ يفــاض منوّعــاً أنواعــه لــم تحــص بالحســبان
بتمكــن تلويــن مــن هــو أهلــه فــي كل آنٍ بالســنا الربّانــي
لــم يَــدْره أحــدٌ ســواك لأنــه يلقــى هــو بالفضل والإحســان
فينالــه المخصــوص منــا كنهــه ســرٌّ ســرى في العالم الروحاني
يبــدو لطالبــه بغيــر تكلُّــفٍ وتعســفٍ وتلهــفٍ بالآنــي
مــا يلتفــت إلا يجــده تجاهــه مــن كل مــا شــيء بغيــر تــوان
فتــرى الوجــود مَعْلَمــاً ومعلّماً طالــبُ مطلــوب مخــرّبٌ باني
بالنفــي والإثبــات واردُ صــادر بفنــون علمٍ لــم تكن في شــاني
خــصّ الإلــه بهــا جنــود وداده لا ســيما مَــن فــاز بالهَيَمــان
فــي حُــبِّ مــولاه ومالــك أمره فتــراه يبــدو باقيــاً مــن فــانِ
﴿يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ذلكم الله فأنى تؤفكون﴾
فتلــقَّ منهــم أو تــرقَّ بحبِّهــم إن كنــت ممــن عُــدَّ بالإنســان

فبالتلقّـي أو الترقّـي التـزم		يـا كامـل النقصـان والعصيـان
فهـم هم أهـل الكمال فـلا تمل		لسـواهم مـن سـائر الحيـوان
دع قلب قلبك فـي المواطن كلها		عنهم فتشـري الربح بالخسـران
واحذرهم واحذرك واحذر كلّ ما		يتخيّـل بتلـوُّن الأكـوان
ودم ثبوتـاً واتـق اللـه بمـا		يبدو عليـك وكن حليـف هوان
وأشـهدك أحقـر ما يكـون بذلة		لا سـيما فـي الفخـر بالإيمـان
فالذلّـة المومـى إليهـا يـا فتى		هي وضعـك المعلـوم بالإعلان
واشـهد رقيك في الكمـال تنزّلاً		ترجـح عند الـوزن فـي الميزان
وانـدم وتـب ممـا فعلـت كلّه		مسـتغفراً منـه بـكل لسـان
فجميـع أعمـال العبـاد حقيـرة		كبعوضـة تحسـب فـي الطيران
أو عشـر مثقـال يعـد لـذرّة		فـي جنب شـأن المنعـم الحنّان
واشـهدك ذنباً واطلب الغفار من		إفضالـه فـي سـائر الأحيـان
توفيقه السـول الذي هو قد حوت		ألطافـه سـتراً مـن الغفـران
حتى تـراك محجباً عـن كل خلقٍ		فـاز بالتوفيـق أو الخـذلان
بل كل شـيء حادث مما سـوى		اللـه فـي التكميـل والنقصـان
فالداء فـي نظر العبـاد وإن علوا		بمراتـب تعلـو علـى كيـوان
ترجـو محالاً مـن محـال دائماً		ودواء ذاتـك نظـرة الرحمـن
فاعبد شـهيداً واحتجب بشـهوده		فـي حالـة التدقيـق والإمعـان
محجـوبٌ عنك لا يـزال حجابه		عمّـن تشـاهده مـن الأكـوان

[ويحذركم الله نفسه والله رؤوف بالعباد]، وقد توسّلت فيما نابني بسيدي وسندي ومَن عليه بعد الله ورسوله معتمدي، فقيهنا المقدّم وصوفيّنا الأقدم، في ضمن تعجيزي وتصديري لقصيدة سيدي علم الإرشاد الحبيب المحبوب عبد الله بن علوي الحدّاد ﵁، وهي هذه: [شعر]

يا ظبي عيديد ما في الحسْن لك ثاني
عندي وعنك فلا يُثنيني من ثاني

أنت مُناتي ومأمولي وسؤلي أرى
فهل سبيل إلى لقياك يا غاني

وهل لنا مطمع في الوصْل يا أملي
نرجوا له منك في سرٍّ وإعلان

فارتقبه بقطع واستعدّ له
وقتاً فتصفو أوقاتي وأحياني

يا سادن الحي من جرعاء ذي سلم
بمنحنى أضلعي أشعلت نيران

أحرقت قلبي بطول البعد يا وطري
ألا ألا ترعى ميثاقي وإيماني

كم ذا التجافي وكم ذا الصدّ عن كلف
متيّم دونه قَيْس وغيلان

قد صار بين الورى مِن دون ريب يرى
حليف وجد وأشواق وأشجان

يبكي على زمنٍ ولَّى ومجتمع
مع كرامٍ عظامٍ كلهم فاني

بطاعة اللـه مشغولون في غرف
بالرقمتين لأحبابٍ وأخدان

من كل بر تقي زاهدٍ ورع
موفق الفعل لم يُدْع بكسلان

صوّام قوّام في سرٍّ وفي عَلَنٍ
له إلى اللـه سير ليسَ بالْوَانِ

من فتية ما لهم همٌّ ولا شغلٌ
إلا التعاون على برٍّ وإحسان

وما لهم قطّ من فكرٍ يُزاغ به
ولا التفاتٌ ولا ميل إلى فاني

راحوا فصار نعيم العيش بعدهم
مشوب بالهمِّ والأفكار بالعاني

أراه بالعين لا بالأذن أسمعه
بوساً بغير الذي أهواه يَلْقاني

فاليوم لم يبقَ لي يا صاحبي إرَبٌ
في أهل ودِّي وأصحابي وجيراني

ومن سواهم بل حال القنوط بدا
لولا ولولا وحسن الظن أحياني

سقياً لأيامنا الغرّ التي سَلفت
بصفو عَيْشٍ رغيدٍ خالٍ عن شان

خياله نصب أعياني أشاهده
مع الأحبَّة من سكان نعمان

حيث الخيام بها البيض الأوانس والـ
صـفـر الـكـوانـس فـي ظـلٍّ بستان

والبهكنات التي هن النوافع والـ
غيد الـرواتـع فـي رَوْح ورَيْـحـان

وغـادة وعـدت بالوصل ثـم لـوَت
وأعـرضـت وعـتـت تـيـهـاً بنكران

وأمـلـتـنـي بـوعـد الـوصـل ثانية
ثـم أخلفت فتنت قلبي عـن الثاني

فمَنْ رسولي إلـى سعدى يُخبرها
بـمـا أنـا فـيـه مـن وهْـم ورجـفـان

ومـن شـواغـل فـي قلبي بكثرتها
إنـي سقيم وإن الـبُـعـد أضناني

وإن طـبّـي مـن الأسـقـام فـي يدها
قـطـعـاً فـلا شـكّ فيما قلته ثاني

فـلا صـعـوبـة فـيـه إن أرادت له
سـهـلٌ عليها فـلا تبخل بإحسان

فـإن لـي أمـلاً فـي أن تـرقّ وأن
تعطف وترحم ضعف العاجز العاني

وأن تـجـود وتسخو بـالـمـراد وإن
تـحـنـو بـوصـلـة أرحـام وجـيـران

آنـى وإلا فـإنـي قـد ركـنـت إلـى
طـوْد عـظـيـمٍ منيع شـامـخ ساني

سامي الفخار بسيف ذي الفقاري
ركــن شــديــد لــه شـــأن مــن الـشـأن

مـقـدّم الـقـوم قطب الأولـيـاء ومن
رقــى وجــاز على الـجـوز أو كيوان

ومـن علا كل عــالٍ بالمعالي ومَن
سَمَا بمجدٍ على القاصي مع الدَّاني

شيخُ الشيوخ وأسـتـاذ الأكـابـر ذو
العلم الـلّـدنـي ومَــن فـي ربِّــه فاني

حاوي حوى ما حواه العارفون من أر
بـــاب الـبـصـائـر مــن حـبْـر وربّـانــي

شريفُ أصـلٍ ونفس جامع رسخت
بقلبه كــم عــلـوم فـتـح رحـمـانـي

جــاءت إلـيـه بفيض فلهذا مشت
أقـــدامــه فــي كـشــوفـات وعــرفـان

إمـــام شـــرع لــه الـبـاع الـطـويـلُ به
جـــاهٌ عــريــضٌ نـمـا ينمو بسُلطان

شـــاع وذاع بــلا شـــكٍّ بـــان له
عــلــمٌ وحــكــم وتـحـقـيـق بـإيـقـان

وشـيـخ أهـــل طـريـق الـلـه قاطبةً
لـظـاهـر الأمـــر والـبـاطـن كمعيان

تـجـري جـداولـه فـي كــلّ تائقة
بـــلا دفــــاع ولا طـعـن لـطـعّـان

غــوث الــعــبــاد وغــيــثٌ لــلــبــلاد بــه
قــد بــان آمــن ويــمــن للفتى العاني

إمـــا بـــه وإلـــه الــخــلــق خالقنا
تحيي الجدوب ويــروي كل عطشان

داعــي إلــى الله بالقول السديد مع
الــحــق الحقيق فــلا فــهــت ببهتان

قد أصدق القول بالذكر الجميل وبا
لفعل الحميد على عــلــمٍ وبُــرهــان

هــادي هــدى الله رب العالمين به
أقـــوام شتى مــشــوا فــي غير أديــان

وخالَفوا ما عن الرحمن قد جاء من
أهــل الضلالة مِــن غــاوي وحــيــران

كــانــت بــدايــتــه مــثــل الــنــهــايــة من
كــل مــعــاصــرٍ مــن عُــجْــم وعُــرْبــان

ســـاد وفـــاق بــلا شــكٍّ وريـــب على
أقـــرانـــه فـــاعـــتـــبـــر هـــذا بــفــتــيــان

مــحــمّــد بــن عــلــي شــيــخ مشيخةٍ
عَــلَــت وشــاخــت على كــلٍّ بفرقان

هــو الــزعــيــم علينا قــد غــدا وغنى
لــنــا وأصـــل فـــروع ثــمــرهــا دانـــي

يا سيدي يا جمال الدين يا سَندي
يــا عُــمــدتــي يــا غــيّــاثــي كــل أحياني

يا نصرتي يا مـلاذي في جلا وخفا
أدرك صـريـخـه أخـــا غــمٍّ وأحـــزان

يـدعـو بـك الـلـه فـي تفريج كربته
مــمــا دهــــاه بـــأســــواء ورجــفـــان

ومـــا تـغـشـاه مـــن فـكـر يُـدبــره
ومـا عـنـاه دعـــاء الـخـائـف الجاني

فـقـم بــه وأغـثـه واحْــــمِ جانبه
وقِــــفْ لَـديـه وقــــوف نـــد شجعان

بـجـاهـك نـجِّـه مـــن كـــل نــازلـــةٍ
مــمــا يــحـــاذر فـــي ســـرٍّ وإعــــلان

أنـــت الـغـيّـاث لـنـا فـي كـل نائبةٍ
مـــن الـنـوائـب نـابـت طـول أزمـــان

فـلـيـس غـيـرك نــرجــوه لمعضلةٍ
بــعــد الإلــــه وطــــه خـيـر عـدنــان

فـغـارة يــا شـريـف الـجـدّ عاجلةٍ
سـريـعـة لا يَـشُـبْـهـا شـــوبٌ خــذلان

مـعـضـودة بـقـوى التوفيق منجدةٍ
تـحـلّ عـقـدة هــذا الخطب فـي الآن

وأنـــت عُـدَّتـنـا عند الـخـطـوب إذا
عــاجـت علينا بــعُــدْوان وطغيان

فـأنـت أنـــت لـهـا عـنّـا تـــردّ متى
لـجّـت وهــمّـت بـإيـقـاع وعــــدوان

لا زلـت يا ابـن رسـول الله منتجعاً
لـلآمـلـيـن بـلا مَـنٍّ لـمَـنّـان

تسخو تجود بما تحويه مـن نِعَمٍ
لـلـراغـبـيـن ومـلـجـا كـل لهفان

مـن خـيـر ذريّـة غـراء خيرتهم
فـي كـل حـالٍ نـرى يـا خير إنسان

تسمو وتعلو على كـلٍّ ولا سيما
بـبـلـدة الـخـيـر مـن عـلـمٍ وقـرْآن

نعم وبـالـوادي الميمون أجمعه
من حضرموت التي فـازت بسلطان

قـد قـام بالعدل فيها فلهذا دعي
واد ابـن راشـد مـن أقـيـال قحطان

فـإن لـي مطلباً أرجـوك تنجزه
مـن دون إمـهـال فـيـه بـل ومُـهـلان

لا خيّب الله رجائي فيك فاسمح به
بيُمْن وجـهـك فـي لـطـفٍ ورضـوان

فانهض بـه واستقم فيه أبـا علويّ
قـدرك قـد عـلا مـن فـوق نـسـران

لا شـكَّ عندي ولا ريـب فقم لي به
لـلـه إنـك ذو جـاهٍ وإمـكـان

والأمـر لـلـه جـلّ الـلـه خالقنا
أيـضـاً ورازق مَـن كـان بجيعان

لـه التصرف فـي كـل الأمــور جرى
منشي البرايا ومحيي الميت الفاني

ذو الجود والفضل والإحسان نحمده
في كلِّ حـالٍ من الأحـوال يا إخواني

أيـضــاً ونـشـكـره بـكـل جـارحــةٍ
عـلـى تـواصـل إنــعــامٍ وإحـســان

نـسـألـه يـجـبـرنـا نـسـألـه يرحمنا
بـرحـمـة بـل ويـجـيـر كـل كـسـران

بـفـضـلـه وكــرمــه دائــمــاً أبـــداً
ويـعـفـو عـنـا ويـلـقـانـا بـغـفـران

والأقـربـيـن وأهـــل الـديـن قاطبة
مــن قـائـل لا إلـــه غـيـر رحـمـن

وإن جـنـوا وخـطـوا لكنهم تابوا
يـا رب واخـتـم بـتـوحـيـدٍ وإيـمـان

ثـم الـصـلاة على المختار سيّدنا
وسـيّـد مـا حـــواه كـــوْن كــوّان

مـن قـد دنـا مُـذْ رقـى قـاب قوسين
مـحـمَّـد مـا هـمـت سـحـب بهتان

ومـا تغنت حمام الأَيْـك في سَحَرٍ
بـروضـة قـد عَـلَـتْ مـن فـوق أغصان

ومـــا تنفس ذو نـفـس وقـــام بها
ومـا صبت عـذبـات الأيـل والـبـان

الآل والصحب والأتـبـاع ما رتعت
بـهـائـم وشـيـوخ بـل ورضـعـان

مـع الـسـلام عليه وعليهم أبـداً
والحمد لله فـي الحالين مـن شان

عـام المعجز أيـضـاً والمصدر بدا
والـشـرح هـذا بـدا للجفري الجاني

قــل بالفقيه وبــالــحــدّاد ضابطه
وأرخ نــيــل هـــو لاح بــرضــوان

959 13 9 11 90

والـخـتـم يحلو بـمـبـدأه أقـــول إذاً
يا ظبي عيديد ما في الحسْن لك ثاني

انتهى تعليق ما قصَدته بما قد قيل، فغفر الله لمن نظره وأوّل ما فيه بأحسن تأويل، وتلا: [ربنا اغفر لنا] الآية، وقرأ: [ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا]، وقال: اللّهمَّ يا من أينما تولينا فثم وجهُه المصون، اللهمَّ يا من إلى كرم وجهه تشخص العيون، اللهمَّ يا مَن بعظيم رجائه تتعلق الظنون، اللهمَّ يا مَن برحمته لأهْل الدارَيْن خير مما يجمعون، اللهمَّ يا مَن إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون، ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون، وألبسْنا ثوب العافية فإنّا موقنون، واغفر لنا ما سَلف من ذنوبنا فإنا تائبون، واعصمنا بما بقي من أعمارنا فإنا آيبون، سبحان ربك رب العزَّة عمّا يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين، اللهمَّ إنا دعوناك كما أمرتنا، فاستجب لنا كما وعَدتنا إنك لا تخلف الميعاد.

[ترجمة]
[سيدي علي بن محمد صاحب مرباط ﵁]

ثم قلت:

وهــو الــذي والده أعنــي علي ألبسَـــه وعَمّـــه العلـــوي

المذكوران في هذا البيتان اثنان، وهما لمن بحَضرموت من الأشراف أصلان، الأول منهما: جدّنا علي. ترجمه بمشرعه العلّامة الشلّي ﵁، فقال:

علي بن محمَّد صاحب مرباط رضي الله عنهما

وهو أبو الأستاذ الأعظم الفقيه المقدّم ﵁، صاحب الجود والكرم، واللسان الفصيح والقلم، وغاية مقاصد أرباب الهمم، سراج المسترشدين، وبدر المهتدين، وشمس أهل اليقين، الجامع بين العلم والدين، والسالك سبيل السادة الأقدمين والسلف الصالحين.

وُلد ﵁ بمدينة تريم، ونشأ بها على سَنن قويم، وصراط مستقيم، وصحب أباه وألبسه خرقة التصوّف وربّاه، وأخذ عن جماعة الطريقة، وصحب كثيرين من أهل الحقيقة، وتفقّه في الدين على جماعة كثيرين، واجتهد في الطاعات وجدَّ في أنواع القربات؛ من الصلاة والصيام والصدقة والقيام والتهجّد والناس نيام، وكان ذا نفس مهذّبة وأخلاق رضيّة مستعذبة، وسيرة حسنة ومعاملة مستحسنة.

[**أخلاقه، ووفاته ﵁**]: وكان ﵁ متواضعاً، وفي فنون الآداب الشرعية بارعاً، ولنفسه

عن الشهوات قامعاً، وبقدر الكفاف قانعاً، وبثوب العفاف متدرّعاً، وكفاه شرفاً أن جعل الله الإسناد الأعظم من كسْبه وأخرجه من صلبه، ولم يكن له ولدٌ سواه، وحسبُه ذلك منقبة وكفاه، ولم تطل في الدنيا أيام إقامته، ولا امتدّت مُدّة حياته، فناداه منادي الحق فلبّاه، وانقضت مدة الحياة وانتقل إلى رحمة الله سنة نيف وتسعين وخمسمائة قدّس الله روحه ونور ضريحه.

انتهى ما بـ «المشرع الروي»[1] من ترجمة سيدنا علي، ويتلوها منه ترجمة سيدنا علوي، وهو المذكور الثاني ببيت الأرجوزة المفيدة الجامعة لأسماءِ أرباب الشمائل الحميدة، فقال:

(1) المشرع الروي لأبي بكر الشلي باعلوي ﷺ: الجزء الثاني ـ صفحة 238.

[ترجمة]
[سيدي علوي بن محمد صاحب مرباط ﵁]

هو علوي بن محمد صاحب مرباط رضي الله عنهما، العالِم الكبير اللوذعي النِّحرير الناقد البصير، أحد العلماء العارفين، وأوحد الأئمة الهادين، البحر الزاخر، ذي الفضائل والمفاخر والمناقب المشهورة، والمآثر المأثورة، الراقي إلى ذروة الكمال، البالغ من الفضل نهايات الآمال.

وُلد ﵁ بمدينة تريم، ونشأ بسوحها العظيم على صفاء ونعيم، وحفظ القرآن المجيد وأداه بالتجويد، وصحب أباه في زمن صباه، وحلَّ عليه نظره الشريف، وألبسه خرقة التصوف والتشريف، وأخذ عن الشيخ سالم بافضل، والسيد الجليل سالم بن بصري، والشيخ علي بن إبراهيم الخطيب وغير هؤلاء. وكان ﵁ عاملاً بعلمه، حافظاً للسانه وقلمه، وصَحبه جمّ غفير، وتخرّج به جمع كثير؛ منهم أولاد الإمام الفقيه أحمد وعبد الله وعبد الرَّحمن وعبد الملك، وابن أخيه الأستاذ الأعظم الفقيه المقدّم، وكان ﵁ ملازماً للآداب الشرعية والسُّنن النبوية، ماشياً على نهج الاستقامة، معظّماً عند الخاصة والعامة، مقبولَ الشفاعة، أوامره مطاعة، وكان ﵁ كريماً جوّاداً يتصدق من ماله بما يكون مستجاداً، وكان ذا ثروة شهيرة، ونخيل كثيرة، وأكثرها بقرية بيت جبير، وكان يتصدّق من التمر بشيء كثير، وكان يحبّ الفقراء ويكرمهم، ويعظّم العلماء ويحترمهم، وكان حسن الأخلاق كثير التبسّم.

وأثنى عليه ﵁ كثير من الأئمّة العارفين، ومدحه جماعة من الأدباء الفاضلين بقصائد ومقطوعات، وكان يُجيزهم بأحسن الإجازات، وكان ﵁ محبوباً عند الأنام، معتقداً عند الخاص والعام، وكان يردع السلطان فمَن دونه عن المظالم، ولا تأخذه

في الحقّ لومة لائم، ولا يخاف بطشة ظالم، وكان السلطان في ذلك الزمان من آل قحطان قد أضمر له السوء مراراً، وكان يظهر له الصداقة جهاراً؛ فَرَقاً من توجُّه الناس إليه، وخوفاً من أن يأمرهم بالخروج عليه، فأعمل فيه مكره وسقاه السقم المرة بعد المرّة، فلم يعمل فيه ولم يضرّه ﴿وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ﴾، [التوبة:32]، وله ﷺ كرامات وخوارق عادات.

وبالجملة، فمناقبه كثيرة وفضائله شهيرة، ولم يزل يزداد كمالاً في مقاماته وأحواله إلى حين ذهابه إلى رحمة الله وانتقاله، وكان انتقاله يوم الاثنين لأربع خلون من ذي القعدة سنة ثلاث عشر وستمائة، ودُفن بمقبرة زنبل رحمه الله ﷻ، انتهى.

[ترجمة]

[محمد بن علي بن علوي بن محمَّد بن علوي بن عبد الله أحمد بن عيسى بن محمد بن علي العريضي ابن الإمام جعفر الصادق ﵃]

ثم قلت:

وهـــا هما قد لبسَـــا مِـــنْ قدوتي   صاحب مربـــاط محمَّد عُمدتي

المذكور هنا هو من يرجع إليه جميع مَن بالأحقاف من مشايخنا السادة الأشراف، ذو الفخر الجلي، والقدر العَلِي، صاحب ظفار القديمة محمَّد بن علي ترجمه العلّامة الشلّي بكتابه[1]، وأوضح فيه ما يليق بجنابه، فقال:

محمد بن علي بن علوي بن محمَّد بن علوي بن عبد الله أحمد بن عيسى بن محمد بن علي العريضي ابن الإمام جعفر الصادق ﵃، المشهور بصاحب مرباط، العامل في جميع أعماله بالاحتياط، شيخ مشايخ الإسلام، وعلم العلماء الأعلام، يتيمة عقد الأولياء الكرام، الحائز قصب السَّبق على الإطلاق، السابق في حَلْبة السباق، راقي ذرى المعالي بالاتفاق، الفائق في الجود والكرم والإنفاق، أحد علماء الشريعة والطريقة، وأجلّ مشايخ أرباب الحقيقة، فقيه الديار اليمانية ومفتيها، والمشار إليه بالعلوم والمعارف فيها، وإمامها وعابدها وصوفيّها وزاهدها، نطقت بالثناء عليه ألسن الأقلام شاهدة بسَبْقه على الجملة الأعلام.

[ولادته ﵁]: وُلد ﵁ بمدينة تريم ونشأ بها، وحفظ القرآن، وتربّى في حجر والده، فغرد طائر يمنه على فنن سعده، وربّاه فأحسن تربيته، ولازم مِن صغره صحبته، وألبسه

(1) المشرع الروي لأبي بكر الشلي باعلوي ﵁: الجزء الأول ـ صفحة 198 وما بعدها.

الخرقة المعروفة، وصافحه المصافحة المألوفة.

[طلبه ﷺ للعلم ومن تخرج على يديه]: ثم ارتحل ﷺ في طلب العلم، وجدَّ فيه، فافتض أبكاره، وجنى من رياضه اليانعة ثماره، وطلعت في سماء فنونه شموسه وأقماره، وأجازه جمْعٌ من العلماء القادة في التدريس والاستفادة، فنصّب نفسه للانتفاع وصَغت لما يقوله الأسماع، وتطابق على تقدّمه بالفضل العيان والسماع، وتخرّج به جماعة من السادة اشتهروا بالعلم والعرفان والزهادة؛ **منهم** أولاده الأربعة: الشيخ الجليل علوي، والحافظ عبد الله، والشيخ أحمد، والولي علي، **ومنهم** شيخ الإسلام سالم بن فضل، والشيخ علي بن أحمد بامروان، والقاضي أحمد بن محمد باعيسى، والشيخ علي بن محمد الخطيب صاحب الوعل، **ومنهم** الشيخ محمد بن علي تاج العارفين المشهور بسعد الدين، والإمام علي بن عبد الله الظفاريان ﷺ.

[كرمه وسخاؤه ﷺ]: وأما سخاؤه ﷺ، فبحرٌ زاخر، وغيثٌ ماطر، لا سيما لمن توجَّه إلى جنابه المحروس، وألَمَّ بربيع كرمه المأنوس، فكان يعطي العطايا الجسيمة، ويولي النِّعم العظيمة، وكان ينفق على أقاربه ومحارمه، ويقال: إنه كان ينفق على مائة وعشرين بيتاً من الإنس والجن، وكان مسارعاً إلى إنجاح الآمال بالنفس والجاه والمال، وإذا نزل به الضيف بالغ في إكرامه وفي تعظيمه واحترامه.

وحُكي أنه نزل به ضيفان، ولم يكن عنده ما يُكرمهم به، فطلب من البيوت التي يُنفق عليها ما بقي عندهم من نفقة أمس الماضي، فاجتمع ما يزيد على إكرام أضعافاً. وكان أكثر أمواله ونخيله ببيت جبير، وكان ينقل أهله إليها أيام الرطب، وما فضل في داره من طعام وتمر تصدق به، وكان ﷺ كثير الأسفار إلى سائر الأمصار، وما قدم بلداً إلا عرف أهلها له حقّه وقابلوه من الإكرام بما استوجبه واستحقّه.

ثم قصد ﷺ مدينة مرباط، وهي ظفار القديمة المشهورة في تلك الديار، فقطن بها، وألقى عصى التسيار، فطالت به على جميع الأقطار، وصار بها منهلاً للواردين، وموئلاً للقاصدين، وعُمدة للطالبين، وملجأ للفقراء والمساكين، وصارت به معمورة محروسة، وأنديتها بالفيض مغمورة مأنوسة، ورحلت إليه الناس من سائر البلاد، ونادته السؤالات من كل ناد، يمنح مَن وَفَد عليه جزيل مرافده، ويجزل على من قصده

جميل عوائده، وانتفع به كثيرون في العلوم والمعارف من جميع الفرق، الموافق منهم والمخالف، مع ملازمة الجمعة والجماعة في الصف الأول ـ إلا إن حصل مانع ـ والاعتكاف في المساجد؛ لا سيما المسجد الجامع، له جبينٌ كالهلال، ووقار عليه سيما الجلال، ومنطق أعذب في القيل من الماء الزُّلال، وأدب أطيب في المقيل من برد الظلال، والزهد والتقوى والعفّة والورع الذي طرد به الشيطان وأرغم أنفه.

[وفاته رضي الله عنه]: ولم يزل سالكاً هذا السبيل، وارداً من صفو عينها السلسبيل، حتى ناداه منادي الرحيل، فانتقل إلى رحمة الملك الجليل، وكانت وفاته سنة إحدى أو ستّ وخمسين وخمسمائة، ودُفن بمدينة مرباط المعروفة بظفار القديمة، المحفوفة بالأنوار العظيمة، وقبره بها مشهور يُقصد ويزار، وظاهرٌ ظهور الشمس ضحوة النهار، وعُمِل عليه قبّة عظيمة ظاهرة، والأنوار عليها لائحة باهرة.

(ومرباط) ـ بكسر الميم وسكون الراء فباء موحدة فألف فطاء مهملة ـ قال في القاموس: مرباط كمحراب: بلد بساحل بحر الهند، وقال فيه: ظَفَار كقَطَام بلد قرب مرباط، إليه يُنسب القسط لأنه يُجلب إليه من الهند، انتهى.

وكانت مرباط المذكورة بالتجارة معمورة، وبالبركة مشهورة، ثم اختطّ أحمد بن محمد الحبوظي ظفار الحديثة، فانتقل إليها مَن في مرباط من نساء ورجال، وصارت طَللاً من الأطلال، ولم يبقَ فيها إلا شرذمة قليلون، ومساكين في البحر يعملون، وبين البلدتين المذكورتين نحو مرحلتين، ولم تزل مرباط محترمة عند الخاصّ والعام، ومن أساء الأدب فيها استهدف لسهام الانتقام، وهذا السيد المترجَم له هو مجتمع الموجودين من آل باعلوي السادة المشهورين، الذين رووا حديث السيادة مسلسلاً بالسّلالة برًّا عن برٍّ عن صاحب الرسالة، وهم القوم كل القوم إذا افتخر كل قبيل بأقوامهم، وإذا تصادمت الآراء أرز[1] الحق إلى أعْلامهم، وكيف لا وهم نتيجة مقدماتها الوصي والبتول؟! فلا غرو إن زكت الفروع لزكاء هاتيك الأصول: [شعر]

بيض الوجــوه كريمة أحســابهم ❊ شــمّ الأُنوف مــن الطــراز الأوّل

---

(1) قال في القاموس: أَرَزَ يأرِزُ، مُثَلَّثَةَ الراءِ، أُرُوزًا: انْقَبَضَ، وتَجَمَّعَ، وثَبَتَ.

ليس فيهم إلا مَن خاض بحر الفضائل ولَجّة عبابها، وذلّل من الأمور مشكلات صعابها، إلى أن ينتهي إلى مدينة العلم وبابها، فَهُم بين العلماء أئمّة مكّتهم، والمنشدين عند طلوع أهلّتهم: [شعر]

أخذنــا بآفــاق الســماء عليكــم		لنــا قمراهــا والنجــوم **الطوالــع**

[أولاده ﷺ]: أعقب صاحب الترجمة ﷺ ابنَيْن، أحدهما: علي، وهو أبو الأستاذ الأعظم الفقيه المقدّم. والثاني: علوي المعظّم المشهور بعمّ الأستاذ الأعظم، ومن هذين الإمامين تفرّع نسبهُم الطاهر، ومفخرهم الباهر، ومحتدهم الظاهر، وإليهم تُنسب المفاخر: [شعر]

من تلقَّ منهم تقل لاقيت ســيّدهم		مثل النجوم التي يسري **بها الساري**

[ترجمة]
[علي بن علوي بن محمّد بن علوي بن عبيد الله بن أحمد بن عيسى ﵁]

ثم قلت:

وهــو لَبـس مـن علــيٍّ أبيـــه

المذكور هنا هو أبو الجمال علي بن علوي، ترجمه العلّامة الشلّي في كتابه «المشرع الروي»[1]، فقال:

[اسمه ونسبه ﵁]: علي بن علوي بن محمّد بن علوي بن عبيد الله بن أحمد بن عيسى ﵃، الشهير بخالع قسم، الإمام الجليل الأكرم، رأس السيادة الذي لا يُداس بقدم، ويحقّ لمادحه أن يطلق في مدحه لسان القلم، قد خصَّه الله تعالى بنور البصيرة، وكمال حسن السيرة، وأشهده كمال جمال حضرته وأنسه، وعالي شريف قدسه، أوحد وقته في طريقه وفريد دهره في تحقيقه.

[ولادته ونشأته ﵁]: وُلد ﵁ بمدينة جبير ذات الخير الكثير، ونشأ بها، ولحظته سعادة ربّها، وحفظ القرآن المجيد، وأدّاه بالتجويد، وأخذ عن والده وعلّمه كثيراً من علومه وفوائده، وسمع من جماعة كثيرين من الحفاظ والمحدّثين، وأقبل على العبادة ولاحظته عين السعادة، ومشى على السيرة الحميدة في الفعل والقول، وظهرت عليه علامة النجابة والقبول، وكان ﵁ يتردَّد إلى مدينة تريم، ثم سكنها هو وإخوانه وبنو أعمامه سنة إحدى وعشرين وخمسمائة ـ كما تقدّم في الباب الأول ـ واشترى أرضاً

(1) المشرع الروي لأبي بكر الشلي باعلوي ﵁: الجزء الثاني ـ صفحة 230 وما بعدها.

بعشرين ألف دينار، وسمّاها: «قَسَم» باسم أرض بالبصرة كانت لأهله، وغرسها نخلاً، وبنى داراً فيها ينزلها أيام الرطب، ثم بنى جماعةٌ بيوتاً عند داره حتى صارت قرية، وهي قرية قَسَم المشهورة، ولهذا سُمِّي خالع قسم، ولم تزل محترمة ليس للملوك فيها تصرف، ومَن عمل فيها شيئاً من المخالفات أو أساء أو ظلم عوجل بالعقوبة، ولما استوطن مدينة تريم قصده الناس من كل بلاد، الحاضر منهم والباد، وألقت إليه الرياسة قيادها، وأقامت به منارَها، فأصبح ومرتبته العليا وعبده الزمان وأَمَته الدنيا، وتجملت به المحال والمجالس، وتكملت به الصدور والمدارس، وأسمع الناس الحديث القديم منه والحديث، وأشرقت به وبالسادة مدينة تريم، وأنهلت بها سحائب النعيم.

[أخلاقه ﵁]: وكان ﵁ حسن الأخلاق، طيّب الأعراق، كثير الإكرام والإنفاق، لا سيما لمن قصده من الآفاق، وكان متواضعاً في القول والفعل واللباس، لا يرى له فضلاً على أحد من الناس، وإذا جلس مع الخواص أو العام لا يعرف أحد أنه من العلماء الأعلام، إلاّ إذا خاض في شيء من العلوم؛ المنطوق منها والمفهوم.

[اجتماعه بالحبيب ﷺ]: وكان ﵁ يرى النبي ﷺ ويسأله عن أُمور تشكل عليه، فيبيِّنها له ويوضحها، وكان إذا قال في التشهد أو غيره: السّلام عليك أيها النبيّ ورحمة الله وبركاته؛ يسمع المصطفى ﷺ يقول: وعليك السّلام يا شيخ ورحمة الله وبركاته. وربما كرَّر ذلك مراراً، فقيل له: لِمَ تكرِّره؟ فقال: حتى أسمع جواب النبي ﷺ.

قال الشيخ عبد الوهّاب الشعراني ﵁ في «تنبيه المغترين»: قد كنت ذكرت في هذا الكتاب أنّ من أخلاق القوم أنهم يصلون خلف رسول الله ﷺ، كلّما صلَّى صلاة من الخمس في قبره ﷺ، وأنهم ﵃ يسمعون ردّه ﷺ السَّلام عليهم حين يقولون: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، فتوقف بعض طلبة العلم وقال: ما من كرامة إلاّ وهي موروثة ممن سبق، ولم يُنقل إلينا أن أحداً من الصحابة سمع ردّه السّلام عليه من رسول الله ﷺ من قبره بعد موته، فلمّا توقفت في ذلك ولم أرَ أحداً يطلب الوصول إلى ذلك المقام بالمجاهدة والرياضة؛ رفعت ذلك من الكتاب على أنه ما من عامّ إلا ويصح أن يخصّ منه أمر، كما هو مقرَّر في علم الأصول إلا ما استثني شرعاً.

وقد نقل ابن زهرة في تفسيره: أن من الكرامة التي لم يقع مثلها لأحد قبل صاحبها إتيان آصف بن برخيا بعرش بلقيس قبل أن يرتدّ طرف سليمان ﷺ، وقال: هذه كرامة لم تكن موروثة عن أحد قبله من الأنبياء والأولياء، انتهى. وقد سمعْتُ سيدي علي الخوّاص ﷺ يقول: لا يحقّ لأحد قدم الولاية المحمّدية حتى يجتمع برسول الله ﷺ، وبالخضر والياس عليهم الصلاة والسلام. قال: وقد درج الصادقون كلّهم على ذلك، فلا يقدح في ذلك إنكار بعض المحجوبين عن ذلك. وقد كان سيّدي أبو العباس المرسي رحمه الله تعالى يقول لأصحابه: أفيكم من إذا أراد الله أمراً في الوجود أطلعه عليه قبل أن يظهره؟. فيقولون: لا. فيقول: أفيكم أحد إذا سلّم على رسول الله ﷺ في صلاته سمع ردّه السَّلام عليه بأُذُنه؟. فيقولون: لا، فيقول لهم: ابكوا على قلوب محجوبة عن الله وعن رسوله ﷺ. ثم يقول: و الله لو احتجب عني رسول الله ﷺ لحظة في ساعة من ليل أو نهار لما أعددت نفسي من جملة الفقراء، انتهى. ولكن بين الفقراء وبين مقام الأخذ عن رسول الله ﷺ وسماع صوته بالردِّ عليه السَّلام من قبره مائتا ألف مقام وسبعة وأربعون ألف مقام وتسعمائة وتسعة وتسعون مقاماً، مائتا ألف مقام إلا واحد، فمن ادَّعى هذا المقام طالبناه بهذه المقامات، فإذا رأيناه لا يعرفها كلها كذّبناه. وقد ادّعى هذا المقام بعض جماعة من أهل العصر في حياة سيدي علي المرصفي ﷺ، فقال لهم: مقصودي أسمع منكم الكلام على بعض المقامات مما ذكرتم أن الله تعالى خصَّكم بها، فلم يدرِ أحدهم ما يقول، فزجرهم وقال: توبوا إلى الله تعالى قبل أن يمقتكم، وأخرجهم من حضرته فماتوا على أسوأ حال. فإياك يا أخي أن تدّعي شيئاً من المقامات التي لم تصل إليها فتعاقب بحرمانها، انتهى.

ومناقب صاحب الترجمة ﷺ كثيرة، وأحواله شهيرة، واشتهرت كراماته وتوالت كشوفاته، وسار صيته في سائر الآفاق، وأذعن له بالتقدم أهل الخلاف والوفاق، فهو أكبر من أن يفي بوصفه قول، وأعظم من أن يقاس بفضله طول.

[وفاته ﷺ]: ولم يزل يُحيي مآثر علوم الأوائل بمسلّمات البراهين والدلائل إلى أن وافاه القضاء المحتوم، وانتقل إلى رحمة الحيِّ القيوم، وكان انتقاله سنة تسع وعشرين وخمسمائة، ودُفن بمقبرة زنبل رحمه الله عزّ وجل، انتهى.

[ترجمة]
[علوي بن محمد بن علوي بن عبد الله
ابن المهاجر أحمد بن عيسى رضي الله عنهم أجمعين]

ثم قلت: [شعر]

وهـــو من العلـــوي كـــذا ابنيـــه

المذكور هنا السيد السَّند والركن المعتمد علوي بن محمد الجمال.

ترجمه الشلّي في مشرعه[1]، فقال:

[اسمه ونسبه الشريف رضي الله عنه]: علوي بن محمد بن علوي بن عبد الله بن المهاجر أحمد بن عيسى رضي الله عنه، عالي الرتبة والمقام، والمخصوص بمزايا الإنعام، سلالة السادة العظام، وواسطة عقد الأشراف الفخام، ناشر جناح الكرم بين المؤمنين، كهف الضعفاء والمساكين.

[ولادته ونشأته رضي الله عنه]: وُلد رضي الله عنه بمدينة بيت جبير ـ تصغير جبر ـ ونشأ بسَوْحها الخطير، وشملته عناية ربّه العزيز الكبير، ومشى بأحسن سَيْر على طريقة سلفه السادة الأشراف، نقي الذيل والأطراف، محفوفاً بخفيِّ الألطاف، صحب أباه، ولم يُعرف له صبوة من صباه، وصحب أيضاً جماعة من الأئمّة الكاملين والمشايخ العارفين، وتأدّب بآداب الشريعة الأنيقة، وسار على أقوم الطريقة، وشرب من بحار الحقيقة، وصحبه جماعة وأحكموا في طريق القوم الصناعة، فأكثروا من الزّاد والبضاعة، وجدُّوا في الاجتهاد

(1) المشرع الروي لأبي بكر الشلي باعلوي رضي الله عنه: الجزء الثاني ـ صفحة 208 وما بعدها.

فلم يستريحوا ساعة، قبل قيام الساعة. وكان له نكت شريفة وطرق روضاتها أنيقة، حذا فيها حذْو الأعراب، وأبدى سرّ غرائبها كالكواعب الأتراب، ومدحه جماعة بقصائد عظيمة، ومقاطيع جسيمة، منهم تلميذه الفقيه يحيى بن عبد العظيم الحاتمي الريمي، مدحه بقصيدة طويلة، منها قوله: [شعر]

هل في البلاد كمثل علوي الفتى	فحل نمته الصيد في الإقليم
شيخ تمكَّن في علا جرثومَة	نبوية علوية بعلوم
يزهو به إقليمنا جَزِلاً به	يعلو سروراً مفرطاً بحليم
هذا قريع العصر وابن قريعه	ولباب تخت الفخر والتعظيم
وأبوه أخوف خائف من ربِّه	فالقطر قد حياهُ بالتسليم
نظر العواقب بالبصيرة فانثنى	يتلو كتاب الله بالتفهيم
ومعلّم العلم الشريف مريده	طول الحياة خبير بالتعليم
ذا فرع مَنْ نزل الكتاب بذكرهم	وحباهم الباريُّ بالتكريم

[وفاته رضي الله عنه]: ولم يزل رضي الله عنه يزداد في الخير ويتعدَّى نفعه الكبير والصغير، إلى أن توفّاه العليم الخبير، ودُفن بقربة جبير، وكانت وفاته سنة اثني عشرة وخمسمائة رحم الله مثواه، وبلَّ بوابل الرحمى ثراه، انتهى ما بـ «المشرع الرويّ» من ترجمة سيدنا علوي.

[ترجمة]
[محمد بن علوي بن عبيد الله بن أحمد بن عيسى رضي الله عنهم]

ثم قلت: [شعر]

وهــو لـــبس من جمـــال الديـــن

المذكور هنا هو محمد بن علوي بن عبيد الله رضي الله عنهم.

ترجمه العلّامة الشلّي[1] في مشرعه رحمه الله، فقال:

[اسمه ونسبه الشريف رضي الله عنه]: محمد بن علوي بن عبيد الله بن أحمد بن عيسى رضي الله عنهم: أبو علوي جمال الدين محيي سُنَّة سيّد المرسلين، إمام العارفين وأستاذ العلماء العاملين، الداعي إلى سبيل السالفين، الحجة الثابتة على قاضي الفضل والشرع والمحبة، التي فيها الأصل ويتفرّع منها الفرع.

[ولادته ونشأته رضي الله عنه]: وُلد بمدينة بيت جبير، ونشأ بها وحفظ القرآن العظيم وغيره من الكتب، وصحب أباه ومَن في زمانه من المشايخ العارفين والأئمة المجتهدين، وتفقّه على الإمام ابن عمّه بصري وغيره من بني بصري وجديد، وسمع من كثيرين.

[سيرته وطلبه للعلم]: واجتهد في طلب العلم النافع، حتى حصل من الفقه والحديث والتصوف طرفاً صالحاً، وشارك في العربية والأصلين، ولازم التقوى وما يرضاهُ عالم السريرة والنجوى، وكان يحتاط في جميع أموره، فلم يستعمل إلا ما تحققّ حِلّه وعلم أصله وفصله، وانتفع به كثير من طلبة العلم وغيرهم، وكان كامل

(1) المشرع الروي لأبي بكر الشلي باعلوي رضي الله عنه: الجزء الأول ـ صفحة 191.

الأخلاق الرضيَّة، والشمائل المرضيّة، جوّاداً سخيًّا تقيًّا نقيًّا، وكان مجلسه مجلس وعظ وتذكير، والحثّ على فعل الصدقة والخير، وكانت بيت جبير كثيرة المياه والأنهار، كثيرة الخضرة والأشجار، وكان كثير التنزّه من بستان إلى بستان، والتنقّل من شأنٍ إلى شأن، مع مصاحبة الإخوان والخلَّان.

[وفاته رضي الله عنه]: ولم يزل رضي الله عنه في بيت جبير ملازماً لفعل الخير إلى أن اختار إليه ما عنده العليم الخبير، فتوفي وله من العمر ستّ وخمسون سنة، ولم أقف على تاريخ مولده ولا وفاته، ولا يُعرف قبره الآن. ومدحه كثيرون ورثاه آخرون بقصائد بليغة ومقاطيع بديعة، ولم أظفر بشيءٍ منها أُثبته هنا، رحمه الله تعالى ونفعنا به، انتهى.

ثم قلت:

وهـو مـن الـعـلـوي على اليقين

المذكور هنا هو سيّدنا علوي، المنسوب إليه كافّة ساداتنا آل باعلوي، مَن قيل فيه بما لا ينافيه: [شعر]

نسـب أضاء عمـوده فـي رفْعه | كالبـدر فيـه ترفـع وضيـاء
وشـمائل شَـهِد العـدوّ بفضلها | والفضل ما شـهدت بـه الأعداء
يزهـو بسلسـلة كعقـد جـواه | وشـذوره يا صاح ذي الأسـماء
حـازوا اتصـالاً بالنبـيِّ محمّـد | نالـوا بـه فـي العالميـن ثنـاء
بـاؤوا بفضـلٍ ليس يـدرك غَوْره | هـم للفضائـل سـادة أكفّـاء
وهـم الهـداة الحائـر فـي تيْهه | وعمائـه هـم قـدوة علمـاء
سـكنوا مـن العلماءِ أعلـى رتبة | مـا فوقهـا للمنتميـن سـماء
أشـراف سـنيّون نالـوا رفعـةً | وطهـارة يقـرأ بهـا القـرّاء
في محكم التنزيل شَـرَّف قدرهم | ملـك الملوك فـلا لهمْ شـركاء

ترجم له العلامة الشلّي في «المشرع الروي» المصنّف في مناقب ساداتنا آل باعلوي، المنقول منه جلّ ما في «الكنز» هذا من المقال؛ لا سيّما في تراجم ساداتنا، نفعنا الله بهم وبسرّهم، فقال:

[اسمه ونسبه الشريف ﵁]: أبو محمّد علوي شمس الدين، شيخ المسلمين الطاهر الأصل والأحساب، والظاهر الوصف والانتساب، السلالة النبوية رداؤه، والأصالة العلوية ابتداؤه وانتهاؤه، جَمَع بين كمالي الشرف والنسب، وجمالَي المجد والحسب، وتصاعَدَ في درج الشرف والسيادة، ولم يبق لغيره محلّاً للزيادة، وفاق في جميع الآفاق، وخلف ذكراً باقياً ما سطرت فضائله في الأوراق.

[**ولادته ونشأته** ﷺ]: وُلد ﷺ بحَضرموت ونشأ بها، فحفظ القرآن وتلاه بالتجويد على المشايخ من أهل فنّه، واشتغل بطلب العلوم وأتقن المعقول والمنقول، وسمع بحضرموت واليمن ومكّة والمدينة، ولم يزل في الطلب بالجدّ والاجتهاد مصحوباً من الله تعالى بالإرشاد والإمداد، وتأدَّب بأبيه عبد الله، وسلك منهاج طريقته وبرع في كثيرٍ من الفنون؛ لا سيما التفسير والحديث والعربية، وكانت الولاية لائحة عليه من زمانٍ طفوليته، وأنوار الهداية ظاهرة من بشريّته، وكان كثير المجاهدة والرياضة مع الورع التام، والدين المتين، وكثرة القيام والصيام والتظاهر بالنعمة في ملبسه ومأكله، وكان كثير التصدّق والإحسان للفقراء والأعيان، مع إخفاء ذلك حتى عن عمّاله؛ بل لا تعلم ما يُنفق يمينه مَن على شماله، وحجَّ بيت الله الحرام، وحجَّ معه أخوه جديد، وجماعة من بني عمّه وأقاربه، وصحبه خلق من طلبة العلم والمشايخ المعتقدين، وتبعه خلق كثير من الفقراء والمنقطعين.

وحُكي أن جملة مَن حجَّ معه مِن أهل بلده ثمانون رجلاً، سوى غيرها من سائر البلدان، ولم يدع أحداً منهم يتكلَّف شيئاً، وكان ينفق عليهم النفقة الطيبة، وأخذ جمَالاً للمنقطعين وخدّاماً لمباشرة الخدمة وتكليف الأكمل من وجوه العبادة، كالتجرّد للإحرام مع ضعف بدنه والمبالغة في سنن الحج والصلاة؛ لا سيّما في أشياء قد هجرت وحدّث بالحرمين باليسير، وسمع عليه الأئمة، وحصل لأهل الحرمين منه إفضال وبرّ على جاري عادته، واشترى لمن حجَّ معه الهدايا، ورجع إلى بلده ورجع مَن معه وكلٌّ منهم ذاكر لما يُبهر العقل من الاحتمال والإحسان، وطلاقة الوجه ولين القول وحسن الأخلاق، وأرسل أخاه جديد إلى العراق ليقبض ما لهم هُناك من الأموال، وكان علوي ممن رسخ في الدين والعلوم قدمه، وجرى بحيازة الفضائل وآنسات المحاسن قلمه، ونشر في معالم المعارف علمه، وعلا في مراتب الفضل مقامه، ولما عاد إلى وطنه قصده الناس للأخذ عنه، ففاضت عليهم بركاته وعمّتهم نفحاته.

[**ذريته وإخوانه** ﷺ]: ولم يكن لعلوي إلاّ ابنٌ واحد وهو محمّد، ولمحمَّد هذا ابنٌ اسمه علوي، ولعلوي هذا ابنان: سالم ولا عقب له، وعليٌّ وهو المعروف بخالع قسم، مذكور في تاريخ الجندي والخزرجي والأهدلي. والسيد علوي ـ صاحب الترجمة ـ

له أخوان:

أحدهما: الإمام بصري وهو شقيق علوي، وكان طويل الباع في العلوم واسع الرواية سمع من أبيه وأخيه علوي، وتأدَّب بهما وتفقّه على كثيرين، وبرع في العربية والحديث والفقه، وأفتى ودرَّس وانتفع به جمع كثير، وله مع ذلك الورع التام والزهد في المناصب والرياسة، وكان من أحسن الناس خَلْقاً وخُلُقاً، ومِن أحسنهم سيرة، وله ذريّة مشهورون بسِعة العلوم، وكان الغالب على ذريّته العلوم الشرعية، وكان لهم حافتان في مدينة تريم؛ حافة ديار آل العيدروس بقرب مسجد العيدروس، وحافة بمسجد الحبوظي.

وثانيهما: الإمام جديد ـ بفتح الجيم وبمهملتين بينهما تحتية ـ كان عالماً عاملاً، نبيل القدر، سائر الذِّكر، مِن أعلى أهل عصره إسناداً، وأرفعهم في الأصلين عماداً، أخذ والده وأخويه وتأدَّب بهم، وسمع من خلائق لا يحصون بحضرموت واليمن والحرمين والعراق والإحسا وظفار، وكان على دينه وفضله متفنّناً في علوم الأدب مع التقوى والورع التام، وله ذرية اشتهر منهم جماعة بالعلوم والمعارف، وكان الغالب عليهم التفنن في سائر العلوم والاشتغال بأنواع العبادة، وكانت حافتهم المخصوصة بهم عند مسجدهم المعروف الآن بمسجد بروم، لكون السيد أحمد بن حسن بن محمد بن علوي بن عبد الله بن علي بن الشيخ عبد الله باعلوي المعروف ببروم عمره كله عمارة أكيدة، بعد أن أخربه وأحدث له جوابي سنة ألف وتسعة عشر، ولم أقف على تاريخ وفاته، ولا وفاة أخويه علوي وبصري، وتوفي الثلاثة بقرية سُمَل ـ بضم المهملة وفتح الميم ـ وهي على نحو ستّة أميال من مدينة تريم، سُمِّيت باسم الذي اختطّها أو ما يُعرف الآن إلا قبر علوي، وقيل: إن جديداً انتقل ببيت جبير: [شعر]

أولئك النـــاس إن عُدُّوا وإن ذُكِروا　　ومَــنْ ســواه فلقــو غيــر معدود
لــو خلــد الدهــر ذا عــزٍّ لعزّتــه　　كانــوا أحــقّ بتعميــرٍ وتخليــد

وكانت رياسة العلم والفضل في الديار الحضرمية لبني بصري، ثم انقرضوا في أثناء القرن السادس، وانتقلت الرياسة لبني عمهم جديد بن عبد الله، ثم انقرضوا على

رأس المائة السادسة: [شعر]

ثــم انقضت تلك الســنون وأهلها		فكأنـهـــا وكأنهـــم أحــــلام

ولم ندرك لهذين القبيلتين شيئاً من العمائر والبنيان لتقادم الأزمان، ودوران الدوران، وما أظرف قول القائل: [شعر]

هــذي منــازل أقــوام عهدتهــم		فــي ظلِّ عيــش أنيقٍ مــا له خطر
صاحت بهم نائبات الدهر فانقلبوا		إلــى القبــور فــلا عيــنٌ ولا أثرُ

ولم أقف على تاريخ أستوفي ذكر مناقبهم وصفاتهم ومعرفة مواليدهم ووفاتهم، وكم لهؤلاء من الفضائل والمحاسن والفواضل ذهبت بمضيّ السنين، ولم تُقيَّد بالتدوين، ومضت الأعصار والحقب ولم يُدوِّنها أحدٌ في الكتب، وسيأتي ترجمة مَن وقفت على ترجمته منهم في الباب الثاني إن شاء الله تعالى.

وللسيد علي بن أبي بكر والمحدث السيد محمد بن علي خرد، والعلّامة محمد بن أحمد أبي الحب، والقاضي الفاضل عبد الرَّحمن بن حسان، والعالم الأديب محمد بن أحمد باغشير ـ بالغين المعجمة ـ وغيرهم من الأدباء قصائد طنّانة، ومقطوعات مطربة؛ اشتملت على بعض فضائلهم الكثيرة، ومناقبهم المنيرة، حذفتها خوف الإطالة، ولقد أحْسَنَ من قال: [شعر]

فأولئــك الســادة لــم تــر مثلهم		عيــنٌ علــى متتابــع الأحقــاب
زهــر الوجــوه كريمةٌ أحســابهم		يعطــون ســائلهم بغير حســاب
كانت تعيــش الطير فــي أكنافهم		والوحــش حين يشــج كل جناب
وكفاهــم أن النبــيَّ محمّــداً		منهــم فمدحهــم بــكلِّ كتــاب

فرحم الله تلك الأرواح الطاهرة، ومتعها بالنظر إلى وجهه في الدار الآخرة، واختصّ الذكر المخلّد، والثناء المنضد ببني علوي بن عبد الله بن أحمد، فطبقوا الأرض وعمَّ نفعهم الطول والعرض، ذِكرهم باقٍ على صفحات الزمان، معلومٌ عند القاص والدّان، وهؤلاء الثلاثة ـ أعني: بصريًّا وجديداً وعلويًّا ـ بنو عبيد الله، انتهى.

[ترجمة]
[سيدنا عفيف الدين عبيد الله رضي الله عنه]

ثم قلت: [شعر]

وهـــو لَـبِـس مـن عفيف الـديـن

المذكور هنا السيد الكبير والعالم الشهير، سيدنا عفيف الدين عبيد الله ـ بالتصغير ـ ترجمه العلّامة المبرور في كتابه «المشرع» المشهور، فقال:

عبيد الله: السيد الإمام، شيخ مشايخ الإسلام، كنز السرّ المصون، وفاتح أغلاق العلم المكنون، سلطان الوجود، بحر الكرم والجُود.

[ولادته ونشأته رضي الله عنه]: كانت ولادته رضي الله عنه بالبصرة، ونشأ بها في عزٍّ غزير، وسعة كثيرة، وخيرات واسعة، وطلب العلوم النافعة. أخذ عن والده وتأدَّب به، وسمع الحديث من كثيرين، وتفقَّه بآخرين، واختلف إلى المؤدّبين العارفين بعلوم الأدب، وصحب جماعة من أكابر الصوفية، وعاد إلى مكَّة المشرفة، وحجَّ بيت الله الحرام سنة سبع وسبعين وثلاثمائة، وفي ذلك العام حجَّ الإمام الشيخ أبو طالب المكي رضي الله عنه، فاجتمع به وأخذ عنه مؤلفاته وسمع منه مرويّاته، وكرع من حياض فوائده، وتقلّد بدرر قلائده. وعرف أبو طالب رضي الله عنه كمال فضله، واعترف برفعة درجته في العلم ومحلّه. وسمع أيضاً بالعراق واليمن، وكان من حفّاظ الحديث وكمل حاله في الفرق والجمع، وزكّى سرّه في الجمْع وجمع الجمع. ذكره جماعة من علماءِ الأنساب في كتبهم، وترجمه غير واحد من المؤرخين، وأطال ترجمته في «الياقوت الثمين». وأخذ عنه جماعة من فُضلاء عصره، وتخرَّج به كثير من أهل قطره ومصره، وكان ممن علا في التواضع والخضوع مقاله وفعاله، وسَمَا في محاسن الصفات حاله، فكان من عظيم تواضعه

أنه يستحسن تغير اسمه، فسمّى نفسه عبيْد الله، ويأمر أصحابه أن ينادوه بذلك حتى عُرف به، وكان مستجاب الدعاء واشتهر بذلك، فكان كل من أتى إليه ودعا له حصل له مطلوبه؛ لا سيّما أرباب العلل والأمراض، وله في ذلك حكايات كثيرة.

[كرمه وتواضعه وعظيم أخلاقه ﵁]: وكان ﵁ ذا مال واسع، واقتنى أرضاً ونخلاً كثيراً، وكان أحبّ أمواله إليه النخيل، وإذا أدرك ثمر عام تصدّق بجميع ما بقي من ثمر العام الذي قبله؛ من حبٍّ وتمر، ويقول: هذا شكر نعمة هذا. وكان ينفق على كثيرين، جوّاداً وامتدحه كثيرون من الشعراء والأدباء من أهل زمانه، وكان يجيزهم أجزل المجازاة.

[وفاته ﵁]: ولم يزل ﵁ على الحال المرضي إلى أن توفي إلى رحمة الله تعالى سنة ثلاث وثمانين وثلاثمائة، ودُفن بقرية سُمَل ـ كما يأتي ـ وقبره بها معروف يزار ويُتبرّك به، ورثاه جماعة من الأُدباء، وللمتأخرين عنه فيه مدائح كثيرة مذكورة في مظانّها في كتبهم، لا حاجة لنا إلى التطويل بذكرها.

ولله درّ الفقيه أحمد باغشيل، حيث قال فيه من القصيدة السابق ذكرها في مناقب العيدروس ﵁ : [شعر]

وبالسـيد الصدّيـق غـرَّة قومـه ... عبيـد التقى يـا حبَّذا مـن محلّل
سَمَا فضله في العزّ والفخر كم سما ... وحـقَّ له يسـمو وينمـو ويعتلي
منيف الذرى سامي العلا قدوة الملا ... ولي الثنا ما شـئت فـي مدحه قل
فأخلق بـه من فاضـل أيُّ فاضل ... صبور شـكور حامـد ذي توكّل
فنعـم الفتى كان للفضـل من فتى ... إلـى جاهه عنـد الشـدائد هرول
فأمسـك بـه وادْعُ الإلـه وقـل ... إلهـي إلهـي ربّ يسّـر وجمّـل

[كراماته ﵁]: وله ﵁ كرامات كثيرة انطمست في الكتاب المذكور بسبب الأرضة؛ **منها**: أنه كان إذا وُضع بين يديه مريض أو عليل نفث على علته ومسح جسده أو موضع العلة منه؛ برىء بإذن الله تعالى، انتهى.

[ترجمة]
[سيدي العارف بالله شيخ بن عبد الله بن شيخ العيدروس رضي الله عنه]

ثم قلت: [شعر]

وهـــو لــبـس مـــن شـــهــاب الــديــن

المذكور هنا السيِّد السَّند، مَنِ اجتهد في أموره وجد، وقام في شأنه وقعد، الباقي ذكره على الأبد، سيدنا وسندنا سليل عيسى أحمد. قال المرعي برعاية القدوس شيخ بن عبد الله بن شيخ العيدروس في كتابه المسمّى بـ «السلسلة القدّوسية المتصلة بالخرقة العيدروسية»: وسيدي الشيخ عبد الله ألبسه الخرقة ولقّنه الذكر والده السيد الشريف الشيخ أحمد بن عيسى، وكان رضي الله عنه شيخاً كبيراً وإماماً شهيراً، ذا علم غزير وقلب مستنير، فاق في الفضائل والمحاسن على أقرانه، وكان له في العراق الجاه الواسع، والعيش الرغيد النافع، وكان له بعقله المستنير وعلمه البسيط الغزير نظرٌ عظيم في العواقب، فحين أشرق في عين سويداء بصيرته وجوهر حقيقته عواقب الأمور وما سيحصل في العراق من الفتن الدينية والدنيوية؛ امتثل أمر الله عز وجل وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم بالهجرة والفرار إلى الله، حيث قال: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾، [الذاريات: 50]. ففرّ بدينه ونفسه وعشيرته وأهله وأولاده ومن يقبل مشورته، واحتمل مشقّة السفر وتعب النقلة في ذات الله رغبةً فيما عند الله من جزيل الثواب وحسن المآب، وكان موطنه البصرة فرحل عنها بمن ذُكر معه إلى المدينة الشريفة، ثم إلى مكّة المشرّفة ثم إلى اليمن متنقلاً فيها من قرية إلى قرية، حيث وصل إلى حضرموت، فاستوطنها.

ولله درّ الفقيه محمد بن باغشير، حيث قال فيه من القصيدة السابق ذكرها في

وبالحامـد المحمـود ذي الحمـدِ أحمـدُ
رفـيـع الـمـقـام والـصـابـر المتوكّلُ

وقد قال بعض العلماءِ العارفين: إن في ذلك إشارة مقتبسة من حديث النبي ﷺ، حيث قال: «إني رأيت أن أهاجر إلى أرض ذات نخل أراها إمّا يثرب وإما حضرموت»[1]، أو كما قال ﷺ، فببركته ما تبرّ همته سكنتها بضعة منه؛ لأن فاطمة رضي الله عنها بضعة محمد ﷺ ـ كما في الصحيح ـ وأُولادها بضعة من تلك البضعة، وكذا بنو بنيهم، وهلم جرًّا. وعليه الدليل بما جاء عن أُم الفضل حين رأت في المنام أن بضعة من جسد رسول الله ﷺ وُضعت في حجرها، فقال ﷺ: «خيراً رأيت، تلك فاطمة تلد إن شاء الله تعالى غلاماً، فيوضع في حجرك»، فولدت الحسن ﵁، فوُضع في حجرها منه بواسطتها[2].

فكل ما يشاهد اليوم من ولدها بضعة من تلك البضعة، وإن تعدَّدت الوسائط كما سبقت إليه الإشارة قائماً وجوده مقامه عليه الصّلاة والسلام، في كونه أماناً لأهل الأرض؛ لأن الله ﷻ لما خلق الدنيا لأجل النبي ﷺ [3]، جعل دوامها بدوامه ودوام أهل بيته، فإذا انقرضوا طوى بساطها.

---

(1) لم أجده بهذا اللفظ والذي جاء في الصحيحين: عن أبي موسى ﵁ عن النبي ﷺ قال: رَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أُهَاجِرُ مِنْ مَكَّةَ إِلَى أَرْضٍ بِهَا نَخْلٌ فَذَهَبَ وَهَلِي [أي ظني] إِلَى أَنَّهَا الْيَمَامَةُ أَوْ هَجَرُ فَإِذَا هِيَ الْمَدِينَةُ يَثْرِبُ . الحديث .**صحيح البخاري**: الحديث رقم: 3352، **وصحيح مسلم**: الحديث رقم: 4217.

(2) روى الطبراني في الكبير قال: حدثنا أبو زيد أحمد بن يزيد الحوطي ثنا محمد بن مصعب القرقساني ثنا الأوزاعي عن أبي عمار عن أم الفضل أنها أتت النبي ﷺ فقالت يا رسول الله إني رأيت في المنام حلما منكرا!، فقال ﷺ: وما هو؟. قالت: أصلحك الله إنه شديد. قال ﷺ: فما هو؟. قالت: رأيت كان بضعة من جسدك قطعت ثم وضعت في حجري. فقال رسول الله ﷺ: خيرا رأيت تلد فاطمة ان شاء الله غلاما يكون في حجرك. فولدت فاطمة حسناً ﵁ فكان في حجرها، فدخلت به على النبي ﷺ فوضعته فبال عليه فذهبت أتناوله فقال دعي ابني فإن ابني ليس بنجس ثم دعا بماء فصبه عليه». **معجم الطبراني الكبير**: باب اللام 25/ 17. لبابة بنت الحارث أم الفضل امرأة العباس بن عبد المطلب . شداد أبو عمار عن أم الفضل ﵁ .

(3) إشارة إلى ما اشتهر من قوله: «لولاك لولاك ما خلقت الأفلاك». قال العجلوني في كشف الخفاء: قال الصغاني موضوع، وأقول ـ أي العجلوني ـ لكن معناه صحيح وإن لم يكن حديثاً. انظر: **كشف الخفاء للإمام العجلوني** ـ الحديث رقم :2123.

قال ﷺ: «النجوم أمان لأهل السماء، وأهل بيتي أمان لأهل الأرض، فإذا هلك أهل بيتي جاء أهل الأرض من الآيات ما يُوعدون»[1].

وقال ﷺ: «إن فاطمة بضعة مني، يغضبني ما يغضبها ويبسطني ما يبسطها، وإن الأنساب تنقطع يوم القيامة غير نسبي وحسبي وصهري»[2].

وقال ﷺ: «اللَّهمّ إنهم مني وأنا منهم»[3].

وقد جعل الله تعالى أهل بيته ﷺ مساوين له في أشياء كثيرة، كالصلاة والسلام عليه والطهارة وتحريم الصدقة والمحبة وغيرها، وكذا لحق به ﷺ أهل بيته في قوله ﷻ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْۚ﴾، [الأنفال:33] لأنهم ﵃ أمان لأهل الأرض ـ كما سبق ـ، ولأن الفرع يثبت له من حيث كونه فرعاً ما يثبت للأصل، ولهذا يشير ما جاء من أن علي بن أبي طالب كرَّم الله وجهه كان في مواطن الحرب يثابر بكف الحسين عن القتال، فقال له أحدهما: تبخل بنا عن الشهادة! أوَ ترى أنّا دون ما تطمح إليه نفوسُنا من البسالة؟ فقال: ليس ذلك من حيث ظننت، ولكن أشفقت أن ينطبق نور النبوّة من الأرض؛ أي: لانقطاع الذرية الطاهرة. وفي ذلك من مزيد الكرامة، وعلوّ المنزلة، والحظوة ما لا يخفى.

---

(1) قال النجم: قلت: رواه أبو يعلى عن سلمة بن الأكوع بلفظ: «النجوم أمان لأهل السماء وأهل بيتي أمان لأمتي» وعند أبي يعلى عن أبي موسى: «النجوم أمنة لأهل السماء فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ماتوعد، وأنا أمنة لأصحابي فإذا ذهبت أتى أصحابي مايوعدون، وأصحابي أمنة لأمتي فإذا ذهبت أصحابي أتى أمتي ما توعد «.

(2) روى مسلم في صحيحه بسنده عن الْمِسْوَر ابْن مَخْرَمَةَ ﵁ أَنّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللّه ﷺ عَلَى الْمِنْبَرِ، وَهُوَ يَقُولُ: «إنّ بَنِي هِشَامِ بْنِ الْمُغِيرَةِ اسْتَأْذَنُونِي أَنْ يُنْكِحُوا ابْنَتَهُمْ، عَلِيّ بْنَ أَبِي طَالِب. فَلاَ آذَنُ لَهُمْ. ثُمّ لاَ آذَنُ لَهُمْ. ثُمّ لاَ آذَنُ لَهُمْ. إلاّ أَنْ يُحِبّ ابْنُ أَبِي طَالِبٍ أَنْ يُطَلّقَ ابْنَتِي وَيَنْكِحَ ابْنَتَهُمْ. فَإِنّمَا ابْنَتِي بَضْعَةٌ مِنّي. يَرِيبُنِي مَا رَابَهَا وَيُؤْذِينِي مَا آذَاهَا». **صحيح مسلم**: الجزء الرابع 44 كتاب فضائل الصحابة ﵃ 15 باب من فضائل فاطمة، بنت النبي ﷺ، ورضي الله عنها ـ الحديث رقم: 93 ـ (2449).

(3) عن واثلة بن الأسقع ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ لما جمع فاطمة وعلياً والحسن والحسين تحت ثوبه: «اللهم قد جعلت صلواتك ورحمتك ومغفرتك ورضوانك على ابراهيم وآل ابراهيم، اللهم إنهم مني وأنا منهم، فاجعل صلواتك ورحمتك ومغفرتك ورضوانك علي وعليهم». قال واثلة: وكنت واقفاً على الباب فقلت: وعليَّ يا رسول الله بأبي أنت وأمي، فقال: «اللهم وعلى واثلة».

وقد رُوي أن عبد الله بن الحسن المثنّى دخل على عمر بن عبد العزيز ﵁، وهو حديث السنّ، فرفع عمَر ﵁ مجلسه وأقبل عليه، وقضى حوائجه، فلما خرج من عنده لَامَه قومه، وقالوا: فعلت هذا بغلام حديث السِّنّ؟! فقال: إن الثقة حدثني حتى لكأني أسمعه من فِيِّ رسول الله ﷺ: «**إنما فاطمة بضعة مني يسرّني ما يسرّها**»(1)، وأنا أعلم أن فاطمة لو كانت حيَّة لسرَّها ما فعلت بابنها.

وعُلم من ذلك أن الإنسان وإن توفي يراعى غضبه وسخطه في بيته؛ سيما فاطمة رضي الله عنها لما سبق، ولذا روى الإمام أحمد عن المِسْور بن مخرمة أن الحسن بن الحسن بعث إليه يخطب ابنته، فأتى إليه ثم حمد الله وأثنى عليه، وقال: أمّا بعد، فما من سَبَب ولا نسب ولا صهر أحبُّ إليَّ من نسبكم وصهركم، ولكن رسول الله ﷺ قال: «فاطمة بضعة مني، يغضبني ما يغضبها ويبسطني ما يبسطها»، وعندك ابنتها ـ يريد: ابنة ابنها ـ وهي فاطمة بنت الحسين، وتلك بعد وفاة فاطمة الكبرى رضي الله عنها، وكيف لا يكون ذلك كذلك وقد قال تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا﴾، [الكهف: 81].

رُوي أنه كان بينهُما وبين الأب الذي حفظا فيه سبعة آباءٍ، ورواية: تسعة، فإذا كان هذا حفظه في أولاد الصالحين، فما ظنّك بأولاد الأولياء، ثم أولاد الشهداء، ثم أولاد الصدِّيقين، ثم أولاد الأنبياء، ثم أولاد سيِّد المرسلين صلَّى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين؟! كيف لا يُحفظون فيه وإن كَثُرت الوسائط ﵃ ونفعنا بهم؟. وقد قال ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم﴾، [الطور:21]. أي: أنقصناهم من عملهم من شيء؛ أي: إن الله ﷻ يَهَب لأهل الله ذريتهم وآباءهم ويرفع درجاتهم، وإن لم يعملوا بعلمهم لتقرّ أعينهم بذلك.

ومن ثم قال جعفر الصادق ﵁: احفظوا فينا حفظة العبد الصالح في اليتيمين.

---

(1) قوله ﷺ: «**فاطمة بضعة مني، يقبضني ما يقبضها، ويبسطني ما يبسطها، وإن الأنساب تنقطع يوم القيامة غير نسبي وسببي وصهري**». رواه أحمد في مسنده، والحاكم في المستدرك عنه. **الجامع الصغير للإمام السيوطي** ـ الحديث رقم: 5834.

كيف؟ وقد قال ﷺ: «يا فاطمة! إن الله يغضب لغضبك ويرضى لرضاك»[(1)]، فمن آذى أحداً من ولدها فقد تعرَّض لهذا الخطر العظيم لأنه أغضبها، ومن أحبَّهم فقد تعرَّض لرضاها. والأحاديث مصرّحة بأن ما يسرُّها يسرُّه، وما يسوءها يسوؤه ﷺ ، كما رُوي أنه أحد الأيام رقى المنبر ﷺ، ثم خطب وقال: «إن بني هاشم بن المغيرة استأذنوني أن ينكحوا ابنتهم علي بن أبي طالب، فلا آذن ثم لا آذن إلا أن يريد ابن أبي طالب أن يطلّق ابنتي وينكح ابنتهم، فإنما هي بضعة مني يُريبني ما يريبها، ويُؤذيني ما يؤذيها»[(2)].

قلت: وقد صرَّح العلماء ﷺ بأنه ينبغي إكرام سكان بلده ﷺ، وإن تحقَّق منهم ابتداع أو نحوه رعاية لحرمة جواره الشريف، فما بالك بذريته الذين هم بضعة منه ﷺ.

رزقنا الله حبهم وحبَّ مَن يحبهم، وحبَّ ما يقرِّبنا إلى حبِّهم، آمين.

ولنعد إلى ما نحن بصدده، فنقول:

وكانت تريم المحروسة موطن أولاد سيدي الشيخ أحمد بن عيسى وذريته ومنزل عقبه وخلفه، ولله درّ سيّدي الشيخ علي بن أبي بكر، حيث قال: [شعر]

فأعظم بسادات حووا في انتسابهم ... علا شـرفي مجـد يطـول ويكبر
بني علـوي الأكرميـن بهم علت ... تريـم ومَـن فيهـا يعـزُّ ويفخر
محبّهـم والجار يسـمو بفضلهم ... وفضـل نداهـم للأباعـد يُغمـر
وأسـرارهم تمتدُّ مـن بحر أحمد ... إلـى جاههـم أَمّ البرايـا وكبّروا
هـم العترة الكبرى ونسْـل محمَّد ... بهم نسـأل الرحمـن للحال يجبر
ويشملنا بالفضل واللطف والرضا ... ويسـتر كل العيـب والذنب يغفر

[وفاته ﷺ]: وكان قدومه ﷺ إلى حضرموت سنة سبع عشرة وثلاثمائة، وتوفي

(1) عن سيدنا علي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : «**إن الله يغضب لغضبك ويرضى لرضاك**». رواه الطبراني وإسناده حسن. **مجمع الزوائد للحافظ الهيثمي**: المجلد التاسع37 كتاب المناقب17 بابان في مناقب السيدة فاطمة رضي الله عنها 1باب مناقب فاطمة بنت رسول الله ﷺ رضي الله عنها ـ الحديث رقم: 15204.
(2) سبق تخريجه.

بالحسيسة سنة خمس وأربعين وثلاثمائة، وقيل: آخر القرن الرابع من غير تعيين. ودُفن في شعبها الشرقي المعروف الآن بشعب ابن مخدم، وقبره هناك معروف يُزار ويُقصد للتبرك به من كلِّ مكان في سفح جبل على يمين المتوجِّه إلى تريم من أعلى، وعليه بناء وإلى جانبه مسجد، وكان قد انطمس وانمحى أثره، فأظهره الشيخ عبد الله العيدروس رضي الله عنه. وأولاده خمسة منهم: عبيد الله المنتشر عقبه بحضرموت رضي الله عنهم ونفع بهم.

قلت: و «**حضرموت**»: قال ابن خلكان: بفتح الراء وسكون الضاد وفتح الراء وبعدها ميم، وهي من بلاد اليمن في أقصاها.

وقال الجُنيد رحمه الله تعالى: حضرموت مخلاف من مخاليف اليمن، وقيل: واليمن مخلافان.

وقال ابن شراحيل الشبامي في كتاب «مفتاح السُّنّة»: حضرموت بلاد مشهورة متّسعة من بلاد اليمن، تجمع أودية كثيرة، وهي بضمِّ ميمها وقد اختصَّ بهذا الاسم وادي ابن راشد، وهو نحو مرحلتين أو ثلاث، ويطلق على بلاد كثيرة وساحلها العين وبروم إلى الشحر ونواحيها، ويحدها من جردان ونواحيها إلى تريم إلى قبر هود عليه السلام، وما وراء ذلك بلاد مهرى. وذكر البغوي عن مقاتل أنه قال: كانت منازل عاد باليمن في حضرموت، بموضع يقال له مهرة. وقال صاحب التهذيب: حضرموت اسم لبَلدة باليمن، وهو أيضاً لقبيلة.

وقال القزويني في «عجائب البلدان»: حضرموت ناحية باليمن مشتملة على مدينتين، يقال لأحدهما: شبام، والأخرى تريم. وقال صاحب «جريدة العجائب»: حضرموت هي شرقي اليمن، وبها بلاد أصحاب الرسّ.

[سبب تسمية حضرموت]: وأما تسمية ذلك القطر بحضرموت، فرُوي في ذلك وجوه؛ **منها**: أنّ صالحاً لما هلك قومه جاء بمَنْ معه مِنَ المؤمنين إلى هذا الوادي، فلما وصل إليه مات، فقيل: حضرَ موت. وذكر المبرد أنه لقب عامر جَدّ اليمانية، وأنه كان لا يحضر حرباً إلا كثر فيه القتلى، فقال عنه: مَن رآه حضرموت ـ بتحريك الضاد ـ ثم كَثُر ذلك، فسكنت. وقيل: إنه اسم رجل استخطّها، فسُمِّيت باسمه، وهو من ذرِّية

سبا، و الله أعلم.

وحضرموت مشهورة بالأولياء والعلماء والصلحاء وأهل الخير، وكفاها من الشرف العظيم والمجد الفخيم والفخر الذي لا يبلى ولا يبيد، بل ينمو ويزيد؛ أن الشيخ أبا الحسن البكري ﷺ قال في تفسيره عند قوله: ﴿وَإِن مِّنكُمۡ إِلَّا وَارِدُهَاۚ﴾، [مريم:71] : يُستثنى من ذلك أهل حضرموت؛ لأنهم أهل ضنك في المعيشة.

وقد ذكر المشايخ في شأن فضائلها أشياء عديدة تركتها للاختصار.

رُوي أن الشيخ عبد الله بن أسعد اليافعي، والشيخ موسى بن عجيل رضي الله عنهما كانا يكثران الثناء عليها وعلى ساكنيها، حتى أن الشيخ عبد الله بن أسعد أرسل ولده عبد الرَّحمن من مكة المشرّفة لزيارتهم مرتين، وكلما عاد إليه يسأله عنهم، فيقول له: رأيتهم لا يُحصون كثرة، ورأيت أنوارهم مشرفة. ورُوي أنه قال حينئذٍ: [شعر]

مررت بوادي حضرموت مسَــلِّماً ... فألفيتــه بالبشــر مبتســماً رَحبـا

وألفيــت فيه مــن جهابــذة العُلا ... أكابــرٌ لا يلقــون شــرقاً ولا غربا

ولما صنّف ﷺ كتاب «روض الرياحين» قيل له: قد ذكرت كثيراً من الأولياء من سائر الجهات، ولم تذكر أهل حضرموت؟ فأجاب بقوله: إنما تركتهم لكثرتهم ولشهرتهم.

[فصل: ما جاء في ذكر تريم الغناء]:

وأما تريم، التي قدرها كوزنها عظيم، فهي: ـ بتاء مثناة فوقية ثم راء مكسورة ثم ياء مثناة تحتية ساكنة بعدها ميم-: بلدة قديمة بناها تريم ابن حضرموت، فسُمِّيت باسمه، وقيل: أسعد الكامل. قال شارح الخمْرية وهو تبع الأوسط، ثم قال: ويسمى الكامل لكماله، ومن الناس من يقول: إنه نبي؛ لأن الله ﷻ عدَّه مع الأنبياء، فقال: ﴿وقومُ تُبَّعٍ﴾، [ق:14]. وداود مَن كسا البيت العتيق، انتهى.

وهي ـ أي تريم ـ معشعش الأولياء، وتعدّ منشأ العلماء وموطنهم. رُوي أنه اجتمع بها في عصْرٍ واحد من العلماء الذين بلغوا رتبة الإفتاء ثلاثمائة رجل.

قال سيدي عبد القادر العيدروس ﵁ في بعض كتبه: وسماها الشيخ عمر المحضار ﵁ بلاد الطب. **قال بعضهم**: شملت هذه الكلمة من الشيخ ﵁ الطبين جميعاً: طبّ القلوب وطبّ الأبدان، انتهى.

ولله درّ الفقيه محمد بن أبي الحبّ، حيث قال في صفتها وخواصّها من قصيدة: [شعر]

نسيم جنوبها أبَداً صحيح ... وطبع الجوّ فيها مستقيم

وطبع مياهها في الصيف بردٌ ... وأيام الشتاء هي الحميم

تعادَلَ حرّها والبرد فيها ... فلا بردٌ يضرّ ولا سَمُوم

وطبع البرد فيها فيه لطف ... بطيب نسيمه تنمو الجسوم

وحرّ الشمس فيها ليس يؤذي ... وبرد شتائها أبَداً سليم

بلاد طاب مسكنها وطابت ... مباركةٌ لها ربٌّ رحيم

فلو نظرت فلاسفة إليها ... لقالوا جنّة للدنيا تريم

ولمؤلف هذا الكنز عفا الله عنه:

ولو كان كالياقوت تبراً ترابها ... وحوراً وولداناً نساها وذكراها

وأعطيتها ملكاً جميعاً بأسرها ... لما قلت كالغنا إذا جال ذكراها

وإن قيل لي دع ذا فأنت نزيلها ... أقول صحيح الأمر تعساً وإكراها

فلا شك بالتقدير أنا نازلٌ بها ... فصحت لي الدنيا وغناي أخراها

لقد شقيت نفس تروم دناءها ... وقد سَعُدت نفسٌ تروم لأخراها

لا ننسى بطول الدهر محمَّد ربها ... بسرّائها يا صاح أيضاً وضرّاها

وله أيضاً عفا الله عنه:

ولو كان لي أرض المليبار كلها ... لُجيناً وتبراً ما عدلتُ بها الفنا

ولست براضٍ على الرغم يا فتى | جلوسي بها فافهمه إن كنت ذا معنى

وتوطنها سادات الأشراف من سنة إحدى وستين وخمسمائة إلى يومنا هذا، ولم يزالوا يتناسلون بها إلى الآن لا يزدادون إلاّ كثرة ونموًّا ورفعةً وسموًّا، وقلَّ أن يتفق في غيرها من تلك الجهات.

وأنشد حينئذ لسان حال زائرها: [شعر]

أشمُّ منك نسيماً لست أعرفه | أظنّ تريماً جرّت فيك أذيالا

ولله درّ من قال:

أضحت تريم بهم عروساً تجتلى | تذكو عبيراً نشره يَتردَّد

ومع ذلك، فالأنوار بها ظاهرة، والكرامات من أهلها أحياءً وأمواتاً متواترة.

قال بعض العارفين ﷺ: إنها تنبت الأولياء كما تنبت الأرض البقل، وإن بمقبرتها جماعة ممن شهد بدراً مع رسول الله ﷺ، وأن عددهم سبعون.

وروي أن الشيخ عبد الرَّحمن السقاف ﵁: كان إذا زار قبور تريم يشير إلى مكان قبورهم هناك.

ورُوي أنه ﵁ قال: في تربة آل باعلوي ثمانون قطباً كلهُم أشراف، نفعّني الله بهم، آمين.

ورُوي عن الشيخ فضل بن عبد الله؛ أنه قال: ثلاث ترب محمولات بترابهن إلى الجنّة: تربة تريم، وتربة المجرين، وتربة غيل أبي سودان.

وذكر العلّامة الشرجي في طبقاته أن بباب سهام من بلدة زبيد سبعة من الأولياءِ؛ مَن زارهم سبعة أيامٍ قُضِيَت حاجته بإذن الله تعالى.

ونظمهم بعض الفضلاء في قصيدة ذيّل عليها سيدي الشيخ العارف بالله تعالى علي بن أبي بكر ﵁، فقال:

تريم بها منهم أُلوف كثيرة | بساحة بشار شموس الهدى قل
زيارة كلٍّ منهم صحَّ أنها | لما شئت من جلب ودفع محصل

وإن قيـل ترياقٌ ببغـداد جرِّبـا ففي ربع بشـار شـفا كل معضل

[دعوات سيدنا أبي بكر الصديق ﷺ لتريم وأهلها]: ويكفي تريم من الفخر العظيم ما رُوي أنه لما توفي رسول الله ﷺ أرسل أبو بكر الصدِّيق ﷺ إلى زياد بن لبيد الأنصاري ﷺ ـ عامل رسول الله ﷺ على حضرموت ـ ببقية على ما كان عليه، ويأمرهُ بأخذ البيعة منهُم، فأجابه أهل تريم وأبى غيرهم، فحاربهم وأرسل إلى أبي بكر ﷺ يخبرُه بذلك وطلب منه الإعانة، فلما بلغ كتابه إلى أبي بكر ﷺ دعا لتريم بثلاث دعوات:

الأولى: أن يكثر الصالحون بها.

الثانية: أن يبارك فيها.

الثالثة: أن لا يطفيء بها ناراً إلى يوم القيامة.

وفسّره بعضهُم بأن تكون عامرة بأهلها إلى يوم القيامة، فتقبّل الله منه ذلك، ولهذا يقال لها: بلاد أبي بكر الصدِّيق ﷺ.

ورُوي أن الفقيه محمّد بن أبي بكر عباد كان يقول: إذا كان يوم القيامة أخذ أبو بكر الصدّيق ﷺ أهل تريم كلهم قبضة في يده، ورمى بهم في الجنَّة.

وحُكي أن الشيخ حسن البكري ﷺ كان إذا جاء واحد وقيل له: إنه من تريم، يأخذ رجله ويقبّلها ويقول: أنت من تريم! أنت من تريم!! كالمغتبط به.

وحُكي أن الشيخ عبد الرَّحمن العمودي ﷺ كان يمشي في أزقّتها حافياً أدباً لهم والتماساً لبركتهم ﷺ ونفع بهم، آمين.

ولله درّ الشيخ العلّامة عبد المعطي باكثير، حيث قال مِن مدحها مرتجزاً: [شعر]

أرضـاً غـدت تفاخـر السـماء كـذا حصاهـا فاخـر الجـوزاء

أرضـاً ينـال كل مـن أَمَّ لهـا كرامـة فـوق التـي أَمَّلهـا

وتربهـا غـدا يضاهـي المسْـك للزعفـران الجنـوي يحكـى

قد أشـرقت مـن سـائر النواحي علـى المـلا بنورهـا الوضّـاح

[ما قيل في سبأ]: ومن أرض حضرموت المذكورة: **(سبأ)**. قاله ابن الوردي. وكان بها مدينة مأرب، وبهذه المدينة كان السدّ الذي أرسل الله عليه سيل العرم.

قال القزويني: بينها وبين صنعاء ثلاثة أيام، بناها سبأ ابن يشجب بن يعرب بن قحطان، كانت مدينة حصينة كثيرة الأشجار لذيذة الثمار، كثيرة أنواع الحيوان، لا يوجد فيها ذباب ولا بعوض ولا شيء من الهوامّ، كثيرة السيول. وكانت أيضاً حضرموت بلاد قديمة كثيرة الخصب طيبة. رُوي أن رجلاً من أهلها قال: وجدنا بها طرفاً من سنبلة حنطة، فلما وزناه كان منًّا، وكلّ حبة منها كبيضة دجاجة. وكان في ذلك الوقت شيخ له خمسمائة سنة، وله ولد له أربعمائة سنة، ولهذا ولدٌ له ثلاثمائة سنة، فذهبنا إلى ابن الابن قلنا: إنه أقرب للفهْم والعقل، فوجدناه مبلّداً لا يعرف الخير والشر، فقلنا: إذا كان هذا الرجل ولد الولد، فكيف حال الأب والجدّ؟ فذهبنا إلى صاحب أربعمائة سنة، فوجدناه أقرب إلى الفهّم من ولده، فذهبنا إلى صاحب خمسمائة سنة، فوجدناه سليم العقل والفهم، فسألناه عن حاله وولده وولد ولده، فقال: إنه كانت له زوجة سيّئة الخلق، لا توافقه في شيء أصلاً، فأثّر بهم ضيق خلقها، ودوام مقاساتها. وأما ولدي، فكانت له زوجة توافقه مرّة، وتخالفة أخرى، وهذا هو أقرب إلى الفهم. وأما أنا، فلي زوجة موافقة في جميع الأمور مساعدة، فلذلك سَلم فهمي وعقلي. فسألناه عن السنبلة، فقال: هذا زرع قوم من الأُمم الماضية، كانت ملوكهم عادلة، وعلماؤهم أُمناء، وأغنياؤهم أسخياء، وعوامّهم منصفة.

وذكر القزويني أيضاً أنَّ بها القصر المشيّد الذي ذكره الله تعالى في كتابه العزيز، بناه رجل يقال له: صدّ بن عاد. وذكر أيضاً أن بها قبر هود عليه السلام، قال: قال كعب الأحبار: كنت في مسجد رسول الله ﷺ، في خلافة عثمان رضي الله عنه، فإذا رجل قد رمقه الناس لطولٍ له، فقال: أيّكم ابن عم محمَّد ﷺ؟ قالوا: أيُّ ابن عمِّه؟ قال: ذلك الذي آمن به صغيراً، فأومؤوا إلى عليٍّ رضي الله عنه، قال علي: مِمَّن الرجل؟ قال: مِنَ اليمن، مِن بلاد حضرموت. فقال: أتعرف موضع الأراك والسّدرة التي يقطر من أوراقها ماء في حُمرة الدم؟ فقال الرجل: كأنك سألتني عن قبر هود عليه السلام؟ فقال علي رضي الله عنه: عنه سألتك، حدِّثني. فقال: مضيت في أيام شبابي في عدّة من شباب الحيّ نريد قبره، فسِرْنا إلى

جبلٍ شامخ فيه كهوف، ومعنا رجل عارف بقبره، قال: دخلنا كهفاً فإذا نحن بحجرين عظيمين قد أطبق أحدهما على الآخر، وبينهما فرجة يدخلها رجل نحيف، وكنت أنا أنحفهم، فدخلت بين الحجرين، فسرت حتى وصلت إلى فضاء واسع، فإذا أنا بسرير عليه ميت، وعليه أكفان كأنها الهواء، فمسَسْت بدنه فكان صليبا، وإذا هو كبير العينين، مقرون الحاجبين، واسع الجبهة، أسيل الخدَّيْن، طويل اللحية، وإذا عند رأسه حجر على شكل لوح مكتوب عليه: [لا إله إلا الله محمَّد رسول الله]، ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾، أنا هود بن الجلود ابن عاد رسول الله إلى بني عاد بن عوص بن سام بن نوح، جئتهم بالرسالة وبقيت فيهم مدّة عمري فكذَّبوني، فأخذهم الله بالريح العقيم، فلم يبقَ منهم أحد، وسيجيء بعدي صالح بن تكا نوح فكذّبه قومه فأخذتهم الصيحة. فقال علي ﷺ: صَدَقت هكذا قبر هود على نبيِّنا وعليه أفضل الصلاة والسلام؟.

قلت: وهو عندنا محقَّق معروف بالكثيب الأحمر، وقد زرْته بحمْد الله مرتين.

وذكر شارح الخمريّة عن وهب: بأن ريحاً عظيمة هبّت في زمن عمر بن الخطاب ﷺ، فكشفت على منبر هود ﵇، وهو منبر من الذهب مرصّع بالدرِّ والياقوت، وعن يمينه عمود من الجذع الأحمر في المكان المذكور، ويقال لهذا الوادي أيضاً: الأحقاف.

قال الله: ﴿وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ﴾، [الأحقاف:21]. يعني: هوداً، كما قال في آية أخرى: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا﴾، [الأعراف:65].

وقال الخراعي: توفي هود بالأحقاف من أرض اليمن، وقبره هناك معروف.

قال في القاموس: الأحقاف جمع حقوف، وهو المعوج من الرمال. **وقيل**: ما استطال من الرمال كهيئة الجبل. **وقيل**: ما استدار منها، وهي رمال مستطيلة بناحية الشّحر.

قال القزويني: اليمن بلاد واسعة من عمان أو نجران تسمى الحضر لكثرة أشجارها وزروعها، تزرع في السنة أربع مرات، وتحمل أشجارهم في السنة مرتين، وأهلها أرقّ

الناس نفوساً، وأعرفهم للحقّ، سمّاهم الله تعالى: «الناس»، حيث قال: ﴿ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ﴾، [البقرة:199].

وقال ابن منبه: إنما سُمِّيت أرض يمن، وهو يعرب بن قحطان، وكان اسمه يمن، وكان ورثها من أبيه، وهي مشتملة على تهامة وعلى نجد اليمن، وإنما زيد فيها الألف واللام لصلة الكلام.

وقال البخاري: سُمِّيت اليمن لأنها يمين الكعبة والشام؛ لأنها عن يسار الكعبة وهو مما يلي الحجاز. وقيل له: حجاز لأنه حَجَز بين الشام واليمن، وآخر الحجاز من جهة اليمن حلى وما والاه، وأوّل اليمن من تهامة موضع بقرب حلى.

[وأما ما ورد في فضل اليمن]: قال مجاهد: كلُّ ما ورد في شرف البيت والمسجد الحرام، فلليمن من ذلك الشرف أكمله، ومن الفضل أتمّه؛ إذ هو قطعة منه، وقد قال ﷺ: «الكعبة يمانية، والحجر الأسود من جهة اليمن»[1].

وقال ﷺ: «الحكمة يمانية، وأنا يماني»، وفي رواية: «الإيمان يماني»، وفي رواية: «الفقه يماني»[2].

وقيل: إن إبراهيم ﷺ لما أُمر بالنداء بقوله: ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ﴾، [الحج:27].كان أوّل مَن أجابه أهل اليمن.

وذكر الماوردي في تفسيره عند قوله: ﴿بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾، [سبأ:15]. أنها صنعاء اليمن.

وقد قال ﷺ: «عليكم باليمن إذا هاجت الفتن، فإن نومه دعاء وأرضه مباركة،

---

(1) لم أجده بهذا اللفظ فيما لدي من مصادر ، والله تعالى أعلم.

(2) **هذا وما قبله وما سيأتي بعده لم أجده بهذا اللفظ فيما لدي من مصادر**، والصحيح فيما ورد في هذا ما روى الشيخان ـ واللفظ للبخاري ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قال: «أَتَاكُمْ أَهْلُ الْيَمَنِ هُمْ أَرَقُّ أَفْئِدَةً وَأَلْيَنُ قُلُوبًا الإِيمَانُ يَمَانٍ وَالْحِكْمَةُ يَمَانِيَةٌ وَالْفَخْرُ وَالْخُيَلاءُ فِي أَصْحَابِ الإِبِلِ وَالسَّكِينَةُ وَالْوَقَارُ فِي أَهْلِ الْغَنَمِ». **صحيح البخاري**: الجزء الثالث 67 كتاب المغازي 70 باب: قدوم الأشعريين وأهل اليمن ـ الحديث رقم: 4127 / 4129. **وصحيح مسلم**: الجزء الأول1 كتاب الإيمان 21باب تفاضل أهل الإيمان فيه، ورجحان أهل اليمن فيه – الحديث رقم: 84 ـ (52).

والعبادة فيه فيها أجرٌ كثير».

وقال ﷺ : «ثلثا بركة الدنيا ترجع إلى اليمن، فمَن كان هارباً من الفتنة فإليه يهرب».

وقال ﷺ **أيضاً**: «إني لأجد نفس الرحمن من جانب اليمن».

وقال ﷺ: «الإيمان هاهنا» وأشار بيده إلى اليمن.

وقال ﷺ: «أهْل اليمن أرقُّ أفئدة وألْيَن قلوباً».

وقال ﷺ: «مَن أحبَّ اليمن فقد أحبَّني، ومن أبغض اليمن فقد أبغضني».

وسُئل ﷺ:أيُّ الناس خير؟ قال: «أهل اليمن».

وقال ﷺ: «أتاكم أهل اليمن وهم أوّل مَن جاء بالمصافحة».

وحُكي أن الإمام الكبير أبا إسحاق إبراهيم بن عبد الله بن زكرياء رضي الله عنه، قال: رأيت النبي ﷺ في المنام، فقال: يا إبراهيم! اقرأ عليّ سورة مريم، فقال: فقرأتها عليه حتى وصلت إلى قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾، [مريم:71]. فقال: نعم يا إبراهيم، إلا أهل اليمن.

قلت: بِمَ نالوا ذلك يا رسول الله؟.

قال ﷺ: بصبرهم على جور ولاتهم.

وقد أشهد شيخ الشيوخ أبو العباس المرسي وهو بالموقف أن الحقَّ سبحانه وتعالى تجلَّى لأهل اليمن خاصَّة، فقيل له: وهل شاركهم في ذلك التجَلّي غيرهم؟ قال: لا أدري ذلك.

ونُقل عن الشيخ أحمد بن عقبة الحضرمي رضي الله عنه، ينقله عن بعض العارفين: أن العجَم بنوا مذاهبهم على التجريد، فلا يصلون إلى الحق إلا في آخر رمق. والمغاربة بنوا طريقهم على الاستهلاك، فلا يتنعمون بالحق في هذه الدار أبداً. وأهل اليمن بنوا أصولهم على رؤية الحقّ والغنى به، فهم بأول قوم يتنعّمون به.

[من دخل اليمن من الأنبياء على نبينا وعليهم أفضل الصلاة والسلام]:

وممَّن دخل اليمن من الأنبياء: هود عليه السلام كما مرَّ آنفاً ـ وشعيب بن مهدم، ويُعرف شعيب حضور، وهو غير شعيب مدين رضي الله عنه، بعثه الله إلى أهل حضور جبل غربي صنعاء، وبه قبْر النبيّ المذكور، وبيته هنالك معروف. وقيل: إنه مدفون بشرقي صنعاء، وممن دخله من الأنبياء أيضاً حنظلة بن صفوان نبي أهل الرس. وقيل: إنّ قبره بحضرموت، والله أعلم.

[من دخل اليمن من الخلفاء رضي الله عنهم]: وممن دخله من الخلفاءِ أبو بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه فارًّا بدينه، وعلي بن أبي طالب كرَّم الله وجهه بعثه صلى الله عليه وسلم، ولهذا يقال له: يمن.

[من دخل اليمن من الصحابة والتابعين وتابعيهم رضي الله عنهم]:

ومن مفاخر اليمن العظيمة ومآثره الجليلة: أُويس القرني[1] رضي الله عنه، وأسعد الحميري، والسادة الأشراف آل باعلوي رضي الله عنهم الذي طبق ذكرهم طباق الأرض، وعمَّ نفعهم الطول والعرض، وكذا بنو عمّهم آل جديد وآل بصري ـ وإن كانوا قد انقرضوا ـ لِمَا ورثوه من المناقب والفضائل العديدة والتآليف المفيدة ـ نفعني الله بهم آمين ـ وكذا بنو الأهدل، وبنو قديم الذين منهم آل السجر ـ بالجيم ـ رضي الله عنهم ونفع بهم، آمين. انتهى.

(1) سيدنا ومولانا أويس بن عامر، ويقال: ابن عمرو القرني، نسبة إلى قرن ـ بفتح القاف والراء بطن من مراد ـ اليمني العابد، نزل الكوفة، يعده البخاري من الضعفاء، ويقول الذهبي: «لولا أن البخاري ذكر أويساً في الضعفاء لما ذكرته أصلاً، فإنه من أولياء الله الصادقين، وما روى الرجل شيئاً فيضعّف أو يوثق من أجله»، وكان رضي الله عنه من جلة التابعين، يلزم المسجد مع جماعة من أصحابه، قال بعضهم: إنه مات بالحيرة، وقال آخرون: بل مات مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه مقاتلاً بين يديه في صفين. رضي الله تعالى عنه ونفعنا بمحبته وأمدنا بإمداداته آمين. انظر: اللباب 2/ 256، وميزان الاعتدال 1/ 129-131.

[ترجمة]
[الإمام عيسى بن محمد ﵁]

ثم قلت:

وهـــو لـبــس مــن أبــيــه عيسى

المذكور هنا هو السيد الأمجَد، والسَّند الممجّد، لا عبرة بمن قال فيه ما قال؛ لا سيما في نسبه المتعال. ترجمه السيد المفضال في كتابه «المشرع»[1]، فقال:

عيسى وهو الإمام الكبير، العَلَم الشهير، العارف بالله تعالى، صحب والده محمّد، وتأدب به، وسمع وحدّث وتفقه في الدين، وكان فصيحاً بليغاً مقبولاً عند الخاصّ والعامّ، وله عند الملوك فمن دونهم القبول التامّ، وكانت سيرته سَنية، وعقيدته سنية، وكان يُدعى بالأزرق لزرقةٍ كانت بعينيه، وكان ﵁ أبيض اللون، وبياضه يميل إلى الحُمرة، وهي أفضل الألوان؛ لأنه لون النبي[2] ﷺ، كما قال علي كرّم الله وجهه: إن لون النبي ﷺ أبيض مشرب، وفي رواية: مشرب بحمرة؛ ولهذا كان يلقّب السيد عيسى بالرومي، وكان يسمّى النقيب لأنه كان نقيباً على الأشراف، والنقيب هو شاهد القوم وناظرهم وضمينهم. ومن أسماء النبي ﷺ:النقيب؛ لأنه لما مات نقيب بني النجار أبو أُمامة أسعد بن زُرارة وجَدَ عليه ﷺ، ولم يجعل عليهم نقيباً بعده وقال: «أنا نقيبكم»[3]،

(1) المشرع الروي لأبي بكر الشلي باعلوي ﵁: الجزء الأول ـ صفحة 33.

(2) جاء في لون مولانا رسول الله ﷺ أنه كان أزهر اللون : قيل نيِّر، وقيل: حسن. وقيل: أبيض، أو أبيض مشرَّب بحمرة، وفي الصحيح: عن أنس ﵁: «لم يكن بالأبيض الأمهق»؛ أي الخالص البياض كلون الجير فإنه غير محمود. وفي الشمائل للترمذي: فسر الأزهر بالأبيض المنير المشرق. وفي نسيم الرياض: **والحق أنه كان أبيض مشرباً بحمرة، وهو أحسن الألوان.**

(3) قوله ﷺ: «**أنا نقيبكم**». أخرجه ابن سعد ـ عن عبد الرحمن بن أبي الرحال، قال: مات أسعد بن زرارة ﵁ فقال بنو النجار: يا رسول الله! قد مات نقيبنا فنقّب علينا، قال: فذكره. **كنز العمال للمتقي الهندي**: المجلد الثاني

فكانت من مفاخرهم.

[من مناقبه ﷺ]: وكان ﷺ كثير الزواج، ولهذا كَثُر أولاده، فكان له ثلاثون ابناً، وخمس بنات. وتوفي بالبصرة، ولم أقف على تاريخ وفاته ولا وفاة والده محمَّد.

قلت: وقد تكلَّم بعض الرافضة الباغضين للشيخين ـ رضي الله عنهما ولعن شانئهما إلى يوم الدين ـ وللمنتسبين إلى السُّنّة من أولاد الحسين ﷺ، فقال: بأن العلويين منتسبون إلى علي من غير الحسين، ودعواهم إلى الحسين السّبط من الميْن.

وقد كان لي أيضاً صاحب من البحرين، ويدَّعي بأنه لي من أكبر المحبِّين، يقال له علي شـاه النحاس يقول: لا أعتقد فيك إلا الخير، وأنت في اعتقادي من أولاد العباس ﷺ !.

وقال قائل من النسّابة: بأن المنتسبين إلى عيسى هذا كاذبين ومفترين، وحيث تحققت أنهُم في نسَبنا إلى الحُسَين مُشِكّون[1]، ولنا بالانتساب إليه منكرون، ونسبنا كالشمس في كبد السماء، وقولهم مثل السراب يحسبه الظمآن ماء، أحببت أن أذكر ما ذكره بعض أهل التعاليق في علم الأنساب، حيث قال وأجاد في ذلك وأحسن الجواب، ليظهر الصدق من الميْن، ويعلم الناس أنّا من الصادقين. قال في تعليقه المذكور، جعل الله سعيه دائماً مشكوراً، وذنبه مغفوراً، وبوَّأه في الجنّة أحسن القصور، وصورة ما قاله بالتعليق: وأولاده ـ أي: علي العريضي ﷺ أحد عشر ـ ولداً وعقب من أربعة رجال: محمّد وأحمد السعدابي والحسن وجعفر الأصغر.

فأما محمد بن علي العريضي، ففي ولده العدد، وهم متفرقون في البلاد، وكنيته أبو عبد الله، وعقب من خمسة رجال، وهم: أبو الحسن عيسى النقيب ـ وفيه العدد ـ ويحيى والحسن والحسين وجعفر. ونقل العمري عن الشيخ الشرف العبيدلي: أن عيسى النقيب له أخ يسمى عيسى أيضاً، قال: وأكثر النسابين يمنع أن يكون لعيسى الملقب بالكبير أخ يقال له عيسى، وإنما يسمى كبيراً لأجل ابن ابنه عيسى المعروف بعيسى الصغير بن محمد بن عيسى بن محمّد العريضي، فقال ابن عتبة: قد وقع لأبي

عشر. الإكمال من الأنصار ـ الحديث رقم: 33778.

(1) أي شاكّون.

المظفر محمد بن الأشرف الأفطس في عيسى بن محمد العريضي غلط فاحش فظيع لا يقع مثله لأحد من العامّة ولا لمغفل، فإنه نقل في بعض شجراته عن أبي الحسن العمري؛ أنه قال في المجْدوي: ولد عيسى النقيب الرومي خمس بنات واثني عشر ولداً ذكوراً، ولم يعقب، وأن المنتسبين إليه كاذبون!! فنفى بطناً عظيماً من بطون الفاطميين، ليس له عيار ولا تكلَّم فيه أحدٌ من علماء النسب. والعجب منه أنه يدّعي أنه قرأ كتاب المجدوي على النقيب رضي الدين، ولا شك أن العمري ذكر في هذا الكتاب أن عيسى الرومي النقيب ولد اثني عشر ولداً ذكوراً، ولم يعقبوا. لكن ذكر المعقبين من إخوانهم وعدّهم، ثم ذكرعقبهم المعقبين من ولده، فلا أدري كيف ذهب عنه ولم يطالع الكتاب المذكور بعد ذلك. ولأبي المظفر في هذا الفن أخلاط فاحشة، ولكن كلامه ساقط فيعتقد في هؤلاء القومِ ما هم بريئون منه، وها أنا أذكرُ ما ذكره العمْري ليتضح غلط هذا الرجل.

قال: عقب عيسى بن محمَّد العريضي، وكان نقيباً ويقال له: الرومي، والأزرق لحُمرة لونه، وزرقة عينيه؛ ثلاثين ولداً، وهم: عبيد الله الأكبر، وعبيد الله الأحول، وعبيد الله الأصغر، وعبيد الله، وعبد الرَّحمن، وداود، ويحيى، وعلي، والعباس، ويوسف، وحمزة، وسُليمان، وإسماعيل، وزيد، والقاسم، وهارون، ويحيى، وعلي، وموسى، وإبراهيم، وجعفر، وعلي الأصغر، وإسحاق، والحسن، والحسين، وعيسى، وحمزة ـ في قول الشيخ الشرف ـ وعبد الله، وأحمد، ومحمد. فأما الاثنا عشر، فلم يعقب منهم أحد غير سليمان. وقيل: إن له ولداً اسمه محمد. وأما اسماعيل وزيد والقاسم، فلم يطل ذيلهم. وأما هارون دخل الروم وغاب خبره. وأما يحيى الثاني وعلي الثاني وموسى وإبراهيم وجعفر وعلي الأصغر وإسحاق، فلهم أولاد وأعقاب. وأما الحسن، فله عقب منتشر. وشيخ الشرف العبيدلي يقول: عيسى بن عيسى. وأما الحسين، فله عقب. وأما عيسى بن عيسى، فقال العمري: غير معقب، وقال شيخه: شيخ الشرف له عقب. وأما حمزة الثاني، فليس له ذكر. وأما عبد الله الثاني، فله عقب. وأما أحمد، فكذا. وأما محمد، فله ولد اسمه عيسى يُعرف بالرومي والأزرق أيضاً، وله عقب. هذا تلخيص ما ذكره العمري في كتاب المجْدوي.

وقال شيخ الشرف العبيدلي: لعيسى الرومي أحد عشر من الأولاد، أعقبوا منهُم

عيسى وزيد، ولم يذكرها العمري وذكر بدلهما عليًّا وسحاق، وزاد ابن طباطبا: أبا تراب عليًّا وإسحاق والقاسم الأكبر وإسماعيل وسليمان، والمعقبون من ولد عيسى عنده خمسة عشر، وهم لهم أعقاب.

وأمّا أحمد بن عيسى بن العريضي، فقال ابن عتبة: أبو محمد الحسن الدلال بن محمد بن علي بن عيسى الرومي من ولده، وسكت عن غيره.

قلت: رأيت في بعض التعاليق ما صورته: قال المحققون: لهذا القوم من أهل اليمن وحضرموت كالإمام ابن سمرة، والإمام جندي، والإمام العوجي صاحب كتاب «التلخيص»، والإمام حسين بن عبد الرَّحمن الأهدل، والإمام أبي الحب البرعي، والإمام فضل بن محمّد البرعي، والإمام محمد بن أبي بكر بن السابي، والشيخ فضل بن عبد الله الشحري، والإمام عبد الرَّحمن بن حسان. خرج السيد الشريف أحمد بن عيسى ومعه ولده عبيد الله في جمْع من الأولاد والقرابات والأصحاب والخدم من البصرة والعراق إلى حضرموت، بعد التنقل في البلدان والتغرب من الأوطان، حكمة الملك المنّان واستقرّ مسكن ذريّته واستطال فيهم بتريم حضرموت، وهي بهم الآن معمورة وبآثارهم وذكرهم مشهورة مذكورة، ولقد أحسن من قال في عيسى، وهو فخر الأقران سيدنا وسندنا الشيخ علي بن أبي بكر السكران: [شعر]

لعيســى من المجد الأجلّ جمال ... ومن نور شمس المصطفين كمالُ
ينابيــع بحــر العلم منــه تفجَّرت ... فعــمَّ جميــع الخلْــق منه نَــوَالُ
فأكرم بــه مِن ســيِّدٍ ماجدٍ سَــما ... وصــار لــه بيــن الأنــام جــلال
لقد رســخت أقدامه فــي اعتلائه ... بأطــوار فضــل حبَّــذاك مثــالُ

[ترجمة]
[الإمام محمد بن علي العريضي رضي الله عنه]

ثم قلت:

وهـــو مـــن الـمـحـمَّـد قـد لبسا

المذكور هنا هو السيد الشريف والعلم الغطريف، جمال الدين. ترجمه مَن برع العلّامة الشّلّي في كتابه «المشرع»[1]، فقال:

محمّد السيد الكامل العالِم العامل، المتّفق على جلالته وعلمه وورعه وزهادته.

[ولادته ونشأته رضي الله عنه]: وكانت ولادته رضي الله عنه بالمدينة الشريفة، ونشأ بها وصحب أباه وتأدّب به، ولم يزل تحت كنف أبيه قلَّما يفارقه، إلى أن انتقل والده، ولم تطب له الإقامة بالمدينة بعد موت أبيه، فارتحل إلى العراق وسكن البصرة، وتدبّرها واغتبط به أهلها، وليس بأوّل من بَانَ عن وطنه، وارتحل ممن انتحل، فخير البلاد ما حله، ومحلّه حيث حلّ، وأحبوه وعرفوا منزلته وأجلّوه لما رأوا ما اتصف به من صفات الكمال، ومكارم الأخلاق والأعمال، وأحلوه المحل الأرفع اللائق بأمثاله.

[أخلاقه رضي الله عنه]: وكان رضي الله عنه مقبول الشفاعة، والغالب عليه الزُّهد في الدنيا ورياستها، وكان وَرعاً سخياً، لا سيما إطعام الطعام، باذلاً نفسه للخاص والعام، ذكره ابن عتبة والعمْري وغيرهما، وترجمه جماعة من المؤرخين، ومدحه كثير من الشعراءِ، وأثنى عليه جماعة من العلماء، ولم يزل على أحسن الأحوال إلى أن اختار الله له الانتقال

(1) المشرع الروي لأبي بكر الشلي باعلوي رضي الله عنه: الجزء الأول ـ صفحة 33.

من دار الزوال إلى حضرة الكبير المتعال، رحمه الله رحمة الأبرار، وأسكنه وإيّانا دار القرار، ولقد أحسن عظيم الفخر سيدنا علي بن أبي بكر، حيث قال فيه بما لا ينافيه: [شعر]

جمال الدين يعلو بالكمال ... على الأطواد فَيْضاً بالنَّوالِ
تأسَّس مجده أصلاً وفرعاً ... وفاق الحسن منه مع الجمال
فكم أهدى الخليقة من عماها ... وكم رقى إلى عليا المعالي
فجازاه المهيمن من عطاه ... نوالاً دائماً في كلِّ حال
وصلَّى ربنا في كلِّ حين ... على المختار مع صحْب وآل

[ترجمة]
[الإمام علي العريضي بن الإمام جعفر الصادق ﵃]

ثم قلت:

وهـــو مـــن العريضـي أعنيـــه علـــي

ثم قلت: المذكور هنا هو نور الدين علي، ذو المجْد الأثيل، والفخر الجلي. ترجمه ابن الفخر في كتابه «المشرع» [1]سامي الذكر، فقال:

علي العريضي أبو الحسن ذو الشرف الشامخ، والمجد البازخ، العلم الراسخ، الجامع بين الرواية والدِّراية، والبالغ في الديانة إلى أقصى الغاية، ذكره الحافظ الذهبي في «تاريخ الإسلام» وفي «الميزان»، وفي «الكاشف عن أسماء الرجال». وذكره شيخ الإسلام والحافظ شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلاني في «التقريب» وغيره، ووصفه بأجلِّ الصفات. وخرَّج له الإمام أحمد في مسنده، وأسند له الإمام الحافظ الترمذي في كتاب «السنن» حديثاً في حبِّ آل محمد ﷺ وكذا القاضي عياض في كتاب «الشفا». وترجمه الإمام عبد الله بن أسعد اليافعي في تاريخه وذكره في غيره. وذكره السيد أحمد بن عتبة في كتابه «عمْدة الطالب في نسب آل أبي طالب»، والإمام النسابة أبو الحسن العمْري، والسيد علي السّمهودي في «جواهر العقدين»، وغير هؤلاء.

روى الإمام علي العريضي عن أبيه جعْفر الصادق، وأخيه الكاظم، والإمام المجتهد

---

(1) المشرع الروي لأبي بكر الشلي باعلوي ﵁: الجزء الأول ـ صفحة 33.

سفيان الثوري وغيرهم. وروى عنه ابنا محمد وأحمد، وحفيده عبد الله بن الحسن بن علي، وابن ابن أخيه الإمام إسماعيل بن محمد بن إسحاق بن جعفر الصادق، والإمام أحمد البزي صاحب القراءة، وسلمة بن شبيب، ونصر بن علي الجهضمي وغير هؤلاء، وطال عمره ﵁ حتى ألحق الأجداد بالأحفاد، وسمع الناس منه طبقة بعد طبقة، وهو أصغر أولاد أبيه وأطولهم عمراً. وذكر السيد أحمد بن عتبة أن الإمام محمد الجوّاد ابن الإمام علي الرضا ابن الإمام موسى الكاظم دخل على الإمام علي العريضي، فقام له وأجلسه في موضعه، ولم يتكلم بحضرته حتى قام وخرج، فقال له أصحابه: أتفعل هذا وأنت عمّ أبيه؟ فضرب بيده على لحيته وقال: إذا لم ير الله هذه الشيبة أهلاً للإمامة أراها أنا أهلاً للنار، وقال بعضهم: وهذا القول يدلّ على أنه يرى رأي الإمامة، وفيه نظر.

[ولادته ﵁ ونشأته]: وكانت ولادته ﵁ بالمدينة المنورة، ونشأ بها، وصحب أباه، وتأدّب به وسمع منه ولازمه إلى أن انتقل والده. ثم سكن العُرَيض ـ بضم العين المهملة وفتح الراء وسكون التحتية آخرها ضاد معجمة، تصغير عرض ـ وهي قرية على أربعة أميال من طيبة المشرّفة ـ على مشرِّفها أفضل الصلاة والسلام ـ، واستمر موطناً بها إلى أن انتقل إلى رحمة الله تعالى، وكان قبره قد اندرس فأظهره سيدنا وشيخنا السيد زين بن عبد الله باحسن، وهو الآن معروف يُزار ويُتبرَّك به، ولشعراء عصره وأدباء دهره ومن يعدهم فيه وفي آبائه وأجداده قصائد طنانات، ومقاطيع بديعات مذكورة في محالِّها من التواريخ، ولله درّ السيد المقبول سيدنا الشيخ علي بن أبي بكر، حيث يقول: [شعر]

لله درك شيخاً يا أبا الحسن ... يا من أقام بدين الله والسُّنن
يا نجل جعفر يا مفضال عصبته ... يا منهلاً قد حَلَا للواردين هَنِي
ومن سَمَا في سما العلياءِ مرتبةً ... وقلَّد الخلق أطواقاً من المِنَنِ
لقد وُهِبْت من المنّان موهبةً ... بها علَوْت الورى في سائر الزَّمنِ
طالت أُصولك فخراً والفروع سَنا ... يا معدن الجود والإفضال يا عدني

فـــروعُ مجدٍ تزهـــو بالأصول علا   ونور أصلـــك روح الكون منه بني
يا غصن دوحة وخير الخلق قاطبةً   سَمَتْ فروعك بالإحسان والحَسَنِ
فـــزادك اللـــه مـــن إكرامـــه مِننـــاً   وذَادَ عنـــا شـــرور الإثـــم والفِتَنِ
وعمّ باللطف أصلي والفروع ومن   أوْجب له الشرع حقًّا في بنا السننِ
ومـــع دوام صـــلاة اللـــه أســـأله   مضاعفـــاً من ســـلام هاطل المزن
والحمـــد لله جـــداً لا انتهـــاء له   كما هو أهله له صافـــي عن الدَّرَنِ

انتهى.

[ترجمة]
[سيدنا جعفر الصادق ﷺ]

ثم قلت:

وهـو مـن الـصـادق جعفر الولي

المذكور هنا: سيّدنا وسندنا، مَن به علا شأننا وقدرنا، وطار ذكرنا بالمغارب والمشارق، برغم كل حاسد ومنافق، ذو الخصال المنيفة، والأخلاق اللطيفة، والمزايا الشريفة، مَن لنا نوره بارق، وفينا لم يزل شارق، الغني بذاته وصفاته عن نعت كل حاذق، سيدنا وسندنا ومَن به اتصال نسبنا جعفر الصّادق.

مناقبه لا تُعدّ، وفضائله لا تُحدّ، قال فيه مَن في كل علم برع، العلّامة الشلّي في كتابه «المشرع»[1]: وهو جعفر الصادق، له ألقاب كثير، والصادق أشهرها، لُقِّب به لصدقه، ويُكنى أبا عبد الله، **وقيل**: أبا إسماعيل، **أُمّه**: فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر الصدِّيق، وأُم فروة أسماء بنت عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق، ولهذا كان الصّادق يقول: ولدني الصدِّيق مرتين.

[ولادته ونشأته ﷺ]: وُلد ﷺ بالمدينة الشريفة ـ على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ـ سنة ثمانين، **وقيل**: سنة ثلاث وثمانين. **يوم** الاثنين لثلاث عشرة ليلة بقين من ربيع الأول. ونشأ بها، وصحب أباه وتأدب به، ورَوَى عن عمّه زيد بن علي وجدّه لأُمه القاسم بن محمد، ولم يَرْوِ عن جدّه زين العابدين، وقد أدركه وهو مراهق. وروى عن عروة بن زبير وعطاء ونافع والزهري وابن المنكدر وعبيد الله بن أبي رافع.

---

(1) المشرع الروي لأبي بكر الشلي باعلوي ﷺ: الجزء الأول ـ صفحة 34.

قال الحافظ الذهبي: والظاهر أنه رأى سهل بن سعد وغيره من الصحابة ﷺ، وروى عنه ولداه موسى الكاظم وعلي العريضي، والأئمّة مالك وأبو حنيفة، والسفيانان[1]، وابن جريج، وشعبة، وسليمان بن بلال، والدراوردي، وابن أبي حاتم، وابن إسحاق، وحاتم بن إسماعيل، ويحيى القطان،... وخلق كثير ﷺ.

وعن أبي حنيفة ﷺ قال: ما رأيت أفقه من جعفر، لما أقدمه المنصور الحيرة بعث إليّ، فقال: يا أبا حنيفة! إن الناس قد فُتِنوا بجعفر بن محمّد، فهيِّيء له من مسائلك الصعاب. فهيَّأْت له أربعين مسألـة، ثـم بعث إليّ المنصور فأتيته، وجعفر جالـسٌ عن يمينه، فلما أبصرتهما دخلنـي مـن الهيبة لجعفر ما لـم يدخلْنـي للمنصور، ثـم قـال: يا أبا عبد الله! أتعرف هذا؟ قال: نعم، هذا أبو حنيفة، ثـم أتبعها: قد أتانا، ثم قـال: يا أبا حنيفة! تسأل أبا عبد الله؟، فابتدأت أسأله، فكان يقول في المسألة: أنتم تقولون فيها كذا وكذا، وأهل المدينة يقولون كذا وكذا، ونحن نقول كذا وكذا، حتى أتيت على أربعين مسألة!.

وله كلام نفيس جامع في علم التوحيد والحقائق والمعارف وغيرها، وقد ألّف تلميذه جابر بن حيان كتاباً يشتمل على ألف ورقة يتضمن رسائل، وهي خمسمائة رسالة. ونُقل عنه من العلوم ما سارت به الركبان وانتشر صيته في سائر البلدان، وكان يقول: سلوني قبل أن تفقدوني، فإنه لا يحدّثكم أحد بعدي بمثل حديثي.

ودخل عليه الإمام أبو حنيفة ﷺ يوماً فقال: يا أبا حنيفة! بلغني أنك تقيس في دين الله! لا تفعل، فإن أوّل من قاس إبليس.

قال: إنما أقيس فيما لم أجد فيه نصًّا. فقال ﷺ: لا بأس إذاً.

ودخل عليه سفيان الثوري ﷺ، فرأى عليه ثوباً من من خَزٍّ، فقال: إنك من بيت نبوّة، لا يلبسون هذا. فقال: يا ثوري! أدخل يدك، فأدخلها فإذا بجبّة نسج من شعر خشن، ثم قال: يا ثوريّ! أرني ما تحت ثوبك هذا الغليظ، فإذا تحته قميصٌ أرقّ من بياض البيض، فخجل سفيان. وكان يقول: نلبس الجبّة لله، والخزّ لكم، فما كان لله

(1) السفيانان هما: سفيان الثوري، وسفيان بن عيينة رضي الله عنهما.

تعالى أخفيناه، وما كان لكم أبديناه.

[**ومن كلامه** رضي الله عنه]: الفقهاء أُمناء الرسل ما لم يأتوا أبواب السلاطين، فإذا رأيتم الفقهاء قد ركنوا إلى السلاطين، فاتهموهم.

وقال: إياكم والخصومة في الدين، فإنها تشغل القلب وتورث النفاق.

وقال: لا زاد أفضل من التقوى، ولا شيء أحسن من الصمت، ولا عدوّ أضرُّ من الجهل، ولا داء أدْوى من الكذب.

وقال: إذا أقبلت الدنيا على إنسان أعطته محاسن غيره، وإذا أدبرت عنه سلبتهُ محاسن نفسه.

وقال: إذا بلغك عن أخيك ما تكرهه، فاطلب له العذر إلى سبعين عذراً، فإن لم تجد له عذراً فقل لنفسك: لعل له عذراً لا نعرفه.

وقال: إذا بلغكم عن مسلم كلمة، فاحملوها على أحسن ما تجدون، فإن لم تجدوا فلوموا أنفسكم.

وقال: لا تأكلوا من يد جاعت، ثم شبعت.

وقال: إذا أذنبت فاستغفر، فإنما هي خطايا مطوّقة في أعناق الرجال قبل أن يخلقوا، وإيّاكم والإصرار على ذنب.

وقال: من استبْطأ رزقه، فليُكثر من الاستغفار.

وسُعي به عند المنصور، فقال للساعي: أتحلف؟ قال: نعم، قال جعفر: أحلفه يا أمير المؤمنين بما أراه، فقال: حلّفه، فقال له: قل: بَرِئت من حول الله وقوّته، والتجأتُ إلى حولي وقوتي؛ لقد فعل جَعْفر كذا. فامتنع الرجل، ثم حلف، فما تمَّ كلامه حتى مات مكانه. فقال المنصور لجعفر: لا بأس عليك، أنت المبرَّأ الساحة، المأمون الغائلة، ثم انصرف فلحقه الربيع بجائزة سَنيّة وكسوة حسنة، وللحكاية تتمّة ووقع نظيرها ليحيى بن عبد الله المحض، ولأخيه موسى الجون.

وسأله الرشيد عن سرِّ تلك اليمين، فروى له حديثاً عن جدِّه علي عن النبيّ ﷺ: «ما

من أحد يحلف بيمين يمجّد الله فيها إلا استحيا من عقوبته، وما من أحد حُلِّف بيمين كاذبة نازع الله حوله وقوّته إلا عجّل الله له العقوبة قبل ثلاث»(1).

ولما بلغه ﷺ قول الحكم بن عباس الكلبي في عمّه زيد بن علي: [شعر]

صلبنا لكم زيداً علــى جذع نخلة   فلم نر مهدياً علــى الجذع يُصلب

قال: اللّهمَّ سلِّط عليه كلباً من كلابك!، فافترسه الأسد.

[ومن مكاشفاته ﷺ]: أن بني هاشم أرادوا أن يبايعوا محمداً وإبراهيم ابنَيْ عبد الله المحض بن الحسن المثنّى، وذلك في أواخر دولة بني مروان وضعفهم، فأرسلوا لجعفر الصادق ﷺ، فلما حضر أخبروه بسبب اجتماعهم، فأبى، فقالوا: مُدَّ يدك لنبايعك، فامتنع وقال: والله إنها ليست لي ولا لهما، وإنها لصاحب القباء الأصفر، والله ليلعبن بها صبيانهم وغلمانهم، ثم نهض وخرج. وكان المنصور العبّاسي يومئذ حاضراً وعليه قباء أصفر، فما زالت كلمة جعفر تعمل فيه حتى ملكوا أو سبق إلى ذلك والده، كما يأتي.

[من كراماته ﷺ]: قال الليث بن سعد ﷺ: فحججت سنة ثلاث عشرة ومائة، فلما صلَّيت العصر رقيت أبا قبيس، وإذا برجل جالس يدعو فقال: يا ربّ! يا ربّ! حتى انقطع نفسه، ثم قال: ياحيّ! يا حيّ! حتى انقطع نفسه، ثم قال: اللهمّ إني أشتهي العنب فأطعمنيه، اللّهمّ وإن برديّ قد خلقا فاكسني، فو الله ما استتمّ كلامه حتى نظرت إلى سلة مملوءة عنباً ـ وليس على الأرض يومئذ عنب ـ وإذا ببردين موضوعين لم أرَ مثلهما في الدنيا، فأراد أن يأكل فقلت: أنا شريكك لأنك دعوت وأنا أؤمن، فقال: تقدّم وكُلْ، فأكلت عنباً لم آكل مثله قطّ ما كان له عجم، فأكلنا ولم تتغير السلة، فقال: لا تدّخر ولا تخبأ شيئاً ثم أخذ أحد البُردين ودفع إليّ الآخر، فقلت: أنا في غِنى عنه، فاتَّزر بأحدهما وارتدِ بالآخر، ثم أخذ البردين اللذين كانا عليه، فلقيه رجل بالمسْعى، فقال: اكسني يا ابن رسول الله ﷺ ممّا كساك الله، فدفعَهما إليه، فقلت للذي أعطاه البردين: مَن هذا؟ قال: جعفر بن محمد.

---

(1) لم أجده فيما لدي من مصادر، والله أعلم.

وعن سالم بن أبي حفصة قال: دخلت على جعفر بن محمد رضي الله عنه أعوده وهو مريض، فقال: اللّهمَّ إني أحبّ أبا بكر وعمر وأتولّاهما، اللّهمَّ إن كان في نفسي غير هذا فلا نالتْني شفاعة محمَّد صلى الله عليه وسلم.

وسالم هذا ثقة غير أنه شيعي غالٍ، يبغض الشيخين ـ رضي الله عنهما ولعن شانئهما إلى يوم الدين ـ ، وقال له جعفر: يا سالم! ؟؟ الرجل جده أبو بكر رضي الله عنه عند جدي، وما أرجو من شفاعة علي شيئاً إلا وأرجو من شفاعة أبي بكر رضي الله عنه مثله.

وعن العباس الهمداني: لما أردنا السفر من المدينة أتانا جعفر بن محمد رضي الله عنه، فقال: إنكم إن شاء الله من صالحي أهل مصركم، فأبلغوهم عني: من زعم أني إمام مفترض الطاعة، فأنا منه بريء. ومن زعم أني أبرأ من أبي بكر وعمر– رضي الله عنهما ولعن شانئهما إلى يوم الدين ـ، فأنا منه بريء.

وعن معاوية بن عمّار الذهبي، قال: سألت جعفر بن محمد رضي الله عنه عن القرآن، فقال: ليس بخالق ولا مخلوق، ولكنه كلام الله تعالى. وقيل له: إن قوماً يزعمون أن من طلّق ثلاثاً بجهالة ردَّ إلى السُّنّة يجعلونها واحدة، ويروونها عنكم، فقال: معاذ الله، ما هذا قولنا! مَنْ طَلَّق ثلاثاً فهو كما قال.

قال الحافظ الذهبي: وقد كذبت عليه الرافضة ونسبت إليه أشياء لم يُسمع بها، كمثل كتاب الجفر، وكتاب اختلاج الأعضاء، وكذبت عليه وعلى آبائه أحاديث وهو بريء من عهدتها قال: وهو أحد الأئمة الاثني عشر الذين تعتقد الرافضة عصمتهم، وكان يصلح للخلافة لسؤدده وعلمه وفضله وشرفه.

[وفاته رضي الله عنه]: وتوفي رضي الله عنه إلى رحمة الله تعالى يوم الاثنين للنصف من رجب، سنة ثمان وأربعين ومائة، مسموماً على ما حُكي، ودُفن بالبقيع في قبة أهل البيت في القبر الذي فيه أبوه وجدّه وعمّ جدّه الحسن بن علي رضوان الله عليهم، فلله درّه مِن قبرٍ ما أكرمه وأشرفه وأعلاه قدراً عند الله تعالى، انتهى.

[ترجمة]
[سيدنا الإمام محمد الباقر ﵁]

ثم قلت:

وهــو مــن الباقــر للعلــوم محمّــد المخصــوص بالفهوم

المذكور هنا هو الفجر السّافر، والنور الباهر، والغيث الماطر، والعبد الذاكر الحامد الشاكر الزاهد الصابر، سيّدنا وسندنا ومَن به يتصل نسبنا واتصلت نسبتنا، حاوي المفاخر المعروف بالمعروف محمد الباقر ﵁.

ترجمه العلّامة الجمّال في كتاب «المشرع الرّوي»[1]، فقال:

[اسمه ﵁]: محمد الباقر الإمام الكبير، العلم الشهير، ذو الفضل الواسع والذكر الشاسع.

[ولادته ﵁]: وُلد ﵁ بالمدينة الشريفة يوم الجمعة ثالث صفر سنة سبع وخمسين، قبْل قتل الحسين ﵁ بثلاث سنين، فعلى هذا لم يسمع من جدِّه الحسَين ولا من عائشة ﵂، مع أن روايته عنهما في سنن النسائي وهي منقطعة، ويُكنى أبا جعفر، ولُقّب بالباقر؛ لتبقره في العلم، وهو توسُّعه فيه، وفيه يقول القائل: [شعر]

يــا باقــر العلــم لأهــل التُّقــى وخيــر مــن لبَّــى علــى الأجبل

يقال: بَقَر الشيء إذا شقّه، ومنه سُمِّي الأسد: باقر البقرة بطن فريسته، وقد أظهر ﵁ من مخبآت كنوز المعارف وحقائق الأحكام واللطائف ما لا يخفى إلا على منطمس البصيرة، وفاسد الطويّة والسريرة.

(1) المشرع الروي لأبي بكر الشلي باعلوي ﵁: الجزء الأول ـ صفحة 36-37.

روى عن جدَّيْه الحسن والحسين، وعائشة، وأُم سلمة، وابن عباس، وابن عمر، وأبي سعيد، وجابر، وسمرة بن جندب، وعبد الله بن جعفر وأبيه، وسعيد بن المسيب وطائفة آخرين ﭬ، وروى عنه ابنه الصادق وأخوه زيد، وإبراهيم بن أدهم، وعمرو بن دينار، والأعمش، وربيعة الرائي، وابن جريج، والأوزاعي، وقرّة بن خالد، ومخول بن راشد، وحرب بن شريح، والقسم بن الفضل الحدابي وآخرون. وقد عدَّه النَّسائي وغيره من فقهاءِ التابعين بالمدينة، وهو أحد الاثني عشر الذين تعتقد الرافضة عصمتهم، **ولا عصمة إلا للأنبياء**، وكفاه ﭬ شرفاً أن النبيّ ﷺ قال لجابر بن عبد الله رضي الله عنهما: «أقرئه عني السلام»، ففي «الفصول المهمّة»: عن جابر بن عبد الله الأنصاري ﭬ قال: قال رسول الله ﷺ: «يا جابر! يوشك أن تلحق بولدي من ولد الحسين اسمه اسمي، يبقر العلم بقْراً، فإذا رأيته فأقرئه مني السلام»، قال جابر: فأخَّر الله تعالى مدّتي حتى رأيت محمد الباقر ﭬ، فأقرأته السلام من جدّه عليه السلام.

[أخلاقه ﭬ]: وكان ﭬ يُطعم إخوانه وأصحابه الطيب، ويكسوهم الثياب الفاخرة، ويقول: ما حسنة الدنيا إلا صلة الإخوان والمعارف. وكان ﭬ يعطي الألف مع كثرة عياله وتوسط حاله. ودخل هشام بن عبد الملك المسجد الحرام متكئاً على سالم مولاه، فقال له سالم: يا أمير المؤمنين! هذا محمد بن علي في المسجد المفتون من أهل العراق، فقال له: هبَّ إليه، وقل له: يقول لك أمير المؤمنين: ما الذي يأكل الناس ويشربون إلى أن يفصل بينهم يوم القيامة؟ فقال ﭬ: يُحشر الناس على مثل قرص نقيّ فيها أنهار متفجرة، يأكلون ويشربون حتى يفرغ الحساب. فعلم هشام أنه قد ظفر به، وقال: الله أكبر! ارجع إليه قل له: ما أشغلهم عن الأكل والشرب يومئذ؟ فقال ﭬ: هم في النار أشغل، ولم يشتغلوا إلى أن قالوا: ﴿أَفِيضُواْ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ﴾، [الأعراف:50]. فسكت هشام.

وعن أبي نصير، قال: كنت مع محمّد بن علي في مسجد رسول الله ﷺ؛ إذ دخل المنصور وداود ابن سليمان قبْل أن يقضى الملك لبني العبّاس، فجاء داود إلى الباقر، فقال له: ما منع الدوانيقي أن يأتي؟ قال: فيه جفا، فقال الباقر: لا تذهب الأيام حتى يلي أمر هذا الخلق، فيطأ أعناق الرجال، ويملك شرقها وغربها ويطول عمره حتى

يجمع من كنوز المال ما لا يجمعه غيره، فأخبره داود فقال: هو كائن، قال: وملكنا قبل ملككم، قال: نعم، قال: ويملك بعدي أحد من ولدي؟ قال: نعم، قال: فمدّة بني أُمية أطول أم مدّتنا؟ قال: مدتكم أطول، وليلعبن بهذا الملك صبيانكم كما يلعبون بالكرة، بهذا عهد إليَّ أبي. فلما أفضت الخلافة إلى المنصور تعجّب من قوله.

وكان رضي الله عنه يحبّ أبا بكر الصديق رضي الله عنه، فيبالغ في مدحه ويقول: مَن لم يقل له: الصدِّيق، فلا صَدَّق الله له قولاً. وكان يقول: إني بريء عن مبغض الشيخين: أبي بكر وعمر، ولو أني وُلِّيت لتقرّبت إلى الله تعالى بدماء من يكرههما، والله إني لأتولاهُما وأستغفر لهما، وما أدركت أحداً من أهل بيتي إلا وهو يتولاهُما.

قال ابن فضيل عن سالم بن أبي حفصة: سألت أبا جعفر وابنه عن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، فقال: يا سالم! تولَّهما وابرأ من عدوِّهما، فإنهما كانا إمامَيْ هدى.

قال الحافظ الذهبي: وإسناد هذا صحيح، وابن فضيل وسالم من أعيان الشيعة الصادقين.

[بعض كلامه رضي الله عنه في السلوك والمعارف]:

وله رضي الله عنه كلمات كثيرة في السلوك والمعارف لا يحتمل ذكرها هذا المحل؛ **كقوله:**

* ما دخل قلب امرىء شيء من الكِبَر إلا نقص من عقله مثل ما دخل من الكبِر.
* ما من عبادة أفضل من عفّة بطن وفرج.
* ليس شيء يميل الإخوان إليك مثل الإحسان إليهم.
* بئس الأخ يرعاك غنياً، ويقطعك فقيراً.
* اعرف المودّة في قلب أخيك بما له في قلبك.

[عبادته رضي الله عنه ووفاته]: وكان رضي الله عنه يصلي في اليوم والليلة مائة وخمسين ركعة، ولم يزل على الحال الأكمل إلى أن توفي إلى رحمة الله تعالى سنة أربع عشرة ومائة، وقيل: سنة سبع عشرة، وقيل: ثمان عشرة ومائة، **وأوصى** أن يكفَّن في قميصه الذي كان يصلي فيه. ودُفن بالبقيع في قبّة أهل البيت، في القبر الذي فيه أبوه وعمّ أبيه رضي الله عنهم، انتهى.

[ترجمة]
[سيدنا الإمام علي زين العابدين رضي الله عنه]

ثم قلت:

وهـو مـن العلـي زيـن العابديـن

المذكور هنا هو أعبد العبّاد، وأزهد الزهّاد، صفوة أهل البيت النبوي، وزبدة أرباب المقام العلوي، نور الدين وسري سراة اليقين، العارف بعلمه وحقّه وعينه، القائم بأوامر دينه، ذو الفضل المتين، سيدنا الإمام علي بن الحسين رضي الله عنه.

ترجم له سامي الذكر والفخر الجمال محمد بن أبي بكر، في كتابه «المشرع»[1] فقال: علي زين العابدين الإمام الثابت له بالآثار المتواترة، ما شوهد بالأعين الناظرة، وغرر فضائله ومناقبه على صفحات الأيام ظاهرة، وأندية مجده وفخره زاهرة.

[ولادته رضي الله عنه]: وُلد يوم الخميس خامس شعبان سنة سبع أو ثمان وثلاثين من الهجرة النبوية، بالمدينة الشريفة ونشأ بها، ويُكنى أبا القاسم، وقيل: أبا محمد، وقيل: أبا بكر، ولُقِّب بزين العابدين لكثرة عبادته، وكان يصلي كل يوم وليلة ألف ركعة، ويلقّب بالسجاد أيضاً لكثرة سجوده.

واختُلف في اسم أُمه، قال في الصّفوة: أُمه: أُم ولد، اسمها: غزالة، وقال في «شواهد النبوّة»: اسم أُمه شهريانو بنت يزدجرد من أولاد نوشيروان العادل.

وفي «حياة الحيوان» قال ابن خلكان: كانت أُمه سلامة بنت يزدجرد آخر ملوك الفرس، ويقال له: ابن الخيرتين؛ لقوله صلى الله عليه وسلم: «لله من عباده خيرتان، فخيرته من العرب:

(1) المشرع الروي لأبي بكر الشلي باعلوي رضي الله عنه: الجزء الأول ـ صفحة 37 وما بعدها.

قريش، وخيرته من العرب: فارس».

قال الزمخشري في «ربيع الأبرار»: إن الصحابة لما أتوا المدينة بسَبْي فارس في خلافة عمر ﵁، كان فيهم ثلاث بنات ليزدجرد قام ببيعهن، فقال علي ﵁: إن بنات الملوك لا يُعامَلن معاملة غيرهن، فقال: كيف الطريق إلى بيعهن؟ فقال: يُقَوَّمن ومهما بلغ ثمنهن يقدم بهن من يختارهن؛ فقُوِّمن فأخذهن علي كرَّم الله وجهه، ودفع واحدة منهن لعبد الله بن عمرو ﵁، وأخرى لولده الحسين ﵁، وأخرى لمحمد بن أبي بكر الصديق ﵁، فأولد عبد الله من التي أخذها سالماً، وأولد الحسين زين العابدين، وأولد محمد بن أبي بكر ولده القاسم؛ فهؤلاء الثلاثة بنو خالة.

قال الأصمعي: وكان أهل المدينة يتجنبون السراري حتى نشأ فيهم هؤلاء الثلاثة، وفاقوا أهل المدينة علماً وصلاحاً وورعاً وفضلاً، فرغبت الناس في السراري، انتهى.

وعلى هذا هو الأصغر، وأما علي الأكبر فإنه قُتل مع الحسين، وكان عليٌّ هذا مع أبيه، وهو ابن ثلاث أو أربع وعشرين سنة، ومعه سيف رسول الله ﷺ، إلا أنه كان مريضاً نائماً على فراش، فلم يُقتل. وفي «حياة الحيوان»: استُبْقي لصغر سنِّه؛ لأنهم قتلوا كل مَن أنبت كما يُفعل بالكفار، قاتل الله فاعل ذلك وأخزاه ولعنه.

وعن جابر ﵁ قال: كنت جالساً عند النبيّ ﷺ، والحسين في حجره وهو يلاعبه، فقال: «يا جابر! يولد له مولود اسمه علي، إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ: ليقم سيد العابدين، فيقوم ولده. ثم يولد له ولد اسمه محمد، فإن أدركته يا جابر فأقرِئْه مني السلام». وكان يقال لأشياعه: حبُّونا حبَّ الإسلام، فإنه ما برح بنا حبكم حتى صار علينا عاراً، وكأنه أشار إلى ما وقع له مع عبد الملك بن مروان، فإنه حمله مقيَّداً من المدينة، ووكل به من يحفظه، فدخل عليه الإمام ابن شهاب الزهري لوداعه، فبكى وقال: وددت أني مكانك، فقال: أتظنُّ أن ذلك يُكربني، لو شئت لما كان وإنه ليذكرني عذابالله تعالى. ثم أخرج رجليه من القيد ويديه من الغل، ثم قال: لا زلت معهم على هذا يومين من المدينة، قال: فما مضت أربع ليال إلا وقد قدم الموكلون به المدينة يطلبونه، فما وجدوه، فسألت بعضهم قال: إنا نراه متبوعاً، إنه لنازل ونحن حوله نرصده؛ إذ طلع الفجر، فلم نجده ووجدنا حديده.

قال الزهري: فقدمت بعد ذلك على عبد الملك، فسألني عنه فأخبرته فقال: قد جاءني يوم فقده الأعوان، فقال لي: ما أنا وأنت؟ فقلت: أقم عندي، فقال: لا أحبّ ثم خرج، فو الله لقد امتلأ قلبي منه خيفة.

وكتب ﵁ إلى الحجاج بن يوسف: أمّا بعد، فانظره ما بنى عبد المطلب فاجتنبها، فإني رأيت آل أبي سفيان لما ولعوا بها لم يلبثوا إلا قليلاً. وبعثه إلى الحجاج سرًّا، وقال له: اكتم ذلك، فكوشف به الإمام على حين كتابته، فكتب إلى عبد الملك: أما بعد، فإنك كتبت في يوم كذا من شهر كذا إلى الحجاج سرًّا في حقّنا بني عبد المطلب بكذا وكذا، وقد شكر الله لك ذلك. وبعث به مع غلامه في يومه، فلما وقف عبد الملك عليه وجدنا تاريخه موافقاً لتاريخ كتابه للحجاج، ومخرج الغلام موافقاً لمخرج رسوله للحجاج، فسُرَّ بذلك وأرسل إليه مع غلامه بوقر راحلته دراهم وكسوة وسأله الدعاء. ولما حجَّ هشام بن عبد الملك قبْل أن يلي الملك فطاف بالبيت، فجهد أن يقبّل الحجر فلم يقدر، فنصب له منبر فجلس عليه ينظر إلى الناس، ومعه أهل الشام إذ أقبل زين العابدين ﵁ من أحسن الناس وجهاً وأطيبهم أرجاً، فلما بلغ إلى الحجر تنحّى له الناس حتى قبّله، فقال رجل من أهل الشام: مَن هذا الذي هابه الناس هذه الهيبة؟ فقال هشام: لا أعرفه، فقال الفرزدق: لكني أعرف، قال الشامي: مَن هو يا أبا فراس؟ فقال: [شعر]

هذا الذي تعرف البطحـاء وطأتهُ	والبيـت يعرفـه والحِـلُّ والحَرَمُ
هـذا ابـن خير عبـاد اللـه كلّهمُ	هـذا التقيّ النقـيّ الطاهـر العَلَمُ
إذا رأتـه قريـشٌ قـال قائلهـا	إلـى مـكارمِ هـذا ينتهـي الكَرَمُ
ينمي إلى ذروة العـزِّ التي قَصُرت	عن نَيْلها عرب الإسـلام والعَجَمُ
يـكاد يمسـكه عرفـان راحتـه	ركنُ الحطيـم إذا ما جاء يسـتلم
يفضي حيـاءً ويفضي مـن مهابته	فمـا يكلـم إلا حيـن يبتسـمُ
مـن جـدّه دان فضل الأنبيـاء له	وفضـل أُمتـه دانـت لـه الأُممُ

ينشــقّ نور الهدى عن بــدر غرَّته   كالشمس تنجاب عن إشراقها الظُّلَمُ
مشــتقة مــن رســول اللــه ينعته   طابــت عناصره والخيم والشِّــيَمُ
هذا ابــن فاطمة إن كنــت جاهله   بجــدّه أنبيــاء اللــه قــد خُتِمُــوا
اللــه شــرَّفه قدمــاً وعظَّمــه   جــرى بذاك لــه في لوحــه القلمُ
فليــس قولك مَــن هــذا بضائره   العرب تعرف مَن أنكرْتَ والعجمُ
كِلْتــا يديــه غيــاث عــمَّ نفعهُما   يســتوكفان فــلا يَعْروهمــا العدمُ
ســهل الخليقة لا تخشــى بوادره   تزيّنه اثنان حُسْــن الخلق والكرمُ
حمّــال أثقــال أقــوام إذا قَدِمــوا   حُلْــو الشــمائل يحلو عنــده نِعَمُ
لا يخلــف الوعــد ميمــون نقيبته   رحب الفنــاء أريب حيــن يعترمُ
مــا قــال لا قــطّ إلاّ في تشــهُّده   لــولا التشــهد كانــت لاؤه نعمُ
عمَّ البرية بالإحســان فانقشــعتْ   عنــه العمايــة والإمــلاق والعدمُ
من معشــر حبّهم ديــن وبغضهم   كفــرٌ وقربهــم منجــا ومعتصــمُ
إن عدَّ أهــل التُّقى كانــوا أئمَّتهم   أو قيل مَنْ خير أهل الأرض قيل همُ
لا يســتطيع جــواد بعــد غايتهم   ولا يُدانيهــم قــومٌ وإن كَرُمــوا
هــم الغيــوث إذا ما أزمــة أَزِمت   والأسد أسد السرى والبأس مُحْتدمُ
لا ينقص العرب بســطاً من أكفّهم   ســيان ذلك إن أثــروا وإن عُدِموا
يســتدفع الســوء والبلوى بحبّهم   ويُســتزاد بــه الإحســان والنِّعمُ
مقــدّم بعــد ذكــر اللــه ذكرهمُ   فــي كل بدءٍ ومختــومٌ بــه الكَلَمُ
يأبــى لهم أن يحل الذمَّ ســاحتهم   خيــم كريــم وأيــد بالنّــدا هضمُ
أيُّ الخلائق ليســت فــي رقابهم   لأوليــة هــذا أو لــه نعــم

من يعــرف اللــه يعــرف أولية ذا والدين مــن بيت هذا نالــه الأُممُ

فلما سمع هشام القصيدة غضبَ وحبس الفرزدق بعسفان!. ولما بلغ زين العابدين ﵁ امتداحه؛ أرسل إليه باثني عشر ألف درهم، وقال: اعذر أبا فراس، لو كان عندنا أكثر من هذا لوصلناك به. فردَّها وقال: يا ابن بنت رسول الله! ما قلت الذي قلت إلا غضباً لله ﷿ ولرسوله ﷺ، وما كنت لأرزأ عليه بشيء!. فقال: شكراً لله لك ذلك، غير أنّا أهل بيت إذا أنفذنا أمراً لم نعد فيه، فقَبِلها وجعل يهجو هشاماً. ومنه قوله: [شعر]

أتحبســني بيــن المدينــة والتــي إليها قلــوب الناس تهــوي منيبها

تقلّب رأســاً لم يكن رأس ســيد وعينــاً لــه حــولا بــادٍ عيُوبهــا

فبعث فأخرجه.

وكان ﵁ كثير الثناء على أبي بكر وعمر وعثمان ﵃، وكان ﵁ كثير الخوف، فربما ثارت الريح فيخرّ مغشيًّا عليه، ولما حجّ وقال: لبيك اللّهمَّ لبيك! سقط مغشيًّا عليه.

وكان إذا توضأ يصفرّ لونه، وإذا قام للصلاة أخذته رعدة، فيقال له: ما لك؟ فيقول: ما تدرون بين يديَّ مَن أقوم؟ ومَن أناجي؟.

ووقع حريق في بيت وهو ﵁ يصلي فيه، فلم يشعر به، وقال: ألْهَتني عنها النار الأخرى.

وتأكأت ناقته فأشار إليها بالقضيب ثم ردَّ يده، وقال: آهٍ من القصاص!. وتأكأت مرة أخرى فأناخها وأراها القضيب: لتنطلقن أو لأفعلن، فانطلقت وما تكأكأت بعدها.

وكان ﵁ عظيم الهدي والسمت، وقال ﷺ: «إن الهدي الصالح والسمت الصالح والاقتصاد جزء من خمسة وعشرين جزءاً من النبوة»[1].

وكان ﵁ شديد التواضع يستقي ماء طهوره بيده، ولا يُعينه أحد على طهوره.

---

(1) قوله ﷺ: «الاقتصاد وحسن السمت والهدى الصالح جزء مكان بضع وعشرين جزءا من النبوة». أخرجه أبو داود من حديث ابن عباس مع تقديم وتأخير وقال: «السمت الصالح» وقال: «من خمسة وعشرين» ورواه الترمذي وحسنه من حديث عبد الله بن سرجس وقال: «التؤدة» بدل: «الهدى الصالح» وقال: «من أربعة». **تخريج أحاديث الإحياء للحافظ العراقي**: المجلد الثالث. كتاب ذم البخل وحب المال ـ الحديث رقم: 4.

وكان رضي الله عنه إذا قيل له: إن فلاناً وقع فيك؛ أتاه وتلطف به وقال له: إن كان ما قلت فيَّ حقاً، فأنا أسأل الله أن يغفره لي، وإن كان باطلاً فالله تعالى يغفره لك.

وسبّه رجل وبالغ في سبِّه، فكان الإمام يتغافل عنه، فقال له الرجل: إياك أعني، فقال: وعنك أغضي.

وخرج يوماً من المسجد، فلقيه رجل فشتمه، فثارت إليه العبيد والموالي، فقال لهم: مهلاً على الرجل، ثم أقبل وقال له: ما سُتِر عنك من أمرنا أكثر مما ظهر لك، ألك حاجة نعينك عليها؟ فاستحى الرجل، فألقى إليه خميصته التي عليه، وأمر له بألف درهم، فكان الرجل يقول: أشهد أنك من أولاد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقيل له: لا تسبَّ مَن سبّك، فقال: هو يسبّني بما يعرف، ولست أعرف فيه شيئاً أسبه به.

وكان رضي الله عنه يقول: ما يسرّني نصيبي من الذلِّ حُمُر النِّعم.

وكان هشام بن إسماعيل والي المدينة يؤذيه، ويسب عليًّا على المنبر، فلما عزله الوليد أمر أن يوقف للناس، فقال هشام: والله ما أخاف إلا من علي بن الحسين، فإنه يُسمع قوله. فأوصى على أصحابه ومواليه أن لا يتعرّضوا لهشام، ثم مر عليّ في حاجته، فأعرض له فناداه هشام: [الله أعلم حيث يجعل رسالته].

وكان رضي الله عنه فصيحاً بليغاً له من المنثور والمنظوم ما يقصر عنه أكابر البلغاء، وتعجز عنه ألسن الفصحاء، ومن شعره رضي الله عنه:

إنـــي لأكتم مـــن علمـــي جواهره | كي لا يرى الحـــق ذو جهل فيفتتنا
وقـــد تقـــدّم في هـــذا أبو حســـن | إلى الحســـين وأوصى قبله الحسنا
يـــا رب جوهـــر علم لو أبـــوح به | لقيـــل لي أنـــت ممن يَعبـــد الوثنا
ولا اســـتحلَّ رجال مسلمون دمي | يـــرون أقبـــح مـــا يأتونـــه حســـنا

وقارف الزهري رضي الله عنه ذنباً استوحش منه، وهام على وجهه، فقال له: زين العابدين رضي الله عنه يا زهري؟! قنوطك من رحمة الله التي وسعت كل شيء أعظم عليك من ذنبك. فقال

الزهري: [الله أعلم حيث يجعل رسالته]، فرجع إلى أهله وماله.

[ومن كلامه ﷺ]: ضلَّ من ليس له حليم يرشده، وذُلَّ من ليس له سفيه يعضده.

ومنه: أربع ذلّهنّ ذل: البنت ولو مريم، والدَّيْن ولو درهم، والغربة ولو ليلة، والسؤال ولو كيف الطريق؟. **فَقْد** الأحبّة غربة.

عَجِبت لمن يحتمي من الطعام لمضرّته، كيف لا يحتمي من الذنب لمعرّته.

إياك والابتهاج بالذنب، فإن الابتهاج به أعظم من ركوبه.

مَن ضحك مُجَّ من عقله مجّة.

لا تصحبنَّ خمسة، ولا ترافقهم في طريق: لا تصحبن فاسقاً فإنه يبيعك بأكلة فما دونها. فقيل له: وما دونها؟ قال: يطمع فيها ولا ينالها. ولا بخيلاً، فإنه يقطع بك أحوج ما تكون إليه. ولا كذاباً، فإنه بمنزلة السراب يبعد منك القريب ويقرّب منك البعيد. ولا أحمق، فإنك تريده أن ينفعك فيضرك. ولا قاطع رحم، فإني وجدته ملعوناً في كتاب الله تعالى في ثلاثة مواضع.

ومنه: لا يصطحب اثنان على غير طاعة الله تعالى إلا وتفرّقا على غير طاعة الله .

ومنه: عبادة الأحرار إنما تكون محبة لله تعالى؛ لا رغبةً ولا خوفاً.

ليس بصاحبكم مَن إذا فتحتم كيسه بغير إذنه وأخذتم منه تكدّر ولم ينشرح.

إن الله تعالى يحب المؤمن المذنب التوّاب.

ورُوي أنه كان ﷺ حزيناً متفكّراً إذ دخل عليه رجل حسن الثياب، طيّب الرائحة، فقال له: ما لي أراك حزيناً؟ أعلى الدنيا تحزن؟، فهي رزق حاضر يأكل منه البرّ والفاجر. فقال: ما عليها أحزن، وإنها كما تقول. فقال: أعلى الآخرة تحزن، فهو وعدٌ صادق يحكم فيه ملك قاهر؟ فقال: ما عليها أحزن، وإنها كما تقول؟ فقال: علامَ حزنك؟. فقال: أتخوّف من فتنة ابن الزبير. قال: فضحك، ثم قال: يا علي! هل رأيت أحداً خاف الله فلم ينجّه؟ قال: لا. فقال: أرأيت أحداً سَأل الله فلم يعطه؟ قال: لا. فاختفى عنه، وإذا قائل يقول ولا يرى شخصه: هذا الخضر عليه السلام.

ومناقبه ﷺ كثيرة لا تُحصر، وإحصاء فضائله يتعذر، والقصائد والمقطوعات في مدحه كثيرة شهيرة، فلا نطيل بذكرها.

[وفاته ﷺ]: وكانت وفاته ﷺ سنة اثنتين، وقيل: ثلاث، وقيل: أربع وتسعين مسموماً؛ سمَّه الوليد بن عبد الملك. ودُفن ﷺ بالبقيع في قبّة أهل البيت في القبر الذي فيه عمّه الحسن السبط ﷺ، وخلف أحد عشر ابناً وسبع بنات، ولم يبق على وجه الأرض حسيني إلا من نسله.

ورُوي عن عليٍّ كرَّم الله وجهه أنه قال: «بقيّة السلف أنمى عدداً وأكثر ولداً»، وشوهد ذلك في ولد زين العابدين، وولد الملهب قُتل مع الحسين ﷺ عامَّة أهل بيته، ولم ينجُ منهم إلا ابنه علي، فأخرج الله من نسْله الكثير الطيّب، وقُتل يزيد بن الملهب وأخوته وذراريهم، ثم مَن سَلِم منهم مكث نيفاً وعشرين سنة لا يولد فيهم أنثى، ولا يموت منهم غلام، ولكن لم يعقب من أولاد الإمام زين العابدين إلا ستّة منهم الإمام زيد الذي تُنسب إليه الزيدية.

[الإمام زيد ﷺ]: كان إماماً جليلاً من الطبقة الثالثة من التابعين، وكان يدخل على هشام بن عبد الملك، فيقع بينه وبين جلسائه فيفحمهم الإمام زيد ﷺ، حتى يخجل هشام بين جنده وفي عزّ مملكته، وقال له: أنت زيد المؤمل للخلافة، وأنت ابن أَمة. فقال له زيد: إن الأَمة لو قصرت بولدها عن بلوغ الغاية لما بعث الله تعالى نبيًّا وهو ابن أَمة، وجعله أبا العرب وأبا خير الأنبياء وهو إسماعيل بن إبراهيم عليهما الصلاة والسلام، وكانت أمه مع أُم إسحاق كأمي مع أمك، وما تقصيرك برجل أبوه رسول الله ﷺ، وجدّه علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وﷺ..

فلما خرج قال: زعمتم أن أهل هذا البيت قد انقرضوا؟ لعمر الله ما انقرض قومٌ هذا خلفهم.

ودخل عليه وعنده يهودي يسبّ النبي ﷺ، وقيل: يسبّ آله، فانتهره زيد ﷺ وقال: أما والله لئن تمكنت منك لأختطفن روحك. فقال هشام: يا زيد! لا تؤذ جليسنا، فخرج قائلاً: من استشعر حبّ البقاء استدثر الذل إلى الفناء، فهاج إلى الخروج على هشام

وتابعَه من أهل الكوفة خمسة عشر ألف مقاتل، وبايعه جماعة من الأئمة، منهم الإمام أبو حنيفة، وأيّده بمال، وعند مبايعتهم قال له داود بن علي بن عبد الله بن عباس: يا ابن عمّ! لا يغرنك هؤلاءِ من نفسك، ففي أهل بيتك أتم العِبَر، وفي خذلانهم إياهم كفاية، ولم يزل به حتى شخص إلى القادسية، فتبعه جماعة يقولون له: ارجع، فأنت المهْدي. وأقام مختفياً مدة، والناس يأتونه من الأمصار، ثم أذن بالخروج فخرج أواخر المحرّم سنة إحدى أو اثنتين وعشرين ومائة، وخرج معه من الفقهاء والقراء خمسة آلاف في زيٍّ لم ير الناس مثله، ثم خذله الذين بايعوه! وقالوا: الإمام جعفر الصادق؟ فقال: أين الناس؟ فقيل: احتُبسوا في المسجد، فقال: لا يسعهم عند الله خذلانهم لنا، فعاد إليهم وأمرهم بالخروج، فأبوا وطلبوا منه أن يتبرّأ من الشيخين لينصروه، فقال: بل أتولاهما، فقالوا: إذاً نرفضك، فقال: اذهبوا فأنتم الرافضة، فسُمُّوا بذلك من حينئذ. وأقبلت جيوش هشام وعليهم يوسف بن عمر الثقفي أمير العراق، فحَمل عليهم الإمام زيد، وهو يقول: [شعر]

ذلُّ الحيـاة وعـزُّ الممـات … وكلًّا أراه طعامـاً وبيـلاً
فـإن كان لا بـدَّ مـن واحـدٍ … فسيري إلى الموت سَـيْراً جميلاً

فقتل فيهم مقتلة عظيمة، فلم ينجع ذلك فيهم شيئاً، ودخلوا الكوفة وتفرقت الصحابة عنه، فلم يتأثر بذلك وحاربهم يوم الأربعاء والخميس، وقتل كثيراً من فرسانهم، وحال المساء بين الفريقين، فانصرف زيد مثخناً بالجراحات، وقد أصيب آخر يوم الجمعة بنشابة في جبينه، فجيء بحجّام فنزعها ومات رضي الله عنه لوقته، ودُفن في قناة وأُجري عليه الماء لئلا يُعرف قبره، ثم مضى الحجّام إلى يوسف بن عمرو، ودلَّه على قبره فنبشه وبعث برأسه وصلب جثته على جذع نخلة عرياناً، فنسجت العنكبوت على عورته لوقته، فلم يرها أحد، فكان ذلك من باهر كراماته، واستمر مصلوباً خمس سنين حتى ظهر ولده يحيى بن زيد بخراسان، وواقعته مشهورة.

ثم كتب الوليد بن يزيد إلى عامله بالكوفة: اعمد إلى عجل أهل العراق، فحرقه ثم انسفه في اليم نسفاً، ففعل ذلك ورأى صلى الله عليه وسلم استند إلى جذعه المصلوب عليه، وهو يقول للناس: أهكذا تفعلوا بولدي؟ فلما وُلِّي السفاح أمر بنبش قبر هشام، فوجد بحاله ما

فُقِد منه إلا أنفه؛ لأنه طلي بالصبر، فأقاموه وجلدوه حتى تناثر لحمه، ثم حرقوه بالنار، وأمر بامرأة هشام فشدخ رأسها بالعمد وقطع ثديها وقبلها قصاصاً في أم ولد أو زوجة كانت لزيد فعلوا بها كذلك.

ثم استخرجوا سليمان من أرض دابق، فلم يجدوا إلا صلبه وأضلعه فحرقوها، ونبشوا قبور بني أُمية بقنسرِين وحرقوهم.

ثم حفروا عن عبد الملك بدمشق، فلم يجدوا إلا عظماً واحداً، ووجدوا خطاً أسود بالطول في لحده، وتتبعوا قبورهم في جميع البلدان، وحرّقوا ما وجدوه منهم. ولما ورد على السفاح الخبر بهذه المذكورات خرَّ ساجداً لله، وقال: الحمد لله قتلت بالحسين بن علي مائتي من بني أمية، وصلبت هشاماً بزيد، وقتلت مروان بأخي إبراهيم. انتهى ما بـ «المشرع» للشلّي.

وسأذكر تخميسي لقصيدة ابن بنت الميلق الشاذلي،حيث الكلام المعني لا يفهمه البصير، فما لك بالأعمى والعدو متشمت والصديق متنصّت، وكل يقول بما يختلج في صدره وما يتراءاه من خيره وشره، ويتغافل عن عسى وعسى؛ لأن قلبه في ذلك أم قسى، إذ شربة لذة الأحباب في ضمن الفرح، وشربة الأعداء في ضمن الترح، وهو هذا: [شعر]

حـال الأكـابـر مـاضـيـة وآتـيـة
لـلـه سـرٌّ بـظـاهـرة وخـافـيـة
أقـول فـيـه مـقـالاً لا ينافيه

من ذاق طعم شرب القوم يدريه ومـن دراه غـدا بالروح يشـريه

ومـن شـراه كـسـاه رفـعـة وبها
وعـد بـالـذوق ما بين الملا نبها
مقالتـي إن تكـن مسموعـة فبهـا

ولـو تعـوض أرواحاً وجـاد بها فـي كل طرفـة عيـنٍ لا يسـاويه

كيف يساويه والسادات مُذ فهموا
لما هنالك قد جادوا وقد غَنِموا
قالوا تراهم لمن ليسوا به علموا
وقطرة منه تكفي الخلق لو طعموا فيشطحون على الأكوان بالتّيه
معربدون ولكن مكثرٌ ومقل
سكراً به إذ سوّاهم بالمحافل شغل
ومدّعي العشق بالمقام مُخل
وذو الصبابة لو يسقى على عدد الأنفاس والكون كأس ليس يرويه
يلقى عليه مكب فيه ضاربه
سوا لديه ومَن قد كان طار به
يرى أباعده جمعاً أقاربه
يُروى ويظمأ لا ينفك شاربه يصحو ويسكر والمحبوب يشقيه
شعورُه حكمة بالفضل تشعره
وذكره بالبيان جاء يسحره
الجزء يعرفه والكلّ ينكره
في ريه ظمأ والصحو يسكره والوجد يظهره طوراً ويخفيه
مبرهن حيث ما كان بمحجّته
وصلاً وفضلاً لكلٍّ في قضيته
سيما التعفّف قد لاحت بجبهته
يبدو له السرّ من آفاق وجهته وليس إلا له منه تبَدّيه
أضحى وأمسى وليس الغير يشغله
يرى ويسمع ما الجهّال تجهله

والصالحون على الإطـلاق تعقله

له الشـــهادة غيـــبٌ والغيـــوب له   شـــهادة والغنـــاء المحـــض يبقيه

تعلق الجمع والـفـرق جـديـراً به

والفتح والنصب قد خُصّا بمنصبه

والضمّ والرفع للتكسير جُـرَّا به

له لدى الجمع فرق يســتضيء به   كالجمـــع مـــن فرقة مـــا زال يلقيه

قد لاح بالعكس حـال ذاقـه فهم

والساق بالقلب قاس جائع نَهِم

لكل لاهـوت مع ناسوت مقتحم

يدنـــو ويعلو ويرنـــو وهو مصطلم   فـــي الحالتيـــن بتمييـــز وتوليـــه

تـكـبّـراً وابــتــذالاً جـاء عشيته

يـــرى دواة بـــداة مـــن مـروّتـه

يكفيك عن كل قولي في ولادته

له الوجودات أضحت طوع قدرته   ومـــا يشـــاء مـــن الأطـــوار يأتيه

جـلا خـلا فـعـلـه بـالـلـه يفعله

أهــلًا مـحـلاً فما يأتيه جـاز له

تفصيل ما قلته إن شئت مجمله

للقوم ســـتر مع المحبوب ليس لهُ   حدّ وليس سوى المحبوب يحصيه

حارت بهذا المقام السادة العلما

وعنه أبناء الذي في العالمين سما

سِرٌّ به طلسم الأسـرار قد رقما

بـــه تصرفهم فـــي الكائنـــات فما   يشاء شـــاؤوا وما شـــاؤوه يقضيه

رمــزا بــدا رمــزاً مـذ جـاء منقلب

مـسـلـط لـلـعـقـول بـــان منتهب

يفهم إشـــارة هـذي مـن لـه أدب

إن كنت تعجب من هذا فلا عجب لله فــي الكون أســرار تــرى فيا

مـا كـان أو كائن فينا فمن قدر

كـلاهـمـا قـــدر جـــاء عـلـى قـدر

فالحلو والمرّ في هـذا بمنحصر

لا شـــيء في الكون إلا وهو دوائر فمـــا المؤثــر غيــر اللـــه قافيــه

منشا الـعـلـل كلها قـــام بعلّته

فــأذعــن كــل مـخـلـوق لهيبته

وجــــوده ثــم مـمـتـاز بـوحـدتـه

ليــس التضـــادد مناعـــاً لقُدرتـــه مـــن حيـــث قـــدره تأتـــي تعاليه

مكوِّن الكون والتكوين كــان له

فليس فـعــلاً تـــراه قــطّ يشغله

وأيُّ معنى بمعنى ذاك يجهله

وإنمـــا من وجـــود الحادثـــات له تمانـــع فـــي محـــل ظـــل يحويه

بـقــدرة قــدر الأشـيــاء مـقـدّرهـا

وسرها حل مظهرها ومضمرها

أفعالها من قضاءٍ كــان مصدرها

وللفقيـــر وجـــوه ليـــس يحصرها عـــدٌّ وكل وجـــود فهـــو وَاديـــه

هــام بوهم له حين الخيال سرَا

مع فكرة حفظت ما كان فيه جرا

بـحـسّ مشترك فيها متى ذُكــرا

لو كنت تدري وجوه العبد كنت ترى فيــه الكمــال كما النقصــان تنفيه

أذنــاه قد سمعت عيناه قد نظرت

ذاق وشــم يــداه مــذ بــدا لمست

ونفسه يُـسِّـرت لِـمَـا لـه خُلِقت

والعبد هذا هو الحرّ الذي حصلت لــه الخلافــة جــلَّ اللــه معطيه

إن طامعٌ كـان لا يرجو بمطمعه

ســوى لإحـســان مــولاه بأجْمعه

بــدر أضـــاء نـــوره فينا بمَطلعه

أوصافه ظهرت من وصف مُبدعه وكلــه مظهــر يبــدي تجلِّيــه

أمــا تــرى لـلـذي بــان بصورته

بخلقه قــد بـــدا مــا لا بخلقته

عبدٌ مطيعٌ شفا مسعد بخدمته

إذا رؤي ذُكِــر المولــى برؤيتــه وفــاز بالسَّــعد والتقريــب رائيه

روائــح المسك من مثواه فائحةٌ

غــاديــة نــحــوه أيــضــاً ورائــحَــة

أحـــوالـــه كـلـهـا لـلـه صـالـحـةٌ

عبــدٌ عليه ســمات العــزّ لائحة وخلعــة العــزّ والتحكيــم غاليه

آمـــرٌ ونـــاهٍ لــمــولاه بجلوته

مـــؤدّب مـرشـد دأبـــاً بخلوته

حَــوَا لما قـد حــواه مـن مثبته

إن كنـــت تقصد أن تحظى بصحبته فاسلك على سُـــنن طابت مساعيه

واجـهـد بغاية جهد فـي طريقته
تحظى بحقٍّ حقيق مـن حقيقته
وإن تـرم فـوق هـذا مـن عنايته
أخلــص ودادك صدقاً فــي محبّته والزم تــرى بابه واعكــف بناديه
واطـلـب لما رمـتـه منه بهمّته
عـلّـق فـــؤادك يـا هـــذا بعتبته
سعد الـذي قد سُعِد فـوزاً بكعبته
واســتغرق العمر في آداب صحبته وحصّل الــدرَّ والياقــوت من فِيهِ
وابـــدر لـبـادر معنى مـن بـوادره
تظفر بجوهر لفظٍ مـن جواهره
واصبر على مرٍّ بان من معاصِره
وابــذل قواك وبــادر فــي أوامره إلــى الوفــاق وبالغ فــي مَرَاضيه
بالجدِّ سعيك فيها لا يكن بطأ
مـهـرولاً دائـمـاً كن لا تكن خطأ
إن كــان وعـــراً تــراه عــدَّه وطأ
واحذر بجهــدك أن تأتي ولو خطأ مــا لا يحــبّ وباعد عــن تناهيه
وبـاعـد البعدا أيـضـاً وناكرهم
في شأن شيخك أوّلهم وآخرهم
واغلظ عليهم وبالمكروه جاهرهم
وكــن محــبّ محبّيــه وناصرهم والزم عــداوة من أضحــى يعاديه
فالشيخ مـا قـال باطنه وظاهره
لله دَعْ عنك مـا أنبـا معاصره

تعريف معروفه لا زال يُفكره

واعلـم يقينـاً بـأن اللـه ناصرهُ   إن لـم تكن ناصـراً فاللـه يكفيه

وابـعـد بجدٍّ صريح عـن مهازله

وأعـرض بقلبك صدقاً عن مَنازِله

ودونــه قـم كـمـن قـام بـنـازِلـه

وأنزل الشـيخ فـي أعلـى مَنازله   واجعلـه قبْلـة تعظيـم وتنزيـه

بل واعتقد لا نحو تنحوه إلا به

مـا كـان إن كـان بالقلب وقالبه

واشهد حمايتك والإبـلاغ كنابه

ولسـت تفعـل هـذا إن ظننت به   نقصـاً ولا خلـلاً فيمـا يعانيـه

حسِّن ظنونك فيما فيه اجتهدا

ومـا تـرى من مـرٍّ إذ عامداً قصدا

لا سيما وارداً بالقلب قد وردا

واترك مرادك واستسـلم بـه أبداً   وكـن كميـت مخلّى فـي أياديه

وكـن لما كـان يصدر منه منتظراً

هـو الأمـام وأنـت لا تـعـد ورا

إن شئت تحظى بما يرجو له الفقرا

اعدم وجـودك ولا تشـهد له أثراً   ودعـه يهدمـه طـوراً ويبنيـه

ولا تكون بما أُوتـيـت معتجباً

وقـم مقاماً بـه لا زلـت منتصبا

بالخفض قلبك فيه جامعاً أدبا

متى رأيتك شـيئاً كنـت محتجباً   برؤيـة الشـيء عمّـا أنـت ناويه

تعد بالفضل ذا فمن طغى وعَتا
إن المريد الــذي بالله قـد ثبتا
ولا تعد سكوتاً فالفتى سكتا
ولا تــرى أبــداً عنــه غنــى فمتى رأيــت عنه غنى تخشــى تناســيه
من خالف الشيخ لم يبلغ حقيقته
ومــن جــلّ معرفته مـا طريقته
وتابع النفس قد عمّت جهالته
إن اعتقــادك إن لــم تــأت غايته فيــه فيوشــك أن تخفــى مباديه
فاذهب على قوله في كل ما نقلا
وأحسن الظنّ فيما قد جلا وخلا
لا سيما في الذي جهراً ترى فعلا
وغايــة الأمــر فيــه أن تــراه على نهــج الكمــال وأن اللــه هاديــه
ثبِّت له في الدنا وفي الآخرة قدماً
ومـا علْمه بـه مـن علْمه عَلَما
في حقّه لا تقل لم لا وكيف وما
ومــن إمــارة هــذا أن تــؤولَ ما عليــك يشــكل إظهــاراً لخافيه
برهن على قوله برهان مَـنْ فَهِما
بالصّحو والسكر في الحالين مغتنما
إنــي نصحتك يا هـذا فحسبك ما
والمرء إن يعتقد شــيئاً وليس كما يظنــه لــم يخــب ف اللــه يعطيه
أُوصيك بالبعد عن عجزٍ وعن كسلٍ
وعــن مكابرة تأتي وعــن جـدلٍ

قــدّم سـؤالـك لا تتركه عـن مللٍ

وليس ينفع قطــب الوقت ذا خلل فــي الاعتقــاد ولا مــن لا يواليه

أقــوالــه فهي بالرحمن صادقة

وكـــل أفـعــالــه دأْبـــاً مـوافـقـة

تـرى بما قلت جُـلّ الناس ناطقة

إلا إذا سـبقت المعبـد سـابقة يعــود مــن بعد هــذا مــن مواليه

يمسي ويصبح بــالأولاد مشتغلاً

أو صاحب جذب بالأنوار مشتعلاً

حــاز الرياسة من مــولاه بين مَلا

ونظــرة منــه إن صحــت إليــه علــى ســبيل ودٍّ بإذن اللــه تغني

بها يكون محبّ العلم والعُلَما

والسادة القادة الأبـدال والحكما

بالعلم والحكمة العظمى نما وسما

فالناس عبدان مجذوب وسالك ما دعــا إليــه بتعليــم وتنبيــه

مـقـامـه لا يـنـافـي كــل مجتهد

كـلامـه صـائـب فـي كــلّ معتقد

تابع ومتبوع في الدنيا ويـوم غد

وبالجــذب أخــذة عبد بغتــة بيد عنايــة نحــو أمــرٍ ليــس ينويــه

دعـا أجـاب سريعاً في خفا ومَلا

راضٍ بما جا من الرحمن جلَّ علا

فعيل مفعول فـعـال بمن فعَلا

هــو المــراد ومخطــوب العناية لا يحسّ كلفــة تكليف يلاقيه

تـجـده بـالـحـال حـالـتـه مجملة
فـك لمن قـد ساله كـل مشتملة
جملته لـم تـزل تـدعـى مفصّلة
طـوراً يـردّ عليه الحسـن تكملة   فيقصـد الطـور ما قـد كان ناويه
ما فعل منه جـرى تلفيه إلا على
حافظ له الله بالحفظ يعد ولى
عناية منه تحميه خفى وجلى
تـراه بعيـد لا يلوي على شـغل   سـوى العبـادة يسـتحلي تفانيه
سكونه فـي الـعـبـادات كمنطلق
لاحقٌ بمن قد مضى وهو بمُلتحق
أخلاقه جمعت ما كـان من خلق
تـرى الحقائق تبدو منه في نَسَـقٍ   مـع الكشـوف لأن اللـه يلقيـه
تلفيه في السرّ للمظلوم منتصفا
وظاهر الأمـر بـالأطـلال معتكفا
ينفع يضر بـإذن الـلـه داء شفا
وقد يغيب عن الإحساس مختطفاً   وذو العنايـة حفظ الحـق يحميه
وقـد يـرى ذا اختلال في شريعته
وهـو مـحـقٌّ حقيق فـي حقيقته
قـد نـكـرت معرفته فـي طريقته
وذو السـلوك تـراه فـي إرادتـه   مجاهـد النفـس ذا رعـي لباقيه
فـي كـل فـنٍّ تـراه راسـخـاً قدمَا
نجمٌ بـه يُهتدى يدعونه علَمَا

يعلم مَـن سـواه عـالِـما فهما

يمشي على نهج أهل الصدق ملتزماً شـروطهم خائفـاً فيمـا يرجّيـه

علت به في ذُرى العلياء همّته

صفت بأوصافه الحسنى سريرته

أبـداً بـنـور أنـارتـه بديهته

كم من مريـدٍ قضى ما نـال بُغيته حـقَّ القضـاء عليه فـي تقاضيه

خـرج عن الحدِّ قد يـأس لشقوته

وقـد أمـن مكر مـولاه لسطوته

مخذول في الحالتين قل لجرأته

وكـم مريدونـا مـن بعـد عزمته إذ عزمـه ذاك مـا صحـت مباديه

تـصـور صـوراً لاحـت بصورته

قـد خـالـف فعـلـه فيـهـا ثنيَّته

مـعـلـلاً قـد رمـى قـهـراً بعلته

مـن ليس يخلص في مبـدا إرادته يهوى به الحظّ فـي أهوى مهاويه

لـعـدم إخـلاصـه بـانـت شقاوته

بـحـظِّـه قـد نـأت عـنـه سعادته

بـكـبـرة عَـظُـمـت فيها مصيبته

ومـا المريد الذي صحَّـت إرادته إلا مـراد لـه جـذب يوافيـه

توفيقه لا يـزال الدهر يسعى له

ألـم تـر الـلـه عـظّـمـه وبـجّـلـه

وقـد حبا بـه على الغير وفضّله

والجذب إن جاء من بعد السلوك به فضل على الجذب من السعْي تاليه

رقى وأرقــى ترقى دلَّ أيضاً ودل
ونــال ما نــال مما قد علا وسفل
أواخــر مـا نقلنا قـد حلوا وأول

قد جذب هذا الــذي التفضيل فيه　　هو الجذب الذي ظهرت حشا بواديه

لسان حـالٍ له للصدق قد ملكت
فيه أقامت دليل ما ادّعت وشكت
علت نمت في الذي قالت به وحكت

وفي الحقيقة لولا الجذب ما سلكت　　طريــق حــق ولا رؤيــت مرائيه

فـاز الـذي بمقال الشرع قد نطقا
وبالحقيقة حــاز الحق إذ لحقا
بمعرفته الطريق مذ سقوه سقا

لولا العناية والتخصيص قد ســبقا　　في دعــوة العبد ما قامــت دعاويه

لا سيما في مقامٍ استحق جدل
يظهر له فيه جـدٌّ لو يكون هزل
ملقّناً لـم يـزل بالله حيث نزل

إن المريــد مراد والمحــبّ هو الـ　　ــمحبوب فاستمل هذا من أماليه

أقــامــه الــلــه مــــولاه فـاقـصـده
تلقى به كل ما قد رمـت تشهده
فـكـم بـه سـالـك الـلـه أسـعـده

إن كان يرضيــك عبــدٌ أنت تعبده　　وإن دعــاك مــع التمكيــن تأتيــه

بـــادر إلـيــه بـــآداب بــلا مهلٍ
وارم لما مَن سواه رُمْـت مِن أملٍ

ومـا يعينك تـراه فيه مـن خللٍ

ويفتـح الباب إكرامـاً على عجلٍ ويرفـع الحجب كشـفاً عن تناديه

ذاك الـذي فـيـه آخـره وأوّلـه

سـوا سـوا صـحَّ معجمه ومُهمله

أقـول قـولاً وخير الـقـول أكمله

وثـم تعرف مـا قد كنـت تجهله ويعجـز الحصر قد جلّـت معانيه

مسالك ترتقي مـا كنت هاويه

بها مـن الـسـرِّ مـا بـالـسـرِّ ناويه

تحظى بـرائـحـه أيـضـاً وغـاديـه

وترتوي من شـراب الأنس صافيه يا سـعد مَن بات مملـوءاً بصافيه

وحوله الحور والـولـدان ناطقة

بالمسك والند والكافور عابقة

بـوارق الـنـور مـن طالعه بارقة

وصلّـي يـا رب ما غنّـت مطوقة علـى النبـيّ صلاة منـك ترضيه

ثـم الـسـلام عليه مـا نسخ نسيخ

والآل من فخرهم قد حقّ بالتشيخ

ما دامت الشمس والزهرة والمريخ

لعام ما خمس الجفري ضبط تاريخ للـه سـرٌّ خفـي كائـنٌ فيـه

عارٍ عن النحو والتصريف تخميسه

بل في الفنون جميعاً قلَّ تدريسه

لكن لـه وارد ينبيك تأسيسه

بديهة مظهراً ما قدى حوى كيسـه بمـا الـذي خالـف فيـه مداعيه

بـذوقـه قـال مـا قـد قـال مـذ فهما

إن وافـق وأصـاب بـالـذي نظما

فما رمى مذ رمى لكن قل الله رمى

وقـل أنكر مـا قـد قيل فيـه أما　　　مـن ذاق شـراب القـوم يدريـه

انتهى ما بـ «المشرع» وما أُضيف إليه من نعت حال أكابر أهل الورع.

فهرس الموضوعات